من كنوز تراث الجزائر

رياض الصالحين وتحفة المتقين

للشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف

الثعالبي الجزائري

875 هـ - 1470م

تحقيق وتعليق الأستاذ

بريك الله حبيب الجكني الشنقيطي

1435 هـ - 2014م

دار الوعي

مِنْ كُنُوزِ تُرَاثِ الجَزَائِرِ

رِيَاضُ الصَّالِحِينَ وَتُحْفَةُ المُتَّقِينَ

لِلشَّيْخِ أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْلُوف

الثَّعَالِبِيِّ الجَزَائِرِيِّ

875 هـ - 1470م

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ الأُسْتَاذِ

بريك الله حبيب الجاكني السندوني

1435 هـ - 2014م

دار الوعي

جميع الحقوق محفوظة
1436 هـ -2015 م

عنوان الكتاب: رياض الصالحين وتحفة المتقين

تحقيق: د. بريك الله حبيب

تـــأليف: أبي زيد عد الرحمان بن مخلوف الثعالبي الجزائري

رقم الإيداع القانوني: 2015-2557

ردمك: ISBN : 978-9931-376-81-1

دار الوعي
للنشر والتوزيع

حي محمد برانسي ـ قطعة 85 ـــ رويبة ـ الجزائر

الفاكس: 021.81.38.60

النقال: 0560.05.10.10 / 0560.94.10.10

البريد الإلكتروني:
darelwaai @gmail.com
الموقع الالكتروني: www.darelwaai.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح أبي الغالي

بريك الله حميما الجكني التيندوفي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

إلى والدتي الطيبة الغالية المتواضعة الحنون

أطال الله في عمرها وأحسن إليها دينا ودنيا

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى العلماء الفقهاء

الفقيه محمد بلعمش الجد

الفقيه محمد المختار بن بلعمش

الفقيه بريك الله سيدي أحمد

الفقيه أحمد يكن بن بلعمش

الفقيه والقاضي توهامي لحبيب

الفقيه بريك الله حمني

الفقيه خونة مختار

تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جنانه

وإلى من بقي منهم على قيد الحياة

الفقيه الجليل

طاهر خطار

حفظه الله وأطال عمره

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله الكرام وأصحابه الطيبين وسلم تسليما كثيرا.

يعتبر علم التصوف والوعظ والزهد من بين أكثر الفنون التي خاض فيها علماؤنا وأسلافنا وألفوا فيها العديد من الكتب والتآليف والرسائل والتي لازال معظمها بين دفات المخطوطات المتناثرة بين رفوف هاته الخزانة وتلك، وتعتبر هاته المخطوطة التي بين أيدينا من أهم التآليف التي سخت بها أنمل العلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله في علوم شتى كالزهد والوعظ والتصوف والحديث وأحوال الموتى وأهوال يوم القيامة وعن أولياء الله وأحوالهم وقصصهم وحكاياتهم مع غيرهم. فلم يترك العلامة الثعالبي رحمه الله من إشارة ولا فائدة ولا لطيفة إلا وأشار إليها بغية أن تعم الفائدة ويتضح المعنى.

وقد عملت جاهدا على تحقيقها و دراستها وتخريجها لكي لا تبق حبيسة الرفوف والخزائن مثلها مثل مثيلاتها من المخطوطات المتناثرة بين رفوف وجدران هاته الخزانة أو تلك الزاوية أو تحت رحمة عقول لا تدري ماهية المخطوط ناهيك قيمته العلمية، وقد ارتأينا أن يخرج هذا العلم الوفير والكنز الدفين مدروسا محققا من صفحات مخطوطة لا تلبث وأن تكون طعاما للأرضة أو وقودا لمدفأة فحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولا بد للإشارة من باب الأمانة إلى وجود بعض الحكايات التي ربما

تسوقنا إلى الاستغراب عند قراءتها أو الوقوف عند مصادرها وربما يقول قائل هي من شطحات الصوفية والله تعالى أعلى وأعلم وهو يهدي السبيل.

ولعل من بين الأسباب التي دفعتني إلى تحقيق وإخراج هذه المخطوطة للعلامة عبد الرحمن الثعالبي هو ما تحويه من فوائد جمة في جميع جوانبها الدينية من كثرة إيرادها لآيات وأحاديث صحيحة، ونقولها الكثيرة عن كتب علمائنا الأجلاء كالغزالي وابن أبي جمرة والقرطبي وغيرهم رحمهم الله ورضي عنهم، ولنقل كذلك ماهية الأسباب والدوافع التي تركت العديد من الباحثين والمهتمين بالتراث الجزائري يغفلون عن نشر كنوز كتب هذا العلامة الكبير.

ثم مساهمة مني في نشر تراثنا الإسلامي الذي يزخر بكنوز بين طيات مخطوطاتنا والتي لا يعرف قيمتها إلا من خاض غمار أبحرها واكتشف مكنونات جوهرها.

وقد جعلت عملي في هذا الكتاب جانبين: جانب للدراسة، وجانب للتحقيق.

*** أولا: جانب الدراسة**

ويشتمل على مقدمة وفصل.

المقدمة: مقدمة المحقق.

الفصل: تعريفا موجزا للمؤلف ومنهجي في تحقيق هذا الكتاب.

*** ثانيا: جانب التحقيق**

وفيه النص المحقق والخاتمة.

ويليه مايلي:

* كشاف الآيات الكريمة.

* كشاف الأحاديث الشريفة والآثار.

* فهرس المصادر والمراجع.

* فهرس الموضوعات.

بريك الله حبيب

الجزائر العاصمة في: 16 مارس 2012

منهجي في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة بيد صاحبها الأستاذ عبد القادر وهي نسخة جيدة ومقرؤة وسليمة من كل العيوب التي تعتري المخطوطات، وقد سلكت المنهج الآتي في تحقيقها:

* قمت بنسخ النسخة وفق القواعد الإملائية الحديثة مراعيا علامات الترقيم ونحو ذلك، وإن كان النقل قد تم من نص آخر في كتاب آخر قمت بمقابلته بما هو في النسخة المخطوطة مثل: «الإحياء للغزالي» وغيره من الكتب واتبعت في ذلك الطريقة نفسها.

* عزوت الآيات إلى سورها ببيان اسم ورقم السورة، ثم رقم الآية وتمامها إذا كانت ناقصة.

* عزوت الأحاديث إلى مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بذكر أحداهما وإلا عزوته إلى غيرهما مع بيان مصدره.

* عَرَّفتُ بالأعلام الغير معروفين كثيرا.

* علقت على ما يقتضي التعليق عليه.

* أضفت عناوين لنصوص وبعض الكلمات لم يوردها الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ووضعتها بين معقوفتين فكل ما بين المعقوفتين من عندي وليس من النص.

* حاولت قدر الإمكان إرجاع أقوال العلماء ومذاهبهم إلى مصادرها الأصلية، فإن لم أجد فإلى مصدر من رتبة ثانية، وهكذا.

* شرحتُ الغريب من الألفاظ والكلمات التي كانت تتداول في تلك

الحقبة وكانت قليلة ونادرة.

- وضعت كشاف لفهرس موضوعات الكتاب

* فهرس الموضوعات.

ترجمة المؤلف العلامة الجزائري
عبد الرحمن الثعالبي

هو فخر علماء الجزائر الإمام المسند أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري، نسبة إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عم رسول الله ﷺ.

ولد الثعالبي سنة 785هـ، أو في التي بعدها بوادي "يسر" على نحو ست وثمانين كيلو مترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر وهو موطن آبائه وأجداده الثعالبة أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل. فنشأ نشأة علم وصلاح بين أحضان أبويه ، وتلقى مبادئ قراءته وتعلمه بالجزائر العاصمة وضواحيها، وفي سنة 802هـ، ارتحل إلى بجاية حيث قضى فيها ما يقرب من سبع سنوات لازم فيها حضور مجالس علمائها وتلقي الدروس في مختلف الفنون وكان ممن أخذ عنهم من المشايخ:

- أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي الزواوي قال الثعالبي: "وعليه كانت عمدة قراءتي".
- أبو الربيع سليمان بن الحسن توفي سنة 845هـ.
- علي بن موسى البجائي توفي سنة 816هـ.
- أبو القاسم محمد المشدالي كان موصوفا بحفظ المذهب. لم أقف على سنة وفاته.
- أبو العباس أحمد النقاوسي توفي سنة 810هـ، وغيرهم .....

ثم انتقل إلى تونس سنة 809هـ أو 810هـ، حيث مكث حوالي ثمان سنوات فلقي بها جلة من أكابر العلماء وانتفع بهم وأجازوه فيما هو أهل أن

يجاز فيه، ومن هؤلاء الشيوخ اذكر:

- أبو مهدي عيسى الغربيني توفي سنة 813هـ أو 810هـ.
- أبو القاسم بن أحمد البرزلي توفي سنة 844هـ.
- أبو عبد الله محمد الله محمد بن خلفة الأبي توفي سنة 827هـ.

ثم توجه إلى القاهرة سنة 817هـ، حيث لقي بها الشيخ أبا عبد الله محمد البلالي المتوفى سنة 820هـ، قال الثعالبي :" ... فسمعت عليه البخاري وقرأت عليه كثيرا من اختصاره لإحياء علوم الدين".

ثم يمر شطر "بورصة" من بلاد الترك حيث استقبل استقبالا كريما، ومن هنالك توجه إلى الحجاز فحج وأخذ عن بعض علمائه، ثم عاد إلى مصر فأخذ عن أبي عبد الله البساطي المالكي المتوفى سنة 842هـ، وشيخ المحدثين ولي الدين العراقي المتوفى سنة 826هـ.

قال الثعالبي: "... وأكثرت الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي شيخ المحدثين فحضرت عليه علوما جمة ومعظمها علم الحديث وفتح الله سبحانه لي فيه فتحا عظيما وكتب لي بخطه وأجازني رحمه الله تعالى".

ومما جاء في إجازة الشيخ العراقي له قوله: " الشيخ الصالح الأفضل الكامل المحرر المحصل الرحال أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ....".

وفي سنة 819هـ رجع إلى تونس فوافى بها العلامة ابن مرزوق الحفيد التلمساني المتوفى سنة 842هـ، فلازمه وأخذ عنه فنونا من العلم جمة، وأجازه بإجازات ثلاث أثنى عليه شيخه فيها وحلاه بقوله: " سيدي وبركتي

الشيخ الامام الفقيه المصنف الحاج العالم المشارك الخير الدين الأكمل أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ....." وفي أخرى: "سيدي الشيخ الفقيه الصالح المبارك الحاج المحدث الراوية الأكمل ...." وفي أخرى: "سيدي الشيخ الأجل الفقيه الأنبل المشارك الأحفل المحدث الراوية الرحالة الأفضل الحاج الصالح المبارك الأكمل ....".

كما أخذ أيضا عن أبي عبد الله القلشاني المتوفى سنة 836هـ أو837هـ، والبرزلي المتقدم ذكره.

قال الشيخ الثعالبي: "..... وأخذت عن البرزلي في المرة الأخيرة رواية البخاري لم يفتني من سماعي عليه إلا اليسر ولم يكن يومئذ بتونس من اعلمه يفوقني في علم الحديث منة من الله وفضلا وإذا تكلمت فيه انصتوا وتلقوا ما ارويه بقبول فضلا من الله سبحانه، ثم تواضعا منهم وإنصافا وإذعانا للحق، واعترافا به. وكان بعض فضلاء المغاربة هناك يقول لي لما قدمت علينا من الشرق رأيناك آية للسائلين في علم الحديث وذلك فضل من الله ومنة منه سبحانه، ومع ذلك بحمد الله لا أسمع بمجلس يروى فيه الحديث إلا حضرته جعل الله ذلك خالصا لوجهه ومبلغا إلى مرضاته".

وأخذ عن غيرهم من جهابذة العلم المحققين بتونس، فحصل على إجازاتهم وإذنهم له في التدريس والتأليف. وفي أواخر سنة 820هـ، عاد أدراجه إلى وطنه بعدما غاب عنه حوالي عشرين سنة قضاها كلها في اكتناز المعارف واغتراف العلوم، فاستقر في مدينة الجزائر حيث راح يشتغل بعبادة ربه وبث العلوم الشريفة تدريسا وتأليفا، وتلمذ عليه كثيرون أذكر منهم:

- محمد بن مرزوق الكفيف توفي سنة 901هـ

- الإمام محمد بن يوسف السنوسي توفي سنة 895هـ.
- العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي توفي سنة 909هـ
- أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري 884هـ.

أما مؤلفاته فأزيد من تسعين، جلها ما زال مخطوطا ويقال إن أكثرها موجود بأرض السودان نذكر منها ما يلي:

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (مطبوع).
- تحفة الإخوان في إعراب أي من القرآن.
- روضة الأنوار ونزهة الأخيار
- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة (مطبوع)
- رياض الصالحين وتحفة المتقين، وهو الكتاب المحقق الذي بين أيدينا.
- الإرشاد في مصالح العباد.
- غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد.
- شرح ابن الحاجب الفرعي.
- شرح عيون مسائل المدونة.
- جامع الأمهات في أحكام العبادات.
- الجامع الكبير.
- الأربعون حديثا في الوعظ والرقائق.
- جامع الفوائد.
- التقاط الدرر.
- النصائح.
- جامع الهمم في أخبار الأمم.

ولم يزل رحمه الله عاكفا على الطاعات متجردا عن الدنيويات إلى أن ناداه أجله المحتوم صبيحة يوم الجمعة 23 رمضان المعظم سنة 875هـ، ودفن بمكان يعرف "بجبانة الطلبة" خارج "باب الواد" بالجزائر العاصمة، وللأسف الشديد فإن قبره أصبح مزارا يتبرك به وتقام عنده الطقوس الشركية المخرجة من الملة الحنيفية بل قل أصبح إلها يعبد من دون الله فإلى الله المشتكى وهو المسؤول أن يعيننا على محاربة هذه البدع الشركية ويقيض لهذه البلاد رجالا يحمون معالم توحيده.

مصادر الترجمة

- رحلة الثعالبي ضمن مخطوط للثعالبي بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقم 851 من ورقة 39 إلى ورقة 46.
- تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجلالي 272/2.
- تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 73/1
- صفحات في تاريخ مدينة الجزائر لنور الدين عبد القادر ص 167- 179.
- فهرس الفهارس للكتاني 732/2- 734.
- شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد بن مخلوف ص 265.
- نيل الابتهاج للتنبكتي ص 148
- الضوء اللامع للسخاوي 152/4.
- الأعلام للزركلي 331/3.
- معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض ص 90.

نماذج من صور المخطوط

الصفحة الأولى من المخطوطة

الصفحة الثانية من المخطوطة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

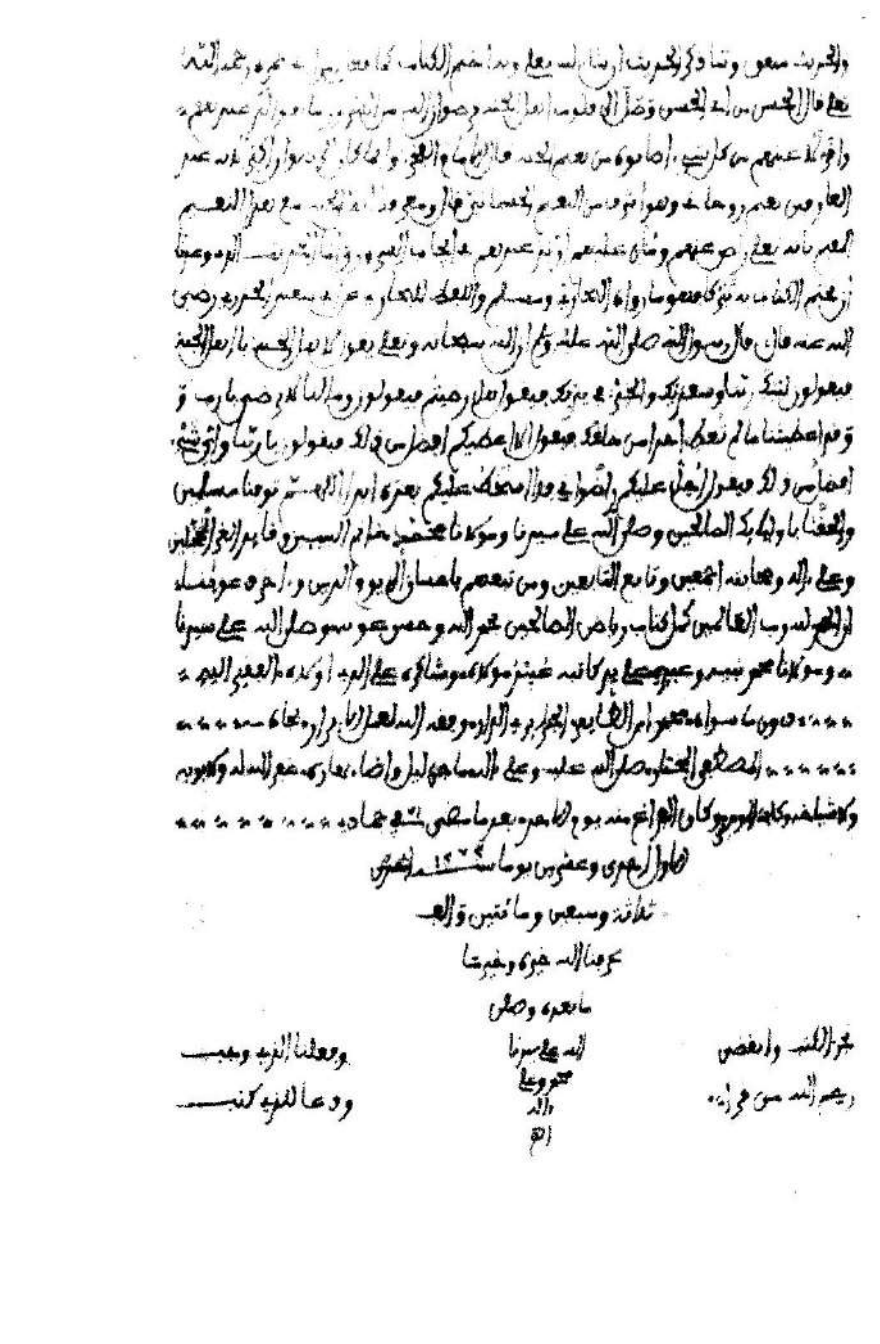

التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال الكبير المتعال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل والحمد لله الذي سقا أولياءه من خالص كأس محبته شرابا طهورا وبعث من خزائن رحمته وعجائب غرائب ألطافه إلى قلوبهم هداية ونورا، يمتعهم بذكره وقطعهم عن غيره فأضحى الكل بوجود فضله فارحا مسرورا أخذهم منهم وأفناهم به عنهم فأرواح سرت وأشباح بذكره اشتهرت شوقا إلى من لم يزل بعباده رؤوفا وغفورا.

يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه عبد الرحمن محمد بن الثعالبي لطف الله به أما بعد أيها الأخ المسترشد السائل عن وجه خاصة وما يقر به من ربه أشرق الله قلبه وقلبك بأنوار اليقين وجعلني الله وإياك من أوليائه المتقين فيجب عليك المبادرة إلى الخيرات قبل هجوم صولة الممات واستعن بالله سبحانه والجأ إليه في جميع أمورك بصدق وإخلاص فيه ومراقبة وأكثر في ذكر الموت والفكرة فيما بعده واعلم أن من آمن بالآخرة وصدق بالانتقال إليها وعلم أن الموت مصرعه والتراب مضجعه ...[1] أنيسه ومنكر ونكيرا جليسه والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده ومنزله بحقيق أن لا يكون به فكر إلا في الموت وأن لا يحدث نفسه إلا به ولا يستعد إلا لأجله وأن لا يدبر إلا فيه وأن لا يعرج إلا عليه ولا يحوم إلا حواليه.

---

(1) كلمة غير واضحة.

وقد روى النسائي عن أبي هريرة ﷺ[1] قال قال رسول الله ﷺ: "أذكروا هادم اللذات[2]"، يعني الموت وخرجه الترمذي[3] وابن ماجة[4] وخرجه وأبو نعيم الحافظ[5] بإسناده عن حديث مالك ابن أنس عن يحيى بن سعيد بن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أكثروا من ذكر هادم اللذات قلنا: يا رسول الله وما هادم اللذات قال: الموت[6]".

وروى ابن ماجة عن أبي عمر رضي الله عنهما أنه قال: "كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال: أحسنهم خلقا قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا فأولئك الأكياس[7]" وخرجه مالك أيضا.

وروى الترمذي عن شراد بن أوس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنا

---

(1) من صحابة رسول الله ومن أكبر حفاظ ورواة الحديث عن النبي ﷺ.

(2) سنن الترمذي: ح: 2307، باب ما جاء في ذكر الموت.

(3) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي. ولد في مطلع القرن الثالث الهجري (العصر الذهبي لتدوين السنة النبوية المباركة حيث ظهرت في هذا القرن كتب الصحاح ومنها جامع الترمذي توفي الإمام الترمذي في بلدته بوغ في رجب سنة 272هـ

(4) أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني اللقب :ابن ماجه ، توفي: 887م.

(5) صاحب الحلية.

(6) النسائي: باب ذكر الموت، ح رقم: 1824، قال الألباني: حسن صحيح.

(7) مسند الإمام أحمد: ح رقم: 11552، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

على الله الأماني[1]"، ومعنى دان نفسه حاسبها.

فصل

وقد سميت كتابي هذا برياض الصالحين وتحفة المتقين جمع فنونا من العلوم وفوائد جمة لمن يريد حرث الآخرة، وأسأل الله أن ينفعني وإياكم به ويجعله عملا خالصا لوجهه ومبلغا إلى مرضاته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وروى البخاري ومسلم عن بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغدوة والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار[2]" قال الشيخ بن أبي جمرة[3] رحمه الله تعالى: "ويترتب عليه من الفقه وما يمان به من التفكر فيما نحن إليه صائرون ولأهبة لذلك، ولذلك قال ﷺ: "كفى بالموت واعظا[4]" ، لأنه إذا تفكر في الموت وفيما بعده من الأنباء وشبهها حصل له من الوعظ ما فيه كفاية لمن غفل وألقى السمع وهو شهيد .

فَصلٌ

فيجب على العبد مبادرة بإصلاح نفسه وأخذه زاده والتهيؤ لمعاده وذلك بالتوبة النصوح ورد المظالم واجتناب المحارم ومجاهدة النفس

---

(1) الترمذي: ح: 2459، قال الألباني: ضعيف.

(2) البخاري: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح: 3068.

(3) هو: عبد الله بن أبي جمرة أبو محمد محدث ومقرئ من تصانيفه: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، ت:699هـ نيل الابتهاج للتنبكتي:140.

(4) شعب الإيمان للبيهقي: ح: 10556.

الأمارة ومحاسبتها والتضييق عليها والندم على ما فات والعزم على أن لا يعود إلى السيئات، ويسأل الإنسان على وجه خلاصه في جميع أموره حتى يكون على الاستقامة ولا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ولا يعذر أحد بالجهل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

فإن أردت نجاة نفسك فلا تغفل عن محاسبتها ما دمت حيا، قال الغزالي[2]: "واعلم أنه لا ينجو من خطر الحساب والميزان إلا من حاسب نفسه في الدنيا ووُزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخصراته ولحظاته.

قال الغزالي في الإحياء والقرطبي في تذكرته: "يجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه كما قال عمر رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم وزنوها قبل أن توزنوا[3]"، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط فيه من تقصير فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويُطيب قلوبهم حتى يموت ولم يُبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يرجا من الله سبحانه أن يدخله الجنة بغير حساب[4].

---

(1) سورة النحل 14، الآية: 43 وتمامها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

(2) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدِّين الطوسي الفقيه الشافعي صاحب كتاب "إحياء علوم الدِّين"، ت: 505هـ ـ وفيات الأعيان:216/4.

(3) الترمذي: ح: 2459، وجاء الحديث بلفظ: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على حاسب نفسه في الدنيا".

(4) الإحياء:308/1.

يا أخي عليك بكثرة الدعاء ومحسن اللجوء لكن بتذلل وخشوع وتضرع وخضوع، قال القشيري في تحبيره: ومن اعتقد أن الله سبحانه هو الذي يفزع إليه في النوائب لا يسأل المخلوقين ولا يستعين [إلا][1] برب العالمين يغتنم خلواته ثم يصفي دعوته ويظهر بين يديه غصته ويرفع إليه بإخلاص القلب قصته فإن وافق دعاءه سابق القضاء فاز بالنجاح وجزيل العطاء، وإن كانت القسمة بخلاف ما طلب من البغية ألبسه الله تعالى لباس الرضا فهو بحسن أدبه بل بكمال وده ومحبته يعد المنع عطاء ومنحة والرد إجابة وقربة وقل من يوفق للدعاء ثم لا يستجاب له فإن من لا يكون أهلا لإجابة قلما ينطق لسانه بالمسألة.

قال ابن السماك رحمه الله تعالى: وصف لي رجل[2] من العباد فسرت إليه فوجدته في بيت قد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوضا بين يديه فسلمت عليه فرد علي السلام ردا ضعيفا ثم قال لي: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة قال: ما اسمك؟ قلت: محمد بن السماك قال لي: الواعظ؟ قلت: نعم فالقي الخوض من يديه وقال: ابن السماك يقال أن الواعظ من السامع بمنزلة الطبيب من العليل فأعرض علي شيئا من دواءك قال فقلت له: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى، كم بين يديك من ظلمة بينك وبين الصراط قال: فبكى بكاء عظيما وقال لي: يا ابن السماك وما بعد ذلك؟ قلت: حمل الأوزار والجواز على الصراط وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار، قال: فصاح الشيخ وسقط

---

(1) زيادة اقتضاها سياق الكلام.

(2) يقصد به : أبي زيد الخواص.

في قبره فخرجت روحه فأقبلت عجوز تمسح التراب عن وجهه وتقول: يا أبي هاتان العينان طالما سهرتا في طاعة الله وطالما ما بكتا من خشية الله عز وجل قال ابن السماك[1]: فخرجت من عنده وقد صغرت نفسي عندي وأنشدوا في المعنى:

تعود عبد سلمته ذنوبه إلى قسوة

سدت وجوه نجاته

ففر إلى المولى واسلم نفسه

وألقى إلى التقوى عنان حياته

ينادي إذا ما الليل أسبل ستاره

وطال غريق طرف في عبارته

وهاج لهيب الخوف بين ضلوعه

فبات حزين الجسم من زفراته

عسى ملك المولى يمن بعفوه

على مذنب قد تاب قبل وفاته

[طويل]

قال بعض السادات: مر بعض [الشاب] [2] بمقبرة فأخذ عظما ففتته فنفث في يده فغلبه البكاء وقال هكذا أصير فأقبل إلى أمه وقال لها ما يفعل

---

(1) ابن السَّمَّاك 344 هـ / 955 م) هو: عثمان بن أحمد بن عبيد الله بن يزيد، أبو عمرو الدقاق، ابن السماك :مسند بغداد. وبها وفاته.

(2) وجدتها هكذا في النص ولعلها : الشباب لأنها تتماشى وسياق الكلام.

السيد بالعبد الأبق إذا قدر عليه قال يضيق عليه قال لها يا أماه إن رجعت إلى ربي أيقبلني قالت يا بني كن مع مولاك كالولد مع أمه كلما طردته تضرع إليها قالت ثم شمر وأخذ في العبادة حتى نحل جسمه فقالت له يوما يا بني أين الملتقى فقال لها يا أماه إذا قامت القيامة فاسألي عني ملك خازن النار ثم صاح صيحة خرجت فيها نفسه رحمه الله تعالى.

فَصْلٌ

الحمد لله الذي رفع السماء وزينها بالنجوم للناظرين وجعل منها دلائل الاهتداء ورجوما للشياطين، جعلها خزائن وحيه يهبط بها الروح الأمين أسكنها ملائكة كراما بررة مطهرين، فمنهم عاكف على مشاهدة الحضرة، ومنهم في أفعالهم مسخرين، بسط بساط الأرض على متلاطم ماء معين قسم الخلق قسمين، ونوَّعهم للسعادة والشقاوة نوعين فهؤلاء من أهل الشمال وهؤلاء من أهل اليمين عدلا منه وقضاء تبارك الله رب العالمين، رتب الحفظة بحفظك وحفظ أعمالك كراما كاتبين ملائكة بالليل وملائكة بالنهار متعاقبين، ما أغفلك يا مسكين عن المراد بك وسيأتيك اليقين لا حيلة في دفع قضاءه أيها المسكين وإنما عليك العمل بالسنة والكتاب المبين فتيسير الأعمال الصالحات والعمل بها أمارات السعادة للمتقين وعمل السيئات وترك الصالحات علامة الشقاء للمبعدين "كل ميسر لما خلق له "[1] حديث والله صحيح بيقين ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ

---

(1) مسلم:ح: 171، وهو قطعة من حديث علي وقد صح أن بعض الصحابة لما سمعوا هذا الحديث منه قالوا: إذا نجتهد. وفي رواية: فالآن نجد الآن نجد الآن نجد، ففيه رد صريح على الجبرية المتواكلة الذين يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة .

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

والحمد لله الذي لم يجعل لمران العقول إلى معرفة كنه ذاته سبيلا، نور قلوب العارفين في معرفته ولاطفهم بلطائف أنسه فاتخذوه وكيلا يسر لهم أسباب القرب فمذ عرفوه ما أرادوا به بديلا فجر لهم ينابع الحكمة فشربوا من عذب معينها علما جليلا أخلصهم بخالصة ذكرى الدار وأفاض على بواطنهم سنا الأنوار، فأقبلوا بالطاعة متوجهين وكأن لهم في توكلهم كفيلا، سبقت له منهم سابقة السعادة فذلك المطلوب لهم تذليلا وأبعد المحروم التائه في تيه الحرمان لما غلبت عليه الشقاوة قريضا دليلا بهذا جرى القلم فما يصنع من بقي في تيه الطرد والبعد قتيلا ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[2]

يا هذا من وسع على نفسه في شهوته فتلك علامة شقوته، ومن ضيق عليها بالقناعة شكر سعيه يوم رحلته، ومن اشترى برأس حظ لعمره الغفلة ما أخسره في سلعته، طريق الخلاص ضيق من سافره طوبا له في سفرته الفقراء الصابرون جلساء الله، فكم يتمنى ذو الغنى أن تبدل جلستهم بجلسته حلمة الفقر، قال المقربين: وحيلة أهل الصفا من صفوته إذا طفيت سرج بيوتكم فقد أوقد لكم مصباح اليقين في حضرته، إذا طويتم بالطوى فقد وطوى لكم بيداء قرب محبته، إذا أجاع بطونكم فكم هيأ من موائد نعمته، إذا عريت أبدانكم فإضماركم حلل السندس والاستبراق في جنته،

---

(1) سورة يوسف12، الآية: 56، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(2) سورة الفرقان 25، الآية: 27- 28.

إذا ازدراكم أهل الدنيا فكم لكم من جولات بين الصفوف كل يشفع في معرفته، إذا لم تتبع جنائزكم فكم للملائكة عليها من ازدحام ومن أنس في بريته إذا أنساكم الذاكرون فأنتم بعين من صبرتم على خدمته سيادتكم تظهر في المحشر وحرمتكم من حرمته فقد أمر النبي ﷺ أن يكون معكم ومن أبعدكم من نفسه فقد أخطأ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]. لا تغرنك الدنيا أيها الإنسان ليس الخبر كالعيان، هو حديث فيها غاية البيان أين الملوك أرباب [التجاني][2]، أين كسرى أين بن ساسان، أين أصحاب الإيوان أصابهم ريب الزمان وصاروا حديثا يذكر بعد عيان، وأنشدوا هذا :

الخبر أصدق في المرء من الخبر
فمهد العذر ليس العين كالأثر
واعمل لأخرى ولا تبخل بمكرمة
فكل شيء على حد إلى قدر
وخل عن زمان تخشى عواقبه
إن الزمان إذا فكرت ذو عبر
وكل حي وإن طالت سلامته
يغتاله الموت بين الورد والصدر

---

(1) سورة الأنعام6 : الآية:52.

(2) لعلها المؤلف يقصد هنا التجني أي التعدي.

هــو الحمــام فــلا تبعــد زيارتــه

ولا تقــل ليتنــي منــه علــى حــذر

يــا ويــح مــن غــره دهــر فســد بــه

لو يخلص الصفد إلا شيب بالكدر

أنظــر لمــن بــاد تنظــر آيــة عجبــا

وعبــرة لأولــي الألبــاب والعبــر

أيــن الأولــى جنبــوا خــيلا مســومة

وشــيدوا إرمــا خوفــا مــن القــدر

لــم تغنهم خيلهم يوما وإن كثرت

ولــم تفــد إرمــا مــن حــادث النكــر

بــادوا فعــادوا حــديثا إن ذا عجــب

مــا أوضــح الرشــد إن كــان ســيء

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا

أن المقــام بهــا كــاللمح بالبصــر

[البسيط]

قال الغزالي[1] في الإحياء: "روي عن مسلم العبداني قال قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسواري فنزلوا على الساحل فهيأت لهم طعاما ودعوتهم إليه فلما وضعت الطعام بين

---

(1) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدِين الطوسي الفقيه الشافعي، صاحب كتاب " إحياء علوم الدِين"، ت: 505هـ . وفيات الأعيان:4/216

أيديهم قائلا يقول رافعا صوته:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم

ولذة عيش غيها غير نافع

[الطويل]

قال فصاح عتبة الغلام صيحة خر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة إخواني يقول الله تبارك وتعالى: "لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة"، قيل ليزيد بن مرثد مالي[1] عينك لا تجف ؟ فقال: والله لو توعدني ربي سبحانه بأن يسجنني في الحمام لكنت حريا ألا تجف لي دمعة فكيف وقد توعدني بالنار يا أخي امتطى القوم مطايا الرجاء على مركب السهر فما حلموا ولاحوا رحالهم حتى السحر، درسوا القرآن فقرسوا بأيدي الفكر أزكى الشجر ومالوا إلى النفوس باللوم فلا تسأل عما شجر رجعوا بنيل القبول من ذلك السفر ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر فإذا جاء النهار قدموا طعام الجوع وقالوا للنفس هذا الذي حضر:

حذوا عزمات طاحت الأرض بينها

فسار سراهم في ظهور العزائم

تراهم نجوم الليل ما يبتغونه

على عاتق الشعر أوهام النعائم."[2]

[الطويل]

---

(1) هكذا في المخطوط والصحيح مال.

(2) الإحياء: 293/2..

قال الغزالي في الإحياء :" كانت شعوانة تقول في دعائها إلهي ما أشوقني إلى لقائك، وأعظم رجائي لجزائك، وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين، ولا يصل عندك شوق المشتاقين، إلهي إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك، إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها، وبقي لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها، إلهي إنك لم تزل في بر أيامي حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي، ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يشفعه عند مماتي بغفرانه، إلهي كيف ايئس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي، إلهي إن كانت ذنوبي أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتولى من أمري ما أنت أهله، وعد بفضلك على من غيره جهله، إلهي لو أردت إهانتي لما أهنتني ولو أرضت فضيحتي لما سترتني، فمتعني بِمَالِهُ هديتني وأدم لي بما به سترتني، إلهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري، إلهي لو كان ما قرفته من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفته من كرمك ما رجوت ثوابك"[1].

قال محمد بن معاذ بن جبل: "حدثتني امرأة من المتعبدات قالت: رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابه فقلت: ما شأن أهل الجنة قيام ؟ فقيل لي: خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرف الجنان لقدومها فقلت: ومن هذه المرأة؟ قالوا أمة سوداء من أهل الآيلة يقال لها شعوانة قالت فقلت: أختي والله قالت: فبينما أنا كذلك إذا

---

(1) الإحياء: 415/4.

أقبل بها على نجيب يطير بها في الهواء ولما رأيتها ناديت يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوتني مولاك فألحقني بك، قالت فنظرت إلي وقالت: لم يأذن لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين: ألزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى متَ.

يا نائم مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجر بالأغصان هز الخوف أفنان القلوب فانتشرت الأفنان فاللسان يضرع والقلب يخشع العين تدمع والوقت يستان خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نِعَمٍ ونعمان سرورهم أساورهم والخشوع يتجان خضوعهم حلاهم فما دمعهم دروا مرجان باعوا الحرص بالقناعة فما ملك أي شروان فإذا وردوا القيامة بشرى لولاكم ما طاب الجنان﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، أين أنت منهم يا نائم كيقضان كم بينك وبينهم؟ أين الشجاع ويحك من الجبان، مالي المواعظ فيك نجح موضع القلب باللّهو منك مدان، يا هذا قف على باب النجاح ولكن وقوف لهفان واركب سفون الصلاح فهذا الموت طوفان ويحك كم جهزت للمقابر كم شيعت من إخوان.

قال أبو قلابة: "أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بالليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت، ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكي يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم لا تعلمون وتقدرون على العمل، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله عنا خير الدنيا

---

(1) سورة التوبة:9، الآية: 21وتمامها قال تعالى﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نورا مثل الجبال" وأنشدوا:

وكـــم فـــي بطـــون الأرض بعـــد
محاســـنهم فيهـــا بـــوال دوافـــر
وأنـــت علـــى الـدنيا مكـب منـافس
لخطاياهـــا فيهـــا حـــريص مكـــاث
علـى خطـر تمسـي وتصبح لاهيا
أتـدري بمـاذا لـو عقلـت تخـاطر
وإن امـرؤ يسعـــي لدنيـــاه جاهـــدا
ويذهل عن أخراه لا شك خاسر
وفـي ذكـر هـول المـوت والقبـر
عـــن الشـــغل باللـــذات زاجـــر
أبعـد اقتـراب الأربعيـن تربـص
وشـيب فـي ذاك منـذ ذلـك ذاعـر
كأنـــك مغتـــر بمـــا أنـــت صـــائر
لنفسك عمدا أو عن الرشد جابر
فجـد ولا تغفـل فعيشـك زائـل
وأنـــت إلـــى دار المنيـــة صـــائر
ولا تطلـب الـدنيا فـإن طلابهـا
وإن نلـت منهـا ثـروة لـك ضـائر
وكيف يلذ العيش من هو موقر
بموقف عدل حين تبلى السرائر

لقـــد خضـــعت واستســـلمت

لعـزة ذي العـرش الملـوك الجبـابر

[الطويل]

قال أبو زكرياء التميمي: "بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أوتي بحجر منقوش فطلب بمن يقرأه فأوتي بوهب بن منبه فإذا فيه: يا بن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي لك من أجلك أزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب، ولا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا".

قال أبو محمد الزاهد: "خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داوود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله وكل ما هو آت قريب".

إخواني إنما الليل والنهار مراحل ومركب العمر قد قرب الساحل فانتبه لنفسك وازدجر يا غافل قال بعض أهل داوود الطائي قلت له يوما: إنك قد عرفت فأوصني قال: فدمعت عيناه، ثم قال: لي يا أخي إنما الليل والنهار مراحل يرحلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم من أول مرحلة زادا لما بين يديك فافعل فإن انقطاع السفر قريب والأمر أعجل من ذلك فتزود لسفرك واقضي ما أنت قاض من أمرك فكأن بالأمر قد بغتك ثم قام وتركني ولله در القائل:

ومـا هـي إلـى ليلـة ثـم يومهـا

ويـوم إلـى يـوم وشـهر إلـى شـهر

مطايـا يقـربن الجديـد إلـى الـبلا

ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

ويتـــركن أزواج الغيـــورة لغيـــره

ويقسـمن مـا يحـوي الشـحيح مـن

[الطويل]

وأنشدوا:

أمـــا آن للـــنفس أن تخشـــع

أمـــا آن للقلـــب أن يقلـــع

تغـــض الزمـــان ولا مطمـــع

لمـا قـد قضـى منـه أن يرجـع

تغـــض الزمـــان فـــوا حســـرتي

لمـــا فـــات منـــه ومـــا ضـــيع

ويـــا ويلتـــاه لـــذي شـــيبة

يطيـع هـوى الـنفس لمـا دعـا

[المتقارب]

ذكر عياض في مداركه: "عن عبد العزيز بن علي النصري أنه قال: كنا نختلف إلى أبي الذكر فجلس إلينا مرة شاب فكان يجيب في المسائل أحسن جواب فجعل يختلف إلى الحلقة زمانا وعلى وجهة أثر سفره، وكان من أحسن الناس وجها وعليه ديبقتان وطيسان ونعل شراكه أسود، وكان لا يلبسهما بشراك أسود إلا الشُطَّار فكنا نعجب من ذلك فلما دخل الشتاء

وغير الناس زيهم لم يغير الشاب زيه فقال لنا الشيخ أظنه مقلا ويجب تفقد حاله، فبادر الناس فجمعوا له مئة مثقال وعقدها الشيخ في خرقة حمراء وقال لأحد أصحابه: ارصد الشاب فإذا فال من الحلقة ترفعها إليه وتقول له جمعها لك الشيخ من وجه طيب فلما خرج الشاب من الجامع تبعه رسول الشيخ حتى أتى القرافة فدعا لصلاة على جنازة فتقدم فلما سلم أخذ الرسول بطرف ردائه فانفلت إليه فأدى إليه رسالة الشيخ وسلامه ودفع إليه الصرة فقال له: وما هي؟ قال دنانير، قال: وما أصنع بها قال: تصرفها في مصالحك وتجعلها حيث شئت من أهلك وأصدقائك فقال الشاب: مالي أهل يحتاجون إليها ولا صديق، فألح عليه الرسول وهو يمشي معه حتى قرب من المقطب[1]، فلما خشي فواته قبض عليه فقال الشاب: يا هذا أما علمت أن لله عباد لو شاء أن يجعل لهم الحصاد دنانير وحرك شفتيه قال الرسول فنظرت إلى الصحراء فإذا هي دنانير فتركت يدي منه وحفوت بيدي جميعا في الأرض حرصا على الدنيا فوقع في يدي دينار أملس بلا كتابة وتعلق الفتى بالجبل وفاتني وانصرفت حيران فلما أبصرني الشيخ قال لأصحابه إن الصرة سقطت منه فحكيت له الحكاية وأريته الدينار فقبله ووضعه على عينيه وفعل الناس كفعله ثم كان عند الشيخ حتى مات وأدرجه في أكفانه.

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم

---

(1) يقصد هنا جبل المقطم بمصر.

فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر

همـــــومهم جوالـــــة بمعســـــكر

بـــه أهـــل ود الله كـــالأنجم الزهـــر

فمـــا عرجـــوا إلا بقـــرب حبيـــبهم

وما ضجروا من مس بوس ولا ضر

فأجســامهم فــي الأرض تبلــى بحبــه

وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسر

[الطويل]

يا من ضيع عمره في خذ وهات لا تغرنك نفسك بالأماني ودع عنك النزاهات هيهات هيهات ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت، يا مغرور ما يدريك لعلك اسمك كتب في الأموات لا تنال ويحك المعالي بالأمالي هيهات هيهات ستعلمن قولي إذا جاءك اليقين وعاينت ما أعد للمتقين ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾[1] ستعلمون إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار، أشغلت نفسك ويحك بنظيف الثياب عن جزيل الثواب، يا مخدوعا بدنيا شبيهة بالسراب، أخطرت في نظرك لنفسك طريق الصواب شغلت بالفاني يا من ظاهره بالدنيا شديد أطلاب وباطنه من الآخرة خراب نسيت مصيرك من التراب وما شيعت إليه من أحباب ألم تخبر في الحديث المأثور أن الدنيا قنطرة للعبور فلما ضيقتها على السالكين بالدور والقصور أما علمت أن نظر عرفاء العارفين يقضي بهدم ما بني في محاج المسلمين.

---

(1) سورة ص 38، الآية: 88.

بَابٌ جَامِعٌ لِفُصُولٍ مُحتَوِي عَلى كَلِمَاتٍ وَعِظِيَةٍ وحِكَمٍ نُورَانِيَةٍ وحِكَايَاتٍ عَجِيبَةٍ لأَرْبَابِ القُلُوبِ

وقد روى أبو بكر الخطيب عن أبي بكر الكتاني أن الحكايات جند من جنود الله تعالى تقوى بها أبدان المريدين قال الله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1]، الآية.

فَصْلٌ

الحمد لله العظيم سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه ذي العزة والجلال المنفرد بصفات الكمال، لا يصوره وهم ولا خيال، ولا يحصره حذو ولا مثال، ذي العز الدائم السرمدي والملك القائم الديمومي، والقدرة الممتنع إدراك كنهها، والسطوة المستوعر طريق استفاء وصفها نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع، ولاح في صفحات ذرات الوجود بأنه الخالق المخترع، وسمى عقل الإنسان بالعجز والنقصان، وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر في حلية البيان، وأحرقت سبحات الجلال أجنحة الفهم تعظيما وإجلالا، ولم يجد من فرط الهيئة في قضاء الجبروت مجالا، فعاد البصر كيلا والعقل عليلا، ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا، فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه، وتعذر على العقول تحديده وتكييفه، ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان، وخصهم من بين عبيده بخصائص

---

(1) سورة هود:11، الآية: 122، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

الإحسان، فصارت ضمائرهم من مواهب الإنس مملوءة، ومرآة قلوبهم بنور القدر مجلوة فتهيأت لقبول الأمر أداة القدسية، واستعدت لورود الأنوار العلوية، واتخذت من الأنفاس العطرة بالأذكار جلساء، وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى جرساء، واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها، وأنكرت مصائد الهوى وتابعاتها، وامتدت إلى المعالي أعناقها، وطمحت إلى العالم العلوي أحداقها، أجسادهم أرضية، وقلوبهم سماوية، نفوسهم في منازل الخدمة سيارة، وأرواحهم في فضاء القرب طيارة، يتنعمون بالخدمة في الدياجي، ويتلذذون في تقلبهم بالشاجي، سلوا بالصلوات عن الشهوات، وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات، يلوح في صفحات وجوههم بشرى الوجدان، وينم على مكنون سرائرهم نظارة العرفان، لا يزال في كل عصر وزمان منهم علماء قائمون بالحق، داعون للخلق، منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة، وجعلوا للمتقين قدوة، فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم، وتزهر في الآفاق أنوارهم، من اقتدى بهم اهتدى، ومن أنكرهم ظل واعتد، ولله الحمد على ما هيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد، والصلاة التامة على سيدنا محمد نبيه ورسوله وعلى آله وأصحابه الأكرمين الأمجاد، يا من ضيع عمره في خذ وهات لا تخدعنك نفسك بالأماني، ودع عنك النزهات هيهات هيهات ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت:

ألا كل حي هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين غريق
فقل لغريب الدار إنك راحل
إلى منزل نائي المحل سحيق
عليك بدار لا تزال ظلالها

ولا يتـــأذى أهلهـــا بمضـــيق

[الطويل]

قال الحسن بن جعفر الصامغاني في كتابه حلية الأنوار:" حدثني أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله البستاني ثم رفع الحديث إلى منصور الربيع قال: خرجنا من بغداد نريد شعيب بن حرب بالمدائن قال: فذاق عنا منزله فقلنا: يا أبا صالح إن معنا كتبا وأطرافا نريد أن نسمعها فقال: كم أنتم حتى أحدثكم بحديثين في الورع؟ فقلنا: له هات يا أبا صالح فقال: أما أحدهما فحدثني به حبيبي سفيان الثوري وأما الآخر فرأيته بعيني وباشرته بيدي قال: ضرب سفيان الثوري ذات يوم على منكبي فقال: يا أبا صالح ألا أحدثك حديثا في الورع؟ قلت: بلى، قال: بلغني أن عيسى بن مريم عليه السلام أتى المقابر فقال: يأ أهل القبور تخبرونا أو نخبركم؟ أو عن جوابنا منعتم؟ أما نساؤكم فقد استبدلنا بعدكم أزواجا، وأما مساكنكم التي سكنتموها فقد سكنها غيركم، وأما أموالكم التي اكتسبتموها فقد أتلفها غيركم، وأما أولادكم فقد حشروا في جملة اليتامى وهذا خبر ما عندنا فما عندكم؟ ثم دنا إلى قبر منها منفرد فضربه برجله وقال: عزمت عليك ألا ما قمت قال: فقام صدر جمجمة بلا يدين ولا رجلين فقال: ما أردت مني يا روح الله؟ قال: منذ كم أنت في الحساب؟ قال: منذ سبعين عاما، قال: لقد كنت كثير البؤس في الدنيا ما كنت في أهلها قال: كنت رجلا حمالا أحمل على رأسي أطلب حلالها وأنفق قصدا وأقدم فضلا فقال: حمالا تحمل على رأسك تطلب حلالا وتنفق قصدا وتقدم فضلا وأنت في الحساب منذ سبعين سنة؟ قال: نعم يا روح الله وأنه مما وبخني به ربي إذ قد وقفت بين يديه أني كنت حملت لجاري قصبا لأوديه إلى منزله وأعطاني عليه الكراء وأخذت منه شظية تخللت بها فلم أردها إلى موضعها فقال: عبدي اشترى

فلان جارك قصب بماله وأعطاك عليه الكراء لتوديه إلى منزله فأخذت منه شظية لا تملكها وأنت تعلم أني فوقك أطلع وأرى لقد هان إطلاعي عليك، قال فشاب مقدم رأس عيسى من هول ما سمع وقال هذا أصحاب الشظايا فكيف بأصحاب الجذوع.

وأما الحديث الآخر فإني خرجت إلى ساحل الشام وأريد مركبا وأريد الحج وإذا بفتيين جالسين فسلمت عليهما فردا علي السلام، فقلت لهما: ما يقعدكما؟ فقالا: نريد مركبا ونريد الحج فقال: وأنا معكما قال: فركبنا جميعا مركبا فيه قمح مصبوب قال: فلما صرنا غير بعيد أخذ أحد الفتيين حبة من القمح فألقاها إلى فيه فنظر إليه صاحبه فقال: ما صنعت ؟ قال: سهوت قال: وأنا أصحب من يسهو عن الله؟ يا ملاح قرب السفينة وإلى قذفت بنفسي في البحر قال شعيب فقلت: أنا بجهلي يا عبد الله في حبة قمح ألقاها صاحبك في فيه ترمي بنفسك في البحر ؟ قال فوثب وثبة كاد أن يمس رأسه سقف السفينة ووقع مثل الفرخ المذبوح يضطرب قال: فصببنا على وجهه الماء قال: فلما أفاق نظر إلي ولم ينظر إلى صاحبه الذي أذنب ثم قال لي: يا هذا كيف قلت استصغرت الحبة من القمح ولم تستعظم الجبار؟ إنه عصاه يا ملاح قرب السفينة وإلا قذفت بنفسي في البحر.

قال فقال لهم صاحبه: قربوه فوالله ما قال قولة قط فرجع فيه، قال: فتهاون به الملاح، قال: شعيب فالله أعلم على كم من قامة ألقى بنفسه في الماء فرأيت الماء قد ارتفع إلى صدره كأنَّ الله تعالى قد بعث ملكا يحمله على راحلته، قال: فغبنا عنه والقلاع بلا ريح قال: فالتفت إلى صاحبه فقلت: يا عبد الله ما رأيت مثل رفيقك هذا قط، قال: والله يا أخي إني لرفيقه

منذ ثلاثين سنة ما أخذ علي عشرة قبلها، قال فقلت: أنافي نفسي ثكلتك أمك يا شعيب إذا فاتك الماضي لا يفوتك الباقي وهذا يدل على منحا قوله: إن لم يعصي منذ ثلاثين سنة.

قال قلت: رحمك الله إذن لي في صحبتك فقال: هو ذا أنا وأنت على هذا اللوح قال: وكنت أقبل بوجهي عليه إذا تحدث وأفطر معه إذا أفطر قال وهو في كل ذلك غير مكترث لفقر صاحبه ولا يذكره كان لا شك أنه سيسبقه إلى الموضع الذي يريد قال حتى سرنا إلى مكة قال: فبينما نحن في الطواف إذا أنا برفيقه قدامي فارتعدت فرائسي تعجبا لما رأيت قال: ثم قلت في نفسي ما ينكر هذا لولي الله أن يكون سبقنا إلى الموضع قال: فقال لي رفيقه: ما لك؟ قلت: ها هو ذا صاحبك قال: فقال أين تراه؟.

قال قلت: هو ذا، قال: فلم يخرج عني حتى وقفت عليه فسلم عليه ثم قال له: يا أخي أقلني قال: فمضى فلم يكلمه ثم دار فسلم عليه ثم قال له أخي أقلني، قال له: لا إني أخرج عن الواجب إن أمسكت عنك بعد ثلاث ما كلمتك لب الله بتوبة، فقال: اللّهم لبيك بالتوبة من ذنبي إليك وقال الآخر لبيك اللّهم بالتوبة، ثم قال له: من هذا؟ قال له: هذا رفيقنا الذي وقف علينا في الساحل، قال فنظر إلي بوجه طلق ثم قال لي: جزاك الله عن رفيقي خيرا فقد كنت له أنيسا ومستراحا قال قلت: رحمك الله أتأذن لي في صحبتكما؟.

قال لها رسول الله ﷺ عن صحبة ثلاثة يأتمن اثنان على الآخر ونحن نكره أن نكون ثلاثة قال فقلت: إذن لي في صحبتكما ما دمتما بمكة؟ قال: ونسيت أن عند التروية يخرج الناس من مكة إلى منى، قال: فأردت أن أغالط من ينظر بنور الله قال: فكنت يومي ذلك معهما فلما صرنا بالأبطح

حال بيني وبينهما بعير فلم أراهما فعلمت أنهما قد وفيا لي فلما صرت إلى منى طلبتهما فلم أراهما وطلبتهما بعرفات ولم أراهما وطلبتهما بعرفات وبجمع فلم أراهما ولا أحدا أدلني عليهما ولقد حججت كذا وكذا حجة أطلبهما وأبحث عنهما فما أحد دلني عليهما فإن كان أحد من الأبدال أدركته ورأيته فذانك الرجلان من الأبدال يا أخي هذه حال القوم فهل أنت يا مسكين منتبه من النوم إلهنا مُنَّ علينا بما مننت به على أوليائك ولا تطردنا بفضلك عن بابك.

أنت العلي وأنت الخالق البارئ

أنت العليم بما تخفيه أسرار

أنت العلي فما للخلق مقدرة

في وسع عيش ولا بؤس وأقتار

تعطي الولاية أقواما فتلبسهم

ثوب المهابة محروسا من العار

تجول في ملكوت الله أنفسهم

تبدو مدامعهم خوف من النار

قد أسلموا الأهل والأوطان

ما إن ترى مثلهم من نازح الدار

يا طول حزني ترضى لوصلهم

يا ويح نفسي على بعدي وإدباري

لما لا أظل على الأشجان معتكفا

أدعـــو الإلـــه بإفصـــاح وإظمـــار

عســى الملـك يـذود الـنفس عـن

يجلـــو عماهـــا بتوفيـــق وأنـــوار

[بسيط]

قال الأوزاعي: كان شيخ قديم من أهل الشام يجلس في مجلسي كثيرا حتى أنست به لما رأيت من حبه في أهل الخير ولصدقه بهم وكثرة بحثه عن شرائع الإسلام، وكنت إذا فقدته في وقته الذي يأتي فيه ساءني ذلك وأمرضني حتى عرف ذلك مني أصحابي، فكان إذا طلع يا أبا عمرو قد جاء شيخك، فقال: فبينما هو عندنا ذات يوم جالسا إذ تذاكرت الرهبان وصبرهم على ضنك العيش وانفرادهم عن الإنس وتخليهم من الإنس والعمران والمنازل والبساتين والأوطان فقال الشيخ: يا أبا عمرو ألا أحدثك بأعجوبة رأيتها من راهب بأرض الروم، قال قلت له: نعم وكان قبل ذلك قليل الكلام لا يتكلم إلا فيما يعنيه من أمر دينه، قال: إني كنت أسير في زمان صقلان الخادم فأتى في حصن من الحصون قريبا من ساحل البحر فأدخلت في دهليس ضيق لا أرى فيه شمس ولا قمر فمكثت بذلك حينا، فلما طال ذلك علي واشتد الوثاق وضاق الخناق قلت للعلج الذي كنت في يده وكان يتعاهدني بالطعام والشراب وقد فهمت كلامه وأحكمت لسانهم ويحك إلى كم هذا الحبس الطويل أما وثقت بناحيتي بعدا وما أمنت غايلتي أو ما تخشى الذي تعبده في تعذيبي، قال: فما تقول يا عربي وماذا تريد قلت أطلقني على أني لا أعصي لك أمرا ولا أخالف لك رأيا.

قال: وتفعل؟ قلت: نعم لم أقل لك هذا إلا على الوفاء بذلك فأخرجني من حبسه وأمر بغلٍ من حديد فجعله في عنقي وجعلني راعيا وأطلق معه ماشية فقال ارعها قريبا من الحصن ولا تبعد وكنت أغم وأروح فمكثت بذلك حينا ثم تباعد بي المرعى فانتبهت إلى خبل فقلت لعل في هذا الجبل من الكلأ ما أشبع به غنمي فصعدت بها حتى إذا صرت إلى أعلاه فإذا هو جبل أقرع يابس كثير الحجارة قليل المرعى فبينما أنا أطوف به إذا أنا بصومعة من حجارة، فلما رأيتها كبرت الله تعالى كثيرا وهللته ومجدته وحمدته فاطلع علي من أعلاها شيخ أبيض الرأس واللحية قد سقط حاجباه على عينيه، فقال: يا أيها المكبر لله في هذا المكان من أنت ؟ قلت: رجل من العرب فإذا هو يكلمني بلسان عربي مبين فقال أمن أمة محمد العربي الخاتم للأنبياء والصائم؟ قلت: نعم وما علمك بذلك النبي وصيامه؟ فقال: سبحان الله ومن يجهل معرفة خاتم الأنبياء إلا الجاهل الغبي فما هذا الوثاق الذي في يديك قلت أوثقتني الذنوب ففعل بي ما ترى فقال: فما بالك في هذه البلاد التي ليس فيها سلطان؟ قلت: أسرتني الخطايا والمعاصي وهكذا يفعل بالمعاصي.

قال لي: إذا أقررت بالخطايا والذنوب فإن الرحمة منك قريب فأبشر إن كنت صادقا قلت: أتبشرني بالمغفرة والرحمة وأنا على غير دينك؟ فقال: أما أنا فعلى الإسلام فعلا ما أنت عليه أيها السائل قلت: لقد أقررت عني فأنستني مما أنا فيه وأسر بذكرك للإسلام وانتحالك له قال: فبكى ثم قال ويحك أوا؟ في قلبك من ذكر الدنيا ما يشغلك عن ذكر مولاك الذي بيده مماتك ومحياك ما كنت أرى أحدا يخرج من قلبه ذكر مولاه؟ قلت: يا أيها الصديق ما لي أراك في هذا الموضع ومن أين القوت ومن يأتيك به قال: فصاح صيحة أفزعتني، ثم قال: لو كنت صادقا لكنت مع الصديقين ولما

أقمت مع المتجبرين، ثم قال: يا ضعيف اليقين إن الذي خلق الرحا قد أعد لها الطحين فما سؤالك عن غيب قد حجب عنك يا مسكين؟ قال قلت: أحببت أن أعلم ذلك لأزداد يقينا وإيمانا وليكون قلبي من جولان الفكر مستريحا قال: إن الحاجة لها وجوه ولكن اخدم المولى على نصح يطعمك ولا تخدمه على طمع فيمنعك، اعمل لله عمل المخبتين إن كنت من المتقين ولا تعمل لمولاك عمل من يطلب الأجر فتكون كعبد السوء إن خاف مولاه أو رجاه عمل وإلا كسل وفشل قلت: صف إلي الطريق حتى أسلكه قال إنه طريق صعب على من أحب الدنيا فيه خشونة و حزونة وسهل على من كان قلبه بالآخرة معلقا، قلت: أنبئني لعل الله [يسردني] [1] له بيمنك ويرشدني له بدلالتك، قال: فإن كنت تريد ذلك وتبغيه وتطلبه فإياك أن تدخل حب الدنيا قلبك وتخطر ذكرها ببالك ولا تبالي على أي حال أصبح فيها حالك فإنها هي منزل بلقة ودار قلة ومنزل وإياك والحطام الفاني فإن جديدها خلق وأمنها فرق وحبها ملق تخدع سكانها وتقتل أبنائها وتغري أهلها وتمكنهم من ضرعها حتى إذا رضعوا من لبنها وتذوقوا حلاوة طعمها سقتهم كأس مرها فتفرقوا منها على ما تذوقوا فعرفوا عند ذلك وخيم عاقبتها وشدة مرارتها فرفضوها حين لم ينفعهم الرفض فويل لأبناء الدنيا أي حسرات تجرعوا وأي ندامة فيها وقعوا لو كانت أعظية القلوب إنكشفت لهم لما قاوموا الدنيا ولا تدنسوا بالعيوب تأمل يا أخي كلام أرباب الهمم العلية المعرضة عن الدنيا بالكلية ولله در القائل:

---

(1) كلمة وردت هكذا ولم استطع فهمها .

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "ولا يحمل المرء على هذه المحاسبة والمراقبة إلا الخوف من الله عز وجل والإجلال له وقوة اليقين ولهذا المعنى كافٍ".

بعض الفقهاء يقول: "يحتاج العاقل أن يكون محاسبا مراقبا ومعنى المحاسب هو الذي يحاسب نفسه فيما مضى من عمره فإن كان يقيم عليه شيء فليخلص نفسه مادام في هذه الدار والمراقبة هي مهما خطر له خاطر عرضه على العقل ونظره بلسان العلم فما حسن منه فعله وما قبح منه تركه".

فَصلٌ

قال الغزالي رحمه الله تعالى: "وأصعب الذنوب وأشكلها ذنوب بينك وبين العباد فما أمكنك رده من مال رددته وما أمكن إرضاءهم بالاستحلال إن لم يثر فتنه فعلت، فإن وقع الفوت بالموت فعليك بتكثير الحسنات وكثرة الدعاء والاستغفار لهم وإلى الرجوع إلى الله سبحانه بالتضرع والابتهال إليه عسى أن يرضيهم عليك يوم القيامة والرجاء منه بفضله وإحسانه أنه إذا علم الصدق من قلب العبد أن يرضي عنه خصمائه يوم القيامة وخزانة فضله".

قلت: وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "الظلم ظلمات يوم القيامة[1]".

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ

---

(1) البخاري: ح: 2315 ، باب الظلم ظلمات يوم القيامة.

قال: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشُّحَ فإن الشُّحَ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم[1]".

قال الغزالي رحمه الله: "وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان مظالم العباد هو الديوان الذي لا يترك وأما بقية السيئات فيسارع العفو والتكفير إليها[2].

وروى البخاري في صحيحه عنه أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحللّه من اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم[3]" إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه.

فَصلٌ

قال الغزالي في الإحياء: "الناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة والنار والعمر مسافة السفر فسنينوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤوس أمواله وشهواته وأغراضه قُطَّاعُ طريقه وربحه الفوز بلقاء الله سبحانه في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس واحدة من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله

---

(1) مسلم: ح: 2578.

(2) الإحياء:29/4

(3) البخاري: ح: 6169، باب القصاص يوم القيامة.

تعالى زلفى متعرض في يوم التغابن لبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر، ثم قال رحمه الله: "فمن أراد أن ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته أن يستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره في خطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فمن أراد الله به خيرا ألهمه التفكر والاهتمام بأمر آخرته[1]".

قال الشيخ بن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "ولهذا أشار ﷺ بقوله: "طوبى لمن جعل همه هما واحدا"، لأنه إذا جعل الهم هما واحدا وهو هم الآخرة ذهبت عنه أوصاف البشرية وطلبها لحقوقها وخفت عليه العبادة وجاءه العون من حيث لا يحتسب فلينظر العبد في الأسباب المقوية للعزائم يأتيه العون".

---

(1) الإحياء: 1/329.

باب في بيان ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في ليله ونهاره

يجب على العبد أن يكون عارفا بفرائض دينه حريصا على معرفة سننه وفضائله ومميزا الفرض من السنة، وقد قدمنا لأنه لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه فلا بد للعبد من العبادة مع العلم بأن العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمارها فالسرف للشجرة، إذ هي الأصل لكن الانتفاع بثمرها فإذاً لا بد للعبد أن يكون له من كلا الأمرين حظ ونصيب فمراد العبودية وملاك العبادة والخدمة لله تعالى على العلم فاحرص رحمك الله تعالى على العلم والعمل تفز بخير الدارين.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: "اعلم أن أوامر الله سبحانه وتعالى منها فرائض ومنها نوافل فالفرائض رأس المال وبه النجاة والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات ولن تصل إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك وحين تصبح إلى حين تمسي، واعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك، فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا بين يديه سبحانه واجتهد أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك وتعزم على أن لا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله سبحانه وتفضل في قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتختار أفضلها ولا تدع عنك التفكر في قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل خروج الأمر من الاختيار وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار".

واعلم أن القبر في حق دينه إما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي أو رابح وهو المتبرع بالقربات والنوافل أو خاسر وهو ا لمقتصر على اللوازم فإن لم تقدر أن تكون رابحا فاجتهد أن تكون سالما،

وإياك أن تكون خاسرا فعليك في بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك أو معاشك الذي لا تستغني عن الاستعانة إلا به على معادك.

ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة فاشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغي أن تحاسب نفسك وترتب وظائفك في ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شقاك لا تتعداه ولا تودع فيه سواه فيه تظهر بركة الأوقات فأما من ترك نفسه مهملا إهمال البهائم لا يدري بماذا يشتغل في كل وقت فتنقضي أكثر أوقاته ضائعة وأوقاتك، عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم الأبر في جوار الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهر لها قيمة له وإذا فات فلا عودة له فلا تكن كالحمقاء الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأي خير في مال يزيد وعمر ينقص ولا تفرح إلا بزيادة عمل أو علم فإنهما رفيقاك يصحبانك في القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك.

وأعِدَّ عند النوم سواكك وطهورك واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح ولو بركعتين فركعتان في جوف الليل كنزان من كنوز البر فاستكثر من كنوز ليوم فقرك فلن تغني عنك كنوز الدنيا شيئا إذا مِتَّ والصلاة خير كلها فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقلل، ودم على ملازمة التقوى وتحمل مشقة ذلك أياما قلائل رجاء الراحة أبد الآباد ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك وقدر قرب الموت وألزم نفسك الصبر فإن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له وإن سوفت وضيقت وتساهلت وسامحت النفس جاءك الموت في وقت لا تحسبه وتحسرت تحسرا لا آخر له وعند الصباح يحمل القوم البشرى ولتعلمن نبأه بعد حين.

وعليك بكثرة الاستغفار وقد روت أم عطية رضي الله عنها عن النبي ﷺ

أنه قال: "ما من مسلم يفعل ذنبا إلا وقف الملك بإحصاء ذنوبه ثلاث ساعات فإن استغفر الله من ذنبه في تلك الساعات لم يوقفه عليه ولم يعزب يوم القيامة[1]" رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ورواه الطبراني في الأوسط.

وروى الحاكم في المستدرك: "أن إبليس قال لربه عز وجل: وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال الرب: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني[2]". وسيأتي مزيد بيان في فضل الاستغفار.

وروى الحاكم أيضا في المستدرك: "ما من حافظين يرفعان إلى الله في يوم صحيفة فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفار إلا قال سبحانه وتعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة[3]".

وروى الترمذي والنسائي: "من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار[4]".

فَصلٌ

وعليك بحفظ جميع جوارحك قال جلا وعلا: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ

---

(1) الطبراني: كتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم.

(2) الحاكم: ح: 7672، قال الحاكم صحيح الإسناد.

(3) الترمذي: ح: 981، وجاء الحديث بهذا اللفظ: ما من حافظين رفعا إلى الله من ليل أو نهار فيجد الله في أول الصحيفة و في آخر الصحفية خيرا إلا قال الله تعالى: أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة".

(4) شعب الإيمان للبيهقي: ح: 648.

كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، وأكثر التفكر في الموت وما بعده وكرره على قلبك وداوم عليه ليلا ونهارا يثمر لك أحوال حميدة وصفات شريفة ومن أكثر من ذكر الموت والقبر وعمل له وجده روضة من رياض الجنة ومن نسيه وترك العمل له وجده حفرة من حفر النار إلا أن يعفو الله سبحانه.

والفكرة في أمر الله تعالى مفتاح العبادة ولو تفكر النار في عظم قدرة الله تعالى وجلاله وما أعد الله لمن عصاه مر إليهم عذابه ما عصوه فمن عرف الله أطاعه ومن جهل عصاه، وقد قال المحققون: "طاعة الطائعين على قدر معرفتهم ومعصية العاصين بقدر جهلهم والفكرة مقوية لليقين ومعصية للدارين".

قال ابن أبي جمرة رحمه الله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "تفكر ساعة خير من عبادة الدهر[2]" لأن التفكر في مثل ما ذكرنا يحصل من اليقين في ساعة واحدة ما لا يحصل في عبادة الدهر ويتيسر عليه الدين وإن كان صعبا وإذا وفقك الله تعالى للفكرة في شأن آخرتك وأحكمت معرفة فروض دينك وسننه فأكثر من ذكر مولاك الذي إليه مرجعك ومآبك وداوم على ذكره سبحانه ليلا ونهارا حضرا وسفرا وليكن ذكرك له سبحانه بخشوع وحضور وتذللا وخضوع ولازم ذكره في سرك وجهرك وسأله سبحانه أن يلهمك ويعينك.

---

(1) الإسراء:17، الآية: 36 وتمامها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ ..

(2) لم أقف عليه.

كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، وأكثر التفكر في الموت وما بعده وكرره على قلبك وداوم عليه ليلا ونهارا يثمر لك أحوال حميدة وصفات شريفة ومن أكثر من ذكر الموت والقبر وعمل له وجده روضة من رياض الجنة ومن نسيه وترك العمل له وجده حفرة من حفر النار إلا أن يعفو الله سبحانه.

والفكرة في أمر الله تعالى مفتاح العبادة ولو تفكر النار في عظم قدرة الله تعالى وجلاله وما أعد الله لمن عصاه مر إليهم عذابه ما عصوه فمن عرف الله أطاعه ومن جهل عصاه، وقد قال المحققون: "طاعة الطائعين على قدر معرفتهم ومعصية العاصين بقدر جهلهم والفكرة مقوية لليقين ومعصية للدارين".

قال ابن أبي جمرة رحمه الله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "تفكر ساعة خير من عبادة الدهر[2]" لأن التفكر في مثل ما ذكرنا يحصل من اليقين في ساعة واحدة ما لا يحصل في عبادة الدهر ويتيسر عليه الدين وإن كان صعبا وإذا وفقك الله تعالى للفكرة في شأن آخرتك وأحكمت معرفة فروض دينك وسننه فأكثر من ذكر مولاك الذي إليه مرجعك ومآبك وداوم على ذكره سبحانه ليلا ونهارا حضرا وسفرا وليكن ذكرك له سبحانه بخشوع وحضور وتذللا وخضوع ولازم ذكره في سرك وجهرك وسأله سبحانه أن يلهمك ويعينك.

---

(1) الإسراء:17، الآية: 36 وتمامها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ ..

(2) لم أقف عليه.

فَصلٌ

وهذه وصية من بعض أولياء الله العارفين يقول فيها: "أوصيك يا أخي بتقوى الله العظيم في السر والعلانية، وحفظ الحواس ومراعاة الأنفاس وقلة المخالطة للناس، والرضا بالموجود والصبر على المفقود والوفاء بالعهود وكثرة الركوع والسجود، وترك التبرير والاختيار مع المربي المختار، والعمل بالسنة والإقتداء بالأئمة والحركات والسكنات بالنية ولزوم الخلوات والجوامع ومواصلة الفقير الجائع وموافقة المتبتل الطائع ومجالسة المنيب الخاشع ومعاشرة الوفي الخاضع وزيارة الساجد الراكع.

وكن جوال الفكر جوهري الذكر كثير العلم عظيم الحلم واسع الصدر ضحكك تبسما واستفهامك تعلما مذكرا للغافل معلما للجاهل لا تؤذي من يؤذيك ولا تدخل فيما لا يعنيك لا تشمت بمصيبة ولا تلوث لسانك بغيبة وكن صادق القول بريا من الجهل وقافا عند الشبهات كثير العطايا عوانا للغريب أبا لليتيم بُشراكَ في وجهك حزنك في قلبك مشغولا بفكرك، لا تكشف سرا ولا تهتك سترا، وكن كثير العبادة آمن الجانب طويل الصمت تحمل أذى من جهل عليك، صبورا على من أساء إليك، ترحم الصغير وتوقر الكبير أمينا على الأمانات بعيدا عن الخيانات، صبورا عند الشدائد قليل المؤنة كثير المعونة، طويل القيام كثير الصيام تصوم رغبة وتصلي رهبة غاض الطرف، لا ترد السائل خائبا متواصل الأحزان كثير العمل قليل الزلل، أديبا مع الأولياء كلامك حكمة ونظرك عبرة تقبل العثرة ولا تكشف العورة لا لعانا ولا سبابا ولا حقودا ولا حسودا.

واطلب من الأمور أعدادها وأعمر الأرض بجسمك واسكن المقابر بقلبك وألبس قميص التواضع وجرد ثياب المطامع وتوكل على المدبر

الصانع وتنزه عن مشاكلة المصانع واقتد بمن اختاره السير الشافع وملأ بالصلاة والسلام عليه أشرف المواضع صلى الله عليه وعلى آله في ما همع غيث، وبرق لامع، واحذر من طرقات هواك ولا تعول على غير مولاك، وبث عند بابه شكواك، وإياك والركون إلى غيره، إياك وعلق به في كل الأحيان رجاك، وتأنس به في حضرتك فإنه يسمعك ويراك، وخل عنك ما ضمن لك من دنياك وعمر باطنك على الدوام بأخراك، وواصل بدعوتك الإخوان وتكرم عليهم بالضراعة في السر والإعلان، وراغبه في صلاح أحوالهم ﴿مولاك محسن منان فإن عملت بمقتضى هذه الوصية نلت من الله الدرجات العلية، وأورد عليك الإكرام في كل قضية.

والله يحملنا وإياك على منهاج رشاده ويحرصنا وإياك في أقطار بلاده فهو الذي لا يهمل العابدين ولا يخيب القاصدين ولا يضيع أجر المحسنين وصلاته التامة الكاملة على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه المتحابين الطيبين الطاهرين وعلى جميع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والحمد لله رب العالمين".

فَصلٌ

ولما تكلم الغزالي على أمر الخاتمة والخوف منها قال: "وإذا بان لك أمر الخاتمة وهو مخوف فاشتغل بالاستعداد له وواظب على ذكر الله سبحانه واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهرك فإن ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك، وإياك أن تسوف وتقول سأستعد له إذا جاءت الخاتمة فإن كل نفس من أنفاسك خاتمك إذ قد يمكن أن تُخطف فيه روحك فراقب في كل تصرفة قلبك، وإياك أن تهمله لحظة

فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك.

وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا بطهارة الظاهر والباطن وإن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ولست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجردها ضعيفة واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه ولا تبعث من نومك إلا على ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث يشبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد إلا ما كان عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك.

وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب إلا لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك وإياك أن تغفل عن الله طرفة عين واعلم أن ذلك لا يتيسر عليك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي أن يكون تناولك ذلك تناول مضطر كاره له ولا تكن رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما ضرورتان في الحيلة وكما لا تكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك[1].

"واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من

---

(1) الإحياء:179/4. باب بيان معنى الخاتمة.

بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوي على عبادة الله كقصدك من قضاء الحاجة فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم وأما قدره فإن لا تزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا تطلب اللذائذ من الأطعمة بل تقنع بما يتفق فإن قدرت على هذه الثلاث وأسقطت عنك مؤنة اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك ألا تأكل إلا حله فإن الحلال يعن ولا يفي بالشهوات.

وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عنك فطلبك غيره فضول منك وتضييع زمان ويلزمك الشغل الدائم والعنا القائم في تحصيله بالكسب مرة وبالطمع أخرى من الحرام والشبه بكل ما لا جعل مقصود اللباس إن لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومنزلة بعده بل كنت ممن لا يملي بطنه إلا التراب.

وكذلك المسكن إذا اكتفيت بمقصوده فإن طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم إن تيسر لك وقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الأبصار ومن السقف سوى كونه دافعا للأمطار فأخذت ترفع الحيطان وتزيد السقوف فقد تورطت في مهوات يبعد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات أمرك إن اقتصرت عليها تفرغت للعبادة وقررت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأماني تشعبت همومك ولم يبال الله في أي واد هلكت فأقبل هذه النصيحة فمن هو أحوج إلى

النصيحة منك"[1].

واعلم أن متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فلو دفعته يوما بيوم في تسويفك وغفلتك اختطفت فجأة في وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك"[2].

قال الشيخ العارف بالله تعالى عبد الله بن أبي جمرة: "وحمد الله تعالى وقلة الخوف أوجب لأهل الدنيا التنافس فيها والغفلة عن هذا الخطر العظيم جعلنا الله ممن خاف فازدجر وتذكر فاعتبر وعمل وادخر وأسعدنا لذلك بمنه لا رب سواه.

قال أهل السلوك و التوفيق وأهل الأحوال: "أن القلب إذا خلا من الخوف خرب وقد ذكر عن بعض الرجال أنه إذا كان يأوي إلى فراشه يتذكر النار وما فيها فينتفي عند النوم فيقوم إلى محرابه وينادي ويقول: اللّهم إنك تعلم أن خوف نارك منعني النوم فيتم ليلته مصليا ومثل ذلك عنهم كثير واعلم أن الخوف إذا كان حقيقيا يذهب بإغواء النفس وينقل طباعة السوء إلى الحسن.

---

(1) الإحياء:179/4. باب بيان معنى الخاتمة.

(2) نفس المصدر السابق.

باب جَامعٌ لجملَة منَ الآثار تُزهد في الدُّنيَا وتُرغِّبُ في الآخرة

روى البخاري في صحيحه عن أسامة[1] ﷺ عن النبي ﷺ: "قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء"[2] قال بن عبد البر وغيره أصحاب الجد الأغنياء أصحاب الأموال.

وروى الترمذي عن قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺ قال: "إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يضل أحدكم فيحمي سقيمة الماء"[3]، وفي الباب عن صهيب وأم المنذر وهذا حديث حسن غريب.

وروى مسلم عن جابر والترمذي عن المستورد بن شراد رضي الله عنهما واللفظ للترمذي قال المستورد: "كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله؟ قال: فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها"[4] .

وفي الباب عن جابر وابن عمرو روى الترمذي ومسلم عن المستورد

---

(1) هو: أسامة بن زيد بن حارثة (7 قبل الهجرة – 54 هـ) هو وأبوه صحابيان، كنيته أبو محمد، ويقال: أبو زيد. وأمه أم أيمن حاضنة [رسول الله] ﷺ. قال بن سعد ولد أسامة في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة. توفي عن 61 سنة.

(2) البخاري: ح: 4900، باب لا تأذن المرأة في بيتها لأحد إلا بإذنه.

(3) الترمذي: ح: 2036، باب ما جاء في الحمية.

(4) مسلم: ح: 2320، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، قال الألباني: صحيح.

ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ: "ما الترقب في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع"[1]،واليم البحر.

وروى الترمذي عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها شربة ماء"[2]، وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ قال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب.

وروى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم"[3].

وروى الترمذي عن أبي وائل قال جاء معاوية إلى أبي هاشم بن عتبة وهو مريض يعوذه فقال: يا خال ما يبكيك أوجع يشئزك؟ أم حرص على الدنيا؟ قال: كلا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا لم آخذ به قال: إنما يكفيك من جمع المال خادم ومركب في سبيل الله وأجدني اليوم قد جمعت"[4] قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصالنا فقال: ما هذا ؟ قلنا: قد وهي فنحن نصلحه فقال ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك" [5] قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

---

(1) الترمذي: ح: 2323، قال الألباني: صحيح.

(2) الترمذي: ح: 2320، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، قال الألباني: صحيح.

(3) الترمذي: ح: 2322، باب ما جاء في هوان على الدنيا على الله عز وجل، قال الألباني: حسن.

(4) الترمذي: ح: 2327، قال الألباني: حسن.

(5) الترمذي: ح: 2335، باب ما جاء في قصر الأمل، قال الألباني: صحيح

وروى الترمذي عن كعب بن عياض ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال[1] "قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وروى الترمذي عن عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء"[2] قال أبو عيسى هذا حديث صحيح، قال النظر بن شميل جلف الخبز يعني ليس معه إدام.

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:"إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[3].

وروى مسلم وغيره عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: "ألهاكم التكاثر قال: يقول: "بن آدم مالي مالي قال وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما ملكت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصرفت فأمضيت"[4] وروى مسلم عن أبي هريرة نحوه.

وروى مسلم والترمذي عن أبي إمامة ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: "يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تدام على

---

(1) الترمذي: ح: 2336، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، قال الألباني: صحيح

(2) الترمذي: ح:2336، باب ما جاء في الزهادة، قال الألباني ضعيف.

(3) مسلم: ح: 2742، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء.

(4) مسلم: ح: 2958، كتاب الزهد والرقائق.

كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى"[1].

(1) الترمذي: ح: 2343، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، وقلا الألباني: صحيح.

بَابٌ فِي فَضلِ الدُّعَاءِ والذِّكرِ

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لم تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[1] هذا حديث صحيح رواه مسلم والترمذي وبن ماجة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إن الله يقول: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني"[2] رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وبن ماجة.

وعن سعيد بن مالك رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في قوله

---

(1) الترمذي: ح: 2577، باب تحريم الظلم.

(2) الترمذي: ح: 3603، باب في حسن الظن بالله عز وجل، وقال الألباني: صحيح.

تعالى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [1] أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برئ منه برئ وقد غفر الله له جميع ذنوبه"[2] رواه الحاكم في المستدرك.

وعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة، وقرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3]"[4] رواه أبو داوود الترمذي والنسائي وابن ماجة.

وعن سلمان ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إلى السماء أن يردها صفرا"[5] أي خائبتين رواه أبو داوود واللفظ له والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك على الصحيحين ولفظ الترمذي أن يردهما خائبتين.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"[6] رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه بلفظ واحد وقال الحاكم صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب

---

(1) سورة الأنبياء:21، الآية: 87 وتمامها قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

(2) سنن الترمذي: ح: 3505، قال الألباني: صحيح.

(3) غافر: 40، الآية : 60.

(4) الترمذي: ح: 2969.

(5) الترمذي: ح: 3556، قال الألباني: صحيح.

(6) الترمذي: ح: 3370، باب ما جاء في فضل الدعاء، قال الألباني : حسن.

عليه"[1] رواه الترمذي والحاكم في المستدرك بلفظ واحد.

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال قال: "ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذن نكثر قال الله أكثر"[2] رواه الترمذي واللفظ له وقال حديث حسن صحيح غريب ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد، وفي رواية للترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا.

وعن أنس ﷺ قال قال: "رسول الله ﷺ: "لا تعجزوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد"[3] رواه الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه واللفظ له وقال الحاكم صحيح الإسناد.

وخرج الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "الدعاء مخ العبادة" حديث غريب.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال: "رسول الله ﷺ: "الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض"[4] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح.

---

(1) الترمذي: ح: 3373، باب ما جاء في فضل الدعاء، قال الألباني: حسن.

(2) الترمذي: ح: 3573، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، قال الألباني: حسن صحيح.

(3) الحاكم: ح: 1818، وقال هذا حديث صحيح الإسناد.

(4) الحاكم: ح: 1812، وقال هذا حديث صحيح.

وعن ثوبان ﷺقال قال رسول الله ﷺ: "لا يرد القدر إلا الدعاء"[1] رواه الحاكم في المستدرك وان حبان في صحيحهما واللفظ للحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن سلمان ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء"[2].

وعن بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "من فتح له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الجنة"[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ: "لا يغني من حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة"[4] وروى الثلاثة الحاكم في المستدرك وقال في واحد منهما صحيح الإسناد قوله فيعتلجان إلى يوم القيامة معناه يتصارعان.

---

(1) الحاكم ح: 1814 ، 1/669-670ونصه كاملا: "أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان الجلاب بهمدان ثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي ثنا قبيصة بن عقبة وأخبرنا أبو بكر بن أبي نصر الدرابردي بمرو ثنا محمد بن غالب ثنا أبو حذيفة قالا: ثنا أبو حذيفة قالا: ثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" هذا حديث صحيح الإسناد.

(2) الحاكم: ح: 1997، ج:1 /728.

(3) رقم الحديث: 1766حديث مرفوع حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا العباس بن محمد الدوري ، ثنا يزيد بن هارون أنبأ عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ: "من فتح له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الجنة ، ولا يسأل الله عبد شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية" . هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

(4) الحاكم: ح: 1813، وقال هذا حديث صحيح.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يقف بين يديه فيقول: عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني ؟ فيقول: نعم يا رب فيقول: أما إنك لم تدعوني بدعوة إلا استجبت لك أليس دعوتني يوم كذا وكذا لِغَمٍ نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك فقال: نعم يا رب فيقول: إني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلن ترى فرجا قال: نعم يا رب فيقول إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول: نعم يا رب فيقول فإني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني في يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم ترى قضاءها فيقول: نعم يا رب فيقول إني ادخرت لك في الجنة كذا وكذا قال رسول الله ﷺ فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين الله له إما أن يكون عجل له في الدنيا وإما أن يكون ادخر له في الآخرة فيقول المؤمن في ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له شيئا من دعائه"[1] رواه الحاكم في المستدرك.

وعن أبي الدرداء ﷺ أنه كان يقول:" جدوا في الدعاء فإنه من يكثر قرع باب يوشك أن يفتح له"[2] رواه بن أبي شيماء في مصنفه.

قال الغزالي رحمه الله: "وفي الدعاء من الفوائد أنه يستدعي حضور القلب مع الله عز وجل وذلك منتهى العبادات فالدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة ولذلك كان البلاء مؤكدا بالأنبياء صلوات الله

---

(1) الحاكم: ح: 1819.

(2) لم أعثر عليه.

عليهم ثم الأولياء لأنه يرد القلب بالافتقار إلى الله عز وجل ويمنع نسيانه".

قال ابن أبي جمرة ﷺ: "الدعاء من أكبر وسائل الخير وقد قال ﷺ: "من ألهم الدعاء فقد فتح له أبواب الخير ولهذا يقول أهل الصوفة: الدعاء نفسه هو عين الخير وقضاء الحاجة في حكم التبع لأنه مناجات للمولى الجليل سبحانه وتعالى وإظهار الفقر إليه وهي خلع العبودية ولم يخلع على عبد أجل منها".

فَصلٌ وَللدعَاءِ آدَابٌ

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال ﷺ: "أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه"[1] رواه الترمذي وهذا لفظه والحاكم في المستدرك وقال مستقيم الإسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[2]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴿١٧٢﴾ ﴾[3]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك"[4] رواه مسلم والترمذي.

وروى أبو محمد بن عتاب في شفاء الصدور له عن يحيى بن سابق المدني قال: قال أبو حازم بلغني أنه من قال إذا فرغ من آذانه لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل شيء هالك إلا وجهه اللّهم أنت الذي مننت علي بهذه الشهادة وما شهدتها إلا لك ولا يتقبلها مني غيرك فاجعلها لي قربة لك وحجابا من نارك واغفر لي ولوالدي ولكل مؤمن ومؤمنة برحمتك إنك على كل شيء قدير أدخله الله الجنة بغير حساب.

---

(1) الترمذي: ح: 3479، قال الألباني: حسن.

(2) سورة المؤمنون: 23، الآية:51.

(3) سورة البقرة: 2، الآية: 172، وتمامها قال، تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

(4) الترمذي: ح: 2989، باب ومن سورة البقرة، قال الألباني: حسن.

فَصلٌ في فَضل الذّكر

قال الله عز وجل: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2]، وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" رواه مسلم والبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة وروينا في صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء"[3].

وفي عوارف المعارف للسهرودي قال قال رسول الله ﷺ: "إن لله ملائكة فضلاء عن كتاب الناس يطوفون بالطرق يبتغون حلق الذكر الحديث"(4) ، واعلم أن الذكر على أقسام يطلق ويراد به ذكر اللسان كقوله سبحانه: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿٢٠٠﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة 2، الآية 152.

(2) سورة الجمعة، الآية10 وتمامها قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

(3) مسلم: ح: 2689، باب فضل مجالس الذكر.

(4) نفس المصدر السابق.

(5) سورة البقرة: 1، الآية: 200، وتمامها قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ

يراد به الحفظ كقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1] ويراد به ذكر القلب كقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[2]، يراد به الشرف كقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[3] وأفضل الذكر ذكر القلب واللسان معا.

وفي البخاري:" إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معه وحث بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين سماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل هو أعلم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألونني؟ قال يسألونك جنتك، قال وهل رأوا جنتي؟ فيقولون: لا يا رب ،قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومما يستجرونني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا قال فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال فيقولون: رب فيهم فلان خطاء إنما مر فجلس معهم قال فيقول: وله قد غفرت هم القوم لا يشقى

كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

(1) سورة البقرة: 1، الآية: 63وتمامها قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

(2) سورة آل عمران: 3، الآية: 135، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

(3) سورة الزخرف: 43، الآية: 44 وتمامها قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

جليسهم"[1] انتهى لفظ مسلم، وخرجه البخاري والترمذي وفيهما زيادات وهي قول الملائكة فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بغيتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم وزيادات أيضا بعد قوله يسبحونك ويحمدونك قال فيقول: وهل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك قال فيقولون: كيف لو رأوني؟ قال فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، وفي الحديث من الزيادة بعد قوله: فكيف لو رأوا جنتي؟ قال فيقولون: كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، وفيه بعد قوله: فكيف لو رأوا ناري؟ قال يقولون: كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة.

وروى مسلم في صحيحه عن الأغر أبي مسلم أنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخذري أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده"[2].

قال الباجي[3] في سنن الصالحين قال معاذ بن جبل ﷺ: "ليس يتحصر أهل الجنة على شيء أكثر إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها" قلت: هو حديث عن النبي ﷺ رواه الحاكم في المستدرك ولفظه ليس يتحصر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها انتهى من الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين تأليف أبي الخير محمد

---

(1) سسن الترمذي: ح: 3600، باب ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض.

(2) مسلم: ح: 2700، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(3) هو: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي، أخد الكلام عن أبي جعفر السمناني، ت:474هـ. شذرات الذهب:3/.344

يا أخي عليك بكثرة الدعاء ومحسن اللجوء لكن بتذلل وخشوع وتضرع وخضوع، قال القشيري في تحبيره: ومن اعتقد أن الله سبحانه هو الذي يفزع إليه في النوائب لا يسأل المخلوقين ولا يستعين [إلا][1] برب العالمين يغتنم خلواته ثم يصفي دعوته ويظهر بين يديه غصته ويرفع إليه بإخلاص القلب قصته فإن وافق دعاءه سابق القضاء فاز بالنجاح وجزيل العطاء، وإن كانت القسمة بخلاف ما طلب من البغية ألبسه الله تعالى لباس الرضا فهو بحسن أدبه بل بكمال وده ومحبته يعد المنع عطاء ومنحة والرد إجابة وقربة وقل من يوفق للدعاء ثم لا يستجاب له فإن من لا يكون أهلا لإجابة قلما ينطق لسانه بالمسألة.

قال ابن السماك رحمه الله تعالى: وصف لي رجل[2] من العباد فسرت إليه فوجدته في بيت قد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوضا بين يديه فسلمت عليه فرد علي السلام ردا ضعيفا ثم قال لي: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة قال: ما اسمك؟ قلت: محمد بن السماك قال لي: الواعظ؟ قلت: نعم فالقي الخوض من يديه وقال: ابن السماك يقال أن الواعظ من السامع بمنزلة الطبيب من العليل فأعرض علي شيئا من دواءك قال فقلت له: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى، كم بين يديك من ظلمة بينك وبين الصراط قال: فبكى بكاء عظيما وقال لي: يا ابن السماك وما بعد ذلك؟ قلت: حمل الأوزار والجواز على الصراط وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار، قال: فصاح الشيخ وسقط

---

(1) زيادة اقتضاها سياق الكلام.

(2) يقصد به : أبي زيد الخواص.

في قبره فخرجت روحه فأقبلت عجوز تمسح التراب عن وجهه وتقول: يا أبي هاتان العينان طالما سهرتا في طاعة الله وطالما ما بكتا من خشية الله عز وجل قال ابن السماك[1]: فخرجت من عنده وقد صغرت نفسي عندي وأنشدوا في المعنى:

تعود عبد سلمته ذنوبه إلى قسوة

سدت وجوه نجاته

ففر إلى المولى واسلم نفسه

وألقى إلى التقوى عنان حياته

ينادي إذا ما الليل أسبل ستاره

وطال غريق طرف في عبارته

وهاج لهيب الخوف بين ضلوعه

فبات حزين الجسم من زفراته

عسى ملك المولى يمن بعفوه

على مذنب قد تاب قبل وفاته

[طويل]

قال بعض السادات: مر بعض [الشاب] [2] بمقبرة فأخذ عظما ففتته فنفث في يده فغلبه البكاء وقال هكذا أصير فأقبل إلى أمه وقال لها ما يفعل

---

(1) ابن السَّمَّاك 344 هـ / 955 م) هو: عثمان بن أحمد بن عبيد الله بن يزيد، أبو عمرو الدقاق، ابن السماك :مسند بغداد. وبها وفاته.

(2) وجدتها هكذا في النص ولعلها : الشباب لأنها تتماشى وسياق الكلام.

السيد بالعبد الأبق إذا قدر عليه قال يضيق عليه قال لها يا أماه إن رجعت إلى ربي أيقبلني قالت يا بني كن مع مولاك كالولد مع أمه كلما طردته تضرع إليها قالت ثم شمر وأخذ في العبادة حتى نحل جسمه فقالت له يوما يا بني أين الملتقى فقال لها يا أماه إذا قامت القيامة فاسألي عني ملك خازن النار ثم صاح صيحة خرجت فيها نفسه رحمه الله تعالى.

فَصْلٌ

الحمد لله الذي رفع السماء وزينها بالنجوم للناظرين وجعل منها دلائل الاهتداء ورجوما للشياطين، جعلها خزائن وحيه يهبط بها الروح الأمين أسكنها ملائكة كراما بررة مطهرين، فمنهم عاكف على مشاهدة الحضرة، ومنهم في أفعالهم مسخرين، بسط بساط الأرض على متلاطم ماء معين قسم الخلق قسمين، ونوَّعهم للسعادة والشقاوة نوعين فهؤلاء من أهل الشمال وهؤلاء من أهل اليمين عدلا منه وقضاء تبارك الله رب العالمين، رتب الحفظة بحفظك وحفظ أعمالك كراما كاتبين ملائكة بالليل وملائكة بالنهار متعاقبين، ما أغفلك يا مسكين عن المراد بك وسيأتيك اليقين لا حيلة في دفع قضاءه أيها المسكين وإنما عليك العمل بالسنة والكتاب المبين فتيسير الأعمال الصالحات والعمل بها أمارات السعادة للمتقين وعمل السيئات وترك الصالحات علامة الشقاء للمبعدين "كل ميسر لما خلق له "[1] حديث والله صحيح بيقين ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ

---

(1) مسلم:ح: 171، وهو قطعة من حديث علي وقد صح أن بعض الصحابة لما سمعوا هذا الحديث منه قالوا: إذا نجتهد. وفي رواية: فالآن نجد الآن نجد الآن نجد، ففيه رد صريح على الجبرية المتواكلة الذين يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة .

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

والحمد لله الذي لم يجعل لمران العقول إلى معرفة كنه ذاته سبيلا، نور قلوب العارفين في معرفته ولاطفهم بلطائف أنسه فاتخذوه وكيلا يسر لهم أسباب القرب فمذ عرفوه ما أرادوا به بديلا فجر لهم ينابع الحكمة فشربوا من عذب معينها علما جليلا أخلصهم بخالصة ذكرى الدار وأفاض على بواطنهم سنا الأنوار، فأقبلوا بالطاعة متوجهين وكأن لهم في توكلهم كفيلا، سبقت له منهم سابقة السعادة فذلك المطلوب لهم تذليلا وأبعد المحروم التائه في تيه الحرمان لما غلبت عليه الشقاوة قريضا دليلا بهذا جرى القلم فما يصنع من بقي في تيه الطرد والبعد قتيلا ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[2]

يا هذا من وسع على نفسه في شهوته فتلك علامة شقوته، ومن ضيق عليها بالقناعة شكر سعيه يوم رحلته، ومن اشترى برأس حظ لعمره الغفلة ما أخسره في سلعته، طريق الخلاص ضيق من سافره طوبا له في سفرته الفقراء الصابرون جلساء الله، فكم يتمنى ذو الغنى أن تبدل جلستهم بجلسته حلمة الفقر، قال المقربين: وحيلة أهل الصفا من صفوته إذا طفيت سرج بيوتكم فقد أوقد لكم مصباح اليقين في حضرته، إذا طويتم بالطوى فقد وطوى لكم بيداء قرب محبته، إذا أجاع بطونكم فكم هيأ من موائد نعمته، إذا عريت أبدانكم فإضماركم حلل السندس والاستبراق في جنته،

---

(1) سورة يوسف12، الآية: 56، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(2) سورة الفرقان 25، الآية: 27- 28.

إذا ازدراكم أهل الدنيا فكم لكم من جولات بين الصفوف كل يشفع في معرفته، إذا لم تتبع جنائزكم فكم للملائكة عليها من ازدحام ومن أنس في بريته إذا أنساكم الذاكرون فأنتم بعين من صبرتم على خدمته سيادتكم تظهر في المحشر وحرمتكم من حرمته فقد أمر النبي ﷺ أن يكون معكم ومن أبعدكم من نفسه فقد أخطأ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]. لا تغرنك الدنيا أيها الإنسان ليس الخبر كالعيان، هو حديث فيها غاية البيان أين الملوك أرباب [التجاني][2]، أين كسرى أين بن ساسان، أين أصحاب الإيوان أصابهم ريب الزمان وصاروا حديثا يذكر بعد عيان، وأنشدوا هذا :

الخبر أصدق في المرء من الخبر
فمهد العذر ليس العين كالأثر
واعمل لأخرى ولا تبخل بمكرمة
فكل شيء على حد إلى قدر
وخل عن زمان تخشى عواقبه
إن الزمان إذا فكرت ذو عبر
وكل حي وإن طالت سلامته
يغتاله الموت بين الورد والصدر

---

(1) سورة الأنعام6 : الآية:52.

(2) لعلها المؤلف يقصد هنا التجني أي التعدي.

هــو الحمــام فــلا تبعــد زيارتــه

ولا تقــل ليتنــي منــه علــى حــذر

يــا ويــح مــن غــره دهــر فســد بــه

لو يخلص الصفد إلا شيب بالكدر

أنظــر لمــن بــاد تنظــر آيــة عجبــا

وعبــرة لأولــي الألبــاب والعبــر

أيــن الأولــى جنبــوا خــيلا مســومة

وشــيدوا إرمــا خوفــا مــن القــدر

لــم تغنهم خيلهم يوما وإن كثرت

ولــم تفــد إرمــا مــن حــادث النكــر

بــادوا فعــادوا حــديثا إن ذا عجــب

مــا أوضــح الرشــد إن كــان ســيء

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا

أن المقــام بهــا كــاللمح بالبصــر

[البسيط]

قال الغزالي[1] في الإحياء: "روي عن مسلم العبداني قال قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسواري فنزلوا على الساحل فهيأت لهم طعاما ودعوتهم إليه فلما وضعت الطعام بين

---

(1) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدِين الطوسي الفقيه الشافعي، صاحب كتاب " إحياء علوم الدِين"، ت: 505هـ . وفيات الأعيان:4/216

أيديهم قائلا يقول رافعا صوته:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم

ولذة عيش غيها غير نافع

[الطويل]

قال فصاح عتبة الغلام صيحة خر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة إخواني يقول الله تبارك وتعالى: "لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة"، قيل ليزيد بن مرثد مالي[1] عينك لا تجف ؟ فقال: والله لو توعدني ربي سبحانه بأن يسجنني في الحمام لكنت حريا ألا تجف لي دمعة فكيف وقد توعدني بالنار يا أخي امتطى القوم مطايا الرجاء على مركب السهر فما حلموا ولاحوا رحالهم حتى السحر، درسوا القرآن فقرسوا بأيدي الفكر أزكى الشجر ومالوا إلى النفوس باللوم فلا تسأل عما شجر رجعوا بنيل القبول من ذلك السفر ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر فإذا جاء النهار قدموا طعام الجوع وقالوا للنفس هذا الذي حضر:

حذوا عزمات طاحت الأرض بينها

فسار سراهم في ظهور العزائم

تراهم نجوم الليل ما يبتغونه

على عاتق الشعر أوهام النعائم."[2]

[الطويل]

---

(1) هكذا في المخطوط والصحيح مال.

(2) الإحياء: 293/2..

قال الغزالي في الإحياء :" كانت شعوانة تقول في دعائها إلهي ما أشوقني إلى لقائك، وأعظم رجائي لجزائك، وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين، ولا يصل عندك شوق المشتاقين، إلهي إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك، إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها، وبقي لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها، إلهي إنك لم تزل في بر أيامي حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي، ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يشفعه عند مماتي بغفرانه، إلهي كيف ايئس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي، إلهي إن كانت ذنوبي أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتولى من أمري ما أنت أهله، وعد بفضلك على من غيره جهله، إلهي لو أردت إهانتي لما أهنتني ولو أرضت فضيحتي لما سترتني، فمتعني بِمَالِهُ هديتني وأدم لي بما به سترتني، إلهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري، إلهي لو كان ما قرفته من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفته من كرمك ما رجوت ثوابك"[1].

قال محمد بن معاذ بن جبل: "حدثتني امرأة من المتعبدات قالت: رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابه فقلت: ما شأن أهل الجنة قيام ؟ فقيل لي: خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرف الجنان لقدومها فقلت: ومن هذه المرأة؟ قالوا أمة سوداء من أهل الآيلة يقال لها شعوانة قالت فقلت: أختي والله قالت: فبينما أنا كذلك إذا

---

(1) الإحياء: 415/4.

أقبل بها على نجيب يطير بها في الهواء ولما رأيتها ناديت يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوتني مولاك فألحقني بك، قالت فنظرت إلي وقالت: لم يأذن لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين: ألزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى متَ.

يا نائم مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجر بالأغصان هز الخوف أفنان القلوب فانتشرت الأفنان فاللسان يضرع والقلب يخشع العين تدمع والوقت يستان خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نِعَمٍ ونعمان سرورهم أساورهم والخشوع يتجان خضوعهم حلاهم فما دمعهم دروا مرجان باعوا الحرص بالقناعة فما ملك أي شروان فإذا وردوا القيامة بشرى لولاكم ما طاب الجنان﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، أين أنت منهم يا نائم كيقضان كم بينك وبينهم؟ أين الشجاع ويحك من الجبان، مالي المواعظ فيك نجح موضع القلب باللّهو منك مدان، يا هذا قف على باب النجاح ولكن وقوف لهفان واركب سفون الصلاح فهذا الموت طوفان ويحك كم جهزت للمقابر كم شيعت من إخوان.

قال أبو قلابة: "أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بالليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت، ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكي يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم لا تعلمون وتقدرون على العمل، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله عنا خير الدنيا

---

(1) سورة التوبة:9، الآية: 21وتمامها قال تعالى﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نورا مثل الجبال" وأنشدوا:

وكـــم فـــي بطـــون الأرض بعـــد
محاســـنهم فيهـــا بـــوال دوافـــر
وأنـــت علـــى الـدنيا مكـب منـافس
لخطاياهـــا فيهـــا حـــريص مكـــاث
علـى خطـر تمسـي وتصبح لاهيا
أتـدري بمـاذا لـو عقلـت تخـاطر
وإن امـرؤ يسعـــي لدنيـــاه جاهـــدا
ويذهل عن أخراه لا شك خاسر
وفـي ذكـر هـول المـوت والقبـر
عـــن الشـــغل باللـــذات زاجـــر
أبعـد اقتـراب الأربعيـن تربـص
وشـيب فـي ذاك منـذ ذلـك ذاعـر
كأنـــك مغتـــر بمـــا أنـــت صـــائر
لنفسك عمدا أو عن الرشد جابر
فجـد ولا تغفـل فعيشـك زائـل
وأنـــت إلـــى دار المنيـــة صـــائر
ولا تطلـب الـدنيا فـإن طلابهـا
وإن نلـت منهـا ثـروة لـك ضـائر
وكيف يلذ العيش من هو موقر
بموقف عدل حين تبلى السرائر

لقـــد خضـــعت واستســـلمت

لعـزة ذي العـرش الملـوك الجبـابر

[الطويل]

قال أبو زكرياء التميمي: "بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أوتي بحجر منقوش فطلب بمن يقرأه فأوتي بوهب بن منبه فإذا فيه: يا بن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي لك من أجلك أزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب، ولا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا".

قال أبو محمد الزاهد: "خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داوود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله وكل ما هو آت قريب".

إخواني إنما الليل والنهار مراحل ومركب العمر قد قرب الساحل فانتبه لنفسك وازدجر يا غافل قال بعض أهل داوود الطائي قلت له يوما: إنك قد عرفت فأوصني قال: فدمعت عيناه، ثم قال: لي يا أخي إنما الليل والنهار مراحل يرحلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم من أول مرحلة زادا لما بين يديك فافعل فإن انقطاع السفر قريب والأمر أعجل من ذلك فتزود لسفرك واقضي ما أنت قاض من أمرك فكأن بالأمر قد بغتك ثم قام وتركني ولله در القائل:

ومـا هـي إلـى ليلـة ثـم يومهـا

ويـوم إلـى يـوم وشـهر إلـى شـهر

مطايـا يقـربن الجديـد إلـى الـبلا

ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

ويتـــركن أزواج الغيـــورة لغيـــره

ويقسـمن مـا يحـوي الشـحيح مـن

[الطويل]

وأنشدوا:

أمـــا آن للـــنفس أن تخشـــع

أمـــا آن للقلـــب أن يقلـــع

تغـــض الزمـــان ولا مطمـــع

لمـا قـد قضـى منـه أن يرجـع

تغـــض الزمـــان فـــوا حســـرتي

لمـــا فـــات منـــه ومـــا ضـــيع

ويـــا ويلتـــاه لـــذي شـــيبة

يطيـع هـوى الـنفس لمـا دعـا

[المتقارب]

ذكر عياض في مداركه: "عن عبد العزيز بن علي النصري أنه قال: كنا نختلف إلى أبي الذكر فجلس إلينا مرة شاب فكان يجيب في المسائل أحسن جواب فجعل يختلف إلى الحلقة زمانا وعلى وجهة أثر سفره، وكان من أحسن الناس وجها وعليه ديبقتان وطيسان ونعل شراكه أسود، وكان لا يلبسهما بشراك أسود إلا الشُطَّار فكنا نعجب من ذلك فلما دخل الشتاء

وغير الناس زيهم لم يغير الشاب زيه فقال لنا الشيخ أظنه مقلا ويجب تفقد حاله، فبادر الناس فجمعوا له مئة مثقال وعقدها الشيخ في خرقة حمراء وقال لأحد أصحابه: ارصد الشاب فإذا فال من الحلقة ترفعها إليه وتقول له جمعها لك الشيخ من وجه طيب فلما خرج الشاب من الجامع تبعه رسول الشيخ حتى أتى القرافة فدعا لصلاة على جنازة فتقدم فلما سلم أخذ الرسول بطرف ردائه فانفلت إليه فأدى إليه رسالة الشيخ وسلامه ودفع إليه الصرة فقال له: وما هي؟ قال دنانير، قال: وما أصنع بها قال: تصرفها في مصالحك وتجعلها حيث شئت من أهلك وأصدقائك فقال الشاب: مالي أهل يحتاجون إليها ولا صديق، فألح عليه الرسول وهو يمشي معه حتى قرب من المقطب[1]، فلما خشي فواته قبض عليه فقال الشاب: يا هذا أما علمت أن لله عباد لو شاء أن يجعل لهم الحصاد دنانير وحرك شفتيه قال الرسول فنظرت إلى الصحراء فإذا هي دنانير فتركت يدي منه وحفوت بيدي جميعا في الأرض حرصا على الدنيا فوقع في يدي دينار أملس بلا كتابة وتعلق الفتى بالجبل وفاتني وانصرفت حيران فلما أبصرني الشيخ قال لأصحابه إن الصرة سقطت منه فحكيت له الحكاية وأريته الدينار فقبله ووضعه على عينيه وفعل الناس كفعله ثم كان عند الشيخ حتى مات وأدرجه في أكفانه.

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم

---

(1) يقصد هنا جبل المقطم بمصر.

فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر

همـــــومهم جوالـــــة بمعســـــكر

بـــه أهـــل ود الله كـــالأنجم الزهـــر

فمـــا عرجـــوا إلا بقـــرب حبيـــبهم

وما ضجروا من مس بوس ولا ضر

فأجســامهم فــي الأرض تبلــى بحبــه

وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسر

[الطويل]

يا من ضيع عمره في خذ وهات لا تغرنك نفسك بالأماني ودع عنك النزاهات هيهات هيهات ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت، يا مغرور ما يدريك لعلك اسمك كتب في الأموات لا تنال ويحك المعالي بالأمالي هيهات هيهات ستعلمن قولي إذا جاءك اليقين وعاينت ما أعد للمتقين ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾[1] ستعلمون إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار، أشغلت نفسك ويحك بنظيف الثياب عن جزيل الثواب، يا مخدوعا بدنيا شبيهة بالسراب، أخطرت في نظرك لنفسك طريق الصواب شغلت بالفاني يا من ظاهره بالدنيا شديد أطلاب وباطنه من الآخرة خراب نسيت مصيرك من التراب وما شيعت إليه من أحباب ألم تخبر في الحديث المأثور أن الدنيا قنطرة للعبور فلما ضيقتها على السالكين بالدور والقصور أما علمت أن نظر عرفاء العارفين يقضي بهدم ما بني في محاج المسلمين.

---

(1) سورة ص 38، الآية: 88.

بَابٌ جَامِعٌ لِفُصُولٍ مُحتَوِي عَلى كَلِمَاتٍ وَعِظِيَةٍ وحِكَمٍ نُورَانِيَةٍ وحِكَايَاتٍ عَجِيبَةٍ لأَرْبَابِ القُلُوبِ

وقد روى أبو بكر الخطيب عن أبي بكر الكتاني أن الحكايات جند من جنود الله تعالى تقوى بها أبدان المريدين قال الله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1]، الآية.

فَصْلٌ

الحمد لله العظيم سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه ذي العزة والجلال المنفرد بصفات الكمال، لا يصوره وهم ولا خيال، ولا يحصره حذو ولا مثال، ذي العز الدائم السرمدي والملك القائم الديمومي، والقدرة الممتنع إدراك كنهها، والسطوة المستوعر طريق استفاء وصفها نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع، ولاح في صفحات ذرات الوجود بأنه الخالق المخترع، وسمى عقل الإنسان بالعجز والنقصان، وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر في حلية البيان، وأحرقت سبحات الجلال أجنحة الفهم تعظيما وإجلالا، ولم يجد من فرط الهيئة في قضاء الجبروت مجالا، فعاد البصر كيلا والعقل عليلا، ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا، فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه، وتعذر على العقول تحديده وتكييفه، ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان، وخصهم من بين عبيده بخصائص

---

(1) سورة هود:11، الآية: 122، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

الإحسان، فصارت ضمائرهم من مواهب الإنس مملوءة، ومرآة قلوبهم بنور القدر مجلوة فتهيأت لقبول الأمر أداة القدسية، واستعدت لورود الأنوار العلوية، واتخذت من الأنفاس العطرة بالأذكار جلساء، وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى جرساء، واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها، وأنكرت مصائد الهوى وتابعاتها، وامتدت إلى المعالي أعناقها، وطمحت إلى العالم العلوي أحداقها، أجسادهم أرضية، وقلوبهم سماوية، نفوسهم في منازل الخدمة سيارة، وأرواحهم في فضاء القرب طيارة، يتنعمون بالخدمة في الدياجي، ويتلذذون في تقلبهم بالشاجي، سلوا بالصلوات عن الشهوات، وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات، يلوح في صفحات وجوههم بشرى الوجدان، وينم على مكنون سرائرهم نظارة العرفان، لا يزال في كل عصر وزمان منهم علماء قائمون بالحق، داعون للخلق، منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة، وجعلوا للمتقين قدوة، فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم، وتزهر في الآفاق أنوارهم، من اقتدى بهم اهتدى، ومن أنكرهم ظل واعتد، ولله الحمد على ما هيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد، والصلاة التامة على سيدنا محمد نبيه ورسوله وعلى آله وأصحابه الأكرمين الأمجاد، يا من ضيع عمره في خذ وهات لا تخدعنك نفسك بالأماني، ودع عنك النزهات هيهات هيهات ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت:

ألا كل حي هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين غريق
فقل لغريب الدار إنك راحل
إلى منزل نائي المحل سحيق
عليك بدار لا تزال ظلالها

ولا يتـــأذى أهلهـــا بمضـــيق

[الطويل]

قال الحسن بن جعفر الصامغاني في كتابه حلية الأنوار:" حدثني أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله البستاني ثم رفع الحديث إلى منصور الربيع قال: خرجنا من بغداد نريد شعيب بن حرب بالمدائن قال: فذاق عنا منزله فقلنا: يا أبا صالح إن معنا كتبا وأطرافا نريد أن نسمعها فقال: كم أنتم حتى أحدثكم بحديثين في الورع؟ فقلنا: له هات يا أبا صالح فقال: أما أحدهما فحدثني به حبيبي سفيان الثوري وأما الآخر فرأيته بعيني وباشرته بيدي قال: ضرب سفيان الثوري ذات يوم على منكبي فقال: يا أبا صالح ألا أحدثك حديثا في الورع؟ قلت: بلى، قال: بلغني أن عيسى بن مريم عليه السلام أتى المقابر فقال: يأ أهل القبور تخبرونا أو نخبركم؟ أو عن جوابنا منعتم؟ أما نساؤكم فقد استبدلنا بعدكم أزواجا، وأما مساكنكم التي سكنتموها فقد سكنها غيركم، وأما أموالكم التي اكتسبتموها فقد أتلفها غيركم، وأما أولادكم فقد حشروا في جملة اليتامى وهذا خبر ما عندنا فما عندكم؟ ثم دنا إلى قبر منها منفرد فضربه برجله وقال: عزمت عليك ألا ما قمت قال: فقام صدر جمجمة بلا يدين ولا رجلين فقال: ما أردت مني يا روح الله؟ قال: منذ كم أنت في الحساب؟ قال: منذ سبعين عاما، قال: لقد كنت كثير البؤس في الدنيا ما كنت في أهلها قال: كنت رجلا حمالا أحمل على رأسي أطلب حلالها وأنفق قصدا وأقدم فضلا فقال: حمالا تحمل على رأسك تطلب حلالا وتنفق قصدا وتقدم فضلا وأنت في الحساب منذ سبعين سنة؟ قال: نعم يا روح الله وأنه مما وبخني به ربي إذ قد وقفت بين يديه أني كنت حملت لجاري قصبا لأوديه إلى منزله وأعطاني عليه الكراء وأخذت منه شظية تخللت بها فلم أردها إلى موضعها فقال: عبدي اشترى

فلان جارك قصب بماله وأعطاك عليه الكراء لتوديه إلى منزله فأخذت منه شظية لا تملكها وأنت تعلم أني فوقك أطلع وأرى لقد هان إطلاعي عليك، قال فشاب مقدم رأس عيسى من هول ما سمع وقال هذا أصحاب الشظايا فكيف بأصحاب الجذوع.

وأما الحديث الآخر فإني خرجت إلى ساحل الشام وأريد مركبا وأريد الحج وإذا بفتيين جالسين فسلمت عليهما فردا علي السلام، فقلت لهما: ما يقعدكما؟ فقالا: نريد مركبا ونريد الحج فقال: وأنا معكما قال: فركبنا جميعا مركبا فيه قمح مصبوب قال: فلما صرنا غير بعيد أخذ أحد الفتيين حبة من القمح فألقاها إلى فيه فنظر إليه صاحبه فقال: ما صنعت ؟ قال: سهوت قال: وأنا أصحب من يسهو عن الله؟ يا ملاح قرب السفينة وإلى قذفت بنفسي في البحر قال شعيب فقلت: أنا بجهلي يا عبد الله في حبة قمح ألقاها صاحبك في فيه ترمي بنفسك في البحر ؟ قال فوثب وثبة كاد أن يمس رأسه سقف السفينة ووقع مثل الفرخ المذبوح يضطرب قال: فصببنا على وجهه الماء قال: فلما أفاق نظر إلي ولم ينظر إلى صاحبه الذي أذنب ثم قال لي: يا هذا كيف قلت استصغرت الحبة من القمح ولم تستعظم الجبار؟ إنه عصاه يا ملاح قرب السفينة وإلا قذفت بنفسي في البحر.

قال فقال لهم صاحبه: قربوه فوالله ما قال قولة قط فرجع فيه، قال: فتهاون به الملاح، قال: شعيب فالله أعلم على كم من قامة ألقى بنفسه في الماء فرأيت الماء قد ارتفع إلى صدره كأنَّ الله تعالى قد بعث ملكا يحمله على راحلته، قال: فغبنا عنه والقلاع بلا ريح قال: فالتفت إلى صاحبه فقلت: يا عبد الله ما رأيت مثل رفيقك هذا قط، قال: والله يا أخي إني لرفيقه

منذ ثلاثين سنة ما أخذ علي عشرة قبلها، قال فقلت: أنافي نفسي ثكلتك أمك يا شعيب إذا فاتك الماضي لا يفوتك الباقي وهذا يدل على منحا قوله: إن لم يعصي منذ ثلاثين سنة.

قال قلت: رحمك الله إذن لي في صحبتك فقال: هو ذا أنا وأنت على هذا اللوح قال: وكنت أقبل بوجهي عليه إذا تحدث وأفطر معه إذا أفطر قال وهو في كل ذلك غير مكترث لفقر صاحبه ولا يذكره كان لا شك أنه سيسبقه إلى الموضع الذي يريد قال حتى سرنا إلى مكة قال: فبينما نحن في الطواف إذا أنا برفيقه قدامي فارتعدت فرائسي تعجبا لما رأيت قال: ثم قلت في نفسي ما ينكر هذا لولي الله أن يكون سبقنا إلى الموضع قال: فقال لي رفيقه: ما لك؟ قلت: ها هو ذا صاحبك قال: فقال أين تراه؟.

قال قلت: هو ذا، قال: فلم يخرج عني حتى وقفت عليه فسلم عليه ثم قال له: يا أخي أقلني قال: فمضى فلم يكلمه ثم دار فسلم عليه ثم قال له أخي أقلني، قال له: لا إني أخرج عن الواجب إن أمسكت عنك بعد ثلاث ما كلمتك لب الله بتوبة، فقال: اللّهم لبيك بالتوبة من ذنبي إليك وقال الآخر لبيك اللّهم بالتوبة، ثم قال له: من هذا؟ قال له: هذا رفيقنا الذي وقف علينا في الساحل، قال فنظر إلي بوجه طلق ثم قال لي: جزاك الله عن رفيقي خيرا فقد كنت له أنيسا ومستراحا قال قلت: رحمك الله أتأذن لي في صحبتكما؟.

قال لها رسول الله ﷺ عن صحبة ثلاثة يأتمن اثنان على الآخر ونحن نكره أن نكون ثلاثة قال فقلت: إذن لي في صحبتكما ما دمتما بمكة؟ قال: ونسيت أن عند التروية يخرج الناس من مكة إلى منى، قال: فأردت أن أغالط من ينظر بنور الله قال: فكنت يومي ذلك معهما فلما صرنا بالأبطح

حال بيني وبينهما بعير فلم أراهما فعلمت أنهما قد وفيا لي فلما صرت إلى منى طلبتهما فلم أراهما وطلبتهما بعرفات ولم أراهما وطلبتهما بعرفات وبجمع فلم أراهما ولا أحدا أدلني عليهما ولقد حججت كذا وكذا حجة أطلبهما وأبحث عنهما فما أحد دلني عليهما فإن كان أحد من الأبدال أدركته ورأيته فذانك الرجلان من الأبدال يا أخي هذه حال القوم فهل أنت يا مسكين منتبه من النوم إلهنا مُنَّ علينا بما مننت به على أوليائك ولا تطردنا بفضلك عن بابك.

أنت العلي وأنت الخالق البارئ

أنت العليم بما تخفيه أسرار

أنت العلي فما للخلق مقدرة

في وسع عيش ولا بؤس وأقتار

تعطي الولاية أقواما فتلبسهم

ثوب المهابة محروسا من العار

تجول في ملكوت الله أنفسهم

تبدو مدامعهم خوف من النار

قد أسلموا الأهل والأوطان

ما إن ترى مثلهم من نازح الدار

يا طول حزني ترضى لوصلهم

يا ويح نفسي على بعدي وإدباري

لما لا أظل على الأشجان معتكفا

أدعـــو الإلـــه بإفصـــاح وإظمـــار

عســى الملـك يـذود الـنفس عـن

يجلـــو عماهـــا بتوفيـــق وأنـــوار

[بسيط]

قال الأوزاعي: كان شيخ قديم من أهل الشام يجلس في مجلسي كثيرا حتى أنست به لما رأيت من حبه في أهل الخير ولصدقه بهم وكثرة بحثه عن شرائع الإسلام، وكنت إذا فقدته في وقته الذي يأتي فيه ساءني ذلك وأمرضني حتى عرف ذلك مني أصحابي، فكان إذا طلع يا أبا عمرو قد جاء شيخك، فقال: فبينما هو عندنا ذات يوم جالسا إذ تذاكرت الرهبان وصبرهم على ضنك العيش وانفرادهم عن الإنس وتخليهم من الإنس والعمران والمنازل والبساتين والأوطان فقال الشيخ: يا أبا عمرو ألا أحدثك بأعجوبة رأيتها من راهب بأرض الروم، قال قلت له: نعم وكان قبل ذلك قليل الكلام لا يتكلم إلا فيما يعنيه من أمر دينه، قال: إني كنت أسير في زمان صقلان الخادم فأتى في حصن من الحصون قريبا من ساحل البحر فأدخلت في دهليس ضيق لا أرى فيه شمس ولا قمر فمكثت بذلك حينا، فلما طال ذلك علي واشتد الوثاق وضاق الخناق قلت للعلج الذي كنت في يده وكان يتعاهدني بالطعام والشراب وقد فهمت كلامه وأحكمت لسانهم ويحك إلى كم هذا الحبس الطويل أما وثقت بناحيتي بعدا وما أمنت غايلتي أو ما تخشى الذي تعبده في تعذيبي، قال: فما تقول يا عربي وماذا تريد قلت أطلقني على أني لا أعصي لك أمرا ولا أخالف لك رأيا.

قال: وتفعل؟ قلت: نعم لم أقل لك هذا إلا على الوفاء بذلك فأخرجني من حبسه وأمر بغلٍ من حديد فجعله في عنقي وجعلني راعيا وأطلق معه ماشية فقال ارعها قريبا من الحصن ولا تبعد وكنت أغم وأروح فمكثت بذلك حينا ثم تباعد بي المرعى فانتبهت إلى خبل فقلت لعل في هذا الجبل من الكلأ ما أشبع به غنمي فصعدت بها حتى إذا صرت إلى أعلاه فإذا هو جبل أقرع يابس كثير الحجارة قليل المرعى فبينما أنا أطوف به إذا أنا بصومعة من حجارة، فلما رأيتها كبرت الله تعالى كثيرا وهللته ومجدته وحمدته فاطلع علي من أعلاها شيخ أبيض الرأس واللحية قد سقط حاجباه على عينيه، فقال: يا أيها المكبر لله في هذا المكان من أنت ؟ قلت: رجل من العرب فإذا هو يكلمني بلسان عربي مبين فقال أمن أمة محمد العربي الخاتم للأنبياء والصائم؟ قلت: نعم وما علمك بذلك النبي وصيامه؟ فقال: سبحان الله ومن يجهل معرفة خاتم الأنبياء إلا الجاهل الغبي فما هذا الوثاق الذي في يديك قلت أوثقتني الذنوب ففعل بي ما ترى فقال: فما بالك في هذه البلاد التي ليس فيها سلطان؟ قلت: أسرتني الخطايا والمعاصي وهكذا يفعل بالمعاصي.

قال لي: إذا أقررت بالخطايا والذنوب فإن الرحمة منك قريب فأبشر إن كنت صادقا قلت: أتبشرني بالمغفرة والرحمة وأنا على غير دينك؟ فقال: أما أنا فعلى الإسلام فعلا ما أنت عليه أيها السائل قلت: لقد أقررت عني فأنستني مما أنا فيه وأسر بذكرك للإسلام وانتحالك له قال: فبكى ثم قال ويحك أوا؟ في قلبك من ذكر الدنيا ما يشغلك عن ذكر مولاك الذي بيده مماتك ومحياك ما كنت أرى أحدا يخرج من قلبه ذكر مولاه؟ قلت: يا أيها الصديق ما لي أراك في هذا الموضع ومن أين القوت ومن يأتيك به قال: فصاح صيحة أفزعتني، ثم قال: لو كنت صادقا لكنت مع الصديقين ولما

أقمت مع المتجبرين، ثم قال: يا ضعيف اليقين إن الذي خلق الرحا قد أعد لها الطحين فما سؤالك عن غيب قد حجب عنك يا مسكين؟ قال قلت: أحببت أن أعلم ذلك لأزداد يقينا وإيمانا وليكون قلبي من جولان الفكر مستريحا قال: إن الحاجة لها وجوه ولكن اخدم المولى على نصح يطعمك ولا تخدمه على طمع فيمنعك، اعمل لله عمل المخبتين إن كنت من المتقين ولا تعمل لمولاك عمل من يطلب الأجر فتكون كعبد السوء إن خاف مولاه أو رجاه عمل وإلا كسل وفشل قلت: صف إلي الطريق حتى أسلكه قال إنه طريق صعب على من أحب الدنيا فيه خشونة و حزونة وسهل على من كان قلبه بالآخرة معلقا، قلت: أنبئني لعل الله [يسردني] [1] له بيمنك ويرشدني له بدلالتك، قال: فإن كنت تريد ذلك وتبغيه وتطلبه فإياك أن تدخل حب الدنيا قلبك وتخطر ذكرها ببالك ولا تبالي على أي حال أصبح فيها حالك فإنها هي منزل بلقة ودار قلة ومنزل وإياك والحطام الفاني فإن جديدها خلق وأمنها فرق وحبها ملق تخدع سكانها وتقتل أبنائها وتغري أهلها وتمكنهم من ضرعها حتى إذا رضعوا من لبنها وتذوقوا حلاوة طعمها سقتهم كأس مرها فتفرقوا منها على ما تذوقوا فعرفوا عند ذلك وخيم عاقبتها وشدة مرارتها فرفضوها حين لم ينفعهم الرفض فويل لأبناء الدنيا أي حسرات تجرعوا وأي ندامة فيها وقعوا لو كانت أعظية القلوب إنكشفت لهم لما قاوموا الدنيا ولا تدنسوا بالعيوب تأمل يا أخي كلام أرباب الهمم العلية المعرضة عن الدنيا بالكلية ولله در القائل:

---

(1) كلمة وردت هكذا ولم استطع فهمها .

بن محمد الجازولي.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال سألت رسول الله ﷺ: "أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله"[1] رواه ابن حبان في صحيحه، قلت وما أعظمها من نعمة لمن وفق لذكر المولى سبحانه على الدوام.

قال ابن أبي جمرة ﷺ وبهذا المعنى فضل أهل الصوفة غيرهم لأنهم لا يزالون دائما ذاكرين متوجهين فحصل لهم اسم الخصوص بما منه خصوا ولذلك قال: إن كنت صادقا في محبتنا فالمحب بذكر الحبيب يذوب لأن دوام الذكر مناداة ومحاضرة يشهد لذلك قوله جل جلاله على لسانه نبيه ﷺ: "أنا جليس من ذكرني" فافهم إن كنت فطنا بما به عنيت ومن أنت يا مسكين انتهى كلام ابن أبي جمرة رحمه الله.

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة وينشر عليه تسع وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتذكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون فيقول: لا يا رب فيقول أفلك عز؟ فقال: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وأنت لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال: فإنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات

---

(1) ابن حبان: ح: 2316، كتاب الأذكار، باب فضل الذكر والذاكرين.

وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء[1] رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وابن حبان في صحيحهما وقال الترمذي واللفظ له حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم، وقال معاذ بن جبل ﷺ ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله رواه الترمذي اللفظ له وابن ماجة والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد.

وقال عمر ﷺ: "وأفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه قال عبد الوهاب هذا الذي قالاه رضي الله عنهما مروي عن النبي ﷺ وأراد معاذ بحديثه الإكثار من ذكر الله تعالى وليس مراده ما يقع من أهل الغفلة والاستغراق في الدنيا مما له يخلو منه أحد وأراد [عمر الذكر بالقلب] [2] وهو إحضاره الإنسان قلبه الخوف والخشوع واستحضار إطلاع الرب تعالى عليه في سره وعلانيته وعلمه بجميع أحواله وبجميع تصرفاته وأنه لا تخفى عليه خافية ولا يستتر عنه مستور ولذلك كان الذكر بالقلب أفضل من الذكر باللسان.

قال ابن أبي جمرة ﷺ: "قد تقرر من قواعد الشرع أن أعلى العبادات وأنجاها من عذاب الله ذكر الله فجعل لنا أجل العبادات وهو ذكره عز وجل في كل حركاتنا وسكناتنا فمنها فرض ومنها ندب والندب بعضه آكد من بعض فجعل لنا أن لا نأكل ولا نشرب ولا ننكح ولا نلبس ثوبا ولا نجرده ولا ندخل فراشا ولا ندخل منزلا ولا نخرج منه ولا ندخل موضع الحاجة ولا نخرج منه ولا نصطاد صيدا ولا نذبح شيئا مما نأكل لحمه ولا نسافر

---

(1) الترمذي: ح: 2639، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله.

(2) وجدتها هكذا في النص ولعلها عمر القلب بالذكر.

إلى موضع ولا نتكلم كلاما له بال إلا ونبتدئ في ذلك كله بذكره عز وجل وذكر أمسائه، ومنها إذا لم نفعله حرم علينا ذلك ولم يحل لنا أكله من التسمية على الحيوان المذكى وعلى الصيد وما أشبه ذلك.

وروى الترمذي ومالك عن أبي الدرداء ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ويضربوا أعناقكم قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر"[2] رواه الترمذي وقال حسن غريب.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن الله عز وجل يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه"[3] رواه ابن ماجة واللفظ له وابن حبان في صحيحه ورواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي الدرداء.

قال الباجي في سنن الصالحين له قال أبو هريرة ﷺ: "إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض ما كان يذكر فيها اسم الله كما ترون النجوم في السماء بقدر ما يذكر الرجل وكذلك يرونه".

---

(1) الترمذي: ح: 3377، قال الألباني: صحيح.

(2) الترمذي: ح: 3509، قال الألباني: ضعيف.

(3) الحاكم ح: 1824 ، ح: 673/1 ونصه كاملا : - حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر ثنا بشر بن بكر ثنا الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله يقول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة قالوا: وأين رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر فأغذوا وروحوا في ذكر الله وذكروه أنفسكم من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه"[1] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مئة حسنة ومحيت له مئة سيئة وكانت له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتي أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك"[2] رواه البخاري وغيره.

قال الشيخ ابن أبي جمرة ﷺ: "في هذا الحديث دليل على تفضيل أهل الصوفة يؤخذ ذلك من جعل هذا الأجر العظيم لمن قال هذا القول مئة مرة فكيف من هو يومه إلا هكذا لا يفتر إلا عند أداء فرضه أو ضرورة البشرية فإن طريقهم مبني على دوام الذكر والحضور، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[3]، وهم في ذلك متبعون لسنة سيدنا محمد ﷺ لأنه قد جاء في وصف حاله ﷺ أنه كان طويل الصمت كثير الذكر وعلى هذا بنو طريقهم،

---

(1) الحاكم: ح: 1820.

(2) البخاري: باب فضل التهليل.

(3) سورة السجدة: 32 ،الآية17: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وقد قال ﷺ: "ما عمل آدمي من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله" وهذا الذكر الذي يبلغ به العبد هذا الحال إنما هو بعد أداء الفرض لأن كل ما نحن بسبيله الآن هو كله من باب المندوب وجميع المندوب كله لا يقوم بفريضة واحدة فكيف بالمتعدد ولذلك لم يأخذ القوم في مثل هذه المندوبات حتى أكملوا فروضهم التي هي الأصل في الدين وحينئذ أخذوا فيما ذكرنا فنسأل الله جل جلاله التوفيق لأداء فرضه والاجتهاد في أعمال ما ندبنا إليه وقبول ذلك والسعادة فيه بمنه لا رب غيرة سواه وإن من علامة السعادة للشخص أن يكون ممتنيا بمعرفة السنة بجميع تصرفاته والذي يكون كذلك هو دائم في عبادة في كل حركاته وسكناته وهذا هو طريق أهل الفضل والحامل على هذا كله خشية الله تعالى واعلم أنه بقدر العلم بالله عز وجل يكون الخوف منه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾[1] ولا أحد أعلم بالله ولا خوف لله من رسله صلوات الله عليهم أجمعين، ولهذا كان أهل التوفيق والمعرفة بالله تعالى أشد الناس خوفا على أنفسهم مع ما كانوا عليه من الخير التام فداوم رحمك الله تعالى على ذكر مولاك سبحانه وأنت خائف منه وجل ولإطلاعه عليك مستحضر.

---

(1) سورة فاطر 35، الآية: 28، وتمامها قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

فَصلٌ في فَضل الاستغْفَار

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب"[1] رواه أبو داوود واللفظ له والنسائي وابن ماجة والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولفظ النسائي والحاكم وأكثر الاستغفار ومن تأليف أبي الخير المسمى بالحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين قال: "وروى أبو يعلى الموصلي في معجمه: "من استغفر للمسلمين والمسلمات كل يوم سبعة وعشرين مرة أو خمسة وعشرين مرة أحد العددين كان من الذين يستجبون لهم ويرزق لهم أهل الأرض"(2).

وقد نقل صاحب كتاب الفردوس عن النبي ﷺ: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم خمسة وعشرين مرة أذهب الله من قلبه الغل والحسد وكتب في ذلك اليوم من الأبرار"[3].

---

(1) سنن أبي داوود: ح: 1518، باب الاستغفار.

(2) لم أعثر عليه.

(3) لم أعثر عليه.

بَابُ جامعُ الأحَاديث المُهتمينَ بالدّين وكَلمَات حكَميَّة للمُتقينَ

كل ذلك مما يزهد في دنياك ويوجب لك الاهتمام بأخراك، وعن علقمة بن عبد الله ﷺ قال: "نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك غيره؟ فقال: مالي ومال الدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[1]، وفي اللباب عن ابن عمر وابن عباس رواه الترمذي وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب فإن أبعد الناس من الله القلب القاسي"[2] رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب .

وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: "استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا: يا رسول الله إن نستحي والحمد لله قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البصر وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"[3] رواه الترمذي.

وقال النبي ﷺ لأنصار لما تعرضوا له إذ سمعوا بقدوم أبي عبيدة فما[..][4] أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما أبسطت على الذين من قبلكم فتنافسوها

---

(1) الترمذي: ح: 2377.

(2) الترمذي: ح: 2411، باب ما جاء في حفظ اللسان، قال الألباني: ضعيف.

(3) الترمذي: ح: 2458، قال الألباني: حسن.

(4) كلمة مبهمة وغير واضحة.

فتهلككم كما أهلكتهم" رواه البخاري ومسلم والترمذي وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله أذكروا الله والله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي فقال: ما شئت قال قلت: الربع قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك قال قلت: فالثلثين قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال: أجعل لك صلاتي كلها قال إذن تكفى همك ويغفر ذنبك" قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"[1] رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "قال إن الله يقول يا بن آدم تفرغ لعبادتي ملأ صدرك غنا وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت بالك شغلا ولم أسد فقرك"[2] قال هذا حديث حسن غريب رواه الترمذي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال: كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة"[3]

---

(1) الترمذي: ح: 2465، قال الألباني : صحيح.

(2) الترمذي: ح: 2466، قال الألباني : صحيح.

(3) الترمذي: ح: 2478، قال الألباني: حسن.

قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وفي اللباب عن أبي جحيفة رواه الترمذي.

وعن معاذ بن أنس الجهني أن رسول الله ﷺ قال: "من ترك اللباس تواضعا وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها"[1] رواه الترمذي.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "إن أردت اللحوق فليكفينك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه"[2] حديث غريب.

وروى القاضي أبو نصر الشهير بابن ودعان عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا في مرضاته وأيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل يا أيها الناس إن من في الدنيا ضيف وما في يديه عارية وإن الضيف مرتحل والعارية مردودة ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر رحم الله امرئ نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رمسه مرخا وحبله عن غاربه ملقا قبل أن ينفذ أجله فينقطع عمله"[3].

وروى ابن نصر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب وكان مما ضبطت منها يا

---

(1) الترمذي: ح: 2481، قال الألباني: حسن.

(2) الترمذي: ح: 1780، باب ما جاء في ترقيع الثوب.

(3) لم أعثر عليه.

أيها الناس إن أفضل الناس من تواضع عن رفعة وزهد عن غينة وأنصف عن قوة وحلم عن قدرة ألا وإن أكيس الناس عبدا أخذ من الدنيا الكفاف وصاحب فيها العفاف وتزود للرحيل وتأهب للمسير ألا وإن أعقل الناس عبدا عرف ربه فأطاعه وعرف عدوه فعصاه وعرف دار إقامته فأصلحها وعلم سرعة رحلته فتزود لها ألا وإن خير الزاد ما صحبه التقوى وخير العمل ما تقدمته النية وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه".

وروى أبو نصر من حديث الدرداء ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يا أيها الناس إن أكيسكم أكثركم للموت ذكرا وأحزمكم أحسنكم له استعدادا ألا و إن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الغرور والتزود من سكنى القبور والتأهب ليوم النشور" (1).

وروى أبو نصر عن قيس بن عاص ﷺ قال: "قدمت على النبي ﷺ في وفد من بني تميم فقال لي اغتسل بماء وسدد وفعلت ثم عدت إليه فقلت: يا رسول الله عظنا موعظة ننتفع بها فقال: يا قيس إن مع العز ذلا وإن مع الحياة موتا وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شيء حسيبا وعلى كل شيء رقيبا وإن لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا وأن لكل أجل كتابا إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معهُ وأنت ميت فإن كان كريما أكرمك وإن كان لبيبا أسلمك ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإنه إن كان صالحا لم تأنس إلا به وإن كان فاحشا لم تستوحش إلا منه ألا وهو فعلك".

---

(1) لم أعثر عليه.

بابٌ في فَضْل أذكار

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ: "قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[1] رواه النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ للنسائي.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "خصلتان أو خالتان يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله في دبر كل صلاة عشر ويحمده عشر ويكبره عشر فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان ويكبر أربع وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد الله ثلاث وثلاثين ويسبح ثلاث وثلاثين فذلك مئة في اللسان وألف في الميزان فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده قلنا يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه فينومه قبل أن يقولها ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها"[2] رواه أبو داوود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح زاد الترمذي والنسائي بعد قوله: وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة.

بَابُ مَا يَقُولُ إذَا استَيقَظَ منَ اللَّيل

وعن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ :" من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

---

(1) مسند الإمام أحمد: ح: 11731، قال شعيب أرناؤوط حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(2) الترمذي: ح: 5065، باب ما جاء في التسبيح عند النوم، قال الألباني : صحيح.

الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللّهم اغفر لي أو دعا استجيب له فإن توضأ ثم صلى قبلت صلاته"[1] رواه البخاري وأبو داوود والترمذي والنسائي ومعنا تعار بتشديد الراء استيقظ وروى الترمذي.

عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من آوى إلى فراشه طاهرا يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه"[2].

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا آوى الرجل إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول: الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فإن ذكر الله ثم نام بات الملك يكلأه فإن استيقظ قال الملك: افتح بخير وقال الشيطان افتح بشر فإن قال الحمد لله الذي رد إلي روحي ولم يمتها في منامها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾[3]، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة"[4] رواه النسائي واللفظ له والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه وقول الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد آخره الحمد لله الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير.

---

(1) البخاري: ح: 1103، باب فضل من تعار من الليل فصلى .

(2) الترمذي: ح: 3526، قال الألباني: ضعيف.

(3) سورة فاطر: 35، الآية: 41.

(4) السنن الكبرى للنسائي: ح: 10690.

بَابُ مَا يَقُولُ عندَ الصَّباحِ والمَسَاء

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يصبح أو يمسي اللّهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك وأشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمد عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلثا أرباعه من النار ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار"[1] رواه أبو داوود والترمذي والنسائي.

وروى أبو داوود في سننه بإسناد جيد عن عبد الله بن غنام البياضي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يصبح اللّهم ما أصبح بي من نعمة وبأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته"[2].

قال النووي ورأينا في كتاب ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "من قال حين يمسي أو يصبح اللّهم إني أصبحت في نعمة منك وعافية وستر فأتمم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى كان حقا على الله تعالى أن يتم عليه".

قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: "من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة".

---

(1) سنن أبي داوود: ح: 5069، باب ما يقول إذا أصبح، قال الألباني: ضعيف.
(2) فتح الباري 11/131.

بَابٌ جَامِعٌ لِجُمْلَةٍ مِنَ الأَذْكَارِ

روى النووي عن أبي السني عن أبي قتادة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من قرأ آية الكرسي وخواتم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل".

وروى ابن السني عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة في أهل أو مال أو ولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فلا يرى فيها آفة دون الموت".

وروى أبو داوود عن مسلم بن الحارث التميمي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه أسر إليه فقال: "إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل: اللّهم أجرني من النار سبع مرات فإنك إذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جوار منها وإذا صليت الصبح فقلت كذلك فإنك عن مت من يومك كتب لك جوار منها"[1].

وروى الترمذي عن عمارة بن شبيب قال قال رسول الله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات على أثر المغرب بعث الله له مسلحة يتكفلونه من الشياطين حتى يصبح وكتب له بها عشر حسنات ومحي عنه عشر

---

(1) رواه أحمد في المسند برقم (17362) وأبو داود برقم: (5079) ، ولفظه: عن النبي ﷺ ، قال : " إذا صليتَ الصبح فقل قبل أن تكلم أحداً من الناس " اللهم أجرني من النار سبع مرات " فإنك إن متَّ مِن يومك ذلك كتب الله لك جواراً مِن النار، وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تكلم أحداً من الناس اللهم لإنس أسألك الجنة، اللهم أجرني من النار" سبع مرات فإنك إن متَّ مِن ليلتك كتب الله عز وجل لك جواراً مِن النَّار . "الحديث غير صحيح عن النبي ﷺ ، انظر " السلسلة الضعيفة " للشيخ الألباني رحمه الله (1624. .

سيئات مربقات وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات "[1].

وروى النسائي عن ابن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت له الجنة: اللّهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت له النار: اللّهم أجره من النار"[2].

وروى النسائي عن يعقوب بن عاصم أنه سمع رجلا من أصحاب النبي ﷺ يقول: "ما قال عبد قط لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه لسانه إلا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر الله إلى قائلها من أهل الأرض ويحق لعبد ينظر الله إليه أن يعطيه سؤله"[3].

وعن شراد بن أوس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "سيد الاستغفار أن تقول اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إذا قالها حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة وإذا قالها حين يصبح فمات من يومه مثله"[4] رواه البخاري والترمذي والنسائي.

---

(1) الترمذي: ح: 3468، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(2) النسائي: ح: 5521، باب الاستعاذة من حر النار ، قال الألباني : صحيح.

(3) سنن الكبرى للنسائي: ح: 9856.

(4) البخاري: ح: 5947، باب أفضل الاستغفار.

بَابٌ جَامعٌ لأنواعٍ منَ الخَيرَاتِ

فعليك رحمك الله بالسلوك في سبيل العلم النافع فهو الدليل إلى الخيرات والقائد إلى سنن الدرجات وقد احتوى كتابنا هذا بحمد الله على نفائس وجواهر من العلم النافع فاعمل به تفوز بخير الدارين ولله در القائل في العلم:

مع العلم فاسلك حيث ما سلك

وعنه فكاشف كل من عنده فهم

ففيه جلاء للقلوب من العمى

وعون على الدين الذي أمره حتم

فإني رأيت الجهل يزدري بأهله

وذو العلم في الأقوال يرفعه العلم

مع العلم فاسلك حيث ما سلك

وعنه فكاشف كل من عنده فهم

يعدك بين القوم وهو صغيرهم

وينفذ منه فيهم القول والحكم

فخالط رواة العلم واصحب

فصحبتهم زين وخلطتهم غنم

ولا تعدون عيناك عنهم فأنهم

نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجـــم

فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى

ولا لاح من غيب الأمور لنا رسـم

[الطويل]

عن طارق ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته وبئست الدار لمن سرته عن آخرته وقصرت به عن رضوان ربه فإذا قال العبد: قبح الله الدنيا قالت: الدنيا قبح الله أعصانا لربه"[1] رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

وقد قدمنا حديث البخاري أن النبي ﷺ قال: "اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" الحديث.

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: " كثرة المال توجب كثرة الحساب وكثرة الحساب يبطئ بصاحبه عن الجنة"، قال هذا الحديث دليل على أن أكثر الصالحين الفقراء، يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: "أكثر أهلها الفقراء وفيه دليل على أن الغالب على الأغنياء عدم التوفيق يؤخذ ذلك من كونهم قليلين في الجنة وفيه دليل للزاهدين الذين رفضوا الدنيا لكون حرامها عذاب وحلالها حساب فلا راحة فيها لصاحبها".

قال ابن أبي جمرة: "وليس هذا الحديث على عمومه في جميع الفقراء وإنما معناه أن المؤمنين الذين يأتون أكثر ما أمروا به أكثرهم فقراء أي وهم

---

(1) الحاكم: ح: 7870، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

أكثر أهل الجنة وكذلك جاء أن أول أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام الفقراء لأن الأغنياء يمنعهم من الإجابة كثرة حطام الدنيا والاشتغال بها وإن دخلوا في الإسلام قلّما يخلصون أنفسهم من كثرة ما يترتب عليهم من الحقوق إلا من أيده الله بمعونته والفقراء أقل مؤنة وأرق فدية ويحق أن يكونوا أكثر أهل الجنة".

وقد روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه وقعت نار في البصرة فأخذ مصحف له وخرج وقال لهم: "يا أهل البصرة فاز المخفون مالي في بلادكم غير هذا يعني مصحفه يشير لهم إلى هذا المعنى لأنه بقلة دنياه نجا من نار البصرة بنفسه وبكل ما معه فكذلك في الدار الآخرة وأنتم يا أصحاب الحطام والأثقال كما وحلتم بأنفسكم ولا تقدرون على التخلص من نار البصرة فكيف بكم في الدار الآخرة.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها لعبد الرحمان بن عوف ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنك تدخل الجنة حبوا" وكان عبد الرحمان ﷺ حيث كان من الفضل وكثرة الصدقة إلا أنه كان أغنى أهل عصره فكثرة المال توجب كثرة الحساب وكثرة الحساب يبطئ بصاحبه عن الجنة.

ومن كتاب الاستسلام إلى مشيئة الحكيم العلام قال: وعن كعب الأحبار ﷺ أنه قال: قرأت في العشر صحف التي أنزل الله على موسى عليه السلام سبعة أسطار ملقمة بعضها ببعض أول سطر منها من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله، والثاني: من كانت الدنيا أكبر همه نزع خوف الآخرة من قلبه، والثالث: من شكا مصيبة نزلت به كأنما شكا الله عز وجل، والرابع: من تواضع لملك من ملوك الدنيا ذهب ثلث دينه، والخامس: من لا يبالي من أي الأبواب أتاه رزقه لم يبالي الله من أي أبواب

جهنم يدخله، والسادس: من أتى خطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي، والسابع: من جعل حاجته إلى آدمي جعل الله الفقر نصب عينيه".

قال شقيق البلخي: كنت في بيتي قاعدا فقالت لي أهلي يا أبا علي قد ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع وما يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم به قال فأصبغت الوضوء وكان لي صديق لا يزال يقسم علي بالله تعالى إن تكن بك حاجة لا تكتمها عني فخطر ذكره بقلبي فلما أن خرجت من المنزل مررت بالمسجد فذكرت الحديث الذي روي عن أبي المعتمر: "من عرضت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ بها بالله عز وجل" فدخلت المسجد فصليت ركعتين فلما أن قعدت في التشهد أفرغ الله سبحانه علي النوم فرأيت في منامي أنه قيل لي: يا شقيف تدل العباد على الله تعالى ثم تنساه فاستيقظت وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني ربي به فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة ثم انصرفت فوجدت الذي أردت أن أقصده في الحاجة حركه الله تعالى وأجرى لهم على يديه ما يحتاجون إليه.

قال الحسن: "مكتوب في التوراة: "الغنيمة في القناعة والسلامة في العزلة والحرية في رفض الشهوات والمحبة في ترك الرغبة والتمتع في أيام طويلة بالصبر في أيام قليلة قال ومما رأيته متصل السند إلى أبي ذر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يوصيه: "أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت وقدم مالك أمامك يسرك اللحاق به وأقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب ولا تتشاغل عما فرض عليك بما فرض لك إنه ليس يفايتك ما قسم لك ولست بلاحق ما زوي عنك فلا تك جاهدا فيما يصبح نافذا واسعا لملك لا زال له في منزل لا انتقال عنه.

قال ومما رأيته متصل السند لابن عباس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس إن الرزق مقسوم ولن يعدو من مر وما كتب له فأجملوا في الطلب وإن العمر محدود لن يجاوز أحد ما قدر له فبادروا قبل نفاذ الآجال، والأعمال محصاة لن تهمل منها صغيرة ولا كبيرة فأكثروا من صالح العمل أيها الناس إن في القناعة لسعة وإن في الاقتصاد لبلغة وإن في الزهد لراحة ولكل عمل جزاء وكل آت قريب"[1].

قال يوسف بن الحسن بلغني أن الله عز وجل يقول: "يا بن آدم لم أخلقك لأربح عليك وإنما خلقتك لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شيء فأنا خير لك من كل شيء"[2].

---

(1) لم أقف عليه.

(2) لم أقف عليه.

بَابٌ مُشتَملٌ عَلى فُصُول مُحتَويَة عَلى كَلمَات وَعظيَة وحكَايات عَن أولياء اللّه المُقربينَ منْ عبادَه المُتَقينَ

تخيرتها من كتب الأئمة وأعلام هذه الأمة فإنه عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، قال التاذلي قال يونس بن محمد: "ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين".

قال الغزالي: "وإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا عليه من الجهد الجهيد في العبادة وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم".

فَصلٌ

قال الجوزي في المورد العذب: "قال مالك بن دينار: أصابني في بعض أسفاري عطش شديد فملت إلى بعض الأودية طمعا في الماء فسمعت صوتا يتردد ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]، فقلت: هذه سباع مقبلة فوليت هاربا فناداني هاتف من بين الجبال يا هذا ليس الأمر كما ظننت إنما هو ولي لله عز وجل عظمت زفرته واشتدت حسرته فارتفع صوته وعلا نحيبه فقعدت إلى طريقي فإذا أنا بشاب قد أذابته العبادة حتى عاد كالخيال فسلمت عليه وأخبرته بعطشي فقال لي ما لك ؟ أما وجدت في المملكة نقطة من ماء ثم قام إلى صخرة فضربها برجله وقال لها: أسقنا

---

(1) سورة الزخرف:43، الآية:52 وتماما قال تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾

ماء بقدرة من يحيي العظام وهي رميم قال: فإذا بالماء يخرج من الصخرة كما يخرج من العين فشربت حتى رويت ثم قلت له: أوصني فقال لي: يا مالك كن لمولاك عبدا في الخلوات يسقيك الماء في الفلوات".

حكَايَةٌ حَسَنَةٌ

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله: "كنت في مركب فعصفت بنا الريح فطرحتنا إلى جزيرة فإذا برجل فيها وهو يعبد صنما، فنهيناه عن عبادته فقال: وما تعبدون أنتم؟ قلنا له: نعبد الله الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي الأحياء والأموات قضاؤه قال: وكيف علمتم هذا؟ قلنا له: وجه به إلينا ربنا رسولا علمنا بذلك قال: فما فعل ذلك الرسول؟ قلنا: قبضه الله تعالى قال: فما ترك معكم علامة؟ قلنا: نعم فأتيناه بمصحف وقرأنا عليه فبكى، ثم قال: ينبغي لصاحب هذا الكتاب أن لا يعصي، قال: ثم أسلم الرجل وحملناه معنا في المركب وعلمناه شرائع الإسلام وصورا من القرآن، فلما جن عليه الليل صلينا ثم أخذنا مضاجعنا ثم قال: يا قوم الإله الذي دللتموني عليه هل ينام أم لا ؟ قلنا لا ينام يا عبد الله فقال: بئس العبيد أنتم مولاكم لا ينام وأنتم تنامون قال: فعجبنا من كلامه فلما نزلنا من المركب أعطيناه دراهم لينفقها فقال: الطريق الذي دللتموني عليه لم تسلكوه فأنا كنت في جزيرة أعبد صنما من دون الله فلم يضيعني الله فكيف أضيع الآن وقد عرفت الله تعالى، قال عبد الواحد بن زيد: فلما كان بعد أيام أتاني آت فأخبرني بمرض ذلك الرجل فسرت إليه فوجدته يعالج سكرات الموت فقلت له: ألك حاجة؟ فقال: الذي عرفتموني به قد قضى حوائجي فبينما أكلمه غلبتني عيناي فرأيت في المنام روضة وفيها قبة وجارية على سرير فقالت: سألتك بالله عجل علي به فانتبهت فوجدت

الرجل قد مات فجهزته لقبره ثم رأيته بعد ذلك في المنام في القبة والجارية إلى جانبه وهو يقرأ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾[1]

---

(1) سورة الرعد 13، الآية: 23 وتمامها قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

حكَايَةٌ حَسَنَةٌ

قيل أن عمر بن الخطاب وعلي رضي الله عنهما قاما يطلبان أويسا القرني[1] سنين فلما كان في السنة التي مات فيها عمر ﷺ صعد على جبل أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أهل حجيج اليمن أفيكم أويس القرني، فقام شيخ فقال: لا أدري من أويس ولكن لي ابن أخ اسمه أويس وهو أجمل ذكرا وأهون أمرا من أن أرفعه إليك يا أمير المؤمنين وإنه ليرعى إبلنا بإزاء عرفات.

قال: فركب عمر وعلي رضي الله عليهما إلى عرفات فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة وإبله حوله ترعى فسلم عليه فخفف أويسا الصلاة ثم قال لهما: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال: من الرجل؟ فقال: راع إبل وأجير قوم فلا لسنا نسلك عن الرعاية ما اسمك ؟ قال: عبد الله قالا: قد علمنا أنك عبد الله فما اسمك الذي سمتك به أمك؟ قال: يا هذا ماذا

---

(1) هو: أُوَيْس القَرَنِيّ هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قَرَن بن ردمان بن ناجية بن مراد، أحد سادة التابعين، مخضرم. أدرك زمن النبيﷺ ولم يره، كان عمر بن الخطاب يسأل أهل اليمن عنه فلما لقيه طلب منه أن يستغفر له، ففعل. هذا لأن عمر قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: (خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه، إلا موضع الدرهم في سرته) حديث صحيح، وعند الحاكم عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة، ومضر » قال هشام: فأخبرني حوشب عن الحسن، أنه أويس القرني، قال أبو بكر بن عياش : فقلت لرجل من قومه أويس: « بأي شيء بلغ هذا؟ » قال: فضل الله يؤتيه من يشاء، قيل أنه استشهد في معركة صفين في سنة 37 هـ الموافق لـ 658 م . وهو مدفون عليه رضوان الله بمحافظة الرقة في سورية.

تريدان مني؟.

قالا: وصف محمد ﷺ أويسا القرني قد عرفنا الصهوبة والشهولة وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا إن كانت بك قال فأوضح منكبه فإذا اللمعة هناك فابتدر يقبلانه وقالا: نشهد أنك أويس القرني فاستغفر لنا فقال: ما أخص باستغفار نفس ولا أحدا من ولد بني آدم ولكن من في البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ثم قال: يا هذان قد عرفكما الله حالي فمن أنتما؟.

فقال علي رضي الله عنه: أما هذا فعمر بن الخطاب أمير المؤمنين وأما أنا فعلي بن أبي طالب قال فاستوى أويس قائما ثم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته وأنت يا ابن أبي طالب جزاكم الله خيرا عن هذه الأمة قالا: وأنت جزاك الله خيرا عن نفسك، ثم قال له عمر رضي الله عنه: مكانك رحم الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة وكسوة وهذا المكان ميعاد بيننا قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك ولا أراك بعد اليوم تعرفني ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة أما ترى نعلي مخصوفتين متى تراني أبليهما أما تراني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلهما إن بين يدي وبين يديك عقبة كودة لا يتجاوزها إلى ضامر مخف مهزول مجفف يرحمك الله تعالى فلما سمع عمر رضي الله عنه كلام أويس ضرب بيده الأرض ونادى بأعلى صوته ألا ليت أم عمر لم تلده إلى من يأخذ الإمارة بما فيها قال ثم سلم على عمر وانصرف بإبله ناحية وانصرف عمر وعلي رضي الله عنهما إلى مكة "انتهى من المورد العذب فهكذا تكون الهمم العالية المعرضة عن زخارف الدنيا بالكلية وسأذكر إن شاء الله تعالى من حكاية الصالحين ما يكون قدوة للعاقل وأسوة لكل فطن لبيب فاضل.

وقد روى أبو بكر أحمد بن ثابت الشهير بابن الخطيب عن أبي بكر الكتاني[1]. أحد مشايخ الصوفية وفضلائها أنه سئل أي شيء الفائدة في مذاكرة الحكايات ؟ فقال: الحكايات جند من جنود الله سبحانه تقوى بها أبدان الموردين فقيل له: هل لهذا من شاهد؟ قال نعم قال الله تعالى :﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2].

---

(1) من أعيان الصوفية.

(2) سورة هود 11، الآية:120، وتمامها قال تعالى :﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

حكَايَةٌ عَجِيبَةٌ

قال القرطبي في تذكرته: "قال عبد الله بن أبي نوح رأيت كهلا بمسجد رسول الله ﷺ ينفض التراب عن جدوراته بسعفة، فسألت عنه فقيل لي: إنه من ولد عثمان بن عفان ﷺ وإن له أولادا وموالي ونعمة موفورة وإنه اطلع يوم في مرآته فصرخ وجن ولزم المسجد كما ترى وإذا أراد أهله أخذه ليداووه ويصونوه عاد بالقبر المكرم فتركوه قال: فراقبته نهارا فلم أرى منه اختلالا وراقبته ليلا فلما ذهب جنح الليل خرج من المسجد فتبعته حتى أتى البقيع فقام يصلي ويبكي حتى قرب طلوع الفجر وجلس يدعو فجاءت إليه دابة لا أدري أشاة أم ضبية ؟ أم غيرها ؟

فقامت عنده وتباجت فالتقم ضرعها وشرب ثم مسح ضرعها وقال لها: اذهبي بارك الله فيك فولت تمرح فانسللت فسبقته إلى المسجد فأقمت ليالي أخرج بخروجه إلى البقيع ولا يشعر بي فسمعته يقول في مناجاته: اللّهم إنك قد أرسلت إلي ولم تأذن لي فإن كنت رضيتني فأذن لي وإن لم ترضني فوفقني لما يرضيك عني، فلما جاء وقت رحلي أتيته مودعا فتجهمني فقلت له: أنا صاحبك منذ ليال بالبقيع أصلي بصلاتك وأؤمن على دعائك فقال: هل أطلعت على ذلك أحدا ؟ قال قلت: لا قال انصرف راشدا قلت: ما الرسول الذي أرسل إليك؟ قال اطلعت في المرآة فرأيت الشيبة في وجهي فعلمت أنها رسول الله إلي فقلت: أدع فقال: ما أنا أهل لذلك ولكن تعالى نتوسل إلى الله برسوله فقمت معه تجاه القبر فقال: ما حاجتك قلت: العفو فدعا دعاءا خفيفا فأمنت على دعائهم ثم مال على جدار القبر فإذا هو ميت فتنحيت عنه حتى فطن له الناس وجاء أولاده ومواليه فاحتملوه وجهزوه وصليت عليه فيمن صلى".

حكَايَةٌ

قال ابن عباد في شرحه من حكم: وقد أردت أن أذكر ها هنا حكاية لتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والآداب المرضية في أخذ البلغ من الدنيا والقناعة باليسير من الأشياء و رؤية منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر له سبحانه على ذلك.

قال بعضهم: خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيئة ومروءة فقال: من يبغي خادما؟ من يبغي ساقيا؟ فقلت: دونك هذه القربة فأخذها فانطلق فلم يلبث إلا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا وأثرت العصم في كتفيه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك، ثم قال: ألكم غير هذا؟ قلت: لا، وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا، ثم اعتزل وقعد يأكله أكل جائع فأدركتني الشفقة عليه فقمت إليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت له: قد علمت أنه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال: يا عبد الله إنما هي فورة جوع فما أبالي بأي شيء رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل إلى جانبي أتعرفه؟ قلت لا، قال: إنه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولدي سليمان ابن أبي جعفر المنصور وكان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر فأعجبني قوله ثم تجمعت به وآنسته وقلت له: يا فتى أنا رجل من إخوانك قد بلغني موضعك فأحببت الاتصال بك فهل لك أن تعادلني؟ فإني معي فضلاء من راحلتي فجزاني خيرا وقال: لو أردت هذا لكان لي معدا ثم أنس إلي وجعل يحدثني فقال: أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ وإني أمرت خادما لي

أن تحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير فبينما أنا نائم إذا بقمع ورد قد أغفلته الخادم فقمت إليها فأوجعتها ضربا ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة فآتاني آت في منامي في صورة فضيعة فهزني وقال لي أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشد يقول:

يأخـــذانك إن توســـد لينـــا

أو سرت بعد الموت صم الجندل

فامهـد لنفسـك صـالحا تسـعد بـه

فلتنـدمن غـدا إذا لـم تفعـــل

[الكامل]

فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي إلى ربي هاربا هذا خبري قال الراوي: لما قضى حديثه هذا انخلص عني ومضى.

تأمل يا أخي ما عليه أهل التوفيق فاسلك سبيلهم يتضح لك الطريق وتَرِدْ موارد أهل التحقيق وإن لم تفعل خِفْتُ عليك ترادف الحسرات وقت المضيق يا من يغشي به ليل الهوى متى يبدو لك من التوبة الصباح يا من غره شباب هذا الليل المشيب أتلفت فوتك في الشباب وفي الكبار فرج الفَلَاحْ يا كهل البطالة قد مضى [..][1] التسويف من عزيمتك الجناح أملكَ في الهند وربما كان مع شكك الصباح سيندم المفرطون وبم لها تحت النفوذ من سياح. ويحك تسلبك الأيام نفائس جواهر عمرك وأنت مسلوب وما علمت يا مسكين إنَّ كُلَ نَفَسٍ عليك محسوب، سترد وتعلم وتذكر ما

(1) كلمة مبهمة وغير واضحة في المخطوط.

ضيعت من عمرك وتندم سترى ما يحل بالعصاة من الهوى والهون حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ارجعون أيام البقاء قلائل فكيف وقد حض المشيب في لمتك علامة القبور ما أغفلك عن ظلمة القبر وأهوال تذوب لها الصخور ثم تقوم للحساب وأهوال يوم الحشر والنشور إذن ولى الشباب في الغفلة والشيخوخة في الكسل وهو علامة عدم الانتفاع شيب أبيض قلب أسود قُلِّي بماذا يكون الانتفاع يا دنس القلب لذكر الآخرة عندك ضيق صدر ولذكر الدنيا عندك اتساع ستعلم نصحي في الوعظ إذا جاءتك سكرات المنون ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾[1] ،تاب رجل ممن كان قبلكم ثم يقض فهتف به هاتف في الليل:

سأترك ما بيني وبينك واقف
فإن عدت عدنا والوداد سليم
فواصل قوم لا وفاء لعهدهم
وتترك مثلي والحفاظ قديم
[طويل]

يا هذا أقبل علينا ترى من إقبالنا العجب احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك يا هذا أحفر النهر إليك واجري الماء ليس عليك فاحفر ساقيه فاذكروني إلى جنب بحرا ذكركم فإذا بالغ فيها معول الكد فاضت عليك مياه [...][2] يسمع وبي يبصر ألقي بذر الذكر في أرض الخلوة وسق إليه ساقيه من ماء الفكرة لعلها تنبت لك شجرة " أنا جليس من ذكرني".

---

(1) سورة النحل:16، الآية: 111.

(2) كلمة غامضة.

كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري ثم انقطع زمانا، ثم حضر عنده وقد اصفر لونه ونحل جسمه وظهرت عليه آثار العبادة فقال له: يا فتى ما الذي أكسبتك خدمة مولاك من المواهب؟ فقال الفتى: يا أستاذ هل رأيت عبدا اصطنعه مولاه وأعطاه مفتاح خزائنه وأسر إليه سرا يحسن له أن يفشي سر مولاه؟ وأنشدوا في المعنى:

من ساررو فابدأ السر مشتعل
لم يأمنوه على الأسرار ما عاشوا
وباعدوه ولم يحض بقربهم
وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا
لا يصطفون مضيعا سرهم أبدا
حاش ودادهم من ذلكم حاشا
[البسيط]

يا أخي دنياك مبنية على الكدر ما تصفو منها ساعة لأهلها من الغير، الدنيا جيفة من شم رائحتها لحقه القدر من زاحمها تدنس وما عنده خبر، ومن آثر الفاني على الباقي ذمة نفسه خفر ما صفا منها شراب إلا لأهل الزهد[..][1] السحر يا من ترك الطريق حتى شاب ستعلم عند الموت ما الخبر يا من تخلف على ركب التوفيق حتى غاب الأثر يا من مشى في ظلمات الشهوات حتى عثر يا مطرود عن الباب فاز الأحباب بالفؤاد وما عندك خبر لا حيلة والله في القضاء لمن قيده القدر.

قال بعض الصالحين رحمه الله تعالى: سألت ذا النون عن ابتداءه قال: كنت شابا صاحب لهو ولعب ثم غني تركت ذلك في اللّهو وخرجت حاجا

---

(1) كلمة مبهمة.

ومعنا شاب حسن الصورة ففقد صاحب المركب مالا ففتش الناس واتبعهم ولما وصل إلى الشاب ليفتشه وثب وثبة من المركب حتى جلس على الماء ثم قال: يا مولاي أقسم عليك ألا أريتهم آية من آياتك وتأمر كل دابة في هذا البحر أن تخرج في أفواهها جوهرة جوهرة قال ذا النون: فما أتم كلامه حتى رأينا دواب البحر قد أخرجت رؤوسها وفي فم كل واحدة جوهرة تضيء، قال: ثم جعل الشاب يتبختر على الماء وهو يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[1] حتى غاب عنا رحمه الله تعالى سبحان من آنس أولياءه بذكره وملأ قلوبهم بأنواع معرفته.

قال أبو الفرج: "قلوب القوم مملوءة بذكر الحبيب ليس فيها سعة لغيره إن نطقوا فبذكره وإن تحركوا فبأمره وإن فرحوا فلقربه وإن ترجوا فلعتبه أقواتهم ذكر الحبيب وأوقاتهم بالمناجاة تطيب لا يبصرون عند لحظة ولا يتكلمون في غير رضاه بلفظة".

فَصلٌ

قال بن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "إن أهل الخصوص يتنعمون بالعبادة كما يتنعم غيرهم بالأطعمة ولذا ذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: مساكين الدنيا خرجوا منها ولم يذوقوا من نعيمها شيئا قالوا: وما نعيمها؟ قال: لذة الطاعة خرجوا ولم يذوقوها فلا دنيا لهم ولا آخرة لقد كان سيدنا ﷺ يقول: أرحنا بها يا بلال يعني: الصلاة.

---

(1) سورة الفاتحة 1، الآية:5.

ضيعت يا مسكين أيام الشباب في البطالة [...][1] لذاتك المثمرة لحزنك وحسراتك وستندم حين لا ينفعك الندم فلو عرفت مولاك يا أخي حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا قال أبو عبد الرحمان الأزدي رحمه الله تعالى: مررت بشاب قد دل رجليه في البحر وهو يكبر فقلت: مالك جالس وحدك؟ فقال: اتق الله ولا تقل إلا حقا ما كنت قط وحدي منذ ولدتني أمي إني معي ربي حيث ما كنت وملكان يحفظان علي وشيطان لا يفارقني، وإذا عرضت لي حاجة عند ربي قضاها لي ويحك كم في أحمال ذنوبك من أوقار كالشيبة أتدعوني فهذا المشيب فأين الوقار؟ وكيف يلذ عيشك وأنت لا تعلم مصيرك إلى جنة أو إلى نار، يا حامل الأوزار ما أغفلك عن أحوال تلك الدار فعند كشف الغطاء تنهتك لك الأستار وتعاين ما سمعته مشاهدة بالأبصار يا أخ الغفلة جد في طلب الآخرة فدونها أهوال والنار ويحك بادني شهوة تنال كيف وأنت لك الألوان من قدائح أقوال وأفعال، يا أهل الغفلة تيقظوا هذا نذير الشيب يؤذن بالارتحال كم شيعتم جنازة وهي تناديكم بصوت عال لو سمعته يا مسكين لتمزقت أوصالك قبل الوصال لكن غلب عليك طرس الغفلة ولك في البطالة مجال.

روينا في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين

---

(1) كلمة مبهمة.

تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء ولو سمعها الإنسان لصعق"[1] مثل أهل الدنيا في غفلة وطول آماله كمثل الحجاج ينزل منزلا فقام أقوام منهم يقطعون الصخور ويبنون البيوت وقال المتيقظون: ويحكم ما هذا البله الرحيل بعد ساعة لو علم المورد قصر عمره لتبسم اسمع يا من لا يحكه تشويق ولا يحزنه خوف فوات التوفيق إذا بمن كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة.

تزوج صلت بن أشين فأدخله ابن أبيه الحمام ثم خرج إلى بيت المرأة وقد طيب فقام يصلي فمد الصلاة إلى الفجر فعاتبه ابن أخيه فقال: إنك أدخلتني أمس بيتا أذكرتني به الله ثم أدخلتني بيتا أذكرتني به الجنة فما زال فكري فيهما حتى أصبحت.

كفى حزنا ألا أعاين بقعة
من الأرض إلا إزددت شوقا إليكم
وإني متى ما طاب خفض عيشة
تذكرت أياما مضت لي لديكم
[الطويل]

ومر بعض الفقراء بامرأة فأعجبته فتزوجها فلما دخل البيت نزعوا خلقاته وألبسوه ثيابا جددا فلما جن عليه الليل طلب قلبه فلم يجده فصاح خلقاني خلقاني

ما ساعفتني الليالي بعد عهدهم
إلا ذكرت ليالي بذي سلم

---

(1) البخاري: ح: 1251، باب حمل الرجال للجنازة دون النساء.

ولا استجد فؤادي في الزمان

هوى إلا ذكرت هوى أيامنا القدم

لا تطلبي لي إلا بدال بعدهم

فإن قلبي لا يرضى بغيره

[البسيط]

قال بعض صلحاء البصرة: خرجت ليلة مع بعض أصحابي نتمشى اضوء القمر وإذا بجارية في قصر لجندي وهي تغني وتقول:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

ما ترى العمر تولى رسول الموت

[الرمل]

قال: وكان هناك فقير وصاح وقال: أعيدوا بي وهذه حالتي مع الله تعالى قال: فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها: أقبلي إلى هذا الفقير أخذت تعيد عليه وهو يصيح حتى غشي عليه قال: فحركناه فإذا هو ميت رحمه الله تعالى، قال: فلما سمع صاحب القصر بموته نزل وأدخله وانصرفنا وعرفنا الناس بحاله لما أصبح رجعنا إلى القصر وإذا للناس يقبلون من كل مكان كأنما نودي بموته في البصرة حتى خرج القاضي والعدول وغيرهم وإذا الجندي صاحب القصر يمشي خلف الجنازة حافيا حاسر الرأس ولما دفن الفقير قال الجندي للقضاة: أشهدكم أن كل جارية لي حرة لوجه الله وكل أرباعي وأملاكي حبس في سبيل الله تعالى وفي صندوقي أربعة آلاف دينار فهي في سبيل الله تعالى ثم نزع الثوب الذي كان عليه ورمى به وبقي في سراويله.

وقال له القاضي: عندي ثوبان من وجه طيب أتقبلها ؟ قال: نعم فسيقا

إليه ولبسهما وانصرف هائما على وجهه، فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم على الميت رحمه الله تعالى وأعجبا كم لي أعاتب المهجور والعتب لا ينفع كم لي أنادي الطروش الغفلة لو كان النداء يسمع كم لي أحدث قلبك وفي فلاحك أتبع واها عليك يا جامد العين قط لا تدمع إن من علامات الخذلان قلبا لا يخشع.

ففي الحديث الصحيح: "اللّهم أني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع و من نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع"[1]، عقلك دهب في حب الفاني وأن الآن في الحرام تجمع عليك يا غافل في جمعه الحساب وتخلفه ويحك لمن لا ينفع بينما أنت في خراب اللّهو إذ قيل سافر فلان وليس في رجوعه مطمع ليت شعري كيف حالي وحالك في القبر والمقام في بحر بلقع لقد وعظتنا الأموات بحالهم لو كنا نسمع كانوا يتزايدون في المآكل والملابس والمراكب فإذا هم تحت التراب هجع فبادر رحمك الله أمرك قبل أن تعاين الخبر أما سمعت قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ ﴾[2].

قال القشيري في تحبيره: حكي عن أبي حفص الصفار وكان كبيرا في شأنه أنه قال: تهت في البادية أياما فعطشت مرة وضعفت فرأيت رجلا فاتحا فاه ينظر إلى السماء فقلت له: ما هذه الوقفة؟ فقال: مالك وللدخول بين المولى والعبيد؟ ثم أشار بيده وقال: هذا هو الطريق فنحوت نحو

---

(1) البخاري: ح: 2722، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(2) سورة القيامة 75، الآية:7- 13.

إشارته فما مشيت إلا قليلا حتى رأيت رغيفين على احدهما قطعة لحم حار وهناك كوز ماء قال: فأكلت حتى شبعت وشربت حتى رويت ثم رأيت الطريق فرجعت إليه وقلت له: ما التصوف ؟ فتبسم ثم قال لا [...][1] لاح فاصطلم فأظلم واستباح.

قال القشيري: يعنى بذلك أنه كشف يرد على الأسرار فيختطف العبد ويستبيح منه كل ماله حتى لا يؤمن لنفس شيئا والاصطلام محل القهر، فسبحان من أخلص أوليائه بخالصة ذكر الدار وصفى أعمالهم من شوائب الأكذار دلهم على طريق أنسه فكم حوت خزائن قلوبهم من أسرار وأحرم من ذلك أصحاب التخليط حملة الأوزار نعم أصفيائه بمناجاة الأسحار﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴿١٧﴾ ﴾[2] هنا وهناك فنعم عقبى الدار كم للعارفين تحت إطناب الرجاء من حنين وانين وتملق واستغفار أفاض الحق على تلك القلوب من مواهب وأسرار كم أشرق من صحائف أفئدتهم من أنوار كم أفادهم من علوم متسعة كالبحار كم لهم من خشوع وتذلل وخضوع وانكسار فيا حسن حال القانتين القائمين بالأسحار وجدوا لله بضاعتهم رابحة فيا فرحتهم بالكواعب الأتراب أما سمعت قول الكريم الوهاب: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴿٩﴾ ﴾[3] والحمد لله الذي فتح بصائر العارفين فزهدوا في الدنيا العاجلة لما

---

(1) كلمة مبهمة.

(2) سورة السجدة: 32، الآية:17 وتمامها قال تعالى:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

(3) سورة الزمر 39، الآية: 9 وتمامها قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ

علموا أن البقاء بها قليل عصر محاريب الرجاء بأنفاس المجتهدين فليس لهم في غيرها مقيل سقى قلوب المحبين شراب المحبة فذكرهم للحبيب دائما في الغدو والأصيل وأبعد المطرود عن بابه فليس له إلى الوصول من سبيل أعمى بصيرة الغافل فهو في بيداء الحرمان عليل، فسبحان من أوجدهم ولعمل الدارين يسرهم فريق منعم عليه وفريق مبعد ذليل قوم هداهم لقربه وقوم حيرهم بالقال والقيل فبادروا رحمكم الله بالتوبة قبل نداء الرحيل ما ينفع نداء المسافرين إذا نادوا بالويل والعويل وتمسكوا بما أنزله المولى الجليل في محكم التنزيل واقتدوا بسنة سيد المرسلين ﷺ وعلى آله صلاة تستعدها ليوم الرحيل ألا هي ما حيلة من طبع على النقص وطولب بالكمال ما قدرة من يطلب إلا قالة ولا يقال.

قال عياض في مداركه: كان أحمد بن معتب بن أبي الأزهر من فقهاء المالكية من أصحاب سحنون قال فيه أبو العرب: كان معتب ثقة فاضلا صحيح اليقين بالله سبحانه كانت له صلاة طويلة بالليل وبكاء حتى كان يسمع جيرانه بكاءه وصراخه وكان له نسك وخشوع وحسن خلق وزهد وكان سبب وفاته أنه حظر يوما مسجد السبت بالقيروان فقرء قارئ ألهاكم التكاثر وقيل قرء﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ ﴿٧١﴾ ﴾[1] الآية.

وقيل: بل سمع بيت شعر فيه ذكر النار فخر صاعقا، قال ابن اللباد:

وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾.

(1) سورة الزخرف: 43، الآية: 71 وتمامها قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

حضرت مجلس الذكر يوم السبت وأحمد بن معتب حاضر وكان له بكاء ونوح وكان القراء إذا علموا به تحركوا وقرؤوا وعبوا فأنشدوا بيتين فقال:

دع الـدنيا لمـن جهـل الصـواب

فقـد خسـر المحـب لهـا وخابـا

يظـل فتـارة يبكـى ببـث

ويطـوى الليـل بـالأحزان دابـا

فلما ولوا هنا تحرك وبكى ثم قرأ قارئ : "يا عباد لا خوف عليكم" الآيات الثلاث فصاح صيحة شديدة ثم سقط على وجهه فأقام ساعة واستنده إنسان لصدره وكلم فلم يتكلم وقد أغلق فاه شيئا أخضر فلما انفض المجلس وختم بالدعاء أردنا أن نحمله على دابة إذ كان لا يثبت فحملناه في محل وخرج من في المسجد يبكون كأنه مات فأتينا به إلى داره و تركناه لنسابه فلما كان العشاء الأخير توفي رحمه الله تعالي ولم يتكلم ولم يفتح عينه وغلقت الحوانيت كأنه يوم عيد وحضرت غسله وقد كسي نورا وبياض برد وصلى عليه حمديس القطان وفات كثيرا من الناس الصلاة عليه لكثرتهم ونودي على جنازته يا أيها الناس لا تفتكم جنازة أحمد بن معتب شهيد القرآن قال بعضهم: أن أحمد بن معتب مر ذلك اليوم في طريقه إلى مسجد السبت بدار فسمع غناء فقرع الباب فخرج إليه صاحب الدار فاستأذنه في الدخول فاستحي صاحب الدار واعتدل فقال له: لا بد فدخل صاحب الدار وغيب ما كان بين أيديهم من شراب ثم أذن له فدخل وسلم وقال: من المتكلم؟ فقالوا: هذا فقال: سألتك بالله تعالى إلا ما أعدت ما سمعته منك؟ فقال مغنيهم:

العفو أولى لمن كانت له القدر

لا سيما عن مصد ليس ينتصر

أقر بالذنب إجلالا لسده

فقام بين يديه وهو معتدل

فبكى وحن وأنى ورده مرارا وانتحب وقام وقال: تاب الله عليكم وخرج وتاب صاحب الدار وصار أحمد إلى مسجد البيت فكان منه ما ذكر ليالينا بني الأثلاث عودي ليورق في رباب الأثلاث عودي فإن نسيم ذاك الشيخ أذكى لدي من أن أشم نشر عودي وإن حديثكم في القلب أحلى وأطيب نغمة من صوت عودي.

فَصْلٌ

الحمد لله الذي ألف بحكمته بين لطائف الأرواح وكشائف الأشباح جعل الليل والنهار جناحي الأعمار يطيران لآخرة بلا ريش ولا جناح، سقى أولياءه شراب الأنس فللّه ما أحلاه من راح زينوا روضة الرجاء بأزهار تهجدي فهم بين صبوح وغبوق وبين ريحان وراح، نظروا إلى الكون فما رأوا سواه فليس عليهم في هيمانهم بذكر مولاهم جناح غشي بصائرهم نور معرفته تترنم بالسنة من التوحيد فصاح.

والحمد لله المنفرد يعلم ما تكنه الضمائر وهجس في الأسرار ليس له في خلقه شريك ولا معين ولا أعوان ولا أنصار جل عن الأمثال والحدود والجهات والأقطار، تقدس أن يحصره فكرا أو محيدا أين أو يدركه وهم وتنزه عن التشبيه والمقدار عجن طينة الخلائق بالعجز عن إدراكه[..][1] ذاته جل الواحد القهار جميع الوجود مقهورون بمقادير الأقدار مزج صفوة

---

(1) كلمة مبهمة.

العبد لكدرة الشهوة وغير بصيرته بغير الأغيار، أقام رقيب الأمر وعتيد النهي فهو بينهما في شدائد وإخطار تحصى عليه في ديوان أعماله الكبائر والصغار ترى من معه في بين مظلم خراب ينسيه فيه العواد ويمله الزوار وينفرد بأعماله ويطولها غربة وما أهولها من دار ثم يحاسب على ما اكتسب فأما إلى جنة أو إلى نار﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

والحمد لله الذي لا تكفيه الأوهام ولا تحيط به الظنون يعلم هجس الهاجس في الخاطر والخواطر وما تخفي العيون استوى على العرش وهو معكم أينما كنتم وتعالى على الحركة والسكون رفع السماء على عمد القدرة وأسكنها ملائكة عن ذكره لا يفترون سخرهم فيما شاء من أفعاله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[2]

دحا الأرض على بحر زاخر سجنه بقهره فهو مسجون مهدها للخلائق وبث فيها أقواتهم وفيها يرزقون ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[3]، أرسل إليهم رسلا يدعونهم إليه فمنهم مقبلون ومنهم مدبرون فالعارفون شمروا على ساق الجد وأهل

---

(1) سورة إبراهيم:14، الآية48 .

(2) سورة التحريم:66،الآية: 6-7، وتمامها قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

(3) سورة الروم: 30، الآية:19.

الغفلة في ليل القطيعة يترددون﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

أحمده حمدا من يعلم إنه العالم بما كان ويكون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نستعدها ليوم المنون وأشهد أن محمد عبده ورسوله شفيع الأمة يوم يبعثون صلى الله عليه وعلى آله ما ركع الراكعون وسجد الساجدون.

يا من تحدثه الحوادث وهو لا يسمع يا من تناديه العبر ارجع إلى الطريق لا يرجع، جس طبيب الموعظة قبض عزمك فما وجد في حياتك مطمع، كما تتمادى في الغفلة وثوب شبابك يقطع، كم ذا التمادي هذا نجم المشيب طلع، تبني ما لا تسكن وما لا تأكل تجمع، إذا ذهب منك فلس فاحزن وتفرح لعمر ولى وليس يرجع، أما عاينت وضع الأحباب في التراب في لحد خراب بلقع، يا من في سجن الغفلة مأسور، يا من ضرب بينه وبين السعادة بسور تظن أنك موصول وأنت في الحقيقة مهجور جسمك جسم حي وقلبك في الغفلة مقبور، فبادر ويحك لطاعة فما لك قوة على نار توقد بالصخور يا أيوب التوبة قل إني مسني الضر فعسى اللطيف يدوي المغمور.

قال رجل للدينور رحمه الله تعالى وهو يعظ الناس: يا شيخ ما الذي أصنع؟ كلما وقفت على باب المولى صرفني عنه صارف المحن والبلوى فقال له: يا أخي كن على باب مولاك كالصبي الصغير مع أمه كلما ضربته ترامى عليها وكلما طردته تمرغ بين يديها فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها

---

(1) سورة المؤمنون:23، الآية: 99.

هبك أنه صرفك عن بابه فإلى باب من ترجع ؟ إلى أي طريقة تذهب ؟ إلى أي جهة تقصد ؟ فلازم الباب فلعل وعسى يثمر عودا عسى يا من كثر تردده إلى المجلس ولم تزل قسوة قلبه لا تضجر فإن للدوام أثر جالس البكاء دين فتأثير الصحبة لا يخفى أما ترى دود البقل أخضر وحديث جليس السوء وجليس الصالح جاء في صحيح الخبر وكذا حديث " المرء على دين خليله"[1].

جاء في الأثر ولابن عطاء الله في المعنى:

ولو شئتم ما كنت مضنا بحبكم

وما علقت بالوصل لولاك أمالي

وأنتم ظهرتم لي خلال تحجبي

بحسن وإحساني و لطف وإفضال

وعرفتموني حبكم فعرفته

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (7319) وأبو داود في سننه برقم (4833) والترمذي في سننه برقم (2484) وقال حديث حسن ، وأخرجه كذلك أحمد في المُسند برقم (8015) و إسحاق بن راهوية في مُسنده برقم (351) وقال الأرنؤوط : إسناده جيد .

وفي معناه قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شر فجنبه سرعة وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردي فتردى مع

منقولا عن الأربعين في قواعد الدين للحافظ جلال الدين السيوطي

وغيبتمـوني عــن تمنــي أحــوالي

وعــذبتم قلبــي بعــذب عــذابكم

وسيرتموني مثلة بين أمثالي

ولمـا قطـع بـالخلق حبـا لوصـلكم

وباينت أخذاني وصارمت أشكالي

وبنـت علـى الأوطـان أبغـي توطنـا

بحضـرتكم فـي عـزة نـاعم الليـالي

اللّهم صل على الحبيب

هجرت وقلتم لست أهلا لوصلنا

وخيبــتم ظنــي وســعيي وتســالي

وأوقفتمـوني بـين بمـدمع علـيكم

ومــنكم دائــم الصــفح هطــال

فلا منزلي باق ولا الوصل فاصل

ولا القلـب لمـا لـم ينـل وصـلكم

وحقكــم لا عــدت إلا بوصــلكم

ولـو قطعـت دون التواصـل أوصـال

لمـن مرجعـي هيهـات إلا لبـابكم

فكونـوا كمـا شـئتم فحـالي بكـم

يا من راحل عزمه في طلب الدنيا لها إسراع هذا العمر ولى ويحك متى يكون الانتفاع إذا طلبت الآخرة تمشي رويدا، وفي طلب الدنيا أنت في

إسراع وأعجبا لك كيف تشد رحالك في طلب الفاني وفي طريق دنياك قطاع أنت في طلب الدنيا، صحيح الجسم وفي طلب الآخرة بك أوجاع، يا من إلى طريق التوبة فمن عن يسارك إلا حياة أو سباع، كم تعرج عن سبيل التقوى يا أعرج الهمة، يا من يبقى في صحار إلا راق أو اللفاع، عاصف هواك سفا على أرض عزمك رمل الحرمان فعميت عنك إلا ماكرا والبقاع ولذلك تسلك على غير الجادة ومالك استرجاع، يا من على عمره ليل الغفلة طلع فجر المشيبة فأين الإقلاع جد القوم فأن خوافي منزل إلا من فلبصائرهم نظر ولآذانهم سماع، نَعَّمَ سبحانه أحبابه بمناجاته في الخلوات وأنسهم إليه بالانقطاع جعلوا هممهم واحدا بين الرحيل إليه والايضاع والمحروم طريح على الطرد لا ندم ولا استرجاع أما سمعوا قوله سبحانه :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [1].

قال بعض صلحاء البصرة رحمه الله تعالى: "كانت بالبصرة عجوز قد بلغت من العبادة مبلغا عظيما وأقامت سبعين سنة تستغفر الله تعالى في كل شهر رمضان سبعين ألف مرة، فلما حضرتها الوفاة قالت لابنها يا بني كَفِّنِي في هذه المرقعة فلطالما استغفرت الله تعالى فيها، فلما ماتت نسي ولدها وصيتها حتى رجع من دفنها وجد الكفن الذي كفنها به في البيت ولم يجد مرقعتها التي أوصته أن يكفنها فيها فإذا بهاتف من جانب البيت يقول يا هذا خذ كفنك الذي كفنتها فيه فقد كفناها فيما يصلح لها وجعلنا مرقعتها معها حفظا لوصيتها، قال فرجع ولدها من ساعته إلى القبر فكشف التراب عنها

---

(1) سورة غافر: ، الآية:18 .

فلم يجدها فنودي من جانب القبر يا هذا أما علمت أن مثلها من المستغفرين لا يترك وحيدا بين التراب والديدان".

يا أعمى البصيرة عن طريق القوم عليك بتحقيق النظر القلب المظلم يمشي في شرك الشرك وما عنده خبر وقت الصائم كله عمل نهاره صوم وليله سهر ووقت المفرط كله غفلة وسيظهر له ما أصر من ذاق حلاوة الزهد استحلى تهجدا والسهر إن لم تدرك المجتهدين في أول الساقة ففي أعقاب السحر فيا من غلبه النوم حتى غاب عن القوم الأثر تيقظ ويحك من نوم الغفلة فهذا فجر المشيب ظهر وأذلة المحجوب إذا منع من المتاب أن أسمع قول المالك الوهاب ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[1] يا كثير الدرم والدنس يا من إذا قيل له أقبل على الطاعة انتكس يا من أمر بترك ما يفنى لما يبقى عكس جاء الأجل وحديث الأمل هوس يا مشغول باللذات الفانيات متى تستعد لملمات الممات ستندم إذا جاءك اليقين ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾[2]

قال أبو عامر الواعظ رحمه الله تعالى: "بينما أنا جالس في مسجد رسول الله ﷺ إذا جاءني غلام برقعة فإذا فيها مكتوب بسم الله الرحمان الرحيم متعك الله بمسافرة الفكرة، ونعمك بمؤانسة العبرة وأفردك بحب الخلوة، أيا عامر أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك، وأحببت زيارتك فبي من الشوق إلى مجالستك والاستماع إلى

---

(1) سورة الزمر:39، الآية 9 تمامها قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾

(2) سورة ص 38، الآية: 88.

محادثتك ما لو كان فوقي لأظلني أو كان تحتي لأقلني، فسألتك بالله الذي أدهق كؤوس بلاغتك وأوسع جداول إصابتك ألا أتحفتني جناح التواصل بزيارتك والسلام، قال أبو عامر: فقمت مع الرسول حتى أتى إلى بناء دار فأدخلني منزلا خربا وإذا بيت في الخربة مفرد له باب من جريد النخل وإذا برجل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروبا ومن الخشية محزون قد ظهرت في وجهه آثار أحزانه ونهبت من البكاء عيناه فلم يطق القيام فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: يا أبا عامر غسل الله تعالى من دين الذنوب قلبك ونفى من دنس الشهوات لبك لم يزل قلبي إليك طواقا وإلى استماع موعظتك مشتاق وفي جرح قد أعيا الواعظين دواءه وأعجز المتطببين شفاءه وقد بلغني نفع براهمك للجراح فلا تقصر رحمك الله في إيقاع الترياق وإن كان مر المذاق فإني ممن يصبر على الدواء رجاء الشفاء.

قال أبو عامر رحمه الله تعالى: فنظرت إلى منظر بهرني وسمعت كلاما قطعني ففكرت قليلا ثم تأتأ من كلامي ما فتح الله تعالى علي فيه فقلت: يا شيخ ارمي ببصر قلبك في ملكوت السماء واجعل سمع معرفتك في سكان الأرجاء فتتمثل لك بحقيقة إيمانك جنة المأوى فترى ما أعد الله تعالى لأوليائه ثم تشرف على نار تلظى فترى ما أعد الله تعالى فيه للأشقياء فشتان ما بين الدارين، قال أبو عامر: فأن أنة وصاح صيحة وقال: زدني رحمك الله فقلت: يا شيخ إن الله عز وجل عالم بسريرتك مطلع على حقيقتك مشاهدك في خلواتك قال: فصاح ثانية ثم قال: من لفقري من لفاقتي من لذنبي من لخطيئتي إلا أنت يا مولاي و إليك منقلبي، ثم خر ميتا رحمه الله تعالى قال أبو عامر: فسقط ما في يدي وقلت ماذا جنيت على نفسي فبينما أنا كذلك إذ خرجت إلي جارية عليها مدرعة صوف فقالت: يا أبا عامر

جزاك الله عن أبي خيرا ما زال يتمناك على الله تعالى ويقول: إن حضرت مجلس أبي عامر أحياني وإن سمعته ثانية قتلني قال ثم أقبلت على أبيها تبكي وتدعو له.

قال أبو عامر فقلت لها: أيتها الباكية رحمك الله أبوك قد قضى وورد دار الجزاء وعاين كلما عمل عليه محصى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى قال: فصاحت صيحة مثل أبيها قال: فخرجت مبادرا إلى مسجد النبي ﷺ فلما كان عند العصر وإذا بالغلام الذي كان أتاني بالرقعة من عند الرجل فقال: يا سيدي إن قدرت فاحضر صلاة الجنازة على الرجل وابنته قال: فحضرت جنازتهما ثم سألت عنها فقيل لي هما من ولد الحسين بن علي ﷺ أجمعين.

قال أبو عامر فبقيت مفكرا وفي أمرهما وخشيت على نفسي من موتهما على يدي فرأيت الرجل في المنام وعليه حلتان خضروتان فقال لي: يا أبا عامر لا تخف فقد أعطيت أنت مثلما أعطيت أنا وجعل يقول:

أنت شريكي في الذي نلته
مثلا فمل يا أبا عامر
من رد عبدا أبقا مذنبا
فناصح للسيد الغافر
وكل من أيقظ ذا غفلة
فنصف ما يعطاه للأمر

فَصْلٌ

يا هذا طاب الهوى للقوم فجدوا واقعد المأسور أما لك في بلاد الهند

وربما خرج اسمك في أهل القبور، كم من إنسان طلعت عليه الشمس وهو مسرور فما غربت وإلا وهو مقبور، يا من خرب شبابه في البطالة وقلبه بالشهوات معمور، كم تبهرج ويحك بالريا فالظاهر منك صحيح والباطن مكسور، غلب عليك صمم الغفلة لا حيلة في من سمعه موقور، ستندم يا غافل ولا ينفعك الندم وإذا نفخ في السور ذكر الآخرة عندك لمحة ولذكر الدنيا في قلبك سرور، يا من أقعده الحرمان هذه رفاق التائبين عليك عبور إن لم تساعدهم بإرسال بارد دموع إلا سف بارد، ما أظنك إلا كالمهجور إذا لم تنل في زمان الشباب أرباح العمل، فما تروى ما كتب لك في المصطور هذا نذير الشيب ينذر بالرحلة فهيأ للمسير يا مغرور بيت وصلك خراب وبيت هجرك يا بطال معمور، بادر عساك تجبر بالتوبة إناء قلبك المكسور، فاعتصم يا أخي في جميع أحوالك بمن إليه تصير الأمور فسبحان من بيده الخلق والأمر يقضي ولا يقضي عليه يكسر الصحيح ويجبر المكسور نقش في ألواح الأرواح يوم الإيجاد حروف الحبور والثبور وكل يجزي لما لا يدر في غيب عنهم عواقب الأمور ثم رماهم بسهم المنية فأصاب منهم النحور ثم أعلمهم سبحانه بعدله وفضله وأنه لا يجور فقال جل من قائل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[1]، إلهي حالي لا يخف عليك هذا ذلي ظاهر بين يديك منك اطلب الوصول إليك وبك استدل عليك فأهدني بنورك إليك وقني بصدق العبودية بين يديك.

---

(1) سورة آل عمران 3، الآية: 185.

يا أخي عليك بكثرة الدعاء ومحسن اللجوء لكن بتذلل وخشوع وتضرع وخضوع، قال القشيري في تحبيره: ومن اعتقد أن الله سبحانه هو الذي يفزع إليه في النوائب لا يسأل المخلوقين ولا يستعين [إلا][1] برب العالمين يغتنم خلواته ثم يصفي دعوته ويظهر بين يديه غصته ويرفع إليه بإخلاص القلب قصته فإن وافق دعاءه سابق القضاء فاز بالنجاح وجزيل العطاء، وإن كانت القسمة بخلاف ما طلب من البغية ألبسه الله تعالى لباس الرضا فهو بحسن أدبه بل بكمال وده ومحبته يعد المنع عطاء ومنحة والرد إجابة وقربة وقل من يوفق للدعاء ثم لا يستجاب له فإن من لا يكون أهلا لإجابة قلما ينطق لسانه بالمسألة.

قال ابن السماك رحمه الله تعالى: وصف لي رجل[2] من العباد فسرت إليه فوجدته في بيت قد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوضا بين يديه فسلمت عليه فرد علي السلام ردا ضعيفا ثم قال لي: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة قال: ما اسمك؟ قلت: محمد بن السماك قال لي: الواعظ؟ قلت: نعم فالقي الخوض من يديه وقال: ابن السماك يقال أن الواعظ من السامع بمنزلة الطبيب من العليل فأعرض علي شيئا من دواءك قال فقلت له: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى، كم بين يديك من ظلمة بينك وبين الصراط قال: فبكى بكاء عظيما وقال لي: يا ابن السماك وما بعد ذلك؟ قلت: حمل الأوزار والجواز على الصراط وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار، قال: فصاح الشيخ وسقط

---

(1) زيادة اقتضاها سياق الكلام.

(2) يقصد به : أبي زيد الخواص.

في قبره فخرجت روحه فأقبلت عجوز تمسح التراب عن وجهه وتقول: يا أبي هاتان العينان طالما سهرتا في طاعة الله وطالما ما بكتا من خشية الله عز وجل قال ابن السماك[1]: فخرجت من عنده وقد صغرت نفسي عندي وأنشدوا في المعنى:

تعود عبد سلمته ذنوبه إلى قسوة

سدت وجوه نجاته

ففر إلى المولى واسلم نفسه

وألقى إلى التقوى عنان حياته

ينادي إذا ما الليل أسبل ستاره

وطال غريق طرف في عبارته

وهاج لهيب الخوف بين ضلوعه

فبات حزين الجسم من زفراته

عسى ملك المولى يمن بعفوه

على مذنب قد تاب قبل وفاته

[طويل]

قال بعض السادات: مر بعض [الشاب] [2] بمقبرة فأخذ عظما ففتته فنفث في يده فغلبه البكاء وقال هكذا أصير فأقبل إلى أمه وقال لها ما يفعل

---

(1) ابن السَّمَّاك 344 هـ / 955 م) هو: عثمان بن أحمد بن عبيد الله بن يزيد، أبو عمرو الدقاق، ابن السماك :مسند بغداد. وبها وفاته.

(2) وجدتها هكذا في النص ولعلها : الشباب لأنها تتماشى وسياق الكلام.

السيد بالعبد الأبق إذا قدر عليه قال يضيق عليه قال لها يا أماه إن رجعت إلى ربي أيقبلني قالت يا بني كن مع مولاك كالولد مع أمه كلما طردته تضرع إليها قالت ثم شمر وأخذ في العبادة حتى نحل جسمه فقالت له يوما يا بني أين الملتقى فقال لها يا أماه إذا قامت القيامة فاسألي عني ملك خازن النار ثم صاح صيحة خرجت فيها نفسه رحمه الله تعالى.

فَصْلٌ

الحمد لله الذي رفع السماء وزينها بالنجوم للناظرين وجعل منها دلائل الاهتداء ورجوما للشياطين، جعلها خزائن وحيه يهبط بها الروح الأمين أسكنها ملائكة كراما بررة مطهرين، فمنهم عاكف على مشاهدة الحضرة، ومنهم في أفعالهم مسخرين، بسط بساط الأرض على متلاطم ماء معين قسم الخلق قسمين، ونوَّعهم للسعادة والشقاوة نوعين فهؤلاء من أهل الشمال وهؤلاء من أهل اليمين عدلا منه وقضاء تبارك الله رب العالمين، رتب الحفظة بحفظك وحفظ أعمالك كراما كاتبين ملائكة بالليل وملائكة بالنهار متعاقبين، ما أغفلك يا مسكين عن المراد بك وسيأتيك اليقين لا حيلة في دفع قضاءه أيها المسكين وإنما عليك العمل بالسنة والكتاب المبين فتيسير الأعمال الصالحات والعمل بها أمارات السعادة للمتقين وعمل السيئات وترك الصالحات علامة الشقاء للمبعدين "كل ميسر لما خلق له "[1] حديث والله صحيح بيقين ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ

---

(1) مسلم:ح: 171، وهو قطعة من حديث علي وقد صح أن بعض الصحابة لما سمعوا هذا الحديث منه قالوا: إذا نجتهد. وفي رواية: فالآن نجد الآن نجد الآن نجد، ففيه رد صريح على الجبرية المتواكلة الذين يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة .

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

والحمد لله الذي لم يجعل لمران العقول إلى معرفة كنه ذاته سبيلا، نور قلوب العارفين في معرفته ولاطفهم بلطائف أنسه فاتخذوه وكيلا يسر لهم أسباب القرب فمذ عرفوه ما أرادوا به بديلا فجر لهم ينابع الحكمة فشربوا من عذب معينها علما جليلا أخلصهم بخالصة ذكرى الدار وأفاض على بواطنهم سنا الأنوار، فأقبلوا بالطاعة متوجهين وكأن لهم في توكلهم كفيلا، سبقت له منهم سابقة السعادة فذلك المطلوب لهم تذليلا وأبعد المحروم التائه في تيه الحرمان لما غلبت عليه الشقاوة قريضا دليلا بهذا جرى القلم فما يصنع من بقي في تيه الطرد والبعد قتيلا ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[2]

يا هذا من وسع على نفسه في شهوته فتلك علامة شقوته، ومن ضيق عليها بالقناعة شكر سعيه يوم رحلته، ومن اشترى برأس حظ لعمره الغفلة ما أخسره في سلعته، طريق الخلاص ضيق من سافر طوبا له في سفرته الفقراء الصابرون جلساء الله، فكم يتمنى ذو الغنى أن تبدل جلستهم بجلسته حلمة الفقر، قال المقربين: وحيلة أهل الصفا من صفوته إذا طفيت سرج بيوتكم فقد أوقد لكم مصباح اليقين في حضرته، إذا طويتم بالطوى فقد وطوى لكم بيداء قرب محبته، إذا أجاع بطونكم فكم هيأ من موائد نعمته، إذا عريت أبدانكم فإضماركم حلل السندس والاستبراق في جنته،

---

(1) سورة يوسف12، الآية: 56، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(2) سورة الفرقان 25، الآية: 27- 28.

إذا ازدراكم أهل الدنيا فكم لكم من جولات بين الصفوف كل يشفع في معرفته، إذا لم تتبع جنائزكم فكم للملائكة عليها من ازدحام ومن أنس في بريته إذا أنساكم الذاكرون فأنتم بعين من صبرتم على خدمته سيادتكم تظهر في المحشر وحرمتكم من حرمته فقد أمر النبي ﷺ أن يكون معكم ومن أبعدكم من نفسه فقد أخطأ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]. لا تغرنك الدنيا أيها الإنسان ليس الخبر كالعيان، هو حديث فيها غاية البيان أين الملوك أرباب [التجاني][2]، أين كسرى أين بن ساسان، أين أصحاب الإيوان أصابهم ريب الزمان وصاروا حديثا يذكر بعد عيان، وأنشدوا هذا :

الخبر أصدق في المرء من الخبر
فمهد العذر ليس العين كالأثر
واعمل لأخرى ولا تبخل بمكرمة
فكل شيء على حد إلى قدر
وخل عن زمان تخشى عواقبه
إن الزمان إذا فكرت ذو عبر
وكل حي وإن طالت سلامته
يغتاله الموت بين الورد والصدر

---

(1) سورة الأنعام6 : الآية:52.

(2) لعلها المؤلف يقصد هنا التجني أي التعدي.

هــو الحمــام فــلا تبعــد زيارتــه

ولا تقــل ليتنــي منــه علــى حــذر

يــا ويــح مــن غــره دهــر فســد بــه

لو يخلص الصفد إلا شيب بالكدر

أنظــر لمــن بــاد تنظــر آيــة عجبــا

وعبــرة لأولــي الألبــاب والعبــر

أيــن الأولــى جنبــوا خــيلا مســومة

وشــيدوا إرمــا خوفــا مــن القــدر

لــم تغنهم خيلهم يوما وإن كثرت

ولــم تفــد إرمــا مــن حــادث النكــر

بــادوا فعــادوا حــديثا إن ذا عجــب

مــا أوضــح الرشــد إن كــان ســيء

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا

أن المقــام بهــا كــاللمح بالبصــر

[البسيط]

قال الغزالي[1] في الإحياء: "روي عن مسلم العبداني قال قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسواري فنزلوا على الساحل فهيأت لهم طعاما ودعوتهم إليه فلما وضعت الطعام بين

---

(1) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، صاحب كتاب " إحياء علوم الدين"، ت: 505هـ . وفيات الأعيان:4/216.

أيديهم قائلا يقول رافعا صوته:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم

ولذة عيش غيها غير نافع

[الطويل]

قال فصاح عتبة الغلام صيحة خر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة إخواني يقول الله تبارك وتعالى: "لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة"، قيل ليزيد بن مرثد مالي[1] عينك لا تجف ؟ فقال: والله لو توعدني ربي سبحانه بأن يسجنني في الحمام لكنت حريا ألا تجف لي دمعة فكيف وقد توعدني بالنار يا أخي امتطى القوم مطايا الرجاء على مركب السهر فما حلموا ولاحوا رحالهم حتى السحر، درسوا القرآن فقرسوا بأيدي الفكر أزكى الشجر ومالوا إلى النفوس باللوم فلا تسأل عما شجر رجعوا بنيل القبول من ذلك السفر ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر فإذا جاء النهار قدموا طعام الجوع وقالوا للنفس هذا الذي حضر:

حذوا عزمات طاحت الأرض بينها

فسار سراهم في ظهور العزائم

تراهم نجوم الليل ما يبتغونه

على عاتق الشعر أوهام النعائم."[2]

[الطويل]

---

(1) هكذا في المخطوط والصحيح مال.

(2) الإحياء: 293/2..

قال الغزالي في الإحياء :" كانت شعوانة تقول في دعائها إلهي ما أشوقني إلى لقائك، وأعظم رجائي لجزائك، وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين، ولا يصل عندك شوق المشتاقين، إلهي إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك، إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها، وبقي لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها، إلهي إنك لم تزل في بر أيامي حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي، ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يشفعه عند مماتي بغفرانه، إلهي كيف ايئس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي، إلهي إن كانت ذنوبي أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتولى من أمري ما أنت أهله، وعد بفضلك على من غيره جهله، إلهي لو أردت إهانتي لما أهنتني ولو أرضت فضيحتي لما سترتني، فمتعني بِمَالِهُ هديتني وأدم لي بما به سترتني، إلهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري، إلهي لو كان ما قرفته من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفته من كرمك ما رجوت ثوابك"[1].

قال محمد بن معاذ بن جبل: "حدثتني امرأة من المتعبدات قالت: رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابه فقلت: ما شأن أهل الجنة قيام ؟ فقيل لي: خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرف الجنان لقدومها فقلت: ومن هذه المرأة؟ قالوا أمة سوداء من أهل الآيلة يقال لها شعوانة قالت فقلت: أختي والله قالت: فبينما أنا كذلك إذا

---

(1) الإحياء: 415/4.

أقبل بها على نجيب يطير بها في الهواء ولما رأيتها ناديت يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوتني مولاك فألحقني بك، قالت فنظرت إلي وقالت: لم يأذن لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين: ألزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى متَ.

يا نائم مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجر بالأغصان هز الخوف أفنان القلوب فانتشرت الأفنان فاللسان يضرع والقلب يخشع العين تدمع والوقت يستان خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نِعَمٍ ونعمان سرورهم أساورهم والخشوع يتجان خضوعهم حلاهم فما دمعهم دروا مرجان باعوا الحرص بالقناعة فما ملك أي شروان فإذا وردوا القيامة بشرى لولاكم ما طاب الجنان﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾[1]، أين أنت منهم يا نائم كيقضان كم بينك وبينهم؟ أين الشجاع ويحك من الجبان، مالي المواعظ فيك نجح موضع القلب باللّهو منك مدان، يا هذا قف على باب النجاح ولكن وقوف لهفان واركب سفون الصلاح فهذا الموت طوفان ويحك كم جهزت للمقابر كم شيعت من إخوان.

قال أبو قلابة: "أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بالليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت، ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكي يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم لا تعلمون وتقدرون على العمل، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله عنا خير الدنيا

---

(1) سورة التوبة:9، الآية: 21وتمامها قال تعالى﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾

أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نورا مثل الجبال" وأنشدوا:

وكـــم فـــي بطـــون الأرض بعـــد
محاســـنهم فيهـــا بـــوال دوافـــر
وأنـتَ علـى الـدنيا مكـب منـافس
لخطاياهـا فيهـا حـريص مكـاث
على خطـر تمسـي وتصبح لاهيا
أتـدري بمـاذا لـو عقلـت تخـاطر
وإن امـرؤ يسعـي لدنيـاه جاهـدا
ويذهل عن أخراه لا شك خاسر
وفـي ذكـر هـول المـوت والقبـر
عـــن الشـــغل باللـــذات زاجـــر
أبعـد اقتـراب الأربعيـن تربـص
وشـيب فـي ذاك منـذ ذلـك ذاعـر
كأنـك مغتـر بمـا أنـت صـائر
لنفسك عمدا أو عن الرشد جابر
فجـد ولا تغفـل فعيشـك زائـل
وأنـت إلـى دار المنيـة صـائر
ولا تطلـب الـدنيا فـإن طلابهـا
وإن نلـت منهـا ثـروة لـك ضـائر
وكيف يلذ العيش من هو موقر
بموقف عدل حين تبلى السرائر

لقـــد خضـــعت واستســـلمت

لعـزة ذي العـرش الملـوك الجبـابر

[الطويل]

قـال أبـو زكريـاء التميمي: "بينمـا سـليمان بـن عبـد الملـك فـي المسـجد الحرام إذ أوتي بحجر منقوش فطلب بمن يقرأه فأوتي بوهـب بـن منبه فإذا فيه: يا بن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي لك من أجلك أزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب، ولا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا".

قال أبو محمد الزاهد: "خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داوود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله وكل ما هو آت قريب".

إخواني إنما الليل والنهار مراحل ومركب العمر قد قرب الساحل فانتبه لنفسك وازدجر يا غافل قال بعض أهل داوود الطائي قلت له يوما: إنك قد عرفت فأوصني قال: فدمعت عيناه، ثم قال: لي يا أخي إنما الليل والنهار مراحل يرحلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم من أول مرحلة زادا لما بين يديك فافعل فإن انقطاع السفر قريب والأمر أعجل من ذلك فتزود لسفرك واقضي ما أنت قاض من أمرك فكأن بالأمر قد بغتك ثم قام وتركني ولله در القائل:

ومـا هـي إلـى ليلـة ثـم يومهـا

ويـوم إلـى يـوم وشـهر إلـى شـهر

مطايـا يقـربن الجديـد إلـى الـبلا

ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

ويتـركن أزواج الغيـورة لغيـره

ويقسـمن مـا يحـوي الشـحيح مـن

[الطويل]

وأنشدوا:

أمـا آن للـنفس أن تخشـع

أمـا آن للقلـب أن يقلـع

تغـض الزمـان ولا مطمـع

لمـا قـد قضـى منـه أن يرجـع

تغـض الزمـان فـوا حسـرتي

لمـا فـات منـه ومـا ضـيع

ويـا ويلتـاه لـذي شـيبة

يطيـع هـوى الـنفس لمـا دعـا

[المتقارب]

ذكر عياض في مداركه: "عن عبد العزيز بن علي النصري أنه قال: كنا نختلف إلى أبي الذكر فجلس إلينا مرة شاب فكان يجيب في المسائل أحسن جواب فجعل يختلف إلى الحلقة زمانا وعلى وجهة أثر سفره، وكان من أحسن الناس وجها وعليه ديبقتان وطيسان ونعل شراكه أسود، وكان لا يلبسهما بشراك أسود إلا الشُطَّار فكنا نعجب من ذلك فلما دخل الشتاء

وغير الناس زيهم لم يغير الشاب زيه فقال لنا الشيخ أظنه مقلا ويجب تفقد حاله، فبادر الناس فجمعوا له مئة مثقال وعقدها الشيخ في خرقة حمراء وقال لأحد أصحابه: ارصد الشاب فإذا فال من الحلقة ترفعها إليه وتقول له جمعها لك الشيخ من وجه طيب فلما خرج الشاب من الجامع تبعه رسول الشيخ حتى أتى القرافة فدعا لصلاة على جنازة فتقدم فلما سلم أخذ الرسول بطرف ردائه فانفلت إليه فأدى إليه رسالة الشيخ وسلامه ودفع إليه الصرة فقال له: وما هي؟ قال دنانير، قال: وما أصنع بها قال: تصرفها في مصالحك وتجعلها حيث شئت من أهلك وأصدقائك فقال الشاب: مالي أهل يحتاجون إليها ولا صديق، فألح عليه الرسول وهو يمشي معه حتى قرب من المقطب[1]، فلما خشي فواته قبض عليه فقال الشاب: يا هذا أما علمت أن لله عباد لو شاء أن يجعل لهم الحصاد دنانير وحرك شفتيه قال الرسول فنظرت إلى الصحراء فإذا هي دنانير فتركت يدي منه وحفوت بيدي جميعا في الأرض حرصا على الدنيا فوقع في يدي دينار أملس بلا كتابة وتعلق الفتى بالجبل وفاتني وانصرفت حيران فلما أبصرني الشيخ قال لأصحابه إن الصرة سقطت منه فحكيت له الحكاية وأريته الدينار فقبله ووضعه على عينيه وفعل الناس كفعله ثم كان عند الشيخ حتى مات وأدرجه في أكفانه.

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم

---

(1) يقصد هنا جبل المقطم بمصر.

فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر

همـــــومهم جوالـــــة بمعســـــكر

بـــه أهـــل ود الله كـــالأنجم الزهـــر

فمـــا عرجـــوا إلا بقـــرب حبيـــبهم

وما ضجروا من مس بوس ولا ضر

فأجســامهم فــي الأرض تبلــى بحبــه

وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسر

[الطويل]

يا من ضيع عمره في خذ وهات لا تغرنك نفسك بالأماني ودع عنك النزاهات هيهات هيهات ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت، يا مغرور ما يدريك لعلك اسمك كتب في الأموات لا تنال ويحك المعالي بالأمالي هيهات هيهات ستعلمن قولي إذا جاءك اليقين وعاينت ما أعد للمتقين ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾[1] ستعلمون إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار، أشغلت نفسك ويحك بنظيف الثياب عن جزيل الثواب، يا مخدوعا بدنيا شبيهة بالسراب، أخطرت في نظرك لنفسك طريق الصواب شغلت بالفاني يا من ظاهره بالدنيا شديد أطلاب وباطنه من الآخرة خراب نسيت مصيرك من التراب وما شيعت إليه من أحباب ألم تخبر في الحديث المأثور أن الدنيا قنطرة للعبور فلما ضيقتها على السالكين بالدور والقصور أما علمت أن نظر عرفاء العارفين يقضي بهدم ما بني في محاج المسلمين.

---

(1) سورة ص 38، الآية: 88.

بَابٌ جَامِعٌ لِفُصُولٍ مُحتَوِي عَلى كَلِمَاتٍ وَعِظِيَةٍ وحِكَمٍ نَورَانِيَةٍ وحِكَايَاتٍ عَجِيبَةٍ لأَربَابِ القُلُوبِ

وقد روى أبو بكر الخطيب عن أبي بكر الكتاني أن الحكايات جند من جنود الله تعالى تقوى بها أبدان المريدين قال الله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1]، الآية.

فَصْلٌ

الحمد لله العظيم سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه ذي العزة والجلال المنفرد بصفات الكمال، لا يصوره وهم ولا خيال، ولا يحصره حذو ولا مثال، ذي العز الدائم السرمدي والملك القائم الديمومي، والقدرة الممتنع إدراك كنهها، والسطوة المستوعر طريق استفاء وصفها نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع، ولاح في صفحات ذرات الوجود بأنه الخالق المخترع، وسمى عقل الإنسان بالعجز والنقصان، وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر في حلية البيان، وأحرقت سبحات الجلال أجنحة الفهم تعظيما وإجلالا، ولم يجد من فرط الهيئة في قضاء الجبروت مجالا، فعاد البصر كيلا والعقل عليلا، ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا، فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه، وتعذر على العقول تحديده وتكييفه، ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان، وخصهم من بين عبيده بخصائص

---

(1) سورة هود:11، الآية: 122، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

الإحسان، فصارت ضمائرهم من مواهب الإنس مملوءة، ومرآة قلوبهم بنور القدر مجلوة فتهيأت لقبول الأمر أداة القدسية، واستعدت لورود الأنوار العلوية، واتخذت من الأنفاس العطرة بالأذكار جلساء، وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى جرساء، واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها، وأنكرت مصائد الهوى وتابعاتها، وامتدت إلى المعالي أعناقها، وطمحت إلى العالم العلوي أحداقها، أجسادهم أرضية، وقلوبهم سماوية، نفوسهم في منازل الخدمة سيارة، وأرواحهم في فضاء القرب طيارة، يتنعمون بالخدمة في الدياجي، ويتلذذون في تقلبهم بالشاجي، سلوا بالصلوات عن الشهوات، وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات، يلوح في صفحات وجوههم بشرى الوجدان، وينم على مكنون سرائرهم نظارة العرفان، لا يزال في كل عصر وزمان منهم علماء قائمون بالحق، داعون للخلق، منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة، وجعلوا للمتقين قدوة، فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم، وتزهر في الآفاق أنوارهم، من اقتدى بهم اهتدى، ومن أنكرهم ظل واعتد، ولله الحمد على ما هيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد، والصلاة التامة على سيدنا محمد نبيه ورسوله وعلى آله وأصحابه الأكرمين الأمجاد، يا من ضيع عمره في خذ وهات لا تخدعنك نفسك بالأماني، ودع عنك النزهات هيهات هيهات ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت:

ألا كل حي هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين غريق
فقل لغريب الدار إنك راحل
إلى منزل نائي المحل سحيق
عليك بدار لا تزال ظلالها

ولا يتـــأذى أهلهـــا بمضـــيق

[الطويل]

قال الحسن بن جعفر الصامغاني في كتابه حلية الأنوار:" حدثني أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله البستاني ثم رفع الحديث إلى منصور الربيع قال: خرجنا من بغداد نريد شعيب بن حرب بالمدائن قال: فذاق عنا منزله فقلنا: يا أبا صالح إن معنا كتبا وأطرافا نريد أن نسمعها فقال: كم أنتم حتى أحدثكم بحديثين في الورع؟ فقلنا: له هات يا أبا صالح فقال: أما أحدهما فحدثني به حبيبي سفيان الثوري وأما الآخر فرأيته بعيني وباشرته بيدي قال: ضرب سفيان الثوري ذات يوم على منكبي فقال: يا أبا صالح ألا أحدثك حديثا في الورع؟ قلت: بلى، قال: بلغني أن عيسى بن مريم عليه السلام أتى المقابر فقال: يأ أهل القبور تخبرونا أو نخبركم؟ أو عن جوابنا منعتم؟ أما نساؤكم فقد استبدلنا بعدكم أزواجا، وأما مساكنكم التي سكنتموها فقد سكنها غيركم، وأما أموالكم التي اكتسبتموها فقد أتلفها غيركم، وأما أولادكم فقد حشروا في جملة اليتامى وهذا خبر ما عندنا فما عندكم؟ ثم دنا إلى قبر منها منفرد فضربه برجله وقال: عزمت عليك ألا ما قمت قال: فقام صدر جمجمة بلا يدين ولا رجلين فقال: ما أردت مني يا روح الله؟ قال: منذ كم أنت في الحساب؟ قال: منذ سبعين عاما، قال: لقد كنت كثير البؤس في الدنيا ما كنت في أهلها قال: كنت رجلا حمالا أحمل على رأسي أطلب حلالها وأنفق قصدا وأقدم فضلا فقال: حمالا تحمل على رأسك تطلب حلالا وتنفق قصدا وتقدم فضلا وأنت في الحساب منذ سبعين سنة؟ قال: نعم يا روح الله وأنه مما وبخني به ربي إذ قد وقفت بين يديه أني كنت حملت لجاري قصبا لأوديه إلى منزله وأعطاني عليه الكراء وأخذت منه شظية تخللت بها فلم أردها إلى موضعها فقال: عبدي اشترى

فلان جارك قصب بماله وأعطاك عليه الكراء لتوديه إلى منزله فأخذت منه شظية لا تملكها وأنت تعلم أني فوقك أطلع وأرى لقد هان إطلاعي عليك، قال فشاب مقدم رأس عيسى من هول ما سمع وقال هذا أصحاب الشظايا فكيف بأصحاب الجذوع.

وأما الحديث الآخر فإني خرجت إلى ساحل الشام وأريد مركبا وأريد الحج وإذا بفتيين جالسين فسلمت عليهما فردا علي السلام، فقلت لهما: ما يقعدكما؟ فقالا: نريد مركبا ونريد الحج فقال: وأنا معكما قال: فركبنا جميعا مركبا فيه قمح مصبوب قال: فلما صرنا غير بعيد أخذ أحد الفتيين حبة من القمح فألقاها إلى فيه فنظر إليه صاحبه فقال: ما صنعت ؟ قال: سهوت قال: وأنا أصحب من يسهو عن الله؟ يا ملاح قرب السفينة وإلى قذفت بنفسي في البحر قال شعيب فقلت: أنا بجهلي يا عبد الله في حبة قمح ألقاها صاحبك في فيه ترمي بنفسك في البحر ؟ قال فوثب وثبة كاد أن يمس رأسه سقف السفينة ووقع مثل الفرخ المذبوح يضطرب قال: فصببنا على وجهه الماء قال: فلما أفاق نظر إلي ولم ينظر إلى صاحبه الذي أذنب ثم قال لي: يا هذا كيف قلت استصغرت الحبة من القمح ولم تستعظم الجبار؟ إنه عصاه يا ملاح قرب السفينة وإلا قذفت بنفسي في البحر.

قال فقال لهم صاحبه: قربوه فوالله ما قال قولة قط فرجع فيه، قال: فتهاون به الملاح، قال: شعيب فالله أعلم على كم من قامة ألقى بنفسه في الماء فرأيت الماء قد ارتفع إلى صدره كأنَّ الله تعالى قد بعث ملكا يحمله على راحلته، قال: فغبنا عنه والقلاع بلا ريح قال: فالتفت إلى صاحبه فقلت: يا عبد الله ما رأيت مثل رفيقك هذا قط، قال: والله يا أخي إني لرفيقه

منذ ثلاثين سنة ما أخذ علي عثرة قبلها، قال فقلت: أنافي نفسي ثكلتك أمك يا شعيب إذا فاتك الماضي لا يفوتك الباقي وهذا يدل على منحا قوله: إن لم يعصي منذ ثلاثين سنة.

قال قلت: رحمك الله إذن لي في صحبتك فقال: هو ذا أنا وأنت على هذا اللوح قال: وكنت أقبل بوجهي عليه إذا تحدث وأفطر معه إذا أفطر قال وهو في كل ذلك غير مكترث لفقر صاحبه ولا يذكره كان لا شك أنه سيسبقه إلى الموضع الذي يريد قال حتى سرنا إلى مكة قال: فبينما نحن في الطواف إذا أنا برفيقه قدامي فارتعدت فرائسي تعجبا لما رأيت قال: ثم قلت في نفسي ما ينكر هذا لولي الله أن يكون سبقنا إلى الموضع قال: فقال لي رفيقه: ما لك؟ قلت: ها هو ذا صاحبك قال: فقال أين تراه؟.

قال قلت: هو ذا، قال: فلم يخرج عني حتى وقفت عليه فسلم عليه ثم قال له: يا أخي أقلني قال: فمضى فلم يكلمه ثم دار فسلم عليه ثم قال له أخي أقلني، قال له: لا إني أخرج عن الواجب إن أمسكت عنك بعد ثلاث ما كلمتك لب الله بتوبة، فقال: اللّهم لبيك بالتوبة من ذنبي إليك وقال الآخر لبيك اللّهم بالتوبة، ثم قال له: من هذا؟ قال له: هذا رفيقنا الذي وقف علينا في الساحل، قال فنظر إلي بوجه طلق ثم قال لي: جزاك الله عن رفيقي خيرا فقد كنت له أنيسا ومستراحا قال قلت: رحمك الله أتأذن لي في صحبتكما؟.

قال لها رسول الله ﷺ عن صحبة ثلاثة يأتمن اثنان على الآخر ونحن نكره أن نكون ثلاثة قال فقلت: إذن لي في صحبتكما ما دمتما بمكة؟ قال: ونسيت أن عند التروية يخرج الناس من مكة إلى منى، قال: فأردت أن أغالط من ينظر بنور الله قال: فكنت يومي ذلك معهما فلما صرنا بالأبطح

حال بيني وبينهما بعير فلم أراهما فعلمت أنهما قد وفيا لي فلما صرت إلى منى طلبتهما فلم أراهما وطلبتهما بعرفات ولم أراهما وطلبتهما بعرفات وبجمع فلم أراهما ولا أحدا أدلني عليهما ولقد حججت كذا وكذا حجة أطلبهما وأبحث عنهما فما أحد دلني عليهما فإن كان أحد من الأبدال أدركته ورأيته فذانك الرجلان من الأبدال يا أخي هذه حال القوم فهل أنت يا مسكين منتبه من النوم إلهنا مُنَّ علينا بما مننت به على أوليائك ولا تطردنا بفضلك عن بابك.

أنت العلي وأنت الخالق البارئ

أنت العليم بما تخفيه أسرار

أنت العلي فما للخلق مقدرة

في وسع عيش ولا بؤس وأقتار

تعطي الولاية أقواما فتلبسهم

ثوب المهابة محروسا من العار

تجول في ملكوت الله أنفسهم

تبدو مدامعهم خوف من النار

قد أسلموا الأهل والأوطان

ما إن ترى مثلهم من نازح الدار

يا طول حزني ترضى لوصلهم

يا ويح نفسي على بعدي وإدباري

لما لا أظل على الأشجان معتكفا

أدعـــو الإلـــه بإفصـــاح وإظمـــار

عســى الملـك يـذود الـنفس عـن

يجلـــو عماهـــا بتوفيـــق وأنـــوار

[بسيط]

قال الأوزاعي: كان شيخ قديم من أهل الشام يجلس في مجلسي كثيرا حتى أنست به لما رأيت من حبه في أهل الخير ولصدقه بهم وكثرة بحثه عن شرائع الإسلام، وكنت إذا فقدته في وقته الذي يأتي فيه ساءني ذلك وأمرضني حتى عرف ذلك مني أصحابي، فكان إذا طلع يا أبا عمرو قد جاء شيخك، فقال: فبينما هو عندنا ذات يوم جالسا إذ تذاكرت الرهبان وصبرهم على ضنك العيش وانفرادهم عن الإنس وتخليهم من الإنس والعمران والمنازل والبساتين والأوطان فقال الشيخ: يا أبا عمرو ألا أحدثك بأعجوبة رأيتها من راهب بأرض الروم، قال قلت له: نعم وكان قبل ذلك قليل الكلام لا يتكلم إلا فيما يعنيه من أمر دينه، قال: إني كنت أسير في زمان صقلان الخادم فأتى في حصن من الحصون قريبا من ساحل البحر فأدخلت في دهليس ضيق لا أرى فيه شمس ولا قمر فمكثت بذلك حينا، فلما طال ذلك علي واشتد الوثاق وضاق الخناق قلت للعلج الذي كنت في يده وكان يتعاهدني بالطعام والشراب وقد فهمت كلامه وأحكمت لسانهم ويحك إلى كم هذا الحبس الطويل أما وثقت بناحيتي بعدا وما أمنت غايلتي أو ما تخشى الذي تعبده في تعذيبي، قال: فما تقول يا عربي وماذا تريد قلت أطلقني على أني لا أعصي لك أمرا ولا أخالف لك رأيا.

قال: وتفعل؟ قلت: نعم لم أقل لك هذا إلا على الوفاء بذلك فأخرجني من حبسه وأمر بغلٍ من حديد فجعله في عنقي وجعلني راعيا وأطلق معه ماشية فقال ارعها قريبا من الحصن ولا تبعد وكنت أغم وأروح فمكثت بذلك حينا ثم تباعد بي المرعى فانتبهت إلى خبل فقلت لعل في هذا الجبل من الكلأ ما أشبع به غنمي فصعدت بها حتى إذا صرت إلى أعلاه فإذا هو جبل أقرع يابس كثير الحجارة قليل المرعى فبينما أنا أطوف به إذا أنا بصومعة من حجارة، فلما رأيتها كبرت الله تعالى كثيرا وهللته ومجدته وحمدته فاطلع علي من أعلاها شيخ أبيض الرأس واللحية قد سقط حاجباه على عينيه، فقال: يا أيها المكبر لله في هذا المكان من أنت ؟ قلت: رجل من العرب فإذا هو يكلمني بلسان عربي مبين فقال أمن أمة محمد العربي الخاتم للأنبياء والصائم؟ قلت: نعم وما علمك بذلك النبي وصيامه؟ فقال: سبحان الله ومن يجهل معرفة خاتم الأنبياء إلا الجاهل الغبي فما هذا الوثاق الذي في يديك قلت أوثقتني الذنوب ففعل بي ما ترى فقال: فما بالك في هذه البلاد التي ليس فيها سلطان؟ قلت: أسرتني الخطايا والمعاصي وهكذا يفعل بالمعاصي.

قال لي: إذا أقررت بالخطايا والذنوب فإن الرحمة منك قريب فأبشر إن كنت صادقا قلت: أتبشرني بالمغفرة والرحمة وأنا على غير دينك؟ فقال: أما أنا فعلى الإسلام فعلا ما أنت عليه أيها السائل قلت: لقد أقررت عني فأنستني مما أنا فيه وأسر بذكرك للإسلام وانتحالك له قال: فبكى ثم قال ويحك أوا؟ في قلبك من ذكر الدنيا ما يشغلك عن ذكر مولاك الذي بيده مماتك ومحياك ما كنت أرى أحدا يخرج من قلبه ذكر مولاه؟ قلت: يا أيها الصديق ما لي أراك في هذا الموضع ومن أين القوت ومن يأتيك به قال: فصاح صيحة أفزعتني، ثم قال: لو كنت صادقا لكنت مع الصديقين ولما

أقمت مع المتجبرين، ثم قال: يا ضعيف اليقين إن الذي خلق الرحا قد أعد لها الطحين فما سؤالك عن غيب قد حجب عنك يا مسكين؟ قال قلت: أحببت أن أعلم ذلك لأزداد يقينا وإيمانا وليكون قلبي من جولان الفكر مستريحا قال: إن الحاجة لها وجوه ولكن اخدم المولى على نصح يطعمك ولا تخدمه على طمع فيمنعك، اعمل لله عمل المخبتين إن كنت من المتقين ولا تعمل لمولاك عمل من يطلب الأجر فتكون كعبد السوء إن خاف مولاه أو رجاه عمل وإلا كسل وفشل قلت: صف إلي الطريق حتى أسلكه قال إنه طريق صعب على من أحب الدنيا فيه خشونة و حزونة وسهل على من كان قلبه بالآخرة معلقا، قلت: أنبئني لعل الله [يسردني] [1] له بيمنك ويرشدني له بدلالتك، قال: فإن كنت تريد ذلك وتبغيه وتطلبه فإياك أن تدخل حب الدنيا قلبك وتخطر ذكرها ببالك ولا تبالي على أي حال أصبح فيها حالك فإنها هي منزل بلقة ودار قلة ومنزل وإياك والحطام الفاني فإن جديدها خلق وأمنها فرق وحبها ملق تخدع سكانها وتقتل أبنائها وتغري أهلها وتمكنهم من ضرعها حتى إذا رضعوا من لبنها وتذوقوا حلاوة طعمها سقتهم كأس مرها فتفرقوا منها على ما تذوقوا فعرفوا عند ذلك وخيم عاقبتها وشدة مرارتها فرفضوها حين لم ينفعهم الرفض فويل لأبناء الدنيا أي حسرات تجرعوا وأي ندامة فيها وقعوا لو كانت أعظية القلوب إنكشفت لهم لما قاوموا الدنيا ولا تدنسوا بالعيوب تأمل يا أخي كلام أرباب الهمم العلية المعرضة عن الدنيا بالكلية ولله در القائل:

---

(1) كلمة وردت هكذا ولم استطع فهمها .

لا تلعبن بك الدنيا وأنت ترى

ما شئت من عبر فيها وأمثال

[بسيط]

كان الحسن البصري يقول: "تفقدوا الأعمال في ثلاثة في الصلاة والقرآن والذكر فإن وجدتموها فامضوا وابشروا ومن لم يجدها فليعلم بأن الباب مغلق"، ومر الحسن بقوم يبكون فقال رقة كرقة النساء ولا عزم إن كنتم صادقين فإذا رجعتم فأصلحوا ما بكيتم منه، وقال الحسن إن لله عبادا خفف عليهم الحساب في الموقف وذلك لأنهم عجلوا في الدنيا محاسبة أنفسهم فوقفوا عند همومهم وأعمالهم وأخذهم وإعطائهم فما كان لله حملوه واحتملوه وما كان لغير الله تركوه.

قال منصور: كان الحسن البصري يحدثنا ويبكي حتى نرق له، وقال الحسن: إن المؤمن والله ما يصبح إلا حزينا وما يمسي إلا حزينا، وكان الحسن لا يكاد تلقاه إلا وكأنه رجل أصيب بمصيبة، وقال يونس: ما رأيت أحدا أطول حزن من الحسن، قال الحسن: مات هرم بن حيان فجاءت سحابة تتبع جنازته تظل سريره حتى بلغ القبر فأظلت القبر ولما فرغ من دفنه رشت على قبره وما صبت حوالي قبره شيئا، وقال هرم بن حيان: لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها.

وقال: من خاف أدلج، فقال الحسن أدلج والله هرم في طاعة الله وأمسك عن محارم الله، قال عامر بن عبد قيس: عظمت هيبة الله في صدري فما هبت شيئا قط غير الله سبحانه ودخل واديا يقال له واد السباع فصلى به فأتى سبع منها فأخذ بمكبي عامر وهو يتلو هذه الآية : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ

مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [1]، فلما رأى السبع أنه لا يكترث به خل عنه وربض بحذائه فقال له رجل: يا عامر نشدتك الله ما هالك شيء مما رأيت؟ فقال عامر: إني لا أستحي من ربي إن أهاب شيئا غيره.

وكان مسروق بن الأجدع طويل القيام في الصلاة قالت امرأته: ما كان يدخل مسروق إلا وساقاه قد انتفختا من طول القيام فلما احتضر بكى وجزع وسئل عن ذلك فقال مالي لا أجزع وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي".

وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لما تعذب هذا الجسد فيقول له: إن الأمر جد كرامة هذا الجسد الذي أريد فلما احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع فقال مالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني والله لو أنبئت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه مما قد ضيعت والله إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب فيعفو عنه فلا يزول مستحيا منه أن ينظر في وجهه أيام حياته وقد أمرنا فتركنا ونهانا فارتكبنا وكان قد حج ثمانين حجة رحمه الله.

وكان عطاء السلتي إذا جنه الليل خرج إلى المقابر فوقف على القبور فقال:" يا أهل القبور رمتم فوا موتاه ، يا أهل القبور ما عملتم فوا عملاه، ثم يبكي فلا يزال كذلك حتى يصبح قال عطاء: خرجت أستقي مع الناس لقحط كان بالبصرة فلما صرت في بعض الخرابات إذا أنا بكف قد وضعت

---

(1) سورة هود: 11، الآية:103، وتمامها قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

بين كتفي فالتفتت فإذا أنا بسهرون المجنون فقلت: يا أبا يعلى قال: نعم قلت: من أين أقبلت؟ قال: من عنده قلت: وأين تريد قال: إليه قال: يا عطاء وأنت من أين تريد؟ قلت: أستسقي مع الناس فقال: يا عطاء بقلب سماوي أو بقلب خاوي؟ قلت: لا بل بقلب سماوي قال: هيهات يا عطاء قل للمدلسين لا يدلس فإن الناقد بصير ثم قال: يا عطاء استأنس ثم استوحش ثم اخل ترى العجب قلت: شرحا أبين من هذا رحمك الله فرفع طرفه نحو السماء ثم قال بحرمة البارحة إلا سقيتنا الغيث فقلت: وما كانت قصتك البارحة فأنشد يقول:

أستأنس به فلم أبغي سواه

مخافة أن أظل فلا أراه

فحسبك حسرة وظنا

لقلب مفور من مجالس أولياه

ثم ولى وهو يقرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

فصل

قال الحسن بن جعفر الصامغاني: بكى ثابت البناني حتى كاد يذهب بصره ، وقال ثابت البناني: ما يصيب المؤمن غم،ولا هم، ولا روعة، ولا مصيبة، ولا حزن، ولا نكبة إلا كان له كفارة.

وقال محمد بن واسع: سمعت نهار بن شمر يحدث عن أبي هريرة

---

(1) سورة ق: 50، الآية:22.

ﷺعن النبيﷺ أنه قال:" قال الله تبارك وتعالى لو أن عبادي أطاعوني سقيتهم المطر بالليل وأطلعت الشمس عليهم بالنهار وما أسمعتهم صوت الرعد"[1]، وقالوا: لو أن المؤمن لا يعصي ربه ثم أقسم على الله أن يزيل الجبال لأزالها، وقال بعضهم: المؤمن على خير ترحب به الأرض وتستبشر به السماء ولن تسيء الأرض إليه في بطنها وقد أحسن على ظهرها، وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال: يا رب كيف سلطت من لا يعرفك على من يعرفك؟ فقال عز وجل: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني، قال الحسن الصامغاني: كان إبراهيم بن أدهم على بعض جبال مكة يحدث أصحابه فقال له بعضهم: يا أبا إسحاق ما بلغ من كرامة المؤمن على الله تعالى؟ قال: بلغني كرامته على الله سبحانه أنه قال للجبل: زل لزال عن مكانه قال فتحرك الجبل من تحته فضربه إبراهيم برجليه وقال: ليس إياك أردنا إنما ضربتك مثال لأصحابي، وقال موسى بن سعيد: رأيت إبراهيم بن أدهم في البحر في الغزو وقد عصفت عليهم الريح فأشرفوا على الغرق فسمعوا هاتفا يهتف بأعلى صوته أتخافون وفيكم إبراهيم؟

وعن سفيان الثوري رحمه الله [قال][2]: قال الله عز وجل في بعض كتبه:" ما أحد أطاعني إلا استجبت له من قبل أن يدعوني وأعطيته من قبل أن يسألني".

وقال سفيان: ليس الخائف من عصر عينيه وبطي، إنما الخائف من ترك

---

(1) لم أقف عليه.

(2) زيادة اقتضاها سياق الكلام.

الأمر الذي يخاف منه.

وقال سفيان :

أطـوف بـأبواب الملـوك كـأنني

أخـو بطنـة والثـوب منـي نظيـف

ومـن شـق فـاه الله قـد رزقـه

وربـي بمـن يلجـأ إليـه لطيـف

[طويل]

وقال سفيان: ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية فيه قيل له: وأي شيء النية فيه يا أبا عبد الله قال: أتريد به الله والدار الآخرة؟، وقال سفيان: من أحب الدنيا وأسرته نزع خوف الآخرة من قلبه، وخرج سفيان الثوري يريد أبا حيلب البدوي وكان يرعى غنما له فأتاه فسلم عليه ولم يكن رآه فقال له: أنت سفيان الثوري الذي يقال ؟ قال قلت: نسأل الله بركة ما يقال قال فقال لي: يا سفيان ما رأينا خيرا قط إلا من ربنا قال قلت: أجل قال: ما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط إلا من عنده؟ قال ثم قال لي: يا سفيان منع الله عطاء وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم وإنما منعه نظر واختبار يا سفيان إن فيك لسانا ومعك شغلا سلام عليك ثم أقبل على عمله، وقال سفيان: لا تبلغون ذرة من هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله ومن أحب القرآن فقد أ حب الله افهموا ما يقال لكم، وقال سفيان: من خاف الله لم يضره أحد ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد، وقال سفيان: من أطاع الله لم تضره معصية أحد ومن عصى الله لم تنفعه طاعة أحد، وقال سفيان: العالم طبيب الدين والمال داء الدين فإذا رأيت الطبيب

يجر الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره، وقال سفيان: حرام على قلب أن يجد حلاوة الإيمان حتى يزهد في الدنيا وحرام على قلب يحب الدنيا أن يسكنه الورع الخفي.

قال حميد الرقاشي: رأيت داوود الطائي في المنام وقلت له: إلى من صرت ؟ إلى الجنة ؟ قلت بأي شيء؟ قال: رحمني الله سبحانه بالقرآن.

تنبيه

قال الصامغاني: يقال أربعة من كنوز الجنة: كتمان الفاقة، وكتمان المصيبة، وكتمان الصدقة، وكتمان الوجع، قلت: ويريد بالصدقة صدقة التطوع وأما الواجب فإظهارها أفضل للإقتداء.

كان الحسن في جنازة فيها نوائح ومعه رجل فهمَّ ذلك الرجل بالرجوع فقال له الحسن: إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك، قال محمد بن الحسن: سمعت منجال الطويل يقول: مررت أنا وسلام الأسود غلام إبراهيم بن أدهم في بعض القصور فإذا مغنية تغني وهي تقول:

إن كنت ملت إلى سواك
أو زال قلبي عن هواك
أو كان غيرك سيدي
فحرمت يا أملي رضاك

قال فركض سلام وأنشأ يقول:

ما مال قلبي إلى سواك
ولا تعديت عن هواك

وكـــل شـــيء يحـــن شـــوقا

إلـــى مليـــك فأنـــت ذاك

وقـــد تعـــدى ســـرور قلبـــي

قـــد ألـــف الحـــزن أو يـــراك

ثم صرخ ومات رحمه الله، وقال بشر بن الحارث: بينما أنا سائر في بعض طرقات الشام إذ نظرت فإذا أنا بفتى من أحسن الناس وجها فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فقال: رحمك الله من أين أقبلت ؟ قال: من عنده، قلت: وإلى أين ؟ قال: إليه، قلت: رحمك الله فيما النجاة، قال: في التقوى والمراقبة لمن أنت له متق، قلت: رحمك الله أفلا توصيني بوصية أحفظها عنك؟ قال: إن تفعل؟ قلت: إن شاء الله، قال: فرّ منهم ولا تأنس بهم واستوحش من الدنيا فإن الدنيا تعرضك للمعاطب، ثم قال: من عرف الدنيا لن يطمئن إليها ومن أبصر ضرها أعد لها دوائها ومن عرف الآخرة ألح في طلبها بالحجج ومن توهمها اشتاق إلى ما فيها فهان عليه العمل لها، ثم قال لي: كيف بك لو خطر بعقلك تملك أهلها وزخرف ما فيها وقول مالكها كوني فكانت تزيني فتزينت فالاشتياق إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين وأطيب لقلوب المستأنسين؟ ثم قال: أنسوا بربهم فالأمر فيما بينهم وبينه سليم وأسقطوا كل علاقة تقطعون وعارض يمنعهم فسقاهم بكأس فيه شربة فظلوا في عطشهم أرويا وفي ريهم عطشا، ثم قال لي: يا هذا أتفهم ما أقول ؟ وإلا فلا تعنيني فقلت: بلى أفهم إن شاء الله، فقال: الحمد لله الذي فهمك ورأيت السرور في وجهه، ثم قال لي: نعم هم الذين لا يملون عطاياهم من تحفه الواصلة إلى قلوبهم فالحكمة إليهم مائلة متواصلة لأنهم الأكياس الذين لا تدنسهم المطامع ولا تقطعهم عن

الله القواطع ليوث في تقلبهم أغنياء في توكلهم أقوياء في بصائرهم قد قطعتهم الخشية وولتهم العزلة فعيشهم اليقين وروحهم السكون ألين الناس عريكة وأشدهم حياء وأشرفهم مطلبا لا يركنون إلى الدنيا جزعا ولا يتطاولون فيها فزعا فهم خيرة الله من خلقه وصفوته من خالص عباده، ثم قال لي: يا هذا إن القلوب الحيية بدون هذا لها مقنع استعملنا الله وإياك بما وعضنا والسلام.

فصل

قال الحسن الصامغاني في حلية الأنوار قال وهب بن منبه:" قرأت في بعض الكتب حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة وظمأ الدنيا روى الآخرة وري الدنيا ظمأ الآخرة وجوع الدنيا شبع الآخرة وشبع الدنيا جوع الآخرة وحزن الدنيا فرح الآخرة وفرح الدنيا حزن الآخرة ومن قدم شيئا وجده وإلا مر بآخره.

وعن بعض الزهاد قال: "ما وجدنا شيئا هو أهون على الزهد في الدنيا من ذكر الموت فأميتوا بذكره ذكر الشهوات من قلوبكم واجعلوه نصب أعينكم وكونوا على عدة من نزوله بكم واحذر أن لا تكون النفس متطلعة إلى شيء من الدنيا.

قال أحمد بن أبي الحواري: بلغني أن هارون الرشيد قال: ما كلمت عالما قط أحلم من مخلد ولقد عجزت النساء أن يلدن مثل مخلد وأراد الرشيد أن يخرجه من الثغر ويحمله معه إلى العراق فقال يا أمير المؤمنين أحدثك بحديث ثم ترى بعد ذلك رأيك بلغني أن إبراهيم الخليل عليه السلام سأل ربه سبحانه أن يريه رفيقه في الجنة قال فأوحى الله إليه أن آيتي إلى موضع كذا وكذا قال فأتاه فإذا هو بشيخ يحمل حزمة من حطب وهو

يقول من يشتري مني الطيب بالطيب قال وكان إذ احتطب لا يكسر شجرة إنما كان يلقطه فباع حزمة برغيفين، قال فتصدق بأحد الرغيفين وحمل الآخر قال فصحبه إبراهيم حتى انتهى إلى بحيرة بينه وبين الغار الذي كان يكون فيه فقال لإبراهيم ارجع فإني أريد أن أمر على هذه البحيرة إلى الغار فقال إبراهيم وأنا أمر معك قال: ما أراك تطيق ذلك قال: ولما قال: لأني أنا أمشي على هذا الماء فقال إبراهيم: الذي سخر لك قادر على أن يسخر لي قال فمشيا جميعا عليها قال: فلما انتهيا إلى باب الغار قال له إبراهيم لو دعوت بدعوة قال: ما ترجو بدعوتي ولي دعوة مستجابة ولم أرى إجابتها قال وما هي قال بلغني إن له سبحانه في الأرض خليلا فسألته سبحانه أن يريني إياه قال له إبراهيم فأنا هو فعنقه فهو أول من تعانق الناس فقال له إبراهيم إني أحب أن تصحبني فقال له الأمر الذي قلت به مرافقتك يا إبراهيم خليل الرحمان دعني عليه لا تخرجني عنه قال له هارون الرشيد فنحن ندعك ولا نخرجك من الثغر.

قال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني يقول قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام:" يا موسى ما تعبد المتعبدون لي بمثل الورع عما حرمت عليهم ولا تزين المتزينون بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب المتقربون بمثل البكاء من خوفي فقال موسى يا اكرم الأكرمين فما تثيبهم عليه قال فقال الله تبارك وتعالى" أما عبادي الورعون فإنه لن يرد علي الموقف غدا أحد إلا ناقشته الحساب إلا الورعين فإني أستحي منهم وأجلهم أن أناقشهم الحساب، وأما عبادي الزاهدون فإني أمجدتهم الجنة يتبوؤون منها حيث شاءوا، وأما عبادي البكاؤون من خوفي فإني أسكنهم الرفيع الأعلى لا يزاحمهم فيه أحد"، قال أبو سليمان هؤلاء أرفع الثلاثة.

وقال أبو سليمان الداراني: الدنيا تطلب الهارب منها وتهرب من الطالب لها فإن أدركها الطالب قتلته وإن أدركت الهارب جرحته، وقال أبو سليمان: إذا جاع القلب صفى ورق وإذا شبع وروى عمي وطغى.

قال بعض الصالحين بينا أنا أسير في طريق إذ سايرني رجل فقال: ما تعدون الزهادة قلتك أن يزهد الرجل في المال والطعام وما أشبه ذلك قال: لا قلت: فما الزهد ؟ قال ألاّ تبالي من أقبل عليك بوجهه من الناس ومن أدبر عنك وأنت في ذلك موديا لحقوقهم ثم التفت فلم أر أحدا، ووعظ علي بن أبي طالب ﷺ رجلا فقال له: لا تكوننّ ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويسوف التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين إن أعطي منها لم يشبع وإن أمنع منها لم يقنع يحب المحسنين وليس منهم ويبغض المسيئين ويعمل عملهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ولا يتوب منها في حياته يتمنى المغفرة ويدأب في المعصية والله عزو وجل يقول: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[1]

إن سقم ندم على ما ترك وإن صح فهو آمن مغتر بصحته تعجبه نفسه ما عوفي وتقنطه إذا ابتلي لا يرضى من الرزق بما قسم له ولا يصبح صائما

---

(1) سورة فاطر 35، الآية 37: وتمامها قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

وهمته التصبح ويمسي وهمته العشاء وهو يعرف الحق لنفسه على غيره ولا يعرف الحق لغيره على نفسه اللّهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء ومجالسة المترفين أعجب إليه من مجالسة المخبتين فهو بحيرته متردد وفي فتنته متلذذ فإنا لله وإنا إليه راجعون نسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم من شرور أنفسنا ومساوئ أعمالنا وأستغفر الله لي ولكم إنه غفور رحيم جواد كريم.

فَصلٌ

قال صاحب حلية الأنوار: "مر الإسكندر بمدينة قد ملكها سبعة أملاك ثم بادوا فسأل هل بقي من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد فقالوا نعم إنسان يكون في المقابر فدعا به فقال ما دعاك إلى لزوم المقابر قال أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء فقال: لست كغيرك أنت من أبناء الملوك هل لك أن تتبعني فأحيي لك ذكرك وشرفك وأملكك إن كانت لك همة قال: إن همتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك قال: وما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم معه وسرور لا مكروه فيه قال: ما أقدر على هذا قال فامضي لشأنك ودعني أطلبه ممن يقدر عليه فقال الإسكندر هذا أحكم ممن رأيت".

وقال وهب بن منبه: طلبت صحف إبراهيم عشرون سنة فوجدتها بأرض الروم فإذا بأولها: "إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف عن الشهوات ابتغاء مرضاتي وقطع نهاره في ذكري ولم يبت مصرا على خطيئته ولم يتطاول على خلقي يطعم الجائع ويكسو العاري ويرحم المصاب ويؤوي الغريب أكلأه بقوتي وأستحفظه بملائكتي مثله في الناس كمثل الفردوس في الجنان لا تيبس ثمارها ولا تتغير عن حالها إن دعاني

أجبته وإن سألني أعطيته وإن استغفرني غفرت له فذلك الذي أشرق نوره مثل الشمس وأجعل له في الجهالة حلما وفي الظلمة نوارا، قال محمد بن الحنفية: من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وأنشد بعض الحكماء:

كفلـــت لطالـــب الـــدنيا بهـــم
طويـــل لا يـــؤول إلـــى انقطـــاع
وذل فـــي الحيـــاة بغـــي
وفقـــر لا يـــدل علـــى اتســـاع
وشغـــل لـــيس يعقبـــه فـــراغ
وســـعي دائـــم مـــع كـــل ســـاع
وحـــرص لا يـــزال عليـــه عبـــدا
وعبـــد الحـــرص لـــيس بـــذي امتنـــاع

[وافر]

وقال رجل لحكيم عظني فقال: "إن كل يوم يرحلك مرحلة إلى الآخرة فكم عسى الأيام أن تدوم لك وهي لم تبقى لغيرك، وقال هشام بن عبد الملك لرجل من أهل الشام: عظني قال نعم فقرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ حتى إذا بلغ إلى قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[1]، قال يا أمير المؤمنين هذا الوعيد لمن طفف أو بخس مال

(1) سورة المطففين 83، الآية 1-6:

الناس فكيف بمن أخذه كله.

قال أبو ذر ﷺ: "الدنيا كدر ولن تصفى ولن ينجو منها إلا أهل الحذر لله وفيها علامات يغفلها الجاهلون ويعتبرها العالمون ومن علاماته فيها أن حفها بالشهوات فارتطم فيها أهل البطالات ثم أعقبها الآفات".

وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "إتحذوا الأيادي عند الفقر قبل أن تجيء دولتهم فإنه إذا بعث الله الخلائق للحساب نادى مناد بين الفقراء الرضوان بالفقر إلا من أطعمكم في الله لقمة أو سقاكم فيه شربة فأشفعوا له اليوم أشفعكم فيقوم الرجل على الرجل فيقول له تذكر كذا وكذا قال: فيشفع فيه فيشفع وروي أن رجلا كان يأتي الرسول ﷺ يخدمه ويخف عليه ففقده النبي ﷺ فقال: ما فعل فلان فقالوا يا رسول الله: لقد فقدناه كما فقدته قال: فانطلقوا بنا إليه فإن كان صحيحا زرناه وإن كان مريضا عدناه فأتوه في يوم شات شديد البرد ووجدوه قد جمع يديه إلى صدره من شدة البرد ما عليه إلا شيء يستره وما في بيته إلا التراب فقال رسول الله ﷺ: فقدناك يا فلان فقال: أما والله يا رسول الله ما خلق الله شيئا أحب إلي منك ولا أعز علي منك ومن النظر إليك وما حبسني عنك إلا العري والجوع فقال رسول الله ﷺ: يفعل الله ما يشاء فلما خرج من عنده قال لأصحابه هل رأيتم صاحبكم ؟ قالوا: نعم يا رسول الله قد رأيناه ورأينا جوعه وعريه وجهده قال: فإن هذا الذي ترونا لو قسم نوره يوم القيامة بين الخلق كلهم أغناهم وأنشدوا:

يا عائب الفقر ما تزدجر
عيب الغنى أكبر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله

على الغنى لو صح منك النظر

إنك تعصي كي تنال الغنى

ولست تعصي الله كي تفتقر

[رجز]

وقيل لأعرابي إن فلانا أفاد مالا عظيما قال: فهل أفاد معه أياما ينفعه فيها.

قال ذا النون المصري: الأنس بالله سبحانه نور ساطع والأنس بالله عز واقع وسمع بعض العابدين [يقول] [تقول] [1] في الطواف:

يا حبيب القلوب من لي سواك

أرحم اليوم زائرا قد أتاكا

أنت سؤلي ومنيتي وسروري

قد أبى القلب أن يحب سواكا

ليس سؤلي من الجنان نعيما

غير أني أريدها لأراكا

[خفيف]

قال الربيع حاجب المنصور: أمرني أبو جعفر أن أرسل في جعفر بن محمد من يأتي به وقال: قتلني الله إن لم أقتله فتركته ليتناساه فقال لي: ألم آمرك أن تبعث إلى جعفر بن محمد أن يأتي به قتلني الله إن لم أقتله وأغلظ لي في الثالثة فبعثت إليه فجاء فقلت له : جعفر بن محمد بالباب فقال أدخله قد قتلني الله إن لم أقتله قال فدخل [حركت][2] شفتيه بشيء فلما أن

---

(1) جاءت هكذا في النص وتحتمل المعنيين

(2) كلمة لم استطع تمييزها، ولعلها حرك لأنها تتماشى وسياق الكلام..

دخل سلم فقال لا سلام الله عليك يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين [...][1] في سلطان وتبقيني القوافل قتلني الله إن لم أقتلك فقال له: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر وإن يوسف ظلم فغفر وإن أيوب أبتلي فصبر وإنه من ذلك النسل قال: فنكس طويلا ثم قال إلي يا بن عمي فأنت عندي يا أبا عبد الله السليم الناحية القليل القافلة جزاك الله من ذوي رحم خيرا ثم أخذ بيده فأقعده على [الطنفسة] [2] ، ثم قال يا غلام علي بالمنجفة والمنجفة مدهن كبير فيه الغالية فغلفه بيده حتى حسبت [...][3]. فاطرة ثم قال لي في حفظ الله [...][4] يا ربيع الحق يا عبد الله [...][5] وكسوته، قال الربيع: فلما خرج قلت له إني رأيتك قبل دخولك حركت شفتيك بشيء فما قلت ؟ وقال: إما أن لك مودة بنا أهل البيت قلت: اللّهم أحرصني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام ولا تهلكني وأنت الرجاء فكم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري وكم بلية بليتني بها قل لك عندها صبري فلم تخذلني فيا من رآني على المعاصي فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقطع معروفه أبدا ويا ذا النعمة التي لا تحصى عددا اللّهم أعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة أعطني ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك إنك وهاب

---

(1) كلمة مبهمة .

(2) غير واضحة.

(3) كلمة لم استطع تحديدها.

(4) كلمة غير مقروءة.

(5) كلمة مطموسة.

أسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا والعافية من جميع البدائل وشكر العافية يا أرحم الراحمين. قلت:" وهذه عادة الله سبحانه وتعالى مع أوليائه الواقفين ببابه.

قال القشيري في التحبير: حكى أن رجلا أمر هارون الرشيد بالمعروف وأغلظ له في القول فجرد عليه هارون وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال أربطوه معها تقتله ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك وكان بقرب البيت بستان فرئي الرجل في البستان وباب البيت مسدودا فأخبر هارون الرشيد بذلك فأوتي بالرجل فقال له:" من أخرجك من البيت ؟ فقال له: الذي أدخلني البستان فقال له هارون ومن أدخلك البستان ؟ فقال الذي أخرجني من البيت فقال هارون: أركبوه دابة وطوفوا به البلد وليقل قائل ألا إن هارون أراد أن يذل عبدا أعزه الله سبحانه فلم يقدر.

وقال رجل من أهل الشام: صاحبني رجل من النصارى في بعض الطريق فقلت له: أين تريد قال: أريد راهبا ها هنا أقتبس منه من بعض علمه قال: قلت أمضي معك إليه قال: إن شئت فأتينا على كهف جبل ناحية الطريق فوقف النصراني على باب الكهف ثم نادى بأعلى صوته يا معلم الخير أتيتك أقتبس من علمك شيئا فعلمني نفعك الله بعلمك قال فهتف به هاتف من داخل الكهف يا أيها السائل عن سبيل المنافع تيقظ من غفلة الجاهلين. قال: فقعد النصراني يبكي فقلت له: ما يبكيك أحسبه مريضا ولا أظن إلا قد دنا أجله وما أرانا نمطر إلا بابه قال: قلت فلو دخلنا عليه قال: إن شئت فتحررنا عليه في بطن الكهف حتى أتينا على موضع منه وعر فإذا نحن بشيخ كبير فسلمنا عليه فرفع رأسه فإذا دموعه قد بلت لحيته وقد

سقط حاجباه على عينيه فقال: ما أدخلكما علي ألم تكن الدنيا لكما واسعة وأهلها لكم أنس فلما رأيت من عقله ما رأيت قلت: إني والله أرغب بعقلك هذا عن النار فقال لي: ويحك وما الذي أيساني عندك من رحمة الله التي وسعت كل شيء فقلت له: إن رحمة الله لا ينالها إلا أهل الإسلام قال: وأنا ما أعرف غيره دينا قال فاشمأز النصراني وقال يا معلم الخير أرغبت عن النصرانية ودين المسيح ؟ فقال له ثكلتك أمك وهل كان للمسيح دين إلا دين الإسلام إن الله سبحانه لما خلق خلقه إختار لهم الإسلام دينا فمن رغب عن الإسلام فلا حظ له في الآخرة ولا نصيب، قال: فثار النصراني موليا فقلت له أرفق حتى أخرج معك فقال لي: (يعني الشيخ) فمن كتب الله عليه الشقاء لم يسعده أحد أبدا فقلت له: رحمك الله إعتزلت عن الناس واغتربت في مثل هذا المكان فقال لي: وأنت يا بن أخي وحيث ما علمت أنه أقرب لك إلى الله تعالى فأنته إليه وابتغ إليه سبيلا فلن تجد عوضا منه قال فقلت له: ألا أخرجك من هذا المكان فآتي بك أرض الخصب والريف قال: فبكى وقال: إنما الخصب والريف حيث يطاع الله سبحانه وأنا شيخ كبير ولا حاجة لي بالناس قلت: رحمك الله تعالى عظني قال: لا تؤثرن بحظك من الله أحد ولا تدخرن عن نفسك من نفسك شيئا وراع حدود الله سبحانه وجانب الهوى واغتنم طلب النجاة وإن صعب عليك المرتقى وأخرى لك جامعة لأمورك لا ترد بفعلك غير الله سبحانه.

شعر

وافيت بابك فأقبل عبدك الجاني

يا من بلطف وفضل منه أحياني

يا من هو الغاية القصوى لقاصده

عن باب جودك قبح الذنب أقصاني

رحماك رحماك يا من قد علا فدنا

يا من لعبد مكاني ليس ينساني

يا خالق الخلق يا من لا شريك له

يا من تعاظم في ملك وسلطان

كيف الغنا عنك يا سؤلي ويا أملي

يا من به عن جميع الخلق أغناني

مولاي حسن رجائي فيك يطمعني

وإن تماديت في ذنبي وطغياني

عرفتني بالذي ما كنت أعرفه

عوارف منك كانت أصل عرفان

إن لم يكن منك توفيق يساعدني

ما كنت أعلم إسلامي وإيماني

منك التقبل والتقصير من قبلي

فاصفح بفضلك عن جرمي

قطعت عمري في سهو وفي نسب

وضاع بين تفريط ونسيان

كم لي أضيع من فرض ونافلة

وكم أطعت هوى نفسي وشيطاني

لم أدخر لحياتي ما أسر به

مذ غرني أملي فيها وأغواني

يا مالئ الصحف بالآثام مثلي تب

وأضرع إلى الله في عفو وغفران

ولا تغرنك الدنيا بزهرتها

فيا ندامة من يغتري بالفاني

مولاي يا خير من يرجى بنازلة

أنت العليم بإسراري وإعلاني

محمد خير خلق الله كلهم

من جواز الحد في حسن وإحساني

وأخمد الشرك إذعانا له وأتى

للمعجزات [الذي] جاءت بتبياني

منها الغزالة لما عاقها جزع

شكت إليه كشكوى الهائم الجاني

والعين قد ردها في سرعة فعدت

كأنها لم تزل بين أجفاني

كذا الحصى سبحت في كفه وسقت

أنامل منه أروى كل ظمآني

مولاي يا خير من يلجأ إليه ومن

ترجى شفاعته في الإنس والجاني

ترياق جودك يشفي كل ذي سقم

كالمورد العذب يروي كل عطشاني

حسنت شعري بذكراكم وقد حسنت

مدائحي وسما مجدا بكم شأني

دخري مديحك يا من في مدائحه

تروي المدائح عن كعب وحسان

مني عليك سلام طيب عطر

ما غنت الورق في أوراق أفناني

وما تبسم روض من أزهاره

وهز ريح الصبا أعطى في أغصاني

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر

وعن علي الرضا من بعد عثمان

[بسيط]

روي عن خالد بن يزيد بن معاوية أنه قال: بينما أنا أسير في أرض الجزيرة إذ مررت برهبان وقسيسين وأساقفة فقلت لهم أين تريدون ؟ قالوا نريد راهبا لنا في هذا الدير نأتيه في كل سنة فيخبرنا بما يكون في ذلك العام حتى إلى مثله من قابل فقلت لأتين هذا الراهب فلأنظرن ما عنده وكنت معتنيا بالكتب القديمة وقراءتها ومعرفة الأزمان والكسفات وانتقال

الدول والسلطان فأتيته وهو على باب دينه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال ممن أنت أمن علمائهم أم من جهالهم فقلت ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم قال فإنكم تزعمون أنكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا تبولون ولا تتغوطون قلت: نحن نقول ذلك وهو كذلك قال: فإن كان له مثل ما في الدنيا فأخبرني به قلت: نعم مثله كمثله الجنين في بطن أمه يأتيه رزق الله في بطنها ولا يبول ولا يتغوط قال: فتربد وجهه ثم قال أما أخبرتني أنك لست من علمائهم قلت: ما كذبتك قال: فأنتم تزعمون أنكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا ينقص ذلك منها شيئا قلت: نعم نحن نقول ذلك وهو كذلك قال: فإن كان له مثل في الدنيا فأخبرني به قلت: نعم مثله في الدنيا كمثل الحكمة لو تعلم منها خلق الله أجمعون لم ينقص منها شيئا قال: فاربدّ وجهه وقال ما أخبرتني أنك لست من علمائهم قلت: ما كذبت ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم قال: فأنتم تزعمون أن الحسنة بعشر أمثالها قلت: نحن نقول ذلك وهو كذلك قال: فإن كان له مثل في الدنيا فأخبرني ما هو قلت: مثله في الدنيا كمثل رجل مر على ملأ فيهم عشرة أو أكثر فسلم عليهم فيردون عليه السلام أجمعون فاربد وجهه ثم قال ما أخبرتني أنك لست من علمائهم قلت: ما كذبت ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم قال: وأنتم ترون حقا عليكم في صلاتكم تستغفرون للمؤمنين والمؤمنات قلت: نعم قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: ما منهم من أحد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إلى كتب الله له لكل مؤمن ومؤمنة حسنة قال وأنتم ترون حقا عليكم إذا

سلمتهم السلام [إذا سلتم قلتم][1]علينا وعلى عباد الله الصالحين قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: ما منهم أحد يقول ذلك إلا رد الله عليه السلام من كل عبد له صالح في السماء والأرض قال قلت: إنك قد سألتني فعرفتك ما عندي فأنا أحب أن أسألك أيضا فقال لي: يا هذا يصير شبيه بالمناقضات ومكافئات على مقدمات والموضع لك فيه شركاء والوقت لا يبقى علينا ولنا أمور نريد أن نبادرها فقلت أنا أسألك عن مسألة واحدة لا أجاوزها فقال: هاتها قلت: بما وصل العباد إلى الله سبحانه وتعالى قال لي: مسألتك هذه جوابها منها قلت: بين لي قال: ويحك إن القوم لن يصلوا و إنما هو سبحانه وصله ومثل ذلك في كتابكم﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ﴾[2] فهذا دعاء ظاهر عام ثم قال لي ويهدي من يشاء فأعلمنا سبحانه أن مشيئته كانت سابقة لهم .

قلت: وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: "فإذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض رواه البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم.

وفي الحديث في مسند الجزار من استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة اللّهم ثبتنا على الإيمان وجد علينا بالغفران واخلع علينا خلع الإحسان بجودك وإحسانك يا رحيم يا رحمان

---

(1) زيادة من عندي اقتضاها سياق النص.

(2) سورة يونس : 10، الآية 25.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين صلاة ندخرها ليوم الدين ورضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فيا من له الفضل العظيم على
تفضل وزدنا رحمة وتعطفا
فأنت الذي ترجى لكل ملمة
وإن عظمت منا القطيعة الجفى
[طويل]

فَصلٌ

وفقني الله وإياك لمرضاته وأنعم علي وعليك بمواهبه وجزيل خيراته إني أذكر في هذا الفصل وما بعده من الفصول جملا من مراقب أهل الفضل إذ بحكاية أحوالهم تستنير القلوب ويرجا لها الفوز من لدن علام الغيوب وكما ترجى لمعتقدهم بركتهم كذلك يخاف على منتقدهم سوء الخاتمة عافانا الله من بلائه ومن الوقوع في أوليائه.

وقد روينا في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : "إن الله تعالى قال: من عاد لي وليا فقد أذنته بالحرب وما تقرب عبدي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجلاه التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ولئن إستعاذني لأعيذنه"[1].

---

(1) لم أقف عليه.

ولقد وقفت على كتاب سماه صاحبه بتلبيس إبليس[1] فذكر أنواعا من الكلام ثم جعل يقع في أكابر العلماء الذي جمعوا بين العلم الظاهر والباطن المجمع على فضلهم فوقع في الغزالي وفي المحاسبي وأبي القاسم القشيري وطعن على أبي نعيم الحافظ وعلى حليته وعلى أبي عبد الرحمان السلمي وبالجملة طعن على هؤلاء وضربائهم المجمع على فضلهم في زماننا هذا ولما وَقَّعَ شيخنا أبو مهدي عيسى الغبريني خاتمة علماء إفريقيا على هذا الكتاب وتأمله ألقاه من يده وقال له عليك والله لبس إبليس يا مسكين ورأيت هذا الكتاب هناك مهجور لا يلتفت إليه وزعم كاتبه أنه للجوزي وليس هو إن شاء الله بالجوزي صاحب المورد العذب الذي ألف كتبا عديدة في المواعظ وحكايات الصالحين وحاشاهم أن ينسب إليه بل هو مناقض له فإن أعيان الأولياء الذين [...] [2] هو كتبه ومواعظه هم الذين تعسف للرد عليهم هذا الشخص في تلبيسه.

ولما تأملت كلام هذا الشخص وجدته ينحو إلى مذهب الظاهرية فلم أشك أنه ظاهري ولم أرى له ذوقا في طريق القوم نسأل الله أن يعفو عنا وعنه وأن ينجينا وإياكم من الوقوع في أوليائه وإذا لم يفتح للعبد بما فتح الله به عليه من جزيل مواهبه فلا أقل من حسم الاعتقاد والتصديق بما يذكرونه من المواهب الربانية والتسليم لهم وحذاري حذاري من هذا الكتاب المذكور ولما وقف علي بعض الطلبة بهذا الكتاب المذكور حذرته منه وخوفته من مصيبة عاجلة تقع به فلم يكن إلا ليلة أو نحوها إلا وأصابته

---

(1) يقصد هنا الإمام العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي التيمي البكري إلا أنه في وقتنا هذا مازال منسوب إليه.

(2) كلمة مبهمة.

محنة فأدخل السجن وامتحن محنة ما رأى مثلها في عمره ولا يعترض على السائحين منهم وأهل التحقيق لما رواه البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده"[1] .

قال ابن أبي جمرة: هذا الحديث ليس هو على العموم لكل الناس وإنما هو للعوام وبعض الخواص ممن هو متردد في حاله وأما من كان من الخواص المتحققين فليس يتناوله لأنه ورد فيمن كان وحده وهذا ليس وحده يدل على ذلك قوله ﷺ: "أنت الصاحب في السفر وقوله ﷺ إخبارا عن ربه يقول:" أنا جليس من ذكرني" والخواص لا يزالون في الذكر فإذا حصلت صحبة مولاه ومجالسته في سفره فهي الطريقة المباركة ومثل ما نحن بسبيله قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾[2]. فأمر تعالى بالزاد عموما ثم نبه لأهل الخصوص لإعلاء الزاد وهو التقوى فمن كان من أهل التقوى فقد أخذ بأعلى الزاد وهو التقى ومن لم يكن له تقوى فلا يجوز له السفر إلا بالزاد المحسوس فإن سافر دونه كان عاصيا ودخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

---

(1) الحاكم حديث: 2493، ج: 111/2 ونصه كاملا بالسند : حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق أنبأ أبو المثنى ثنا مسدد ثنا بشر بن المفضل ثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال قال سمعت أبي يقول : قال : ابن عمر رضي الله عنهما قال نبي الله ﷺ: لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم لن يسير الراكب بليل وحده أبدا" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه صحيح

(2) سورة البقرة 2: الآية : 197.

إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (1)

وبالجملة فلا ينبغي الاعتراض على أولياء الله تعالى ولله در أبي العباس الغبريني لما ذكر كرامة بعض الأولياء في كتابه عنوان الدراية قال: وقد يقع في هذا إنكار من ملحد لا علم له وحقه الإعراض عنه وعدم الالتفات إليه وإرزاق فيصفع وجهه عوضا عن قفاه كما جمع الله له الجزاء في أولاه وأخراه.

وقال الشيخ الجليل أبو يعقوب يوسف بن يحي التاذلي رحمه الله تعالى في كتاب التشوف في رجال التصوف: "وجردت هذا الكتاب من علوم التصوف واقتصرت على إيراد أخبار الرجال فإن إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ﷺ وهو المنتهى في ذلك وقد ذكرت من فضائل الإحياء في أثناء ذكر الرجال الأكابر ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى وما طعن عليه إلا علماء الدنيا الذين أظهر عوارهم والنهار لا يحتاج إلى دليل فمن أحواله السنية ما حدثنيه شيخنا أبو القاسم أحمد بن يزيد قراءة عليه قال حدثني الشيخ الأجل الفقيه العلامة الأوحد أبو بكر بن طفيل رحمه الله قال حدثني رجل صالح من عقب بن عباد يكنى أبا الحسن كان نزل بمراكش حرصها الله تعالى وكان طبيبا ونسك في آخر عمره فكان يعيش من عمل الأمشاط عن الحاج المعروف بالبغدادي من أهل فاس أنه حدث بعد انصرافه من رحلته المتصلة من بلاد المشرق ومقامه ببغداد لطلب العلم وصحبته الفقيه أخي الفقيه الأوحد أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى قال كان الشيخ أبو حامد رحمه الله تعالى في آخر عمره قد غلب عليه التبتل واستسحاب

---

(1) سورة البقرة 2: الآية : 195.

أحوال المشاهدة وكان يأوي إلى موضع على مسافة أميال من بغداد ينفرد فيه للعبادة وكان يخدمه رجل من أهل الفضل والإرادة ويتكفل له بضرورياته إلى أن قضى نحبه وظهر ذلك من الكرامات ما أعرب عن علو نصابه في مقامات أوليائه فمما وصفه الحاج المذكور من ذلك أن قال كنت ملتزما حضوري بحلقة أخيه لسماع العلم وكان في بعض الأيام يلم به الرجل الذي كان يقوم بخدمة أبي حامد رحمه الله تعالى قال: فبينما نحن في بعض الأيام جلوس عنده إذ دخل عليه الرجل المذكور فدنا من الفقيه أكثر من عادته وأسر إليه حديثا فهمنا على آثره التغير العظيم في وجه الفقيه وقام على الفور ولم نقدر على مكالمته وغاب علينا يوما أو نحوه ولما رأيناه بعد ذلك استوصفناه عن السبب الذي أزعجه من مقامه فأخبرنا بوفاة أبي حامد وذكر أن ذلك الرجل المذكور المختص بخدمة أخيه حدثه أن أبي حامد رحمه الله تعالى في اليوم الذي مات فيه بالليلة المتصلة به استدناه ولم يكن به ألم ولا ظهور تغير فأعلمه أنه يموت في تلك الليلة وعهد إليه أن يروجه إذا مات في أكفان عينها له ويستدعي قوما من قرية كانت قريبا من موضعه ذلك بحضور الصلاة عليه ويضرح قبره في موضع عينه له ويضعه على شفيره ولا يتقدم أحد للصلاة عليه حتى يصلي شخص لا يعرف فيتقدم للصلاة عليه في غير أمر قال وبقي على حالته التي كان عليها لم يظهر عليه مرض ثم انغمس في الماء وتطهر وجن عليه الليل فأقبل على صلاته وذكره قال وكنت أتفقده الساعة بعد الساعة وأسمع تضرعه وخشوعه فلما أصبح تفقدته فألفيته قد قضى نحبه رحمه الله مستقبل القبلة ففعلت جميع ما أمرني به وحضر الناس للصلاة عليه وهو موضوع على شفير قبره فلما اعتدلوا للصلاة عليه شاهدوا رجلا يقبل من البرية ملتفا في ثوب مشتدا فلما وصل النعش سلم على القوم واستقبل

القبلة وتقدم للصلاة وصلى عليه وصلينا بصلاته ثم سلم وانصرف على أدراجه دون أن يكلمنا ولا نكلمه ولم تزل تتبعه أبصارنا حتى توارى عنا واشتغلنا [بعده] بدفن الفقيه أبي حامد رحمه الله وقضينا لما شاهدنا من كرامات العجب قال التادلي: وهذه الحكاية صحيحة ورأيت من يوهنها ويقول إنما دفن أبو حامد ببلده بطوس ولا يبعد أن يكون نقل إلى طوس قلت: ودعوا دفنه بطوس عندي ضعيفة فإن مقام أبي حامد كان ببغداد وما حل درسه في النظامية المدرسة المعروفة الشهيرة وفيها المختلف أخوه وقد عرف الغزالي بهذا المعنى في كتابه المنقذ من الضلال وتوفي الغزالي رحمه الله تعالى عام 513 ثلاثة عشر وخمسمائة قال التادلي: ومن الأولياء أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم كان فقيها حافظا للفقه زاهدا في الدنيا سالكا في التصوف سبيل [....][1] وهو من أهل فاس وبها مات عام 559 تسع وخمسين وخمسمائة.

وكان أبو الحسن يقول: "اعتكفت على قراءة إحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله تعالى فجردت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على حذف الكتاب فنمت فرأيت قائلا يقول "جردوه واضربوه حد الفرية فضربت ثمانين سوطا فلما استيقظت جعلت أقلب ظهري فكنت أجد الألم الشديد من ذلك الضرب فتبت إلى الله سبحانه مما اعتقدت ثم تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة حدثني بذلك غير واحد من الثقات عن أبي محمد عبد الله بن عثمان عن أبي الحسن بن إسماعيل بن حرزهم قلت: وحدث الشادلي ﷺ أنه عند وفاة هذا المضروب لما جرد

---

(1) كلمة غامضة.

للغسل وجد أثر تلك السياط في ظهره وهذا لرجل لطف الله به إذ حصل له الزجر الموجب لتوبته وإنما الصعب حالة من يمني له إلى وقت موته اللّهم إنفعنا ببركة أولياءك واحشرنا في زمرة أصفيائك ولا تطردنا بفضلك عن بابك:

عبـــاد الله ســـادات كـــرام
لهـم فـي الخيـر إن لاح انبعـاث
عـلا مـاتهم نحـول واصـفرار
وإخبـــات وإطمـــار رثـــاث
فهـــم للنـاس فـي الـدنيا أمـان
مـن الأمـر المخـوف وهـم غيـاث
أبـــانوا صـحبة الـدنيا وقـالوا
طلاقـــك فـــي الـــدنيا ثـــلاث

[الوافر]

فَصلٌ

قال صاحب عنوان الدراية في فضل أبي مدين ﷺ: "أنه كان في عصره إمام الزهاد والعباد وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد فتح الله عليه بمواهب القلبية وأسرار الربانية استفادها بالتوجه والعمل وارتقى فيها إلى غاية ما يؤمل سمعت عنه ﷺ أنه قرأ حتى انتهى إلى سورة تبارك الذي بيده الملك فظفرت له معالم العلا وتحصن من مواهب الله بأجمل الحلى فكانت تلك الصورة سدرة منتهاه وغاية مرماه أخبرني بعض المشيخة رضي الله عنهم أن الشيخين الفاضلين أبا على المسيلي (أحد علماء

المسيلة) وأبا محمد عبد الحق الأشبيلي رحمهم الله سمع عنه أنه يأتي من العلم بفنون وأنه اطلع من أمر الله على سره المكنون مع أنه لم ينته بالقراءة إلا إلى السورة المذكورة فكانا يتعجبان ويكادان يحيلا ما عنه ما يسمعان فاتفقا رأيهما على الاجتماع به والإطلاع على ما عنده فسارا إليه إلى أحد مسجديه اللذان كان يجلس فيهما مع بعض خواص أصحابه فدخلا عليه فألقياه يفيض في أمور ويستخرج الدرر من قيعان البحور فجلسا إلى أن فرغ من كلامه ورجع إلى ما يخصه من مرامه وسلم عليهما ولم تكن لهما له روية قبل فقال لهما: أما هذا فالفقيه عبد الحق وأما هذا فالفقيه أبو علي المسيلي فقال نعم فكان هذا من جملة كراماته وإن احتمل أن يقال إن هذا لما تقدر عنه من رسم الصفة فأحق ذلك أن ينسب إلى طريق الكرامة فسألاه حيث انتهى بدراسته وعن مبلغ قراءته وذكرا له أنهما سمعا عنه إنه انتهى إلى سورة تبارك الذي بيده الملك وإنه لم يزد عليها فأجابهما ﷺ وقال لهما: نعم هي كانت سورتي ومنتهى سدرتي ولو تعديتها لحرقتني سبحات الوجه الكريم ثم التفت إليهما مخاطبا بنزعة صوفية مشيرا عن يمينه ويساره وهو يقول بي قل وعلي دل فأنا الكل فانفصل عنه وقد تأكد العلم عندهما بأن لله مواهب لا تسعها المكاسب وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأخبرني بعض الأصحاب أن بعض الطلبة وقع بينهم نزاع في أحد الأحاديث المروية عن النبي ﷺوهو قوله ﷺ: إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة فتردد الكلام بينهم أن مؤمنين إذا ماتا استحقا الجنة وبقي الناس أجمع دون شيء فساروا إلى مجلس الشيخ أبي مدين ﷺ ليطلعوا على ما عنده في المسألة فلما استقر بهم الجلوس في مجلسه وكان حديثه في ذلك المجلس على رسالة القشيري رحمه الله تعالى ترك كلامه الذي كان يتحدث فيه وقال نزيل الإشكال عن أصحابنا ثم قال: قال رسول الله

ﷺ: إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة أراد ﷺ نصف جنته لأن كل مؤمن له جنة تخصه ومكان يستحقه فإذا مات أعطي نصف جنته فإذا كان بعد الحشر يعطى النصف الثاني من جنته فبد البعث تكمل له جنته وفي القبر يعطى نصف جنته وبين أنه ينكشف له في القبر من مقعده من الجنة وأنه يتنعم برؤيته وإن أرواح المؤمنين تسرح في الجنة وفي يوم القيامة تتصل الأرواح بالأجساد ويجتمع الجميع في الجنة وفي هذا من العلم ما لا ينتهي إلى حقيقته إلا أهل الصفا وخاصة الأولياء جعلنا الله سبحانه منهم بمنه وسعة جوده وهذه إحدى كراماته رضي الله تعالى عنه حيث أخبرهم بما أتوا إليه قبل أن يخبروه.

قال الغبريني: فأخبرني شيخنا أبو محمد عبد الحق بن ربيع عن أبيه الفقيه أبي الزهري ربيع رحمه الله تعالى أن والده أبا الزهري كان كاتبا لبعض الولاة ببجاية واكتسب معه مالا ثم رأى رؤية مهولة وهي أن القيامة قد قامت وأنه يساق ليقذف به في النار وأنه سأل عن السبب فقيل له بسبب ما اكتسبت من المال فسأل واستغاث فخلي عنه فتاب إلى الله تعالى ونزع نفسه عن الكتابة واشتغل بملازمة العبادة ولزوم القراءة واستعمل حرفة الخياطة للمعيشة فلم يكفه ما ينتحله من ذلك فضاقت حاله وساءت فسار يوما إلى والدته فأخبرها بضيق حاله فقالت له يا بني والله ما عندي شيء ولا أعلم لك نفعا سوى هذا الرسم وهو رسم دار كانت لها واغتصبها [الموارقة] [1] عند دخولهم لبجاية واستمر الغصب عليها فخذه واطلب

(1) لعلهم الإسبان. أو أهل ميورقة نسبت إلى أرض بإسبانيا تدعى ميورقة وقد ألف فيها ابن عميرة المخزوي كتابا سماه: تاريخ ميورقة حققه الدكتور بم معمر محمد جامعة وهران.

الدار فيه لك قال: فأخذت الرسم ومشيت به إلى الفقهاء واستفتيتهم فيه فأفتوني بجواز الطلب وأن الحق لمستحقه وجب فقلت قد استفتيت فقهاء الدنيا ولابد أن أستفتي فقهاء الآخرة فسرت إلى الشيخ أبي مدين رضي الله تعالى عنه فقصصت عليه القصة وسألته الفتيا فيها فقال لي ﷺ استفت ربك سبحانه يفتك وكان هذا وهو ينتظر صلاة الصبح فأقام المؤذن الصلاة فتعلقت نفسي بالفتيا فلما كنت في الركعة الثانية من الصلاة عرضني شبه سنة فرأيت مرجا مخضر الجناب رايق الجلباب وفي وسطه بركة ماء كأنها للجين وفي ذلك المرج طاووس لا يرى في طواويس الدنيا مثله وإذا به يخاطبني بلسان فصيح ونطق بين صريح وهو يقول أطلب حقا واجبا أطلب حقا واجبا فأتممت الصلاة وجلست بمجلسه المبارك لأستمع الذكر وبعد فراغه وانصراف الناس عنه أقبل علي وقال لي أفتاك ربك ؟ فقلت له أفتاني يا سيدي وفي هذا له ﷺ كرامات إحداها إحالته على فتيا ربه سبحانه والثانية صدور الفتيا له والثالثة إخباره بأن ربه سبحانه أفتيه وإطلاعه على ذلك وكراماته رضي الله تعالى عنه لا تحصى كثرة.

قال التادلي: وذكر الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري ﷺ فقال: كان الشيخ أبو مدين رضي الله تعالى عنه زاهدا فاضلا عارفا بالله سبحانه قد خاض الأحوال بحارا ونال من المعارف أسرارا وخصوصا مقام التوكل لا يشق فيه غباره ولا تجهل آثاره وكان مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم الله سبحانه له بذلك ولقد أخبرني من أثق به ممن شاهد وفاته قال رأيته عند آخر الرمق يقول: الله الحي.

فَصلٌ

قال التادلي في التشوف إلى رجال التصوف:" وحدثني أبو علي حسن

بن محمد الصواف وكان قد صحب الشيخ أبا مدين رضي الله تعالى عنه نحوا من ثلاثين سنة وما فارقه إلى أن مات قال: سمعت الشيخ أبا مدين يقول: كنت بقطينانة فأردت التخلي عن الدنيا فسرت قاصدا نحو المغرب ثلاثة أيام أو أربعة فلاحت لي كدية على البحر وعليها خيمة فخرج إلي منها شيخ وليس عليه إلا ما يسر عورته فنظر إلي فظن أني أسير من أرض الروم فررت فسألني عن شأني فأخبرته فأخذ حبلا وربط في طرفه مسمارا رمى به في البحر فأخرج حوتا وشواه لي فأكلته وأقمت عنده ثلاثة أيام وكلما جعت رمى بالحبل بالمسمار في البحر فيخرج الحوت ويشويه فآكله ثم بعد ذلك قال لي: أراك تروم أمرا فارجع إلى الحاضرة فإن الله سبحانه لا يعبد إلا بالعلم فرجعت إلى أشبيلية ثم ذهبت إلى شريش ومن شريش إلى الجزيرة الخضراء فجزت البحر إلى سبتة فذهبت إلى فاس فلاقيت بها الأشياخ فسمعت رعاية المحاسبي على أبي الحسن بن حرزهم وسمعت كتاب السنن لأبي عيسى الترمذي على ابن غالب وأخذت طريقة التصوف على أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي فكنت أقيم بفاس وآخذ آية من القرآن وحديثا فأخرج إلى موضع خال في جبل متصل بالساحل فإذا فتح لي في العمل بالآية والحديث عدت إلى فاس فآخذ آية وحديثا كذلك فأعمل عليهما.

وكان الموضع الذي آوي إليه في الجبل عمرانا طرأ عليه الخراب فلم يبق من بنايته شيء قائم إلا مقصورة مسجد فكنت إذا قعدت عليه تأوي إلي غزالة فلا أدري هل كانت تأوي إلى أهل ذلك المكان فرحلوا عنها وبقيت وكانت تتأنس بالمكان أو كانت تأوي إلي فكانت تأتيني متى جئت إلى ذلك المكان فتشم من قرني إلى قدمي ثم تربض أمامي فذهبت يوم

الخميس إلى فاس وبت بها ليلة الجمعة فلقيت رجلا من الأندلس أعرفه فسألت أبا عبد الله بن أبي حاج عن ثوب كان عنده فقال لي لا تريده فقلت له: أريد أن يباع ويدفع ثمنه لهذا الرجل ويكون ذلك ضيافته فقال لي: خذ عشرة دراهم ادفعها له فأخذتها فطلبت الرجل فلم أحجه فصررت الدراهم في صرة وجعلتها في مئزري وخرجت إلى الجبل فمررت بقرية في طريقي فيها كلاب كثيرة، وكنت قبل ذلك إذا مررت بها تُبصبصُ إليَّ الكلاب وتدور بي فلما قربت من تلك القرية ومعي الدراهم أنكرتني كلابها ونبحتني وما تخلصت منها إلا بأن حال بيني وبينها أهل القرية فلما وصلت مكاني من الجبل جاءتني الغزالة فشمتني ثم تنحت عني ونظرتني منظرا منكرا ونطحتني مرة وثانية وثالثة بقرنيها وأنا أتلقى قرنيها بيدي فتفكرت في سبب ذلك وفي إنكار كلاب القرية فعلمت أنه من أجل الدراهم التي صررتها في مئزري فنزعتها ورمتها ناحية فنظرت إلي وربضت أمامي على عادتها وبِتُّ في ذلك المكان وأخذت الصرة وحملتها إلى فاس فوجدت الرجل الذي أعدتها لضيافته فرفعتها إليه ثم سرت إلى الجبل على عادتي فمررت بالقرية في طريقي فبصبصت الكلاب على عادتها ولم تنبحني فوصلت موضعي من الجبل فشمت استلهام[1] وجبة من الصوف أو الوبر يلبسها أهل المغرب ردا للبرد في الشتاء فشمت استلهام من قرني إلى قدمي فربضت أمامي على عادتها.

قال أبو محمد عبد الحق التونسي : أخبرني الشيخ أبو مدين رحمه الله تعالى أنه سمع برجل اسمه موسى وسمع عنه المشي على الماء وغيره من

---

(1) سهام: هكذا تكتب في الأصل وليست استلهام: وهي لباس من الصوف.

الكرامات وكان يأتيه كل يوم رجل عند انصداع الفجر يسأله عن مسائل لا يفهمها الناس قال أبو مدين: فوقع في نفسي أن الرجل الذي يأتيني فيسألني هو موسى الذي سمعت به فطال علي الليل فلما انصدع الفجر قرع الباب قارع فخرجت إليه فإذا هو الرجل الذي يأتيني فسألني عن مسألة فأجبته ثم قلت له: أنت موسى فقال لي: نعم فكان يختلف إلي في أكثر الأوقات فجاءني يوما ومعه آخر فقال لي كنت قد صليت أنا وصاحبي هذا ببغداد صلاة الصبح ثم أتينا مكة فوجدناهم يصلون تلك الصلاة فأعدنا معهم وأقمنا بمكة حتى صلينا الظهر ثم أتينا بيت المقدس فوجدناهم يصلون الظهر فقال لي صاحبي هذا نعيد معهم فقلت له : لا نعيد فقال لي: لأي شيء أعدنا بمكة ولا نعيدها هنا فقلت: هكذا أدركت شيخي يفعل وبهذا أمرني فاختلفنا فجئنا نسلك فقلت له الصواب معك فقال لي صاحبه: كيف ذلك فقلت له: لأنكما صليتما ببغداد على علم اليقين وصلاتكما بمكة عين اليقين وصلاتكما لعين اليقين أولى من علم اليقين وأيضا فإن مكة أم القرى وما صلي في الأمهات لا يعاد في البنات فقنعنا بذلك وانصرف قال صاحب عنوان الدراية : ورأيت من كلام أبي مدين رضي الله تعالى عنه أنه قال: طالعت أخبار الأولياء من عهد أويس القرني إلى زماننا مما رأيت كالشيخ أبي يعزى فما رأيت مثل كتاب الإحياء للغزالي رحمه الله تعالى قال الشيخ محي الدين أبو بكر بن العربي الحاتمي الطائي المعروف بابن سراقة أن الشيخ أبا مدين رحمه الله تعالى لم يمت حتى تقطب قبل أن يغرغر بثلاث ساعات والقطبية للعارف هي منتهى مناله وغاية آماله.

قال التادلي: "وسمعت أبا علي الصواف يقول سمعت أبا مدين يقول الملتفت إلى الكرامة كعابد وثن فإنه إنما يصلي ليؤتى كرامة قلت :

والمعنى في هذا أن المشتغل بطاعة الله تعالى لا يكون قصده بالطاعة نيل الكرامات بل يكون مخلصا في عبادته لخالقه لا يبتغي بها عوضا ثم إن أكرمه الله سبحانه بكرامات أوليائه حمد الله سبحانه على ذلك لأنه تدل على استقامته فيرى المنة لله سبحانه ويتبرأ من رؤية نفسه ومن حوله وقوته ويحتقر نفسه ويرى أنها ليس بأهل للكرامة لولا تفضل المولى سبحانه عليها وأعظم الكرامة الاستقامة على منهاج الكتاب والسنة وما درج عليه سلف هذه الأمة.

قال ابن عباد:" ثم ما ظهر للعبد من الكرامة لا يسكن إليه ولا يعول عليه فإن ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة،قال ابن عطاء الله في الحكم : "تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب".

قال القشيري في الرسالة: "ظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله وذكر عن شيخه وجوب ستر الكرامة وإخفائها وإن الولي لا يدعيها ولا يقطع بكونها كرامة بجواز أن يكون ذلك مكرا واستدراجا ثم قال واعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر ولا ملاحظة ربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله سبحانه فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد ثم قال وكل كرامة لولي فإنها من معجزات نبيه إذ لو لم يكن ذلك الرسول سابقا لك نظهر على من تابعه كرامة وكل من ليس بصادق في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة ثم قال والكرامات أنواع فقد تكون إجابة دعاء أو ظهور طعام في أوقات فاقة أو ماء في وقت عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو

تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة واعلم من أجل الكرامات للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والمخالفات قال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: وفائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى أيستوي من تعرف الله إليه بنوره كمن تعرف الله بعقله ولأجل أنها تثبيت لمن ظهرت له ربما وجدها أهل البدايات وفقدها أهل النهايات لما هم عليه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى مثبت إذ لا يحتاج الجبل إلى مرساة الكرامات رافعة لزلزلة الشك فضلا من الله سبحانه فيمن أظهرت عليه وشاهدت له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى قلت: والكلام في كرامات الأولياء واسع رحب ولم يفتح لهم في تلك الخيرات حتى سلكوا باب المجاهدات ففتحت لهم أبواب الهدايات كما أخبرنا في كتابه مولانا: "والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا"[1]

شعر

لا تسترب في كرامات يخص بها

من اتقى الله في سر وإعلان

فاصغي سمعا لما يروي أئمتنا

عن من مضى من أولي المقدار

وأمر مريم يكفي المستدل به

في شأن محرابها في آل عمران

---

(1) آخر آية في سورة الروم.

تـــؤتى الفواكـــه أنواعـــا منوعـــة

بـــلا محاولـــة فـــي غيـــر أبـــان

وفتية الكهف في إيقاظهم عجب

بعـد المـين كمـن يتلـى بحسـبان

وعـرش بلقـيس فـي إسصـاله عبـر

مـــا يتـــين ســـرعة جنـــي وإنســـان

جاءت به قدرة الرحمن في زمن

حتـى اسـتقر بمـرأى مـن سـليمان

علـــم الكتـــاب وأعمـــال بموجبـــه

أعـــاد أصـــف ذا قـــول وإيقـــان

كانـــت مســـارعة الجـــن ســـابقة

فـــاحرز هـــذا العـــالم الثـــاني

وكـــم دليـــل بـــأقوال الرســـول لنـــا

فيهـــا وكـــم حجـــة فيهـــا وبرهـــان

ثـــم الكرامـــات أنـــواع إذا نظـــرت

كـالزهر فـي حسـن أنفـاس وألـوان

مشي على المـاء أو فـي الجـو قـد

وشـــبع ذي صـــبغ أو ري ضـــمئان

وكـــم أجيـــب ولـــي حـــين دعوتـــه

وكـم أغيـث ولـي عنـد إذعـان

وفـيهم مـن يجيبـه الحمـاد ومـن

يغيـب عـن درك إسـماع وإجفـان

ومنهم من يرى المجتاز من ملك

ومـن يجالسـهم فـي حـال إخـوان

وكـم لهـم مـن مقـام مكرمـة

هـذا الـذي قلتـه منهـا كعنـوان

صـفوا فصـوفوا و نـالوا ضـعف

والمـرء يكسـب إحسـانا بإحسـان

في عيش أرواحهم ماتت نفوسهم

وقـد تمـوت نفـوس دون أبـدان

فافعـل كفعلهـم تقـرب كقـربهم

فالفضـل عمـم فـي القاصـي وفـي

وإن عجزت عن الحد الذي لهم

فاصمت فليس نجل القوم كالوان

[البسيط]

فَصلٌ

قال التادلي: "خرج أبو بكر المطوعي عن أحمد بن محمد العابد قال : كنت جالسا في مسجد بيت المقدس عند باب سليمان عليه السلام يوم الجمعة بعد العصر إذ جاء إلي شخصان أحدهما يشبه خلقه خلقنا والآخر

عظيم الخلقة كانت جبهته عريضة وكان فيها أثر ضربة فسلما علي وجلس الذي يشبهنا إلى جانبي وجلس الآخر ناحيته فقلت للذي جلس إلى جانبي من أنت؟ رحمك الله قال أنا الخضر قلت: فذاك قال أخي إلياس فلحقني ما يلحق مثلي من الرعب فارتعدت فقال لي الخضر لا بأس عليك فلولا أنا نحبك ما جئناك قلت: كما آنستني آنسك الله بقربه ثم قلت: أكل ولي في الأرض تعرفه قال أما المعدودون فنعم قلت ما معنى المعدودون قال: اعلم أنه لما قبض رسول الله ﷺ بكت الأرض فقالت: إلهي وسيدي بقيت لا يمشي علي نبي إلى يوم القيامة فأوحى الله تعالى إليها سأجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام ولا أخليك منهم إلى يوم القيامة، قلت: فكم هم قال ثلاثمائة وهم الأولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الأوتاد وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد وهو الغوث فإذا مات الغوث نقل من السبعة ومن الأربعين إلى العشرة ومن السبعين إلى الأربعين ومن الثلاثمائة إلى السبعين ومن سائر الخلق إلى ثلاثمائة فهكذا إلى يوم ينفخ في الصور، فمنهم من قلبه على مثل قلب موسى ومنهم من قلبه على مثل قلب نوح عليه السلام ومنهم من قلبه على مثل قلب إبراهيم عله السلام فقلت إبراهيم عليه السلام تعظيما له فقال نعم وقلب داوود وسليمان وأيوب وعيسى ابن مريم عليهم السلام أما سمعت قول الله عز وجل﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[1] فما من نبي إلا وعلى طريقته رجل يسلكها من هذه الأمة إلى

---

(1) سورة الأنعام 6، الآية 90 وتمامها قال تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

يوم القيامة فلو اطلع الأربعون برءوا قتلهم ودمائهم حلالا وكذلك لو اطلع السبعون على قلوب الأربعون برءوا قتلهم ودمائهم حلالا ما رأيت قصة موسى عليه السلام معي قلت فأي شيء طعامك قال أما أنا فطعامي الكرفس والكمأة وأما أخي إلياس فرغيفان كل يوم قلت فأين مقامه قال في جزاير البحر قلت فهل تجتمعان قال نعم إذا مات أحد المعدودين اجتمعنا فتولينا ونجتمع من موسم إلى موسم فيأخذ من شعري وآخذ من شعره وهم ليقوم فقمت معه فقال لي: إلى أين؟ فقلت: أصحبك، قال: ما إلى ذلك سبيل، قلت: :فأين تصلي قال: وما تريد من ذلك فقلت أتبرك لذلك قال: أن أصلي حجر الكعبة من مكة وأجلس إلى أن يرتفع النهار وأطوف أسبوعا وأصلي ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام وأصلي الظهر بمدينة الرسول عليه السلام وأصلي بعدها هنا بيت المقدس وأصلي المغرب على [...][1] جبل الطور وأصلي العشاء الأخيرة عند سد ذي القرنين احرس المسلمين وأسير فأصلي الصبح بمكة ثم غاب عني.

وذكر أبو بكر المطوعي أيضا عن أبي عبد الله أحمد بن مالك السجستاني قال: "سرنا في جماعة ومعنا أبو بكر الدمشقي إلى جبل لبنان نلتمس من فيه من العباد فسرنا فيه ثلاثة أيام نلتمس فما رأينا فيه أحدا فلما كان اليوم الرابع ضربت على رجلي وذلك أني كنت أمشي حافيا فضعفت عن المشي فطلعنا على شامخ وفوقه شجرة فقالوا اجلس في موضعك حتى نذهب لعلنا نلقى أحدا من سكان الجبل فمضوا جميعا وبقيت أنا وحدي، فلما جن الليل صعدت على الشجرة فلما كان الصبح نزلت

(1) كلمة مبهمة.

ألتمس الوضوء فانحدرت في الوادي أطلب الماء فوجدت الماء من قبل أن أستقر في الوادي فوجدت عينا صغيرة فتوضأت وقمت أصلي فسمعت صوت قراءة القرآن، فلما سلمت طلبت الأثر فوجدت كهفا وقدامه صخرة فرميت الكهف حجرين خشية أن يكون فيه وحش فلم أر فيه شيئا فدخلت الكهف فإذا الشيخ ضرير فسلمت عليه فقال أجني أنت أم انسي فقال: لا اله إلا الله ما رأيت إنسانا منذ ثلاثين سنة غيرك ثم قال لعل مر بك تعب فاطرح نفسك فدخلت داخل الكهف وفيه ثلاثة أقبر فلما كان بعد زوال الشمس نادى فقال الصلاة رحمك الله فخرجت إلى العين فتطهرت وصلينا جميعا ثم قام فلم يزل يركع إلى وقت العصر ثم أذن وصلينا العصر ثم قام يدعوا رافعا يديه فسمعنا من دعائه اللّهم أصلح أمة محمد ﷺ اللّهم فرج عن أمة محمد ﷺ اللّهم ارحم امة محمد ﷺ إلى أن سقط القرص فأذن ولم أر أحدا أعرف أوقات الصلاة منه فلما صلى المغرب قلت لم أسمع منك من الدعاء إلا هذه الكلمات الثلاث فقال من قال هذه كل يوم ثلاث مرات كتبه الله سبحانه من البدلاء قلت: من أين لك هذا قال: لا يحتمل إيمانك أن أقول لك فلما أن صلينا العشاء الأخيرة قال لي أتأكل قلت: نعم فقال: ادخل داخلا فكل ما ثم فدخلت فوجدت صخرة كبيرة عليها جوز ناحية وفستق ناحية وزبيب ناحية ومن ناحية تفاح يابس وحبة الخضرا فأكلت منه. دما أردت فلما كان عند السحر جاء هو فأكل منه شيئا يشيرا ثم أوتر فما زال يدعوا فسمعته في سجوده يقول: اللّهم من علي بإقبالي عليك وإصغائي إليك والفهم عنك وبصيرة في أمرك ونفاد في خدمتك وحسن الأدب في معاملتك فلما رفع به فسمعت هاتفا يقول: إذا دعوت به فانه مستجاب فلما صلينا قلت من أين هذه الفاكهة فاني لم آكل أطيب من منها فقال ترى ذلك معاينة.

فلما كان بعد ساعة دخل إلى الكهف طائرا له جناحان أبيضان وصدره أخضر وفي منقاره حبة زبيب وبين رجليه جوز فوضع الزبيب على الزبيب والجوز على الجوز فقال لي رأيته فقلت نعم فقال لي: منذ ثلاثين سنة يأتيني بهذا فقلت له كم مرة يدخل عليك قال سبعا فلما كان ذلك اليوم عددت أنا فإذا هو قد دخل خمس عشرة مرة فقلت له: ذلك وكان عليه قميص بلا كمين ومئزر شبه الورس فقلت له: من أين لك هذا؟ فقال: يأتيني به كل سنة هذا الطائر وكان عنده مسلة يخيط بها فلما كان بعد ليل دخل عليه سبعة أنفس بثيابهم وشعورهم وعيونهم مشفقة بالطول ليس فيها دوارة فسلموا فقال لي: لا تخف هؤلاء الجن فقرأ واحد منهم سورة طه والآخر سورة الفرقان وتلقن منه الآخر شيئا من سورة الرحمن ثم مضوا فقلت: له كم في هذا الجبل فقال: أربعين سنة كنت سنين بصيرا وكنت في الصيف أجمع من هذه المباحات إلى هذا الكهف فلما ذهب بصري بقيت أياما لم أذق شيئا حتى جاء هؤلاء فقالوا لي: يا هذا قد رحمناك دعنا نحملك إلى حمص ودمشق فقلت اشتغلوا بما وكلتم له فلما كان بعد ساعة جاءني هذا الطائر التي رأيت بتفاحة فطرحها في حجري فقلت لا تشغلني اطرحها. ثم إلى وقت حاجتي إليها، ثم قال لي: قد أخبرني هؤلاء أن القرمطي دخل مكة و قتل بها وفعل وصنع فقلت له قد كان ذلك وقد كثر الدعاء عليه فقلت فلما منع الناس الإجابة فيه فقال لأن فيهم عشر خصال فكيف تستجاب لهم دعوة فقلت وما هي قال الأولى أقروا بالله عز وجل وتركوا أمره والثانية قالوا نحب رسول الله ولم يتبعوا سنته وقرؤوا القرآن ولم يعملوا به وقالوا نحب الجنة وتركوا طريقها وقالوا نكره النار وتزاحموا طريقها ودفنوا موتاهم ولم يعتبروا بهم و قالوا إن إبليس لنا عدو ووافقوه واشتغلوا بعيوب إخوانهم ونسوا عيوبهم وجمعوا المال ونسوا

الحساب وبنوا القصور ونسوا القبور فأقمت عنده أربعة و عشرون يوما في أطيب عيش فلما كان اليوم الرابع والعشرون قال: "لي كيف وصلت إلى ها هنا فحدثته بحديثي فقال لي إنا لله لو علمت أن قصتك هذه لم أقرتك عندي شغلت قلوبهم ورجوعك إليهم أفضل.

قلت له: "إني لا أعرف الطريق فسكت فلما كان عند طلوع الشمس قال: قم، فقلت: إلى أين؟ قال: تمضي قلت: أوصني قال: إذا حججت فإذا كان يوم الزيارة أطلب عند المقام أو بين المقام وزمزم رجل أشعريا خفيف العارضين بعد العصر فتقربه مني السلام و تسأله يدعوا لك فإنها فائدة كبيرة إن شاء الله تعالى فخرجنا من الكهف فإذا سبع قائم فقال لي: لا تخف وتكلم بكلام لا أعرفه إلا أني أظن انه بالعبرانية فقال لي اذهب خلفه فإذا وقف فأنظر على يمينك فإنك تجد الطريق إن شاء الله تعالى فسار ساعة وأنا خلفه فنظرت فإذا أنا على عقبة دمشق فدخلت دمشق والناس قد انصرفوا من صلاة العصر فقالوا هذا الذي قيل أنه هلك في الجبل من يبشر أهل داره فقلت أنا فمضيت و جماعة ورائي فسررا سرورا شديدا فحدثتهم بحديثي فقال القوم ما رأيت إلا واحد نصرانيا ثم كثروا فخرجنا جماعة فوق خمسين نفسا إلى ذلك الجبل فقالوا رأينا شبنا فقالوا أكشف له ما هو ومنعنا نحن ورجعنا فكشف أحج وأطلب الرجل الذي وصف لي فلما كان في سنة ستة وعشرين وثلاثمائة -326هـ- وجدت الرجل بين المقام وزمزم جالسا بعد العصر عليه ثوبا يشرب ويزرد يبعني وهو قاعد على منديل وقدامه كوز نحاس ونعل فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت: إن إبراهيم بن نصر الكرماني يقرئك السلام فقال لي: وأين رأيته؟ فقلت: في جبل لبنان فقال رحمه الله تعالى: قد مات، قلت: متى؟ قبل ساعة دفناه ودفنا الطائر

عند رجليه ثم قال لي قم بنا إلى الطواف فطفت معه بشوطين ثم غاب عني:

يا من تشكك جهلاً في كرامتهم
حقق وصدق فإن القوم قد صدقوا
جردوا و قصرت عن إدراكهم
والكيس في العجز شيء ليس
القوم أظمأهم فوق و أرقهم
فاذهب لا من منهم ذلك الفرقوا
يا أخى البطالة ذهب خيار القوم
وبقى أهل الغفلة والنوم
لا والذي بالبعد والبين بلاني
ما تذكرت الحمى إلى شجاني
حبذا أهل الحمى من ساكن
شفني الشوق إليهم وبراني
كلما رمت سلوا عنهم
جذب الشوق إليهم بعناني
أتمنى أني أصحبهما نحوهم
لو أني أعطي الأماني
أحسد الطير إذا طارت إلى أرضهم
أو أقلعت للطيراني
يا خليلي أحفظا عهدي

الذي كنتما قبل النوى عهدتماني

وأذكراني مثل ذكري لكما

فمن الإنصاف لا تنسياني

لا تزيدونني غرام بكم

حل بي من بعدكم ما قد كفاني

ذهب العمر ولم أحظ بكم

وتقضى في تمنيكم زماني

فَصلٌ

يا مقيد بقيود العصيان، يا مغلولا بسلاسل الحرمان يا من رضي لنفسه بالذل والهوان أما تخشى على بضاعة عمرك الخسران، أما كان لك عبرة بمن مضى أيها الإنسان وأما تحدث نفسك سلوك طريق أهل العرفان أما يهزك شوق إلى ساكن الجنان ،أما تشمر عن ساق الجد من غير توان، أما تخشى ويحك على نفسك لهب النيران، ويحك لا في الشباب وافقت، ولا في الكهولة رافقت، ولا في الشيب أفقت، ولا من العتاب أشفقت كأنك ما أمنت بالمعاد ولا صدقت، يا مغرور أطول عمرك في البطالات وأنت تتمنى سنى الدرجات فالرجاء ويحك ما قارنه عمل وما لم يقارنه أمنيات، فلا تحسبوا أن المعالي رخيصة ولا أن إدراك العليا هين سهل، فما كل من يسعى إلى المجد مدركا ولا كل من يهوى العلا نفسه تعل.

قال صاحب التشوف: "كان أبو زكرياء يحي بن أبي موسى المليجي من أكابر الأولياء وهو من أشياخ عبد الخالق ويقال أنه من الأبدال و كان يحج كل عام وتؤثر عنه عجائب الكرامات، حدثوا عنه أنا أبا بكر المنادي شكا إليه الجوع في عام مجاعة وكان في أول الحرث فأمره أن يدخل في

الصومعة فلما دخل فيها نام فلم يستيقظ إلى زمن الحصاد والزرع قد طاب.

قال أبو بكر: فانتبهت من نومي وقد نسيت القرآن و أكل السوس كسائي من الجانب الذي يلي الأرض، وحدثوا عنه أنه لما توجه إلى مكة شرفها الله تعالى لأداء فريضة الحج دخل السفينة فمكث أياما فرأى يوما خدمة السفينة وهم يعملون المعاصي فلم يصبر على الإقامة في السفينة فشمر أثوابه وأخذ متاعه وابتدر الدخول في البحر فقال صاحب السفينة: أجن هذا أم حمق فقال له: ذلك حق موجود فدخل في الماء إلى أن بلغ أبطيه ثم قال: أيها البحر أنت خلق الله وأنا خلق الله ثم دعا الله تعالى وقال في دعائه: اللّهم إنك تعلم أني فررت من مشاهده معصيتك فأعني وكن معي فأحس تحت قدميه بشيء كأمثال الأحارش التي تكون في جوانب البحار فأرتفع الماء إلى كعبيه أو نحو ذلك فأفتتح قراءة القرآن وهو يمشي على ذلك الشيء الذي أحسه تحت قدميه إلى أن تألمت قدماه من الحفاء فخرج إلى الساحل وقد أجهده الجوع والعطش فأبصر كمالا، بل وقد جاء إلى صخرة فحفر عندها يقرنه فنبع الماء من تحتها فتوضأ وصلى ركعتين، وشرب ماءا عذبا فأذهب الله عنه الجوع والعطش فمشى على الساحل إلى أن وصل الإسكندرية فإذا هو قد سبق السفينة بأيام كثيرة ففاته الحج ذلك العام فمر إلى الشام وجال فيه إلى أن دخل مسجدا فوجد فيه رجلين فلم يكلمهما ولا كلماه وكل واحد منهما مقبل على صلاته، فلما صلوا المغرب خرج أحد الرجلين ثم دخلا عليهما صحيفة فيها تريد عليه منديل فاستدعياه للمواكلة فأكل معهما فلما كان اليوم الثاني وصلوا المغرب خرج الثاني فأتى بمثل طعام صاحبه فأكلوا وردوا الصحفة، فلما كان اليوم الثالث وصلوا المغرب نظر أحدهما إلى الآخر فقال أبو زكرياء وصلتني النوبة و

قد أكلت طعامهما وفرطت فخرج من المسجد وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وسأله أن لا يفضحه فألتفت فرأى صحفة كصحفاتهما وعليها منديل فشكر الله فرفعها إليهما ووضعها بين أيديهما فقالا له أنت يحيى بن أبي موسى فقال لهما نعم فسلما عليه ورحبا به فأقاما معهما أياما ثم قال لهما إني راغب في المقام معكما ولكني فاتني الحج وأريد أن أؤذي فريضة الحج وأزور النبي ﷺ فودعاه وقال له أحدهما إذ قضيت مناسك الحج فصل بئر زمزم فإنك تجد على البئر رجلا محزنا أسودا يسقي الناس فخذ بأصبعه الفلانية فإنها أمارة بيني و بنيه، فلما قض حجه فعل ما أمره به فقال له الرجل الذي وجده على بئر زمزم: هل رأيت فلانا فقال له: نعم فأقبل عليه فلما صلى معه العتمة قال له: ما حاجتك فقال له كنت دخلت البحر من بلاد المغرب ثم دخلت الشام و قد نفذ زادي ولا أدري ما أصنع فقال: له من أي بلاد أنت فقال له:من المغرب الأقصى، من أي البلاد منه فقال له: من وادي شفشاون فجعل يكرر شفشاون شفشاون ثم قام و تحزم و شد على نفسه بثيابه و أخذ بعضديه ورفعه من الأرض فمال به ذات اليمين فوضعه ثم رفعه فمال به ذات الشمال فوضعه فرفعه فمال به ذات اليمين فوضعه وغاب عنه فانتظره أن يرجع إلى أن قرب طلوع الفجر فنظر فرأى أسودا كسواد الوادي في الشجر فقصد ذلك السواد فإذا هو بالوادي فلما انبلج الضوء ورأى أشجار الصفصاف وأنواع الشجر وعاين الجنات فقال في نفسه ما أشبه هذا الوادي بوادي شفشاون فأبصر قرية فيها صومعة فقال ما أشبه هذه الصومعة بصومعة بليجة ثم عاين راع بقر قد خرج بها إلى المرعى فقال له ما هذا الوادي فقال له وادي شفشاون فقال له: ما هذه القرية فقال له: قرية بليجة فقال له: أتعرف يحيى بن أبي موسى فقال له هذه بقره وأنا راعيها وقد سافر إلى المشرق فدخل أبو زكرياء القرية وقصد

أهله فسروا به.

قال التاذلي: "وقد سمعت غير واحد من أصحاب أبي زكرياء يحدثوا بهذه الحكاية وهي صحيحة متواترة وقد قراناها في أخبار صالحي رجراجة وعلمائها وما زالت منذ سكنوا قبلي صور لهم فخطي وسمعي ونطقي إذ هم أنسي يا أخي سمعت وصف حالهم فأين التشبه بهم لا تظن الأرض خالية منهم لأنك لا تراهم كلا لو صفت أعمالك عرفتهم بسيماهم إذ كنت لا ترضى سوى الحق مطلبا فيممه من باب التجرد و الزهد.

فمـا يسـتفاد الفـوز دون مشـقة

ولا تجتنا الراحات إلى من الكد

خلـوت بنفسـي كـم تـتم سـعادتي

فأجني ثمر الفوز من منبت الحمد

وما أنا وحدي حين أعوض عنكم

ولكـن معـي مـن لـيس يتركنـي

قال يونس بن محمد: "ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين"، و قال سفيان الثوري: "إن لم نكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين".

قـان الشـيخ أبـو القاسـم القشـيري: "إذا جلـس إليـه الصـوفية و علـيهم الهيئات و المرقعات ينشد هذه الأبيات:

لا والـذي حجـت قـريش بيتـه

مسـتقبلين الـركن مـن بطحائهـا

مـا أبصـرت عينـي خيـام قبيلـة

إلا ذكـــرت أحبتـــي بفنائهـــا

أمـــا الخيـــام فإنـــه كخيـــامهم

وأرى نســاء الحــي غيــر نســائها

ثم يقول أما الهيئات فمعرفة و أما القلوب فمنكرة."

فَصلٌ

الحمد لله مظهر الآيات عِبَرٌ الناظرين وصارف المحن عن المتقين من الذاكرين وموجب المزيد من نعمة للمحسنين الشاكرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعدو أنوارها ليوم الدين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ المبعوث لكافة الخلق أجمعين.

روى أبو نعيم من حديث أنس ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ : "إذا جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينادي منادي من بطنان العرش أين أهل المعرفة بالله أين المحسنين، قال: فيقوم عنق من الناس حتى يقفوا بين يدي الله تعالى فيقول وهو أعلم بذلك من أنتم فيقولون نحن أهل المعرفة بك الذين عرفتنا إياك وجعلتنا أهل لذلك فيقول صدقتم ثم يقول ما عليكم مني من سبيل أدخلوا الجنة برحمتي ثم تبسم رسول الله ﷺ، وقال لقد نجاهم الله من أهوال يوم القيامة، قال أبو نعيم هذا طريق مرضي لولا الحارث بن منصور و كثرة وهمه".

وروى أبو المبارك عن بن عباس رضي الله عنهما قال: "إذا كان يوم القيامة نادى منادي ستعلمون اليوم من أصحاب الكريم ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثانية ستعلمون أصحاب الكرم ليقوم الذين كانت جنوبهم تجافي عن المضاجع يدعون

ربهم خوفا و طعما ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثالثة ستعلمون من أصحاب الكرم ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار فيقومون فيسرحون إلى الجنة".

وروى أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادي أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب فيقومون كأن وجوههم البدر أو الكوكب الذري ركبانا على نجائب من نور أزمتها من الياقوت تطير بهم على رؤوس الخلائق حتى يقوموا بين يدي العرش فيقول الله لهم السلام على عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب أنا اصطفيتكم وأنا أحببتكم وأنا اخترتكم أذهبوا فأدخلوا الجنة بغير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح لهم أبوابها ثم إن الخلائق في الحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض أين فلان و فلان وذلك حين سأل بعضهم بعضا فينادي مناد أن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون".

قال القرطبي في تذكرته: "هذه رحمة الله سبحانه فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه وخالف شيطانه ودنياه كانت الجنة منزلته ومأويه، ومن تمادى في غيه وعصيانه وأرخا في الدنيا زمام طغيانه ووافق نفسه في هواها ومناه ولذاته وشيطانه في جميع شهواته كانت النار أولى به قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ اللهم مُنَّ علينا بخير الدارين بلا محنة بفضلك كما يليق بفضلك والزيادة من فضلك كما يليق بفضلك في عاقبة بلا محنة وصل الله على سيدنا محمد وعلى أله و صحبه وسلم تسليما.

قال التاذلي: "و من أولياء الله تعالى أبو عثمان سعيد بن ميمون الرجاجي حدثوا عنه أنه كان له جملة من أصحاب من مؤمن الجن وقرأت في بعض أخباره أنهم من النفر الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ والله أعلم".

وحدثوا أن مؤذن مسجده طلبه ذات يوم بداره فلم يجد في طلبه إلى البحر فوجده نائما على تيح البحر في حجره كتاب ثعلب البحث بأوراقه وهو لا يصل إليه من رشاش الأمواج شيء فإذا أراد المؤذن إن يدخل إليه فغلبه الماء وخاف الغرق فخرج من البحر وقعد على شاطئ البحر ينتظره فلما أفاق أبو عثمان من نومه خرج من البحر فلما علم أن المؤذن قد رآه قال له يا فلان عاهدني على أن لا تحدث بما رأيت فعاهده على ذلك لم يحدث بذلك أصحابه إلى أن مات، تأمل يا أخي مقامات العارفين العاملين على القطع واليقين.

لي بالمعرف إخوان وأخدان
بان الفراق لقلبي يومهم بانوا
إن الذين ناء جسمي عن ديارهم
لكنهم في فؤادي حيث ما كانوا
شأني من الدهر تذكار بجدهم
وكل صب له من دهره شأنوا
[بسيط]

ترك القوم لربهم هواهم فأنعم عليهم بما تسمع سيرهم ومولاهم.

قال القشيري: "حكي عن أبي عمرن الواسطي انه قال: انكسرت بنا السفينة فبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية

فصاحت بي وقالت يقتلني العطش فقلت: ها هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس في يد سلسلة من ذهب وفيها كنز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا قال فأخذت الكوز فشربا منه فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت: من أنت رحمك الله فقال لي"عبد لمولاك فقلت له: بما وصلت إلى هذا؟ فقال: تركت هوايا لمرضاته فأجلسني في الهواء ثم غاب عني ولم أره".

تأمل يا أخي حالهم وما الذي في الأسماع كلامهم هيجوا اللبين برقا فلمع وأثاروا دمع فاندفع كانوا فبانوا، لله در أقوام بادروا أيامهم وحاذروا آثامهم جعلوا الصوم طعامهم والصمت كلامهم وحمامهم آمالهم فأبدانهم بين أهل الدنيا تسعى وقلوبهم في رياض الملكوت ترعى ذهب القوم وبقي في المناخ من غره النوم طويل كان لم يكن بيض الحجور إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سلام إخواني ألبسوا للدنيا جبة الهجر واسمعوا فيها من مواعظ الزجر واحبسوها يوم صمتموه للأجر وصابروا لياليها فما أسرع إتيان الفجر فلا تبيع اليقين بالظن مجرام بيع الغرر.

يـا أيهـا ذا الـذي قـد غـره الأمـل
ودون مـا يأمـل التنقـيص والأجـل
ألا تـرى إنمـا الـدنيا وزينتهـا
كمنـزل الركـب حلـو ثمـت ارتحلـوا
حتوفهـا نكـد وعيشـها نكـد
وصـفوها كـدر وملكهـا دول
تظـل تفـزع بالروعـات سـاكنها
فمـا يسـوغ لـه لـين ولا جـدل

كأنـــه للمنايـــا والـــرد أغـــرض

تظـــل فيـــه بنـــات الـــدهر تنضـــل

والـــنفس هاربـــة والمـــوت يتبعهـــا

وكـــل عثـــرة رجـــل عنـــدها جلـــل

والمـــرء يســـعى بمـــا يســـعى لوارثـــه

والقبـــر وارث مـــا يســـعى لـــه الرجـــل

[بسيط]

فَصلٌ

وقال صاحب التشوف: "حدثني علي ابن عيسى عن شيوخ اخبروه عن رجل صالح كان بتأمرورت وكان له بأغمات[1] وريكة صديقان يعرف أحدهما بابن اللواني ويعرف الثاني بابن الفقيه فماتا فدفنا قبل مدينة أغمات فلما احتضر هذا الرجل الصالح أوصى أن يدفن بجوار قبر صديقيه فلما مات تنازع الناس في دفنه فقال قوم إنما ندفنه عندنا لننال بركته، وقال آخرون إنما ندفنوه حيث أوصى أن يدفن وهما الفريقان بالقتال على ذلك فمكث ثلاثة أيام ولم يدفن وهو في البيت فدخلت بين الرجال امرأة وجعلت على ظهرها أثوابا وأوهمتهم أن ذلك ولدها في ظهرها ورغبت أن تدخل إليه على وجه التبرك به فأخذت الرجل وجعلته على ظهرها وخرجت وهم يظنون أن الذي في ظهرها ولدها فحمله أصحابه ليدفنوه في مقابر بأغمات جوار قبر صديقيه فكانوا إذا وضعوه بالأرض يسمعون حوله كذوي النحل يرفعون أصواتهم بالتهليل فيشير هو معهم بسبابته إلى

---

(1) مدينة مغربية.

التوحيد فيعجبون من ذلك.

تغـرب أمـري بـانفرادي بغربتـي
فصـرت فريـدا فـي البريـة أوحـدا
تسـرمد وقتـي فيـك فهـو مسـرمد
وأفنيتنـي عنـي فسـرت محـردا
[طويل]

فسبحان من نور قلوب أوليائه بأنواره فجعلها معدن الحكمة ومحل أسراره لي سادة عز وجاه أقدمهم فوق الحياة هذا حديث القوم فأين أنت منهم يا غريق النوم.

شعر

يـا صـاحباي سـلا الأوطـان و
متـى يعـود إلـي نعمـان مـن طعنـا
إن الليـالي التـي كنـا نسـر بهـا
أبـدا تـذكرها فـي مهجتـي حزنـا
اسـتودع الله قـوم مـا ذكـرتهم
ألا تحـذر مـن عينـي مـا حزنـا
كـان الزمـان بنـا غـرا فمـا برحـت
أيـدي الحـوادث حتـى فطنتـه بنـا

لله ما أطيب عيش الزاهدين ليس للدنيا الدنية في قلوبهم قدرا تفرغوا

---

(1) أظنها المدنا ربما كانت تصحيف من الناسخ على سبيل الخطأ.

لخدمة ربهم ومناجاته بالخضوع والتذلل سرا وجهرا لاح لهم علم التوفيق فاتضحت لهم معالم الطريق وسلكوا الجادة فبلغوا مناهل التحقيق.

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق
وما يعدم الدنيا الدنية أهلها
شواظ لهيب أو دخان حريق
فلا تحسب الدنيا إذا ما سكنتها
قرارا فما دنياك غير طريق
عليك بدار لا تزال ظلالها
ولا يتأد أهلها بمضيق
وقل لغريب الدار إنك راحل
إلى منزل ناء المحل سحيق

[طويل]

كان أبو عبد الله الدقاق من كبار الأولياء واحد أشياخ أبي مدين فتحدث يوم مع أصحابه فبدرت منهم كلمة ذكر فيها ضيق حالهم فلما افترقوا نام بعض أصحابه فقيل له قل لأبي عبد الله قل للرويحل من ذوي الأقدار الفقر أفضل شيمة الأحرار يا من شكا للناس فعلة ربه هل لا شكوت لحمل الأوزار إن الذي ألبست من حلل التقى لو شاء ربك كنت عنه عار فلقي أبي عبد الله الدقاق فاعلمه فصاح أبو عبد الله وأخذ في البكاء.

فَصلٌ

قال القشيري في التحبير: "حكي عن بعضهم أنه قال رأيت شاب وعليه عباءة وبه كوز فقال لي إنني إنسان أقصر الورع فلا آأكل إلا ما ألقاه الناس فربما أجد قشرة شيء سبقني إليه النمل فالقيه أم تناوله وهل علي في ذلك حرج وقلت في نفسي ابق على وجه الأرض من يتورع في مثل هذا كالمنكر عليه قال فنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضة صافية فقال لي الغيبة حرام فغاب عن بصري".

قال القشيري: "ومعنى الحكاية أنه لما ترك ما حجب الخلق عن الله عز وجال أكرمه الله سبحانه بنور الإشراق حتى نطق بما خطر بقلب المعترض من الإنكار ثم أخفاه الله سبحانه عن الأبصار لشؤم الاعتراض وهكذا سنة الله عز وجل في أولياءه إن يسترهم عن من لم يبلغ رتبتهم وينبغي للعبد أن ينزه مطعمه عن الحرام والشبهات وقد ورد الخبر بأن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به".

قال في التشوف: "ومنهم أبو عبد الحلي يعقوب ابن هارون الصديني من بلاد تادلة كبير الشأن من أهل العلم والعمل مات عام 559 تسع وخمسين وخمس مئة، كان إذا خرج من منزله يأتي إلى عين قريبة منه ليتوضأ فيجد الأسد فيها فيطرده ويتوضأ".

حدثني عيسى بن علي قال: "حدثني موسى ابن يوسف تلميذ عبد الحليم قال: "لما مات أبو عبد الحليم حضر جنازته قوم فجاءوا من مواضع بعيدة لا أدري متى علم بموته فما استوتا الصفوف في الصلاة سمعوا تكبير هالهم فتجاوبت به الأصوات قبل أن يكبر الناس فما شك الحاضرون انه تكبر بعض خلق الله من غير الناس الحاضرين جنازته فيقال إنه تكبير

الملائكة الذين صلوا عليه اللّهم هب لنا من أوليائك واحشرنا في زمرة أصفيائك وامنحنا من جزيل عطائك".

قال أبو يوسف بن يحي: "حدثني ابن يوسف ابن موسى قال حدثني رجل كان يلازم مجلس أبي الحسن ابن حرزهم قال كان يحضر معنا في المجلس شاب عليه ثياب بيض وفي وجهه صفرة قال لنا أبو الحسن إن هذا الشاب يظهر عليه اثر الفاقة فانظروا له في شيء يستعين به فجمعوا له دراهم واحتشموا أن يدفعوها لهم وقال مؤذن المسجد أنا اتبعه بها إذا خرج من المسجد ادفعها له، فلما انقضى المجلس خرج الشاب تبعه المؤذن إلى أن خرج من باب الجيسة وهو يمشي في أثره وهو لا يدركه فدخل في بستان فدخل المؤذن في أثره فطره رداءه على شجرة وذهب إلى الماء ليتوضأ والمؤذن يتباعد منه وأنتظره إلى أن رأى وقت الظهر قريب وخاف فوات الأذان في المسجد فتقدم إليه المؤذن وسلم عليه فقال: له إن الفقيه أبا الحسن بعثني إليك بهذه الدراهم فقال له: متى عهدك بهم فقال له: الساعة فامسك، ثم قال: قطعني عن مجلسه وأنا إليه شائق رد عليه الدراهم فلا حاجة لي بها قال فدخل بين تلك الأشجار فلم أجد له خبر قال فطلبت أن اخرج من ذلك البستان فلم أجد مخرج فسمعت أصوات السيارة فتسورت الحائط ونزلت في المحجة وقلت: أين الطريق إلى باب الجيسة؟ فضحكوا من قولي وقالوا: بينك وبينه خمسين ميلا فتعجبت من ذلك وأكريت دابة ووصلت عليها في يوم آخر فاخبر أبا الحسن بذلك فرد تلك الدراهم إلى أهلها.

كم في البرية من سام في همته

إلى معالم أهل الفضل والدين

هـم الـذين إذا عاينـت ظـاهرهم

عاينـت ظـاهر أقـوام مسـاكين

وفـي البـواطن أنـوار تلـوح لهـم

علـى الأسـرة فـي كـل الأحـايين

غرائـب العلـم تجنـى مـن تقربـه

فمـا تنـال قـل أربـاب الـدواوين

رجـوا بفقـرهم أنفـاس عمـرهم

خيـر المسـير علـى خيـر القـوانين

فـلا المطـاعم تجنـى فـي مـاكنهم

ولا الـدراهم تخبـأ فـي الهيـامين

لا يسـألون وقـد عفـت أكفهـم

مـن القبـور لـدار الخـرد العـين

[بسيط]

لله درهم ما أحسن حالهم وما اجل من مقامهم ذكر أبو الفرج الجوزي في المورد العذب عن بعض التجار انه قال: "ركبت في مركب من الحج فانكسر المركب فبقي طامعين فيما يخرج لهم من المركب وعزم رجل على الرحيل إلى مكة فقال له جماعة من الناس توقف عسى أن يخرج لك شيء من حوائجك فقال لهم: لا أؤثر على وقفة بعرفة شيء من الأشياء فقال له وما الذي ورثك هذه المنزلة فقال لهم: أنا رجل مولع بالحج

وحججت سنة فأصابني عطش في الطريق وطلبت في الركب فما وجدته والناس في شدة فسرت يسيرا عن الناس اطلب الماء فمررت بفقير قاعد والماء ينبع من أصل عصاه وهو يشرب فشربت معه حتى رويت ثم جئت إلى الركب والناس قد نزلوا على عطشي فأخذت قربة ومشيت إلى ذلك الموضع الذي كان فيه الفقير فملأتها ورجعت فلما رآني الناس بالقربة أسرعوا إلى الماء فاستقوا عن آخرهم فموسم يحضره مثل ذلك الرجل أوثر عليه حوائجي أو غيرها ثم مضى على أوله إلى مكة فسبحان من آنسهم بذكره وأوحشهم من خلقه وأجزل لهم من عطائه وأسبغ عليهم سوابغ نعمائه اللّهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد اللّهم لا مذل لما هديته ولا هادي لمن أضللته ولا مشقي لمن أسعدته ولا مسعد لمن أشقيته ولا معز لمن أذللته ولا مذل لمن أعززته ولا رافع لمن خفضته ولا خافض لمن رفعته اللّهم وأهدنا بما أمرتنا ووفي لنا بما ضمنت لنا من خير الدنيا والآخرة وقو يقيننا فيما رجيتنا وانصرنا على أعدائنا في الباطن والظاهر وأسألك اللّهم ما سألك خليلك إبراهيم عليه السلام من النور واليقين مما سالك محمد نبيك على السلام من النصر والتوفيق انك حميد مجيد وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

تنبيه

هذا الدعاء حفظه ابن أبي جمرة رحمه الله من النبي ﷺ في النوم يقول له ﷺ: "ادعوا به إذا شئت وتقدمه في أول دعائك ثم تدعوا بعده بما شئت يستجاب لك، ومن دعا به قوي إيمانه أوله من قوله اللّهم لا مانع لما أعطيت ،اللّهم اختم بالسعادة آجالنا واقرن بالعافية غدونا وآصالنا واجعل

إلى جنتك مصيرنا ومآلنا وتقبل بفضلك أعمالنا واجبر برحمتك أحوالنا واجعل بطاعتك اشتغالنا إلهنا قطرة من بحار جودك تكفنا وغرفة من بحر فضلك وإحسانك تغننا ها نحن اسر الذنوب ببابك واقفون على ما وعدتنا من فضلك وإحسانك معولون.

أسير الخطايا عند بابك واقف
على وجل فما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها
ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجا سواك ويتقى
وما لك في فضل القضاء مخالف
فيا ملكي لا تخزني في صحيفتي
إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر
عندما يصد ذووا ود ويجفسوا
لان ذاق عني عفوك الواسع
الذي أرجا لإسرافي فاني لتالف
[طويل]

قال يوسف بن يحي: "ومنهم أبو يحي الوزياعي المعلم من أهل مدينة سلا وكان بها معلما للقرآن وكان اسمر اللون وهو من الأفراد حدثني علي ابن عبد الرحمن قال حدثني مفضل الدباغ فكان رجل وكان جار لعبد الله

ابن صالح قال قام عبد الله ابن صالح ليلة فتبعته حتى أتى باب الدرب فانفتح له فوجد أبا يحي المعلم ينتظره فقال له ما حبسك فقال له حبسني عذر فرأيت شخص واقف في البحر ينتظرهما فدخل إليه وغابا ساعة ثم رجعا فلما أصبح أعلمت عبد الله ابن صالح بما شاهدته فقال لي أكتم ما رأيت حتى أموت وإلا دعوت عليك فكتمت عليه ذلك إلى أن مات".

وحدثني محمد بن أحمد البكري قال: "حدثني أبي قال خرجت يوم في الغلس إلى المقابر فلقيت عبد الله ابن صالح فقال لي إلى أين فقلت إلى المقابر فقال لي: أن أبا يحيى المعلم توفي البارحة فاذهب بنا لنعلم خبره فلما وصلنا إلى داره قرعنا الباب فخرجت إلينا امرأته فسألناها عن أبي يحيى فقالت: توفي البارحة فنظرنا في كفنه وحماته وقال لي: عبد الله ابن صالح أنا اغسله واصبب أنت عليه الماء فلما جردناه لنغسله وجدنا ذراعه قد تعلقت من الأكلة فقال لي: عبد الله ابن صالح متى أصاب أبا يحيى هذا فقلت لا ادري وما علمت أنت بهذا وأنت صاحبه فقال: ما علمت إلا الساعة فلما فرغنا منه استدعينا امرأته لتودعه فقلنا لها متى أصاب أبا يحيى هذا الذي رأيناه بذراعه فقالت: والله ما علمت به إلا الآن فكشفنا لها عن وجهه وكان اسمر فإذا وجهه اشد بياض من بياض قطر الحنوط فسترنا وجهه بالكفن وقلنا وجبت وجبت:

رجال الله قد سعدوا وفازوا

ونالوا افضل رحمته وحازوا

رجال الله طلقوا الدنيا بتاتا

ولو جاز الرجوع لما استجازوا

بـــدا علـــم النجـــاة فيممـــوه

فنـــالوا فـــوق بغيـــتهم وجـــازوا

فـــبعض تشـــرق الابصـــر مـــنهم

وبعـــض ستســـتنير بـــه المفـــازوا

تميـــز كـــل ذي دنيـــا بـــدنياه

وهـــم لهـــم بـــدينهم امتيـــازوا

ومـــا اعتـــزوا بمخلـــوق ولكـــن

لهـــم بالخـــالق الأحـــد اعتـــزازوا

أردت لحـــاقهم وعجـــزت عـــنهم

وحـــدت عـــن الإجـــازة إذا جـــازوا

أتطمـــع باللحـــاق ولا نهـــوض

وتفـــرح بالرحيـــل ولا جهـــاز

وأنـــت أخـــوهم نســـب ولكـــن

طـــرازك فـــوقهم ذاك الطـــرازوا

دع الـــدعوى فلســـت لهـــم قبـــر

وهـــل تحفـــى الحقيقـــة والمجـــازوا

فَصلٌ

يا مضيع شبابه في البطالة هذا الشيب ندير كم تطاوع إبليس وعند الكبر تبكي ويحك على التقصير الشيب والعيب وطول الأمل والغفلة قل أين تسير وآسفا للشباب بعته بالثمن اليسير وآسفا للمشيب قاد الهرم كالأسير

إلهي ضاع عمري ما حيلتي في التقدير كلما رمت اصعد علوا هوت نفسي هويا في وسط الحفير هلال عمرك ما بقي منه إلا اليسير وأنت تلهو وما تعلم أين تصير ما ينفعك من تجمع لهم يوم تسافر للقبر أيها الفقير ما عند أهل الأرض خبر ممن وقع في البئر ما ينفعك لطم الخدود وشق الجيوب وأنت رهين حسرات بين شهيق وزفير فاقبل النصيحة وقدم أمامك ما تقدم عليه لهول منكر ونكير.

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أبو بكر توجي من أهل سجلماسة من أكابر الأولياء حدثني بعض الفضلاء قال أخبرني أبو القاسم بن أبي الفضل قال: مررت أنا وأصحابي إلى مسجد فوجدناه مغلقا فجعلنا فتحة فانفتح فدخلناه وأغلقنا بابه وشرعنا في الصلاة فلما انفلتنا من الصلاة رأينا أبو بكر التوجي يصلي معنا فقلت له كيف دخلت ومتى دخلت فقال لي دع السؤال فضايقته إلى أن قال لي أكثرت علي إن الأولياء لا ينغلق أمامهم باب".

قال أبو القاسم: "تواعدنا ليلة أن نخرج إلى موضع خارج سجلماسة عادتنا أن نخرج إلى الصلاة فيه فجاءنا إلى دار أبي بكر التوجي فلم نجده فقلنا لأهله إذا جاء فاعلموه أن يصلنا بالموضع الفلاني فلما كان بعد العشاء الأخيرة دخل علينا في ذلك الموضع فهبنا أن نسأله فلما رجعنا إلى البلد سألنا أهله وقلنا له متى خرج من عندكم أبو بكر البارحة فقالوا صلى العتمة وخرج وعادة البلدان أن تغلق أبوابه بعد المغرب".

قال يوسف بن يحيى: "حدثني الثقة أن أبا بكر التوجي بات في مسجد ببلد صنهاجة فأصبح فيها ميت رحمه الله تعالى فذهبوا لينظروا في تجهيزه إلى قبره فطلبوه فلم يجدوه فضجوا واعولوا وقالوا رأى الله بنا خيرا لتولينا تجهيز هذا العبد الصالح إلى قبره".

تـــزود قرينـــا بأفعالـــك إنمـــا

قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

ولن يصحب الإنسان من بعد موته

إلـى قبـره غيـر الـذي كـان يعمـل

ألا إنمـا الإنســان ضـيف لأهلـه

يقـيم قليـل عنـدهم ثـم يرحـل

[طويل]

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أبو علي الشريشي البكائي كان من أكابر الأولياء شديد الخوف من الله سبحانه لا يكاد ترقى له دمعة فإذا سمع آية من كتاب الله تعالى تنهمل عيناه بالدموع".

دمـوع الفتـى عمـا يكـن تتـرجم

وأنفاسـه يـدين مـا القلـب ويكـتم

[طويل]

قال يوسف بن يحيى: "حدثني أبو عبد الله ابن علي الهواري أن أبا علي الشريشي رحمه الله تعالى رحل إلى المشرق وحج نحو عشرين حجة دخل مدينة سلا فنزل على علي بن حمدون وأتيت إليه فوجدته جالسا مع باب البيت فسلمت عليه فأمرني بالدخول فدخلت البيت فقال لي: ما اسمك فقلت محمد ابن علي فقال لي: حمدك الله وأعلاك أو كلاما هذا معناه فخطر ببالي أن انهض إلى مراكش في حاجة لي فرفع رأسه إلي فقال لي: يا بني لو اجتمع أهل السماوات والأرض على أن يعطوك ما لم يقدر لك لن يقدروا فجاءته امرأة فدعا لها ثم جاءه آخر فدعا له ثم قلت في نفسي: لعله يناله عجب من رغبة الناس في دعائه فقال لي: يا بني لعل الناس إنما

ينتفعون بحسن نياتهم فكيف ينال العجب احد فنظرت إلى تلامذته فإذا هم نحو الخمسين تلميذا فقلت في نفسي هل يصلي ورده بين تلامذته أو وحده فقال يا بني إذا كان لك عمل من النوافل فلا يطلع عليك إلا الله فانه ابعد من الرياء فنظرني وأنا أعجب من شدة فراسته فقال لي: يا بني لا يعلم الغيب إلا الله تعالى ولكن هذه فراسة المؤمن فانطلقت من عنده وذكرت ذلك لعلي بن حمدون فعجب من انبساطه معي وقال: أنا أحدثك بأغرب من هذا بتنا معه ليلة فكان يحدثنا وكنت خلفه افرك له رمان في طبق وكان الرمان من موروث لنا حلال ورثناه من آباءنا فجاءه رجل يعرف بسيد اللجام برمان غير حلال فإذا ناولته الطبق برماننا أكله وإذا ناولته من رمان الحرام رده وما كان ينظر إلينا وإنما كان وجهه إلى غيرنا وقد ولانا ظهره فعجبنا من حاله فسألته بالنهار عن فعله معنا لم يرد مرة ويأخذ مرة فقال لما كان لنا شيخ بالشام وكانت بينه وبين الله تعالى أمارة في الحرام فإذا قدم إليه طعام قبض عرق في إبهام يده فكف عن الأكل".

عباد الله هذه عادة الله سبحانه مع أولياءه الواقفين ببابه، من كان لله كان الله له أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، عليك ببذل المجهود تأتيك تحف ذي الفضل والجود، عليك بإخلاص الركوع والسجود تؤتيك مواهب الملك المعبود.

يا متشوفا لمقامهم حالك مباينة لأحوالهم هل وافقتهم في القيام بالأسحار، هل شاركتهم في التضرع والخشوع والاستغفار، هل داومت على كثرة الأذكار، أما علمت أن الواردات الإلهية بحسب الأوراد من لم تكن له أوراد لم تكن له واردات من لم يكن له قوة يقين لن يحصل له سنا المقامات.

وروى القشيري في رسالته عن إبراهيم الخواص انه قال: "لقيت غلام في التيه كأنه سبيكة فضة فقلت إلى أين يا غلام فقال إلى مكة فقلت بلا زاد ولا راحلة فقال لي يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السماوات والأرض قادر على أن يوصلني إلى مكة بلا زاد فلما دخلت مكة إذا أنا به في الطواف وهو يقول:

يـــا عـــين ســـحي أبـــدا
يـــا نفـــس مـــوتي كمـــدا
ولا تحيـــــــي أحـــــــدا
إلا الجليـــــــل الصـــــــمدا

فلما رآني قال لي: "يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين، وقال أبو تراب النخشبي: "رأيت غلام في البادية يمشي بلا زاد فقلت إن لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت: يا غلام في مثل هذا الموضع بلا زاد فقال لي يا شيخ ارفع راسك هل ترى غير الله تعالى فقلت الآن اذهب حيث شئت".

فَصلٌ

قال أبو الفرج الجوزي: "قال أبو الوليد ابن مسلم رحمه الله تعالى حدث أبو جابر قال: إن أبا عبد ربه كان أكثر أهل دمشق مالا فخرج إلى أذربجان في غزاة فأمسى إلى جانب نهر فنزل به قال: فسمعت صوت يكثر حمد الله تعالى في سياحته فاتبعته فرأيت رجل ملتفا في حصير فسلمت عليه وقلت له: من أنت يا عبد الله؟ قال: رجل من المسلمين قلت: فما حالك هذه قال: حال نعمة يجب علي حمد الله تعالى فيها ومالي لا أحمد مولاي إذ خلقني فأحسن خلقي وجعل مولدي ومنشأي في الإسلام

وألبسني العافية وستر علي ما اكره نشره، فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه قال: فقلت: رحمك الله إني رأيت أن تقوم معي إلى منزلي قال ولما؟ قلت: لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس ذلك الحصير قال: فأبى وقال إن في أكل العشب كفاية قال ولم أقدر عليه أن يسير معي فذكر عن أبي عبد ربه انه لما رجع من تلك الغزاة خرج عن جميع ماله وتصدق به".

رضيت بذل فيك يا غاية المنا
إذا كان ذلك الذي يرضيك فعله
ويعذلني فيك المعذول بعلمه
واعذره لما تبين جهله
ولي منك سر لست أفهم بعضه
فاشرح حتى يفهم الحال كله
إذا كان من ترجو عزيزا معظما
وفي يده عقد القضاء وحله
فإن وقعت منه العناية لأمر يقينا
علمنا أنه تم سعده
وإن كان لا يعني به في طريقه
فذاك الذي قد حار وانبت حبله
فكيف احتيال فيك أم كيف حيلتي
وأنت الذي تهدي الفتى وتضله

[طويل]

يا أخي ما أطيب أيام الوصال وأمر الهجران ما أعذب ساعات العذيب

لولا رحيل الأضعان شفيع المشتاقين قطرات دموع الأحيار قطرات المدامع في رياض الخدود تنبت أشجار الأشجار ما طاب عيش القوم حتى هجروا الأوطان.

أسكن قلوبهم سكينة السكون فهم في أمان سقاهم رحيق التحقيق فعبق نشر مدحهم في الأكوان لهم أسرار عند سماع رُبَّ أشعث اغبر سرهم غائب عن العيان هذه أحاديث أهل الطاعة لأحاديث أهل العصيان، يا من باع الباقي بالفان أما ظهر لك الخسران إذا لم تتعض بالراحلين فعن قريب ترى الأمر بالعيان هذه قبورهم وتلك قصورهم وكان ما كان ما كان ما أفصح خطاب القبور لمن سمع بالقلوب لا بالأبدان عسكر الموتى ينتظرك، يا مضيعا طيب الزمان ما ينفعك بعد الموت اعتذار ولو أجريت المدامع كالطوفان إذا لم يلين قلبك الوعظ فأنت خشبة أخشى عليك أن تلين بالنيران فبادر ويحك التوبة فهي حياة القلوب أيها الإنسان.

قال أبو جعفر السعدي رحمه الله تعالى: "حدثني أبو يوسف ابن أبي نوح وكان من العابدين قال: صحبت شيخ في بعض طريق مكة فأعجبني حاله فقلت له: إني أحب أن لا أفارقك فقال: أنت وما أحببت قال فكان يمشي بالنهار ويقوم بالليل يصلي ويصوم النهار في الحر فإذا أمسى دخل إلى جراب معه واخرج معه شيء فالقاه في فيه مرتين أو ثلاث قال وكان يدعوني ويقول: هلم فأصب من هذا فامتنع وأقول في نفسي هذا لا يجزيه فكيف أشركه فيه فلم يزل على ذلك وعظمت محبته في قلبي لما رايته من اجتهاده قال: فبينما نحن في بعض المنازل إذ نظر إلي رجل يسوق حمار وقال لي انطلق واشتري ذلك الحمار قال فانطلقت إلى صاحب الحمار وساومته منه فطلب مني ثلاثين دينار فرجعت إلى صاحبي فقلت: طلب في

الحمار ثلاثين دينار فقال: خذه واستخر الله تعالى فقلت له: وأين الثمن؟ فقال: قل بسم الله ثم ادخل يدك في الجراب وخذ الثمن فأعطيه قال: فأخذت الجراب وقلت: بسم الله وأدخلت يدي فإذا سرة فيها ثلاثين دينار لا تزيد قال: فدفعتها إلى صاحب الحمار وأخذته فجئت به إلى صاحبي فقال لي: اركب، فقلت: له أنت اضعف مني فاركب قال: فركب وسرنا كذلك حتى أتينا بعض المنازل فلقينا شيخ فسلم عليه صاحبي ثم جلس فجعل يبكيان فلما أرادا أن يفترقا قال: صاحبي للشيخ أوصني قاله نعم ألزم التقوى قلبك وانصب ذكر المعاملة أمامك قال فزدني قال استقبل الآخرة بالحسنى من عملك واعلم أن الأكياس هم الذين عرفوا عيب الدنيا حين عمي عليها أهلها والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ثم افترقا فلما أتينا مكة نزل بالأبطح عن حماره وقال لي: اثبت هنا حتى انظر إلى بيت الله تعالى نظرة ثم أعود إليك إن شاء الله تعالى فغاب قليلا ثم قال ائتني بدواة وقرطاس قال فأتيته بهما وكتب كتابين فدفع احدهما إلي وقال: انطلق إلى عباد ابن عباد وهو في موضع كذا وكذا فادفعه إليه واقرأه مني السلام ومن حضره من المسلمين ثم دفع إلي الأخر وقال لي: ليكن هذا معك فإذا كان يوم النحر فاقرأه إن شاء الله تعالى قال: فأخذت الكتاب فأتيت به عباد ابن عباد وهو قاعد يحدث الناس فسلمت عليه ودفعت إليه الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا عباد فاني أحذرك الفخر يوم يحتاج الناس إلى الدخائر فان فقر الآخرة لا يسده غنى فان مصائب الآخرة لا تجبر مصيبته وأنا رجل من إخوانك وأنا ميت الساعة إن شاء الله تعالى فأحضرني لتكفنني وتتولى الصلاة علي وأدخلني في حفرتي واستودعك الله تعالى وجميع المسلمين واقرأ السلام على رسول الله ﷺ مني وعليكم جميعا السلام ورحمة الله قال: فقال عباد وأين هذا الرجل قلت بالأبطح

قال: أمريض هو؟ قلت: لا قال: فقام وقام الناس معه حتى أتوا الأبطح فإذا صاحبي يستقبل القبلة ميتا رحمه الله تعالى قال فاخذ في جهازه وصلى عليه ودفنه.

قال فلما كان النحر قرأت كتابه الأخر كما أمرني فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد وأنت يا أخي فنفعك الله بمعروفك يوم تحتاج إليه وجزاك خيرا عن صحبتي وان حاجتي إليك تنطلق إلى بيت المقدس فتدفع ميراثي إلى ولدي والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته فقلت في نفسي كيف آتي إلى بيت المقدس ولم يسد إلي احد ولا ادري لمن ادفع بما أوصى به قال فلما انقضى الحج قلت لانطلقن إلى بيت المقدس فانطلقت فلما دخلت المسجد فإذا رجل كأنه صاحبي فقال لي أين ميراث فلان فدفعت إليه حوائجه وغاب عني فطمعت أن أراه فلم أجد له خبر".

ولما نفرنا بالركائب من منى
مروعة للبين في ساعة النفر
وقد رفعت تلك القباب وقد غدا
فؤاد المعنى بالفراق على الجمر
ولما حدى حادي المطايا
تقاطرت دموع يظاهي بيضها وابل
وعدت من التوديع والقلب لم يعد
ولكنه قد عاد منقسم الفكر
فقلت لنفسي كل ما قد حذرته

جـرى فاصـبري إن المثوبـة فـي

وتـوبي إلـى مـن يعلـم السـر توبـة

عسـاك تنـالين السـلامة في الحشـر

ألـيس مـن الخسـران أن لياليـا

تمر بلا نفع وتحسب من عمري

[طويل]

فَصلٌ

يـا هـذا إن أردت أن تعـرف قـدرك عنـد مـولاك فـانظر بمـاذا يشـغلك فمقامك عنده حيث أقامك فان كنت من أهل القرب ولاك خالص العمل وإن كنت من أهل البعد قطعك بقاطع الأمل كم ببابه من واقف بقضيته ما دخل ما يدخل إلا من عني به ويعطى ما سأل ما يوقع إلا لمن لازم الباب ويحرم أهل الكسل فيا مضيع عمره في الغفلة حتى ولا ورحل بادر ويحك ما بقي قبل نفوذ الأجل.

قال يوسف بن يحي: "كان أبو إبراهيم المراكشي من الأفراد اخبر أبو إبراهيم انه رأى رب العزة سبحانه في النوم فقال له: يا أبى إسحاق أنا أخذ بيدي السخي كلما عثر يقولها ثلاث مرات فلما أصبح أبو إبراهيم تصدق بجميع ماله واعتق ممالكه وكان يتفقد الصبيان في مكاتبهم فيسال عن الأيتام والفقراء فيكسوهم ويشتري لهم الطرف في أول إبانها فيفرقها عليهم وكان يجرد أولاده من اللباس ويكسوها أولاد الفقراء وكان شديد الصفرة من كثرة الصوم والعبادة فكان إذا صلى الصبح خرج إلى دكانه يبيع

الإسفنج[1] فيشمر أكمامه فإذا اخذ ما يقوم به وبأصحابه أطعم المساكين بقية الإسفنج والهريسة، ثم يمر إلى بعض المساجد فيصلي الضحى ويتفرغ في يومه للعبادة وزيارة أخوانه في الله تعالى وكان له إخوان وأخاهم في الله سبحانه يقوم بمئونتهم ويجري عليه ما يكفيهم حدثني غير واحد من الثقات قالوا حدثنا أبو عبد الله ابن تميم انه تكلم مع أبي إبراهيم في شان القبلة وقد شرق أبو إبراهيم فقال أبو إبراهيم لي: منذ كذا وكذا سنة ما كبرت إلا وأنا أعاين الكعبة وسمعت أبا عبد الله ابن تميم يقول لما مات أبو إبراهيم حملنا نعشه في الغلس فخرجنا من باب الدباغين فأبصرت النعش فوق أيدي حامليه وكلهم يضن انه كفاه غيره ورفعه عنه وقال محمد ابن تميم لما رفع نعش أبي إبراهيم سمعت هاتفا يقول ارفعوا من رفعه الله".

وحدث موسى بن عبد الله الخلاص: "رأيت أبي إبراهيم في النوم فسألته عن حاله فقال لي أما رأيتم حين كنتم تغسلوني إسرافيل واقفا في مكان كذا وكذا من الدار وقال محمد ابن تميم قال: حدثني موسى بن عبد الله انه قال رأيت أبا إبراهيم بعد موته في النوم فقلت له: يا أبا إبراهيم لو رأيت احتفال الناس بجنازتك فإنها حضرها خلق كثير فقال لو رأيت احتفالها في الآخرة لرأيت أمرا عظيما حظرها جبريل وإسرافيل عليه السلام ومد صوته بإسرافيل حتى انتبهت من النوم قال: محمد بن تميم فأخبرتني امرأة حضرت جنازة أبي إبراهيم قالت لما اصطفى الناس للصلاة رأى النخلات التي ببحيرة الدقائق تأخرت حتى صارت خلف الجنازة فلما سلم

---

(1) حلوى من الدقيق تصنع في بلاد المغرب الإسلامي.

الناس رايتها قد عادت إلى مواضعها.

إن لله عبـــــــادا فطنـــــــا

طلقـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا

فكـــروا فيهـــا فلمـــا علمـــوا

أنهـــا ليســـت لحـــي وطنـــا

جعلوهـــا لجـــة واتخـــذوا

صـــالح الأعمـــال فيهـــا ســـفنا

[رمل]

فسبحان من اختار أولياءه بخدمته وأهلهم لسلوك سبيل مرضاته خلع عليه خلع الرضا فكانوا أهل حضرته شغلهم بعابدته فكانوا أهل صفوته متع أسرارهم بذكره فما رضي لهم دار سوى جنته نهارهم صيام وليلهم قيام فأهلا بهم أهل ودهم والخيرة من خليقته إذا اقبل الليل نصبوا أقدامهم، وعفروا في التراب جباههم كل منهم مسبل لعبرته والمحروم المسكين متردد في دياجي غفلته تاءه في تيه آماله وأوديت حيرته، فسبحان من قسمهم قسمين وجعلهم فريقين فهذا يسعى لسعادته وهذا مضرم لنار شقوته.

قال يوسف بن يحيى التاذلي: "ومنهم أبو مهدي ابن السلامة الدغوغي مات في الستين وخمس مئة من الأفراد قد انتهى إلى مقام لا يبلغه إلا أحد الأولياء كان أبو مهدي يقول: "لا تكتموا عن إخوانكم ما تشاهدون من الكرامات وحدثوهم بها لتحببوا لهم طاعة الله تعالى".

سئل أبو مهدي عن المشي على الماء فقال هو حق ولم يمس الماء من

القدم إلا باطنه وحدثني داوود ابن عبد الخالق قال: حدثني صالح ابن إبراهيم قال سرت إلى أبي تاتوا لأزوره فرأيت في الفحص قوس قزح وطرفه بباب أبي تاتوا فرأيت رجل في الهواء ينزل من قوس قزح كما ينزل الإنسان من الدرج إلى أن نزل بدار أبي تاتوا فلما وصلت إلى دار أبي تاتوا فرحب بي وقال لي: لو أسرعت لأدركت أبا مهدي فإنه كان خرج من عندي الآن فحدثوا عن أبا مهدي إن يخترق الهواء، وسخر له.

وذكروا عنه العجائب ذكر عنه بعض أصحابه أنه كان معه بموضع طفر لا ماء فيه قال فقلت له من أين نجد الماء هنا فقال لأبو مهدي سيفتح الله فيه فلما كان وقت الزوال قال لي: أبو مهدي اذهب بنا نتوضأ فأخذت ركوته وتبعته فجاء إلى الحجار التي تجتمع في الفدادين وسارت كالكدية فجعل ينقضها حجر حجر إلى أن وصلنا إلى صخرة كالصحفة وفيها ما بارد عذب طيب فملأ الركوة وناولني فشربت وتوضئنا فنسج عليه بالحجارة كما كانت قال، ثم إني جئت أنا في يوم آخر إلى ذلك المكان وحدي وذهبت إلى الكدية وانقضتها فلم أجد فيها ماء لا قليل ولا كثيرا فعلمت إنها كرامة لأبي مهدي.

وحدثني داوود ابن عبد الخالق قال حدثني ابن الخير قال: "كنت بمسجد أبي مهدي ادرس فيه القرآن فكان يقعد عندي ويدلني على طريق الآخرة فجاء ليلة بعض إخوانه فلما صلينا العتبة تأخر في المسجد إلى أن انصرف الناس فخرج من احد أبواب المسجد فشد على أنفسهما أثوابهما وتحزما تحزم الأجراء للخدمة وتلثما فرايتهما وثبا من الأرض كهيئة الغرانيق الثقيلة تطير على وجه الأرض وما زالا يعلوان في الهواء حتى غابا عني فانكسرت انكسارا عظيما ونالتني حسرة القصور عن أحوال الرجال

وتكاسلت عن القراءة وبقيت مفكرا طول ليلتي فلما كان وقت صلاة الصبح صلى معنا أبو مهدي مع صاحبه صلاة الصبح ثم جاءني وقعد عندي على عادته فرآني منكسرا متكاسلا عن القراءة فقال مالك لا تقرأ فسكت، فقال لي لعلك رايتنا البارحة فهملت عيناي بالدموع فقلت له رايتكما وأريد أن أصحبكما إذا ذهبتما فقال لي إن الفرخ إذا نبت زغبه لم يطر مع الطير حتى يكمل نبات ريشه فلما كان ذات ليلة قال لي اذهب إلى فلان بمسجد تاتوريت وقل له يأتينا لأصلي معه الصبح الآن وبينهما مسيرة يومين وقد قرب طلوع الفجر فقلت في نفسي فكيف يمكن هذا ثم تذكرت أحواله فمشيت واتبعني فوادعني ورجع ومشيت قليلا وأدركتني شبه السنة فما شعرت إلا وأنا أعاين مسجد تاتوريت فخرج إلي منه الرجل وقال لي بعثك إلي الشيخ أبو مهدي فقلت له نعم وأمرني أن أعلمك أن تصلي الآن معه صلاة الصبح فقال لي تقدم إليه ودار حول المسجد وغاب عني فانقلبت راجعا فأصابني أيضا شبه السنة فإذا أنا على قرب مسجد أبي مهدي فدخلت المسجد فوجدت أبي مهدي وصاحبه يتحدثان وقد صليا صلاة الصبح وصليت وضننت أني قد لحقت بالشيخ فأتيته فقال لي يا بني رايته بعض ما يراه الرجال فقلت له يا سيد عسى أن أصحبك في مسيرك إذا طرت إلى مكان فقال يا بني إذا طار الطائر الصغير قبل أن يستكمل نبات ريشه مع الطائر الوافر الريش فإنما يطير ميلين ويسقط في القفر فيلتقطه الرعيان وان الرجال لا يصلون إلى مواضع لو طارت الطيور إلا أن يسقط ريشها وينبت لها ريش آخر فطارت حتى يسقط وينبت لها ريش آخر وطارت حتى يسقط ما وصلتها ويبلغها عباد الله في طرفة عين.

وسمعت داوود ابن عبد الخالق يقول:" سمعت غير واحد من أصحاب

يغمور بن خالد يقال جاءني أبو مهدي فقال لي: اذهب معي إلى زيارة شابة هسكووية لم تبلغ الحلم وهي من الأولياء فذهبنا إلى كهف بجبل دوز فوجدناها قد انقطعت عن الناس فخاضت معي في علوم لا أعرفها وكانت مريضة وانصرفنا عنها ثم سرنا يوم آخر لنزورها فلما قربنا من الكهف قال لي أبو مهدي إن تلك الشابة في النزع فرأيت نور يسطع من الكهف الذي كانت فيه فدخلنا عليها فوجدناها تجود بنفسها فقالت لأبي مهدي إذا أنا مت فاسترني بهذا الثوب الخلق الذي علي واذهب إلى أبواي بمكان كذا واقرأ عليهما سلامي واعلمهما بالحال ثم ماتت وفعلنا ما أمرتنا به فلما خرجنا من الكهف رأيناها تحمل في الهواء فسألنا عن اسم أبويها فلما دخلنا عليهما قالت لنا أمها أضنكما قريبي العهد من ابنتي فأعلمناهما بوفاتها فعزيناهما وانصرفنا" .

ومنهم الفقيه يغمور بن خالد تلميذ محمد ابن ياسين الفقيه وصحبا أبا مهدي زين السلامة وكان الفقيه يغمور مدرس للفقه ثم اعتزل عن الناس وغلب عليه أحوال العلامات مع الله تبارك وتعالى وكان في بدأ أمره إذا نظر إليه أبو مهدي يقول هذا الفتى لا يصلح إلا لطاعة الله تعالى وعبادته فصحبه فكان يدله على الطريق ويبصره فيه ويحدثه بكرامات الأولياء إلى أن حدثه بالمشي في الهواء فأنكر يغمور ذلك فمر عنه أبو مهدي إلى أن جاءه برجلين من أصحابه فوجده أبو مهدي في المسجد فلما رآه الفقيه يغمور تقدمه إلى منزله وأدخلهم في البيت وذهب ليأتيهم بطعام فلما جاءهم بالصحفة خرجوا من البيت واستعلوا على السقف وهو ينظر إليهم وهم يقولون له كل طعامك أيها الشاك ولم يزل ينظر إليهم إلى أن استعلوا في الهواء فصاح ومزق أثوابه ووقع مغشي عليه فجاءه والده فسأله عن

سبب غشيانه فأخبره فقال له مالك ولأولياء الله تنازعهم فمن حينئذ لزم يغمور الطريق إلى أن لحق بالرجال".

قال يوسف بن يحيى: "حدثني داوود ابن عبد الخالق قال حدثي إسماعيل ابن خالد أخو الفقيه يغمور قال كان أبو مهدي يأتي إلى أخي يغمور بالليل ويخرج إليه فيغيبان عنا الليل كله فنشاهد على أثوابه بالنهار ندى البحر وعلى رجليه أثر رمل البحر وبيننا وبين البحر مسيرة يوم".

تنبيه: "قول أبو مهدي ﷺ لا تكتموا عن إخوانكم ما تشاهدونه من الكرامات وحببوا لهم طاعة الله تعالى هو شرط أن يكونوا إخوانا يعني أرباب سلوك واجتهاد في الخير ولا يفشى لأجانب.

قال الشيخ عبد الله ابن أبي جمرة ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ذكرهم بما خصهم الله عز وجل به أو نبيه ﷺ هو على طريق الاستبشار وتشكر النعمة وتبرئ من دعوى العمل، ثم قال وفيه دليل لأهل الصوفة الذين يقولون يندب لأهل هذا الشأن أن يتحدثوا بما فتح الله عليهم بين إخوانهم بشرط بان لا يكون بينهم أجنبي لأنه مما يتقى به إيمانه وقوة الإيمان زيادة في القربة إلى الله سبحانه وفيه أيضا عون للنفس لا سيما في زمن قل فيه الصدق وفي هذه الطريقة حتى انه عند بعض من يعرف شروطها انه شيء طوي بساطه فيكون سببا لكسله عن التراقي".

وقد أخبرني بعض من كان له تعلق بالطريق ثم فتر عن عمله فلما رأى من بعض من كان في زمانه شيء من أحوال القوم وأنه لما أبصر ذلك رجع إلى المجاهدة والخدمة وفتح عليه في أقرب زمان فقال لي: والله وهو الحالف ما كان كسلي عن الخدمة إلا لكوني لم أر في نفسي شيء مما رأيت في كتب القوم فقلت: هذا شيء طوي بساطه فمال والتعب فلما

أبصرت من فلان شيئا مما أبصرت في كتب القوم أيقنت أن الطريق باقية وإنما السالكون قلوا فأخذت في الخدمة فجاء من أمري ما ترى فذلك فائدة التحدث بها، وفي ذلك قيل إذا كنت في حالك صادقا ونطقك وسكوتك لمن رآك فهو فلاح انتهى من شرحه لبعض أحاديث البخاري رحمه الله تعالى".

وقد خاض الشيخ ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى من هذا الأمر بحارا واستخرج من مكنون طريق الأولياء جداويل وانهارا وغرس عليها بأيدي العرفان أشجار يقتطف العارفون من نور أزهارا ويجتني السالكون من جناها ثمارا.

وقد قال رحمه الله تعالى: من مقامات الولاية أعلاها وارتقى بعلو همته في معارج المعارف فنال من صفو طيبها أسناها وكتابه هذا يشهد له فأثاره تنبيئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه وكما قيل تعرف عقول الرجال في تصاريفهم وتصانيفهم وقد ألمع ابن الحاج في مدخله بأشياء مقتضيات لفضله مسفرة عن عيوني من مناقبه أعاد الله تعالى علينا من بركاته وبركات أمثاله".

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أبو وكيل الميمون الجراوي صحب عبد الغفور سمعت محمد ابن خالص الأنصاري يقول قال لي أبو وكيل اذهب معي نزور عبد الغفور قال فخرجنا حتى أتينا إلى جدار السور فجلس وأطال الجلوس إلى أن تعالا النهار فقال مشينا إلى أن وصلنا الجامع فتقدمت إلى عبد الغفور وسلمت عليه وتأخر أبو وكيل ساعة ثم جاء إليه وتحدثنا معه ثم انصرفنا إلى مراكش فأردت أن أوثره بنعلي فأبى ومشي حافيا موافقة له حتى دخلنا المدينة فلقيت الشيخ أبا العباس الجباب

فحدثته بذلك كله فقال لي لعلك أنكرت عليه شيء أو خلفته في شيء، فقلت لم أنكر عليه ولم أخالفه فقال لي انه محدث لا يفعل شيء إلا بأمر وما يتوقف إلا ليؤمر بما يفعله ولقد هم أن يلازم بيته على التوكل فقيل له ليس هذا مقامك اخرج واحترف وإنه لا يمر به الناس فيبصر صورهم الظاهرة قد بدلت بصورهم الباطنة فبينها هم عن الأوصاف الذميمة.

فَصلٌ

قال أبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى: "قال أحمد ابن علي رحمه الله تعالى كنا ذات يوم عند ذي النون المصري رحمه الله تعالى وقد ذكرت كرامات الله تعالى لأوليائه فقال بعض من حضر هل رأيت منهم يا أبا الفيض أحد فقال كان عندي فتى من خراسان فبقي في المسجد سبعة أيام ولم يطعم الطعام وكنت أعرضه عليه فبينما نحن جلوس ذات يوم دخل ساءل فسئل شيء فقال له ذلك الفتى الخراساني لو قصدت الله تعالى دون خلقه لأغناك ولكن أي شيء تريد فقال ما يسد فاقتي ويستر عورتي فقام الخراساني إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتى السائل بثوب جديد وطبق فاكهة فأعطاه إياه قال ذا النون فقلت له لك هذا الجاه عند الله تعالى ولك منذ سبعة أيام لم تطعم شيء قال فجثا على ركبتيه وقال يا أبا الفيض كيف تنبسط الألسن بالمسألة والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه قال ثم أقيمت الصلاة فصلى معنا وأخذ ركوة وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة فلم أره بعد ذلك".

قال القشيري في التحبير: "اعلم أن من صح توكله على الله سبحانه لم يرفع حوائجه إلا إليه فربما سئل بحكم الخشوع والتذلل وربما سأل بحكم البسط والإذلال، حكي عن بعضهم أنه قال: "كنت ببيت المقدس في

الجامع فرأيت إنسانا ملتفا بعباية فقام وقال إن لم أطعمتني الخبز والطعام الفلاني وإلا كسرت قناديلك فقلت: إنا لله إما مجنون وإما ولي مذلول قال وعاد إلى حالته ونام قال وإذا أنا بحمال ومعه ما أشار إليه فوضعه بين يديه فاستوى الرجل واكل منه شيء وحمل الرجل الباقي ومر قال: وقفوت أثره وسئلت عن القصة فقال لي إني رجل حمال اشتهى علي صبياني هذا الطعام منذ مدة فأصلحته اليوم فأغفيت إغفاءة فرأيت بان قائل يقول لي ولي من أوليائنا في المسجد اشتهى هذا فاحمله إليه ثم احمل ما فضل إلى صبيانك.

أقــول لركــب راحلــين لعلكــم
تحلـون مـن بعـد العقيـق اليمـاني
خذوا نظرة مني فلا قوا بها الحمى
ونجـدوا كثبـان اللـوا والمطاويـا
ومـروا علـى أبيـات حبـي برامـة
وقولـوا لـديغ يبتغـي اليـوم واقيـا
عـدمت دوائـي بالعـدرق فربمـا
وجـدتم بنجـدلي طبيـب مـداويا
وقولـوا لجيرانـي علـى الخيـف
من منا تـراكم مـن اسـتبدلت
ومـورد المـاء الـذي كنـت واردا
بـه ورعي العشـب الي كنت رعيا

فوأسفي كم لي على الخيف وقفة

تـذوب عليهـا قطعـة مـن فؤاديـا

فيا رفع إن ألبستني السقم والضنا

فـاني ساكسـوك الـدموع الجواريـا

ويـا قـرب مـا أنكـرتم العهـد بيننـا

سيتم ومـا استودعتم بالسـر ناسيا

أأنكـــرتم تســـليمنا ليلـــة النقـــا

وموقــف رمــي للبحــاري لياليــا

ومن جلدي لا اسأل الركب عنكم

وأعـلاق وجـدي باقيـات كمـا هيـا

ومن يسأل الركبان عن كل غائب

فـلا بـد ان يلقـى بشـيرا وناعيـا

[طويل]

يا هذا أول طريق في القتال الجبان ويسلم الشجاع ميدان المجاهدة فيه ضيق لكن تعقبه سلامة واتساع ويحك ترك المجاهدة من وراءه حيات وسباع رافق رفاق التائبين وابكي للتخلف والانقطاع أجهد نفسك في سير الليل على راحلة التهجد ففي باعها اتساع خفف عنها ثقل الطعام والشراب فإنها تلذذ بطيب السماع فإذا حللت منزل السحر فأرحها بعد الاستغفار تذهب عنها الأوجاع لا توردها نهر الشهوات فليس في مائه انتفاع الدنيا نهر طالوت من أكثر شربه عطش وجاع يا داوود رد التوبة اضرب جالوت

الهوى بحجر المخالفة في الإقلاع فإذا مات وقعت الهزيمة في جند الشهوات وطهرت منهم البقاع يا أخي ما وصل القوم المنزل إلا بعد طول السرى ما نالوا حلاوة الراحة إلا بعد مرارة التعب وانشدوا

لـو قـرب الـدر علـى جلابـه

مـا يحـج القـايض فـي طلابـه

ولـو أقـام لازمـا أصـدافه

لـم تكـن للتيجـان فـي حسـابه

مـا لؤلـؤ البحـر ولا مرجانـه

إلا وراء الهـول مـن عبابـه

مـن يطلـب العليـا يلقـى عنـدها

مـا لقـي المحـب مـن أحبابـه

[رجز]

قال يوسف بن يحيى: "كان الشيخ أبو محمد عبد الرزاق الجازولي من كبار المشايخ ومن تلامذة الشيخ أبي مدين حدثني الثقة عن أبي محمد صالح بن ينصار عن أبي محمد عبد الرزاق انه كان يواصل سبعة أيام وقيل ذلك لأبي مدين فقال: دعوه فان كان كاذبا في وصاله كان ذلك عقوبة له، وإن كان صادقا انتفع بذلك".

وسمعت عبد النور بن علي يقول: "سمعت الشيخ أبا محمد صالح ابن ينصار غير مرة اغتم شيخنا عبد الرزاق من أمر كان بينه وبين زوجته وربما ضربته فاعتزالها وانفرد في زاوية ذي النون المصري بإخميم فقعدونا إليه يوم فوجدناه قد تلطخ بالدم ورأسه مجروح فحدثنا انه كان في الزاوية

بالليل وبابها مغلق فإذا برجل مد يده إلى الباب فانفتح فدخل عليه فقال له: من أنت؟ قال له: أنا موسى الهروي قال: عبد الرزاق فقال: اسمع أحدثك فانشأ يحدثه عن نفسه ولم يصرح فقال له: ذهب رجل إلى ولي من الأولياء يسمع به فسار إليه مسيرة أشهر فدخل البلد الذي كان فيه الولي المذكور بليل فنزل في علو من الدار التي كان يسكن فيها ذلك الولي المذكور فلما كان بالليل سمع ذلك الرجل كلام امرأة الولي وقد أتته بطعام وقالت له: خذ يا هذا المرائي فوالله لو علم الناس منك ما اعلم لرجموك بالحجارة فلما سمع الرجل كلامها تغير ظنه وقال: أتيت إلى هذا الشيخ لأتبرك برؤيته وزوجته اعلم بأحواله فهم بالانصراف دون أن يراه فلما أصبح قرع باب دار الشيخ فقالت له زوجته: إن الشيخ ذهب إلى الغابة ليحتطب فذهب إلى الغابة فوجد الشيخ ما بين الشجر والأسد يكسر له الحطب فجمعه الشيخ وربطه بالحبل وجعله على ظهر الأسد فحمله الأسد إلى أن قرب من العمران فأزال الشيخ الحطب عن ظهره ورجع الأسد إلى الغابة فبادر الرجل إلى الشيخ فقبل يده وقال له: يا سيدي بما نلت هذا المقام فقال له بصبري على ما سمعت البارحة، ثم قال لي موسى الهروي: وأنت يا عبد الرزاق وضع الله لك التعظيم في قلوب أهل المشرق وأهل المغرب وسخرهم لك إلا عجوزا واحدة لم تقدر على الصبر على خلقها ثم غاب عني فصحت صيحة شديدة ووقعت مغشيا علي فإذا بي قد وقع راسي على الجدار فانجرح كما ترى ثم قال لنا عبد الرزاق فوالله ما أبالي بعدها بما فعلت بي الزوجة ولو نتفت لحيتي ما أنكرت عليها، ثم طرح ثيابه للفقراء شكرانا لله تعالى على ذلك فباعوها وتقوتوا بثمنها طويلا واني لصبار على ما ينوبني وحسبك إن الله اثني على الصبر صبر القوم على الطاعات فنالوا أعلى الدرجات واعرضوا عن قبيح الشهوات فسلموا من الآفات تجرعوا

مرارة الصبر فأعقبهم حلاوة الظفر غابوا عن ملاحظة الخلق إذ شهدوا حقيقة التصريف بالملك الحق فنوا عن رؤية ما سواه فلم يشهدوا في الدارين سواه وانشدوا":

الله قل وذري الوجود وما حوى
إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته
عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها
لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا به لم يشهدوا
شيئا سوى المتكبر المتعال
ورؤوا سواه على الحقيقة هالكا
في الحال والماضي والاستقبال
الهي اشكوا إليك تخلفي عن
الهي فاتني القوم في السياق
الهي اطمع في اللحاق
الهي شوقي إلى الحضرة دائم باق
الهي بك علقت أملي
وعلى جودك وفضلك متكلي
الهي قد قرب مني الرحيل
الهي ما إلى التخلف عنه من سبيل
الهي إليك اشكوا ما لا يخفى

فارحم ذلي يوم وقوفي بين يديك
الهـــي لمـــا دنـــا اجـــــــلي
ضعفـــــــت فـــي عمـــــــلي
الهي حالي لا يخفي عليك منك
اطلـــــب الوصـــــول إليـــــك
تمـــر الليـــالي بنفســـي ومـــالي
فيا قوم مالي عن الموت سالي
نهـــاري جـــدال وليـــل انجـــدالي
وحـــول رجـــال علـــى مثـــل حـــالي
يبعـــون رشـــد صـــحيحا بغـــي
فبـــؤس وسـحقا لهـــم مـــن رجـــالي
قطعـــت لعمـــري لســـاعات عمـــري
بزيـــد وعمـــرو وقيـــل وقـــالي
فيـــا صـــاحي مهـــلا أأســـلك جهـــلا
واتبـــع غيـــا ســـبيل الطلالـــي
أفـــي المـــوت ريـــب أيحمـــل عيـــب
لمـــن لاح شـــيب لـــه فـــي الغزالـــي
شـــبابي يفـــر وشـــيبي يكـــر
ومـــا إن تمـــر المنـــون ببـــالي
طريـــق طويـــل وزاد قليـــل
وحمـــل ثقيـــل فكيـــف احتيـــالي
إن عظـــم ذنبـــي فيشـــتد كربـــي
ولكـــن رب كثيـــر المـــوالي
فيـــا ذا الجـــلال ويـــا ذا الجمـــال

ويـــا ذا المعـــال عليـــك اتكـــال
فكـــن عنـــد ضـــني ولا تســـلمني
ولا تخـــــذلني بســـــوء فعـــــالي
فأنـــت الرجـــاء ومـــن الجفـــا
ومنـك العطـاء فهـب لـي سـؤالي

فَصلٌ

الحمد لله الذي نعم قلوب أوليائه بأسرار خفيت عن مدارك العيون دبر الخليقة كيف شاء بما شاء بالحركات والسكون فسبحانه إنما أمره إذا أراد شيء أن يقول له كن فيكون رتب المسببات على الأسباب ترتيبا لا يفهمه إلا العـالمون نعـم أحبابـه بـالفهم عنـه فهـم بمفهـومهم يتنعمـون وابعـد المطرودين عن بابه فهم في تيه الغفلة يترددون كم تمر عليهم آيات العبر وهـم لا يعتبـرون كـم نـاداهم المشـيب للرحلـة لكـنهم لا يسـمعون غـرهم الإهمال حتى ظنوا أنهم يهملون أم يحسبون أن لا نسمع سرهم ونجواهم بلا ورسلنا لديهم يكتبون أحمده سبحانه ولا يعي أحد بتحميده وأشكره جل وعلا على ما منح من فضله ومزيده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأشـهد أن محمـدا عبـده ورسـوله المختـار مـن خليقتـه صـلى الله عليه وعلى إله الفضلاء وصحابته.

معاشر السامعين غضوا أبصاركم عن رديء الشهوات فكم في مراتع السوء من كوامن الآفات فالدنيا قيل فيها أنها خمر إبليس من شربها لا يصحوا إلى الممات، فاسمع حقيقة ما يقال ودع عنك النزهات ستعلم قولي إذا رأيت صحيفة الحسنات والسيئات، يا أخي لا تستبعد طريق الصالحين فما أقربها من آثار إلا هي ضرهم صبر على قطع مسافات الأعمار منهم من قضى نحبه ومنهم من هو في الانتظار إذا كان المعين

يعين فما أسرع الوصول إلى الدار ما أسرع المواهب لمن رافق الذل والانكسار تعرض ويحك لمن أطاعهم وقدم أمامك الافتقار بالله ما وعودك بالركب وتخلفك في القفار كم تمشي في ليل الغفلة وتترك ضوء النهار ضيعت الشباب في البطالة وفي الكبر تذكر الأعذار لو تأملت يا مسكين لعلمت انك في اغترار سكبت ماء العمر في سبائغ الشهوات هيهات كيف تجني من هنالك الثمار متى تردده إلى زرع المعاملة فعسى أن يكون في عودة أخضار".

حدث يوسف بن يحيى بسنده عن عبد الله ابن احمد المراكشي قال: "كنت اسأل أن يورني الله ولي من أوليائه قال عبد الله فمشيت ليلة إلى مسجد أبي مروان فتحت باب المسجد ثم أغفلته وكبرت للصلاة فأبصرت رجلا داخلا في المسجد فركع وسلم من صلاته وفرغت أنا أيضا من صلاتي فكلمني وكلمته فأخذ بيدي فخرجت معه من المسجد ومشينا إلى أن وصلنا إلى مسجد فدخلناه فوجدنا فيه رجالا يصلون فَصلّينا معهم ما قدر لنا م قال لي قد قرب طلوع الفجر فاذهب بنا فرجعت معه وهو يحدثني فلم أشعر إلا وأنا عند باب المسجد وغاب عني".

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أبو محمد صالح بن وندلوس الأسمر ثم اسند عن إبراهيم ابن محمد ابن يوسف شاهد قال: مر بي أبو محمد صالح في يوم جمعة وكان اليوم الحادي عشر من شعبان من سنة إحدى وتسعين وخمس مئة وأنا في جماعة فقال لي: قد اجتمع الفريقان وكان الظفر لصاحبنا فلم نفهم معنى كلامه وكأنه علم أنا لم نفهمه فعاد إلينا وقال: قد اجتمع المسلمون والكفار ونصر الله طائفة الإسلام ودخل كل واحد منا داره وأرخ اليوم الذي حدثنا فيه ثم بعد ذلك وصل الخبر الصحيح من

جزيرة الأندلس بغزوة الارك التي هزم الله سبحانه فيها جيوش الروم وانه في يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمس مئة قلت: وتواتر خبر هذه الغزوة بأخبار جماعة من الأولاد فجاء الخبر والكتب من الجزيرة موافقا لما اخبر به هؤلاء السادة فبركتهم ﷺ لا يخلو منها إقليم من الأرض".

قال صاحب عنوان الدراية: "ومنهم الشيخ الصالح الواصل أبو عبد الله ابن العربي كان من أولياء الله المقربين ومن عباد الله الذين هم لمعالم العلا اخص الوارثين قال أبوبكر ابن العربي الحاتمي هو من الأميين كشيبان الراعي وكان ﷺ مخفي لأمره مستتر بصورة البله مدة ظهره وكان يحج من بجاية في بعض العشر من ذي الحجة ويرجع من غير أن يعلم ذلك من هو على السرائر والخفيات مطلع وكان ﷺ كثيرا ما يركب قصبة كما يفعل الصبيان ستر منه لحاله ولقد وصل في بعض الأحيان من ناحية الشام جفن في شهر ذي الحجة فبينما الشيخ بحومة باب البحر إذ رأى النصراني صاحب الجفن فقال له: يا سيدي خذ مزودك الذي دفعت لي بالشام فركض قصبته وفَصلَ عنه فحلف النصراني وقال: والله ما دفع لي هذا الشيخ إلا المزود بالشام منذ ثمانية أيام والله ما هو إلا ولي الله ولما كان في عام الارك احتزم في يوم من الأيام وركب قصبة وامسك قصبة أخرى في يده عوضا من نزراق وجعل يكر ويفر وهو يتفصد عرقا إلى أن رمى بالقصبة من يده ضاربا بها وجه عدوه قائلا عند رميها في سبيل الله وسقط على الأرض من شدة جهده ومبلغ كده فورخ ذلك الوقت من اليوم فكان هو الوقت الذي هزم الله به النصارى في عام الارك وهو يوم الأربعاء التاسع لشعبان المكرم عام إحدى وتسعين وخمس مئة فكان ﷺ في جملة

المجاهدين في ذلك اليوم وممن أعان الله به المسلمين وأوقع الهزيمة على يديه".

قال صاحب عنوان الدراية وقد يقع في هذا الذي حكيناه إنكار من ملحد لا علم له وحقه الأعراض عنه وعدم الالتفات إليه وان زاد فيصفع في وجهه عوضا عن قفاه كما جمع الله له الخزي في أولاه وأخراه.

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أم محمد السلامة من بلد دكالة أخبرني أبوبكر الجوري خديم السلامة قال: خدمت السلامة ثمانية أعوام فكانت تزرع كل عام خمسة إمداد خاصة فإذا حصدت رفعت خمسة إمداد برسم الزريعة واعدت الباقي لنفقتها ونفقة اضيافها مدة من عام قال أبوبكر وقلت يوما للسلامة خدمت مرة فما رأيت شيء مما يراه الرجال فقالت لي: تتوب إلى الله سبحانه وتعالى وعليك بالصوم فصمت أيام فلما كان ذات ليلة قالت لي قم فانظر كم بقي من الليل فقمت لأنظر ما بقي من الليل فرأيت شيئا يطير في الهواء كالغرنوق العظيم فإذا به قد نزل على خيمتها ثم دخل إليها فإذا هو سهرها أبوسجمات فسمته يقول لها: ما وجدتي من ترينه من تلامذتك إلا أنا فتحدث معها ساعة ثم رأيته عاد من حيث جاء، قال أبوبكر: وكنت مع السلامة وابنها محمد في زمن الحصاد إلى أن صاحت فسقطت فسمعت ابنها يقول لها ستكون الكرة لهم فافاقت من غشيتها وصرخت صرخت يصرخها النساء عند السرور بالشيء فاجتمع الناس إليها وانكروا عليها ذلك فقالت لهم: كنت رأيت الروم قد حملوا على المسلمين حملة عظيمة فعظم ذلك علي ثم بعد ذلك كانت الكرة للمسلمين عليه فهزموهم فأرخ الناس ذلك فجاء الخبر من جزيرة الأندلس بأن المسلمين هزموا ذلك اليوم اذفونش ملك الروم وهي غزوة الارك التي كانت يوم

الأربعاء التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمس مئة".

لله فـــي الخلـــق اســـرار وانـــوار
ويصـطفي الله مـن يرضـى ويختـار
لا تحقـــرن فقيـــر إذا مـــررت بـــه
فقـــد يكـــون لـــه حـــض ومقـــدار
والمـرء بـالنفس لا بـاللبس تعرفـه
قـد يخلـق الغمـد والهنـدي بتـار
والتبر في الترب قد تخفى مكانة
حتـــى يخلصـــه بالســـبك مســـبار
ورب أشـعث ذي طمـرين مجتهـد
لـه علـى الله فـي الأقسـام إضـرار
[بسيط]

فَصلٌ

يا أخي لا تبيع الفاني بالباقي إلا من هو في بيقه خاسر إياك والانثى بما ترحل عنه فتبقي في بحر الندامة حائر ورافق ويحك من يؤنسك في المقابر رفيق التقوى معين وأرفق الخلاف غادر مهر الآخرة يسير قلب مخلص ولسان ذاكر ومهر الدنيا ذبح الشهوات وطعن في الحناجر يا أرباب القلوب معكم أتحدث ولكم أصف ولركبكم أساير".

قال أبو سليمان الدراني: "رأيت بطريق بيت المقدس جارية على رأسها خمار صوف وهي تبكي فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: أحب لقاءه. وقلت لها: لقاء من تحبين؟ قالت: لقاء المحبوب، وقلت لها: من المحبوب؟ قالت: علام الغيوب، قلت لها: يا جارية كيف تكون محبتكم لله تعالى؟ قالت: بأبدان نحلة وألوان متغيرة وعيون هاطلة وأرواح ذاهبة وألسن ذاكرة.

أقـول لأصـحابي غـداة تنـافروا
رويـدكم إن الهـوى دائـه يعـدي
ومـا طـاب نشـر الـريح إلا وعنـدها
أحاديـث مـن نجـد ومـن سـاكن
إذا مـا قـد حـتم نـار شـوق فإنمـا
اثـري بهـا شـوقي وجمرتهـا عنـدي
يظنـون حـالي فـي الهـوى مثـل
وهيهات إني في الهوى امة وحدي
اذم جفـون لـيس يقرحهـا البكـى
وأنكـر قلبـا لا يـدوم مـن الوجـد
[طويل]

فَصلٌ

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم إبراهيم أبو إسماعيل الرجراجي من أهل آدار من بلد رجراجة كان أبو إبراهيم من أكابر العلماء واتفق أهل عصره على أنه من الأوتاد وغلبت عليه أحوال المشاهدة فلم يتفرغ لأخذ العلم عنه وكان لا يتكلم إلا بالكلام العربي الفصيح وكان محفوظا يتكلم بما شاء ولا يبالي، وكان يأوي في بيته بمكان لا عمران حوله ولا يخرج إلا في أوقات الصلاة ومرة يخرج وعليه كسوة سنية ومرة يخرج وعليه تليس وكان أكثر كلامه ألا لا تؤذوا أولياء الله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعيد هذا الكلام في أكثر الأوقات وكرامته منقولة نقل التواتر أخبرني الثقة أن أبا إبراهيم أقام بمدينة الرسول ﷺ بعد أن حج نحو العشرين سنة ما بين الروضة والمنبر إلى أن سمع هاتفا يقول له اذهب إلى المغرب فقد قضيت حاجتك ثم سمع الهاتف في الليلة الثانية فلما كان في

الليلة الثالثة قيل له: لا أن تفعل ما أمرت به أو لتسلبن".

وحدثني جابر بن ياسين: "وكان خديما لأبي إبراهيم قال سمع أبو إبراهيم بين المنبر والروضة هاتفا من فوق رأسه بالليل يقول يا أبي إبراهيم ارجع إلى دارك فقد قضيت حاجتك قال جابر: وكنت اسمع أبا إبراهيم من جوف الله وهو يقول بصوت عال عبدك إسماعيل أنا عبدك إسماعيل أموت على نيتي أموت على نيتي أموت على نيتي لا تبديل لكلمات الله لا تبديل لكلمات الله ويعيد هذا الكلام ثلاث مرات بالليل وحكي عن أبي بكر الحيحلي أنه قال: جئنا إلى أبي إبراهيم نزوره فخرج إلينا وهو يقرأ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، وحدث غير واحد أن أبا إبراهيم صلى الجمعة وتكلم بكلام يعني في النهي عن المنكر فسمعه العامل فسجنه وأقام في السجن ثلاثة أيام ثم صاح يا أهل السجن فاحضروا فقال لهم توبوا إلى الله تعالى فقالوا تبنا فأعاد عليهم هذا الكلام مرات فأجابوه بأنهم تابو وقال لهم أتريدون أن تنطلقوا من السجن فقالوا له نعم فسقطت طائفة من جدار سجن فتقدمهم وخرج فخرجوا في أثر ولم يرجع أحد منهم إلى السجن وقد كان فيهم رجل محبوس في مال كثير من الخراج فما طلبه العامل ولا عرض له أحد وذكر الفقيه محمد ابن ياسين أنه قال حضرت يوم جمعة في المسجد الجامع فلما صلينا قال أبو إبراهيم فقال: أتريدون أن أعظكم

---

(1) سورة آل عمران3 ، الآية:14.

فسكتوا إلى أن قالها ثلاث والناس سكوت والعامل حاضر فتكلم في حق العامل بكلام خاف الناس على أنفسهم منه وخرجوا من المسجد كلهم وخرج العامل من المسجد وجلس على قرب منه وخرج أبو إبراهيم من المسجد ومر على العامل فقيل هذا هو الذي تكلم في المسجد بما سمعته فقال احملوه إلى السجن وقيدوه واجعلوه في مطمورة غميقة في السجن ففعلوا ما أمرهم به العامل وآمر الكاتب أن يكتب فيه كتاب إلى حضرة مراكش فما لبث غير ساعة حتى أبصر أبو إبراهيم ماشيا وهو يقول أتقتلون رجل أن يقول ربي الله فغضب العامل وقال ما أضنكم فعلتهم ما أمرتكم فقام بنفسه وحمله إلى السجن وجعل على رجليه كبلين ودلاه بالحبل في المطمورة وجعل عليها لوحا وآمر رجالا أن يجلسوا عليه فلما قعد الكاتب بين يديه يكتب فيه كتاب إلى مراكش أبصر أبي إبراهيم مارا عليه وهو يصيح أتقتلون رجل يقول رب الله فطأطأ العامل رأسه وتستر بالجالسين إلى أن مر عنه فمزق الكتاب وتغافل عن أمره ولم يعرض له بعد ذلك".

تغـرب أمـري فـانفردت بغربتـي

فصـرت فريـدا فـي البريـة أوحـدا

تسـرمدا وقتي فيك وهـو مسـرمدا

وأفنيتنـي عنـي فصـرت مجـردا

[(طويل]

يا أخي تفقد كل يوم صحيفة عملك قبل تلف رأس المال ما أجمل حلي الزاهدين وأحلى حلاها من حال يا من عليه بقايا الطاعة أما علمت أنا الأيام عليك عمل النهار يطلب بالتحصين والليل يطلب قبض المبلغ من الأعمال من عزم على وفاء الدين عامل نفسه بالإقلال تأمل ما تستحسن

من دنياك ترى حقيقة كالخيال.

قال يوسف بن يحيى: "كان عبد الحق الهسكوري من الأكابر أخبر الثقة أن لصا من السودان قال لأصحابه: لاختبرن الشيخ أبا عبد الحق ولألبسنه أثوابه حتى أرى ما يفعله الله بي على ذلك وكان أبو عبد الحق يتأخر في المسجد بعد خروج الناس منه فانتظره اللص بباب المسجد إلى أن خرج فتبعه اللص ثم التفت خلفه فرأى ظلمة تتبعه فخاف فاضطر إلى إتباع أبي عبد الحق خوف من الظلمة التي اتبعته إلى أن وصل البحر فدخل إلى جماعة فقاموا إليه وقالوا أبطأت عنا فمشى معهم على الماء وغاب ساعة ثم تخرج إلى الشط فرجع إلى القرية واللص يتبعه وقد عاين ما عاين فالتفت إليه أبو عبد الحق فقال له يا هذا خاف الله وألزم بيتك فلزم بيته ولم يخرج وأقبل على عبادة الله سبحانه إلى أن لحق بالصالحين فسبحان اللطيف بعباده من سبقته العناية لم تظره الجناية عبد جاء لاستيلاب الأثواب فجعل من الأحباب جاء في الظاهرة للصوصية والغواية فاختطف عن نفسه فنصب للولاية هم القوم لا يشقى جليسهم وقد خلت الديار منهم.

سابكي عليهم بالدموع تأسفا
وأندب أياما بوصلي تقتضي
فلهفي على رفع خلا من إنيسه
وصاح به داع الفراق المشتتي
ودار لنا بالرقمتين عاهدتها
بها كان احبابي وأهل مودتي
أطوف بها طوف الحجيج بمكة

وأسعى بها في طول يومي وليلتي

ولـي زفـرات بـالغرام تاججـت

فـي فـؤادي نـار شـوق تلظتـي

سـأطرح نفنـي فـي الخيـام لعلنـي

تجـود عيـوني جاريـات بغربتـي

فيا معشر السادات رقوا المذنب

غريـب بلـى بالشـوق فـي أرض

[طويل]

فَصلٌ

يا أخي من جمع الدنيا فرقتهم في القول والعمل ومن وصلها قطعته عن وصول الأمل حديثها ضعيف ما عليه في شريعة أهل اليقين عمل سماعه أحدوثه لهو يتولد عنه الكسل ما اشد الحسرة من ضيع عمره حتى غافصه الأجانب قدم لنفسك ما عليه تقدم فانت عما ملكته مرتحل وأعجب لكم من حب الدنيا في قلبك راسخ وحب الآخرة قد رحل.

قال يوسف بن يحيى: "كان إبراهيم ابن هلال جليل القدر وحدثوا عنه أنه ما كبر قط للصلاة إلا على معاينة الكعبة وكان إذا جن عليه الليل ركب أمواج البحر يصلي عليها فكان من المشاة على الماء وحدثوا عنه رجل رأى بالليل ضوء في كهف فظن أنه سراج فلما قرب من الكهف وجد فيه إبراهيم ابن هلال لله ذرهم لما خلصت أعمالهم حسنت في الظاهر والباطن أحوالهم لما صفت أعمالهم بدت للناظرين أنوارهم.

يـا دار هـم خبـري بـالله أيـن هـم

قد أوحشوني وضاع القلب بعدهم

هـو سـاداتي أن وفـوا عهـدي وإن

فـي كـل حـال أنـا والله عبـدهم

أجابت الدار عنهم رحلوا صحرا

وصار قلبي رهين الشوق عندهم

فمثل ما تشتكي أشكوه يا رجل

فقـد الأحبـة يـا ويحـي لفقـدهم

[بسيط]

يا من سوف بالمتاب حتى شاب، يا من ضيع في الغفلة أيام الشباب، يا مطرودا بذنوبهم عن الأحباب يا متعلق بالآمال وهي سراب يا عامرا قنطرة الدنيا وهي خراب يا شارب الخمر شهواتي بئس والله الشراب عمرك في طاعة إبليس متى يكون المتاب إذا كنت في الشباب غافل، وفي المشيب مسوف متى تقف بالباب الظاهر منك عامر والباطن ويحك خراب ولا طيب العمر في الخطأ متى تعود إلى الصواب قد أنذرك المشيب بالرحلة ولم تقدم الزاد فماذا يكون الجواب أما يحزنك تلف العمر فأين الكاء والانتحاب قال أبوعامر الواعظ رحمه الله تعالى بينما أنا ذات ليلة أسير في بعض الجبال إذ سمعت صوت حزين وهو يقول يا دليل الحائرين في طرق الفلوات أنت انسي إذا استأنس البطالون قال فأسرعت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال لي، من أين أقبلت في هذا الليل؟ قلت: رجل ظل عن الطريق وصاح صيحة خر مغشي عليه ثم فاق يبكي ثم ولى وتبعته وإذا بالفجر قد طلع وضرب الأرض بيده فإذا بماء عذب قد خرج فقال توضأ فتوضأت ثم أذن وصلى فَصلّيت معه ثم قال يا عبد الله قد دنت مفارقته فعليك السلام وقلت له بالله عليك إلا جدت لي بالمصافحة ومننت علي

بدعوة صالحة ثم أخرجت من مزودي شيء للأكل فقال أو جائع أنت فقلت: نعم قال: شغل قلبك عن التفكر في الملكوت بأكل القوت لو ذقت طعام أم اليقين وما أعد الله للمتقين لان خشوعك وهدأ جوعك ثم غاب عني فلم أره.

هم أودعوا قلبي الأسى يوم ودعوا
وأغدوا فؤادي بالفراق وأوجعوا
وهم وهموا إني تسليت بعده
فذاك أمر ليس لي فيه مطمع
فكيف سلوا عنهم ولهم إذا
خلا ربعهم في العين والقلب مرتع
خليلي هذا ربعهم فتداويا
بلثهم تراه فهو للوجع أنفع
[طويل]

قال القشيري عنهم: "قال كنت عند الجليل فجاء رجل وقال له: كنت على بساط الأنس ففتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مكاني فكيف السبيل إليه دلني على الوصول على ما كنت عليه فبكى أبومحمد الجليلي وقال: كلنا في هذا القهر لكني أنشدك أبيات تجد فيه جوابك إن شاء الله تعالى ثم أنشده:

قف بالديار فهذه اثاره
تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستكبرا

عــن أهلهــا أو ســائلا أو مشــفقا

فأجابني داعي الهـواى فـي ربعهـا

فارقـت مـن تهـوى فعـز الملتقـى

وحكي عن الجنيدي رحمه الله تعالى أنه سمع منشدا يقول:

منــازلا كنــت تهواهــا وتالفهــا

أيـام كنـت علـى الأيـام منصـورا

فبكى الجنيدي وقال ما أطيب الألفة والمآنسة وأوحش مقامات الوحشة والمخالفة لا زال أحن إلى يدي أمري وابتداء أرادتي وكوني للأهوال طمع في الوصال فها أنا ذا في أوقات الفترة أتاسف على الأيام الماضية لا ابلان[1] الله سبحانه بدل الحجاب ولا جعلنا ممن طردهم من الباب إنه الكريم الوهاب الهي إليك اشكوا تخلفي عن اللحاق بالسادات الأحباب، إلهي إليك اشكوا ما لا يخفى عليك بك ارجوا الوصال إليك، الهي هذا ذلي بين يديك فادلي الحسن الإنابة إليك يا من أذاق أوليائه حلاوة مناجاته فقاموا بين يديه متملقين ويا من ألبس أوليائه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادي بالإحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين مُنَّ علينا بدوام رضاك وإحسانك في الدارين واجعلنا من خير الفريقين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبئين وعلى اله وصحابته أجمعين.

فَصلٌ

---

(1) كلمة غير مفهومة في النص هكذا رسمت.

الحمد لله الذي أحصى علمهم ما كان وما يكون أحاط علما بأنفاس الخلائق والحركات والسكون قبض قبضتين بالسعادة والشقاء فمنهم منعومون ومنهم معذبون رتب لهم دارين فهم بمقتضاهما عاملون أدار عليهم الأفلاك لتقرب عليهم رحلتهم للمنون رتب أرزقاهم على أيام حياتهم ليت شعري لماذا يجمعون أما سمعوا قوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] حظوظ الدنيا بالقسمة وحظوظ الآخرة بالعمل أما تفهمون.

فسبحان من نعم قلوب أحبابه بحبه فلقلوبهم إليه تشوق وحنين طهر نفوسهم من نصيب لعين وأثبتهم في ديوان عليين سبقت لهم سابقة العناية بلا سبب وهم أهل اليمين وأبعد المحروم بلا علة فهو بدين الحرمان يدين شغله بالشهوة أيام عمره وأعماه عن الحق المبين: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾، أحمده حمد معترف بآلائه وأشكره شكر يوجب مزيد فضله ونعماءه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد ورسوله شهادة ندخرها ليوم لقاءه.

يا راحل بلا زاد السفر بعيد والعين جامدة والقلب أقسى من الحديد من أولى منك بالعز وأنت في المخالفة كل يوم جديد ما أيقضك الشباب ولا نعاك المشيب ما أرى فسادك إلا في كل وقت يزيد ما أنت من أهل

---

(1) سورة الذاريات51 ، الآية:56-58.

الجد يا قليل الهمة يا طريدا فنيت عمرك في اللعب وغيرك نال المقصود وأنت منه بعيد ترى ما يقال فلان استقال يا له من وقت لو عاينت قلق التائبين وتململ الخائفين من هول الوعيد أبكيت وساعدتهم في النوح والتغريد إذا تذكرو أيام الشباب ذابوا من الحياء فزءت تزيد وأهل الحرمان ضيعوا بالغفلة الشباب والمشيب ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾.

قال إبراهيم بن سيار رحمه الله: "مررت مع بعض الصالحين بالشام فسلم عليم رجل وقال له عظني بموعظة أحفظها عنك فبكى ثم قال: "اعلم يا أخي أن اختلاف الليل والنهار يتفاوتان في هدم بيتك وفناء عمرك ولا تطمئن حتى تعلم أين مستقرك ومصيرك غدا يوم تجزى كل نفس بما كسبت قال ثم غاب عني".

قال ذا النون المصري رحمه الله تعالى: "حججت سنة فضللت عن الطريق فأشرفت على الهلاك فلاحت لي أشجار فطرحت نفسي في ظل شجرة فلما غربت الشمس إذا بشاب نحيف الجسم فركض برجله الأرض فجرى ماء عذب فشرب وتوضأ ثم قمت وتوضأت وشربت وصليت معه حتى طلع الفجر فلما رأى الفجر وثب قائما ونادى بأعلى صوته ذهب الليل بما فيه وأقبل النهار بدواهيه ولم أقدم من خشيتك وطرا خسر من أتعب لغيرك بدنه والجأ إلى سواك همته، قال ذا النون:وأراد الانصراف فقلت له بالذي منحك لذيذ الرغب وأذهب عنك مال التعب إلا ما حفظت لي جناح الرحمة فإني غريب تائه عن البيت الحرام فقال اتبعني قال فرأيت كأن الأرض تطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجة فقال لي هؤلاء قوم ثم انشأ يقول:

يـا صـاحبيا أطـيلا فـي موانسـتي

وأنشـــداني بخـــلان وعشـــاق

وحـدثاني حـديث الخيـف إن بـه

روح لقلبـــي وتســـهيلا لأهلـــي

ما ضريح الصبى لو ناسمت حرقي

فاشتقذت مهجتي من حر أشواقي

داء تقـادم عنـدي مـن يعالجـه

وحيـة لـدغت قلبـي مـن الراقـي

يمضـي الزمـان وآمـالي مضـيعة

مع من أحب على مطل وإملاق

يا ضيعت العمر للماض اشفعت

ولا حصلت على شيء من الباقي

[بسيط]

يا معشر الغافلين إلى متى تسحب أديان الغفلة والأمر واضح ايقضوا رحمكم الله القلوب للمتاب فقد امتلأ الديوان بالفضائح ذيقوا على النفوس بالورع فما يفلح المسامح وأقفوا دليل العلم فهو دليل صالح تيه الأمل لا آخر له وجوارحه جوارح بينما المغرور في منام أماله إذا صاح به الرحيل صائح فشغل عن أحبابه وذهلت نفسه لهول ما قدم من القبائح سالت عبراته وعمرته سكراته وبردت منه الجوارح نقل إلى ذيق لحد وسويت عليه الصفائح من له العائد ونسيه الغادي إليه والرائح يا تائه في الحرمان متى تعود قبل الحلول في اللحود وتصالح يا مضيع حاصل العمر وهو يرى أن المحاسب يسامح أيا نائمين في ليل الغفلة هذا فجر المشيب لائح.

قال ذا النون رحمه الله تعالى: "بينما أسير في جبل اللكام إذ سمعت صوت في مغارة فاطلت فيها فإذا برجل يقول سبحان من غرس قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر فهي لا تعتمد إلا عليه سبحان من أورد حياض المحبة نفوس أهل المحبة فهي لا تحن إلا إليه، قال ذا النون ثم سكت فقلت السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجار فقال وعليك السلام من ذا الذي أوصلك إلى من افرده خوف المسائلة عن الآثام واشتغل بمحاسبة نفسه عن التصنع في الكلام قلت فوصلني إليك الرغبة في التفح والاعتبار فقال يا فتى أن لله عز وجل عباد أرواحهم تصرح في الملكوت وتنظر إلى ما دخر لها في حجب الجبروت قلت: صفهم لي رحمك الله فقال أولئك قوم أووا إلى كنف رحمته قلت له: إلا فأوصني بوصية قال أحب الله عز وجل شوقا للقائه فإنه تعالى يوم يتجلى فيه لأوليائه يا أخي أمل المسوف رماد تذريه الرياح عزيمته في المثاب عزيمة طير بلا جناح يا منحرف عن الجادة تيامن فأنت في تيه صراح أرض الشهوات مشبعة وفيها قطاع برماح إذا التفت الشباب في الغفلة والمشيب في البطالة متى يكون الفلاح ما أمر طعم الهجر كل أوقاته قباح هذا منادي الكتاب والسنة ينادي حي الفلاح.

ذكر أبوالفرج الجوزي في المورد العذب: "قال عبد الله ابن الفرج رحمه الله تعالى حدثني إبراهيم ابن أدهم عن ابتداء أمره قال كنت في موضع انظر إلى الطريق فإذا شيخ عليه اطمار رثة وكان يوم حار وجلس في ظل قصري ليستريح فقلت للخادم اخرج إلى هذا الشيخ وسله أن يدخل إلي فقد اخذ بمجامع قلبي فخرج إليه وادخله علي وأجلسته إلى جانبي وعرضت عليه الطعام فلم يأكل فقلت له: إلى أين تريد؟ فقال: إلى

مكة إن شاء الله تعالى قال إبراهيم ابن أدهم: كان أول يوم أو الثاني من العشر ذي الحجة فقلت له في هذا الوقت قال يفعل الله ما يشاء فقلت له أريد أن أصحبك قال: إن أحببت فلما جاء الليل قال لي قم فلبست ما يصلح للسفر وخرجنا من بلخ فأخذ بيدي وسرنا وكان الأرض تطوى لنا فمررنا بمواضع كثيرة حتى قال هذه الكوفة ثم قال الموعد هاهنا حتى ارجع إليك يعني في الليل حتى إذا كان الليل فإذا به اخذ بيدي وقال: بسم الله وجعل يقول هذا منزل كذا وكذا وهذه المدينة فسرنا إلى قبر النبي ﷺ وزرناه ثم فارقني وقال لي الموعد هاهنا في هذا الوقت من الليل فلما كان الوقت إذا به قد جاء فاخذ بيدي وسرنا حتى أتينا مكة في الليل ففارقني وقال: أريد الشام فإذا انقض الحج فالقني عند بئر زمزم فلما انقض الحج فإذا به عند بئر زمزم فاخذ بيدي فطفنا طواف الوداع وخرجنا من مكة ففعل معي في المشي كما فعل أولا حتى جئنا بيت المقدس فلما دخل المسجد ما رايته بعد ذلك قال إبراهيم: فرجعت إلى بلدي أسير سير الضعفاء منزلا بعد منزلي حتى وصلت إلى بلخ فهذا كان أول أمري قلت وذكر غيري أن سبب توبته قصته في اصطياد الثعلب وقول الهاتف له ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت وقد أشار إليه الجوزي في المدهش لعلهما قضيتان هما سبب لحاقه بزمرة أهل العرفان ونجاته من ورطات أهل العصيان.

قال التاذلي: "ومنهم أبوالحسن الزناتي كان عبدا صالحا قال أبوعبد الرحمن السائري كنت يوما في ساحة الدار إذ سمعت أصوات ثلاثة صفوف في الهواء تتجاوب بالتسبيح وتقول سبحانك اللّهم ربنا اللّهم اغفر لنا وسمعته يذكرون أبا الحسن الزناتي فنهضت في الحين إلى الموضع الذي كان فيه أبوالحسن الزناتي فوجدته قد مات في الساعة التي سمعت

فيها تسبيح الملائكة يا أخي هذه حالهم ذهب والله تعبهم وبقي نعيمهم كانوا في طاعة الولى الحبيب مجدين إلى لقاءه مشتاقين: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قطعوا مسافة العمر إلى الحبيب تشوقا واتخذوا الليل جملا وسلك به في فنون العبادة فجاجا وطرقا وأعجبوا لك كيف تسال عن ذكر الحبيب المنعم أم كيف يكون قلبك بسواه متعلقا:

يا راحلين إلى الحبيب تفرقوا
فالقلب بين رحالكم خلفته
ما لي سوى قلبي وفيك أذبته
ما لي سوى دمعي وفيك أرقته
أبكي إذا جن الظلام تشوقا
في طول الليل في رضاك سهرته
وأنوح أن ناح الحمام فانه
ألف فقد الصبر حين فقدته
ما كنت أعرف ما الغرام وما
والشوق والتبريح حتى دفنته

[كامل]

فسبحان من جعل الأيام رواحل أعمال الخلق حتى لا يبقى منهم عين ولا اثر تساوى في ظلمة القبر فأصبحوا لمن رآهم معتبرا أيدت أعمالهم الحفظة كتاب مسطر لا تغادر لحظة ولا لفظة نسخوها حروفا واسطرا فأهل البعد عن الله ألفوا الشهوات وسلكوا في تحصيلها سبيلا متوعرا وأهل العناية تأتيهم ملائكة البشرى بما تسمع وترى فإذا كان في القيامة نودوا أين الذين اجروا مدامعهم من أشواقي قطر وقد خلع عليهم حلل الرضوان

وأجرى لهم من السلسبيل نهرا: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [1]، فسبحان من أعجز عن إدراكه عقلا وفكرا.

قال القشيري: "حكي عن بعضهم أنه قال خرجت مرة إلى الحج فبينما أنا في البادية إذ نهت فلما جن علي الليل وكانت ليلة مقمرة سمعت صوت شخص ضعيف يقول لي يا أبا إسحاق قد انتظرت من الغداة فدنوت منه فإذا هو شاب نحيف أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما عرفته ومنها ما لا أعرفه وقلت من أين أنت قال من مدينة شمشار كنت في عز ورفعة فطلبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد أشرفت على الموت فسألت الله عز وجل أن يقيد لي ولي من أوليائه فأرجوا أنك هو قال فقلت له ألك ولدان قال نعم وإخوة وأخوات فقلت هل اشتقت إليهم وإلا ذكره قال لا إلا اليوم أردت أن أشم ريحهم فاحتوشتني السباع والبهائم والهوام فبكين معي وحملن إلي هذه الرياحين قال فبينما أنا في هذه الحال يدق له قلبي إلا أنا بحية أقبلت وفي فمها طاقة نرجسي كبيرة فقالت دع شرك عنه فان الله عز وجل يغار على أوليائه قال فغشي علي فما أفقت حتى خرجت روحه".

مات الغريب بالأرض لا أنيس بها

إلا الهوام ووحش القفر والأسد

---

(1) سورة الزمر39 ، الآية:73-74، وتمامها قال تعالى﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

تاق الفؤاد إلى استنشاق ريحكم

والله يعلم ما يلقى وما يجد

فأرسل الوحش بالإزهار تقصده

ليستريح فؤاد شفه الكمد

[بسيط]

قال ثم وقع علي سبات فانتبهت وأنا الجادة وقال فدخلت مدينة شمشاط بعدما حججت فاستقبلتني امرأة بيدها ركوة فما رأيت أشبه منها بالشاب فلما رأتني قالت لي يا أبا إسحاق فكيف رأيت الشاب فإني انتظرتك منذ ثلاث فذكرت لها القصة إلى أن قلت لها قال أردت أن أشم ريحهم فصاحت وقالت: آهٍ بلغ الحبيب إلى الشم وخرجت نفسها فخرج أتراب لها عليهن المرقعات والفوط فتكلفلنا أمرها وتولينا تجهيزها وانصرفنا عنها.

بلغ الشوق فؤادي فانا

مرتهن بين غرام وظنا

ولقد ارجوا الذي فرقنا

في جنان الخلد أن يجمعنا

[رجز]

يا نفحة الأسباب سيري بأنفاس المحبين وتضرعي يا ريح القبول بالله، احملي شوق المشوق عن باب الكريم لا ترجعي كم دعاك يا نفسي دع المشيب فلم تسمعي وأعجب أما في المجلس من له سمع يعي، وعين تبكي معي غرك فناء الفناء وما لك في القبر إلا ثلاثة ادرع.

قال يوسف بن يحيى التاذلي: "ومنهم أبوبكر ابن محمد ابن رزق الزاهر أخذ عن إمام أبي بكر بن عربي فهو شيخ ابن الحسن ابن الصائغ كان رحمه الله من أهل العلم والعمل والزهد في الدنيا وأهلها قال ابن الصائغ وأقام أبا بكر مدة لم يقعد على دينار ولا درهم ولا آوى إلى عمران وما كنا نقرا عليه إلا في بطون الأودية وشعاب الجبال والرباطات فإذا نزلنا منزلنا خدمنا بنفسه، فإذا جن عليه الليل غاب عنا ثم يأتينا عند الصباح وفي خديه خطان من الدموع وما كان يأكل إلا ما تنبته الأرض من المباح فإذا وجدنا عصير الرب يفرح به ويترفه حينئذ ويقول فرحا به يا قريبا عهدا بربه، وكان كثير البكاء دائم الحزن، وما أوى إلى العمران حتى مرض مرضه الذي مات منه فنقلته إلى داري بمدينة سبتة ودفنته بالمنيا.

و ذو حرق أخفا فضيض اكتأبه
فنم عليه دمعه في إنكسائه
بكت عينه لما بكت عين قلبه
ولولا بكاء العين لم يدر ما به
أذاب بخوف الله صحة جسمه
وأبلى بتقواه رداء شبابه
ولم يبق حب الله من جسمه سوى
خيال ثقل الأرض تحت ثيابه
تفرد بالمولى وقر بنفسه
إلى الجبل يأوي لبعض شعابه
تراه من الخوف المبرح والأسر
كمن دعاه ربه لحسابه

يمر فلا يدري من الخوف والرجا

بـــأي يديـــه أخـــذ كتابـــه

إذا انصرف المحبوب من عند ربه

تبـادرت الأمـلاك أخـذ ركابـه

إلـى جنـة فيهـا حريـر لباسـه

ودر ومرجـان سـروج دوابـه

وحـور كأمثـال البـدور نواهـد

يلاعبنـه فـي الخلـد جـوف قبابـه

إذا ما بدت حوراء منها بوجهها

حكـي نـور الشـمس قـد بـدا مـن

بنفســي ولــي لا لــه مشــمر

إذا رقــد النــوام قــام ببابــه

[طويل]

فَصلٌ

فسبحان من نعم المجتهدين بالمسامرة وأظهر لهم من سر أسراره الشيء العجيب فجر من قلوبهم ينابيع الحكمة فأنبع من العرفان كل معنى غريب كم لهم في ديوان القلوب من وارد أوراد ونور أذكار ودمع سكيب هم الأصفياء والأتقياء تتلقاهم الملائكة بالترحيب إذا فتح باب السحر جنوا إلى الذكر فلحنينهم بالأذكار تطريب وأهل الحرمان في تيه الغفلة تدعوهم العبر ولا مجيب توالت عليهم أسقام المخالفة فما ينفعهم طب طبيب مدوا

بساط الأمل حتى طواه الموت وألقاهم في قليب أما سمعوا قول الملك المجيب: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [1].

قال يوسف بن يحيى ومن الأفراد: "منية بنت ميمون الدكالية زرتها ورأينها عجوز قد اسودت من الاجتهاد ورأيت جلدها قد لصق بعظمها كانت تصلي بصلاة أمامها والنور يدخل عليها من الكاف من مصريتها[2]، قالت منية: "دعاني رجل من التجار إلى طعام فأجبته كارهة فلما قدم إلي القطعة بالطعام كلمني الطعام وقال لي لا تأكلني فإني حرام فاستحييت من صاحبه ورفعت قطعة من لحم إلى فمي ثم وضعتها فحرمت أورادي والنوافل ثلاث أيام والهواتف تهتف عن يميني وشمالي هكذا يفعل بالكلاب على بطونهم يهجرون، قالت: وصليت الفجر يوما إلى أن رأيت الحصير الذي أصلي عليه كأنه يرفعه شيء من تحته فقلت في نفسي لعله دخله حيوان فلما سلمت رفعته فإذا الذي تحته دراهم طرية فخررت ساجدة أبكي وأقول أنت مطلوب لا سواك فأقلني عثرتي إلى أن عاد الحصير على الأرض كما كان فرفعته فلم أجد تحته شيئا وسمعت محمد بن يحيى يقول زرت قبر منية فقعدت عنده فرأيت يخرج منه شيء كبخار القدر ثم رأيت عمودا من نور من قبرها إلى السماء إلى أن غلب على شعاع الشمس يا سامعا الوصف سيء أحوالهم تتنبه ويحك بهم في أقوالهم وأفعالهم غلب على شعاع الشمس يا سامعا الوصف شي أحوالهم تنبه ويحك في أقوالهم وأفعالهم يمس نعجة من حضرة القدس تسمح وبارقة

---

(1) سورة سبأ 34، الآية 51.

(2) أي: غرفتها، وهي من كلام الدارجة الحسانية.

من جانب العطف تلمح ويحك لازم الباب عسى أن تغمرك مواهب الكريم الوهاب إنما عليك بذل المجهود في الاكتساب والاقتفاء لآثار السنة والكتاب وإتباع سبيل من إليه قد أناب فإذا علم منك سبحانه صدق العزيمة أعطاك بغير حساب.

شعر

وما زال فضل الله يغمر ساحة
ويبصرني من حيث ما أتلمح
ولكنني من فضله استر يده
وإن كنت في مجر من الجواد
وليس سبيل الحق عندك نازح
ولكنه يدنوا وقلبك ينزح
وإني لأرقى دائما في معارف
من العلو فيها للبصائر مسبح
يبوح بسر الحق صائب منطقي
وكل إناء بالذي فيه يرشح
واكتم سر السر كتم ظنانة
ولولا قصور الخلق كنت أصرح
وهذي إشارات تفذك تنبها
ويكفيك مني أن أكون ألوح
غنيت بنيل الحق عن كل مكسب
فما بعد نيل الحق للنفس مطمح

وحسبي مدح الواحد الفرد إنه

لأكرم من يثني عليه ويمدح

[طويل]

قال يوسف بن يحيى: "ومن الفضلاء عبد العزيز بن مسري خديم أبي يعزا أخبرني ولده عنه قال: "مات فوسدناه في قبره فسمعته يقول لا إله إلا الله حتى قالها ثلاث مرات، ولما مات حسون بن عبد الباري وكان عبدا صالحا حدثوا عنه أنه لما دفن قام بعض أصحابه على قبره فقال: "يا حسون فأجابه من قبره فقال له أتعرف أين أنت قال نعم.

قال يوسف بن يحيى التاذلي: "توجهه من مراكش إلى رباط شاكر في شهر رمضان عام ثلاثة وستمائة مع جماعة من الفضلاء فأقمنا به ليلة سبع وعشرين فقمنا في الثلث الأخير من الليل فأسرين فرارا من شدة الحر بالنهار فاتبعنا جمعا كبيرا من الرجال والنساء فرغبنا أبا بكر المريداني فينشدنا وكان حسن الإنشاد طيب الصوت فمازال ينشدنا ونحن نسير إلى أن نشدنا هذا البيت من أبيات:

إذا لاح وجه الحق لم يبد غيره

ومن لي بوجه الحق إن غاب أن

فلم نور أضاء فيه الأفق ظهر كل من كان أخفى في الظلام فرأينا عجوزا أسقطت عن حمارها وصارت تضطرب على وجه الأرض إلى أن بعدت عنا ووقفنا عليها وخفنا أن تنكشف وأمرنا أن تستر بثوب فقال لنا بعض من أراد أ أن يسترها هي مستورة بسروالها فنظرنا إليها فرأينا ثوبا أبيض قد سترها إلى كعبيها ولم نشك أن عليها سروال، فأقمنا إلى أن فاقت عن حالها فركبت حمارها وانصرفنا فلما طلع الفجر نزلنا صلينا الصبح وسرنا

ونحن ننظر إليها إلا أن استبان النهار فرأينا عجوزا قد لصق جلدها بعظمها وعليها كساء خلق وساقها مكشوفة ليس عليها سراويل فعجبنا من شأنها فقال لنا بعض المريدين أعرف هذه العجوز وهي امرأة صالحة تسكن بحومة باب أغمات من مراكش.

هيجـــوا اللبـــين برقـــا فلمـــع

وأثـــار رواد مـــع يمينـــي فانـــدفع

عباد الله من كان لله كان الله له أحفظ الله يحفظك هذه لما حفظت ما بينها وبين الله تعالى في أقات خلواتها حفظها الله في أوقات غيبها، وهذه عادته سبحانه مع من انقطع إليه وتوكل في أموره عليه.

قلت: "لما دخل النصارى تدلس في يوم الاثنين الثاني عشر من ذي الحجة من آخر عام من القرن الثامن كنت حاضرا دخلها النصارى ضحوة فبقوا فيها يخربون ما أمكنهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء إلى الزوال وقرب الزوال فهزمهم الله سبحانه وقتل رئيسهم أو بعض رؤسائهم مع بعض أصحابه ودخلت المدينة منهم ودخلها المسلمون فأخبرني الشيخ عيسى اللواني قال كنت في جماعة فمشينا في أزقتها في الليل فرأينا خباً واقفا فتبادرنا إليه رجاء أن يكون النصارى تركوه وقت الهزيمة قال قلما قربنا منه تباعد منا فجئنا إلى المحل الذي رأيناه فيه أولا فإذا نحن بامرأة من الشهداء مقتولة في جملة من قتلة النصارى قال فانصرفنا عنها فرجع الخبأ إليها وخيم عليها وسترها فلما كان النهار لم نجد على المرأة خباً و إنما عليها غزل الصوف مستورة به وهذه كرامة منه سبحانه لهذه الشهيدة وكذا عادته سبحانه مع من انقطع إليه يتولى سبحانه حفظه و لا يكله إلى غيره فسبحانه ما أرأفه بعباده وما أكرمه بأوليائه".

اللّهم أقسم لنا من رأفتك و فضلك أوفر نصيب بين أحبابك ولا تصرفنا بالخيبة عن بابك يا من عليه المتكل تعلم مابين وجل، الهي ذهب أهل السهر والصوم، إلهي من لي باللحوق بالقوم، إلهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي فلا تمنعني منها بعد وجود ضعفي، إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك و لك المنة علي وإن ظهرت المساوئ مني فبعدلك ولك الحجة علي إلهي إن حسناتي من عطائك وإن سيئاتي من قضائك فامح إلهي بفضلك ما قضيت بما مننت به وأعطيت، إلهي وإني وأهل مجلسي لنولك طالبين فلا تردنا من باب كرمك خائبين يا من به أذاق أوليائه حلاوة مناجاته فقاموا بين يديه متملقين من علينا باللحاق بزمرة السابقين وأصفيائك المتقين يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين.

فَصلٌ

الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه العارفين ونزل أسرارهم في عجائب ملكوته ليكونوا من الموقنين سهل لهم أسباب الطاعة فقاموا بخدمته مخلصين وسير لهم أبواب السعادة فجعلهم مهتدين وطرد المحرومين عن بابه فجعلهم مبعدين قسمة سبقت للفريقين هؤلاء أصحاب الشمال وهؤلاء أصحاب اليمين وهؤلاء كتابهم في سجن سجين وهؤلاء نصيبهم في عليين.

يا أخي لا يزال التائبون يهربون إلى دير الخلوة هروب الخائف إلى موضع الأمان، لهم في صحراء اليأس تأنس بمدامع الأجفان كتب السجود فلي ألواح جباههم خطوط العرفان، كم لأسرار قلوبهم في الملكوت من جولان وكم لهم في رياض البحر من عيون تجري كالطوفان فإذا لاحق

أنوار الفجر وحيزة غنائم الأجر كبروا عند مشاهدة العيان.

لله ذرهم من سادة أماتوا من نفوسهم ما يعوقهم من شهوات النفوس والأبدان، لبسوا حلة الخشوع وعمروا القلب بالتقوى والذكر باللسان لهم تزاحم على باب الرجاء، فمنهم صاح ومنهم بشراب المحبة شنوان، ومنهم من خامره الشوق فهو من المحبة ولهان، فناهم مولاهم عنهم وأحذ منهم فلهم في عرصات القيامة أعظم الأمان، باعوا شهوات النفوس برضا الملك القدوس فاربح لهم في الأثمان سجلوا على أنفسهم سجل الرضا بالقضاء فأهلا بالرجال، بالرجال الشجعان هؤلاء أرباب لهم الهمم لا كالنسوان تتجافى جنوبهم عن المضاجع ولهم تلحين بالقرآن خامر الخوف قلوبهم فجروا في الأعمال وقطعوا االشواغل مخافة النيران هذه أخبار القوم يا إنسان و ليس الخير كالعيان.

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم عبد الحق بن أبي طاهر كان أكثر دعائه اللّهم ما أمتني بأرض الغربة ما بين مكة والمدينة فتوجه إلى بلاد المشرق فرأى ميتا بين مكة والمدينة وهو كالمبتسم".

سمعت عيسى بن موسى يقول: "كنت مع عبد الحق بن طاهر برباط أسقي في ليلة مطيرة والبيت شديد الظلمة فخرج عني وغاب ساعة ثم دخل علي وقال لي تعال فقلت له ما الخبر فقال لي أتاني قوم من مؤمن الجن فأخبروني أن برباطة تامزنزنت الساعة رجلين من الأولياء فأردت أن أذهب معهم إليها فقالوا لي ارجع إلى صاحبك حتى تذهب معه قال فقمنا إلى تلك الرابطة فوجدنا فيها رجلين يصليان فأردت أن أركع فأقعدني ومد يد به وشرع في الدعاء فأوجزا في صلا تهما وسلما وقعد يؤمنان على دعائه فلما فرغتا من الدعاء ومسحنا بأيدينا على وجوهنا فنظرنا إليهما فلم

نرهما، قال لي عبد الحق لو تركت تركع سلما وغابا عنا فشرعت في الدعاء لأنهما ينصرفان عن الدعاء إذا سمعاه".

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أبو عمران الدكالي كان محمد بن أمغار يزوره كثيرا ويقول هو من الأبدال وكان أبو عمران يقول: "إني لا أرى بالليل أنوار الرجال الأحياء منهم والأموات، وأخبرني مخبر عنه أنه كان يقول إني لأرى أنوار الرجال من هنا إلى بيت المقدس، قال وأخبرني الثقة قال حظرت مجلس أبي عمران ليلة فوضعنا ثم قال لنا أن الخضر أخبرني أن الله تعالى غفر لأهل هذا المجلس إلى من كان في قلبه شك".

قال و منهم: "أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي الواعظ و كان حسن الصوت طيب النغمة دائم العبرة و كان مجلسه كهفا للمريدين وأهل الخير يأوون إليه فإذا انشد بحسن صوته بديع الشعر شاق وأراق و أثار [كا] [1] من الأشواق و إذا نص من صحيح الخبرة لم يبق و لم يذر و لما مات طوى لموته سباط التذكير و أحشت عرصات التخويف و التحذير و من شعره المأثور عنه:

غريب الوصف ذو علم غريب
عليل القلب من حب الحبيب
إذا ما الليل أظلم قام يبكي
ويشكوا ما يكن من الوجيب
يقطع ليله ذكرا وفكرا

---

(1) حرف زائد.

وينطـق فيـه بالعجـب العجيـب

بـه مـن حـب سـيده غـرام

يحـل عـن التطيـب والطبيـب

ومـن يـك هكـذا عبـدا محبـا

يطيـب نزائـه مـن غيـر طبيـب

[وافر]

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أبو وزغار تيفاوت المشتراني من كبائر المشايخ وكان رجلا صالحا ذا حكم تؤثر عنه قيل أنه مات عام ثلاثة وستمائة أخبرني الشقة قال زرت أبا وزغار فلما جن علي الليل أمرني أن أبيت في مكان خال من الدار بإزاء حائط عال، فقمت من الليل وأنا أقول في نفسي لعل هذا الوقت الذي جرت عادتي بأن أقوم فيه فرأيت الجدار قد نشق ودخل منه أبو وزغار وأنا أشم عليه رائحة البحر فمن كتفي وقال لي نم ليس هذا وقت قيامك فلما أصبحت وادعني وقال لي زر موسى بن وجادير وإبراهيم بن هلال فإنهما يتحدث عنهما أنهما يمشيان على البحر ثم قال لي و هذا الذي يذكر عنهما حق.

قال يوسف بن يحيى: "ومنهم أبو عبد الله بن تاخميست من أهل فاس مات في عام ثمانية وستمائة وكان عبدا صالحا كبير الشأن وعلى سنن السلف الصالح كثير الانقباض عن الناس أخبرني مخبر ثقة قال سافرت إلى مكة في البحر فحدثني رجل صالح من رأسا البحر قال ركب عبد الله تاخميست البحر في وجهته إلى المشرق فهال بنا البحر وأضطرب اضطرابا شديدا شرفتا معه على الهلاك فسمعت هاتفا يقول لولا عبد الله بن تاخميست لأغرقتكم فطلبناه عندنا فلم نعرفه فلما فطنا به غاب من بينا فلما

وصلنا مرسى الإسكندرية قيل لنا أنه وصل الإسكندرية منذ أيام وقد تقدم إلى مكة أحدثني أبو بكر بن محمد الأنصاري قال مرضت فدخل علي بن تاخميست يعودني فمسح بيده علي ثلاث مرات وهو يقول سألت الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك فما أكملها في المرة الثالثة حتى برئت من مرضي و خرجت":

رأيت الانقباض أجل شيء
وأدعى في الأمور إلى السلامة
فهذا الخلق سالمهم ودعهم
فخلطتهم تقود إلى الندامة
ولا تغنم بشيء غير شيء
يعوذ إخلاصك في القيامة
[وافر]

فَصلٌ

يا تائها في الضلال بلا دليل ولا زاد متى تسمع بوق الرحيل فتعمل على الاستعداد، إلى متى أنت في تيه الشقاء والعمر في نفاذ، ظاهرك مبهرج بالرياء، وفضيحتك عند التقلد، ألهاك الأمل عن طلب الآخرة، وما أراك معتقد للميعاد، عمرك ولى في الغفلة، قل لي متى تتيقظ، وما في الشباب لا يعاد، وأعجبا عند ذكر الدنيا أنت يقضان وعن ذكر الآخرة يغلبك الرقاد، بعت الدين بالدنيا ستظهر حسرتك على رؤوس الأشهاد، ويحك إذا لم تفض دين التوبة فلابد من سجن البعاد.

قال يوسف بن يحيى التاذلي: "ومنهم أبو العباس السبتي حضرت مجلسه مرات فكان مدار كلامه على الحظ على الصدقة يأتي بما جاء في

فضيلتها من الآيات والآثار فتهل عليه الصدقات فيفرقها على المساكين وكان حليما صبورا حسن إلى من يؤديه و عليم على من يسفه عليه رحيما عطوفا محسنا لليتامى والمسكين والأرامل يجلس حيث أمكنه الجلوس من الأسواق والطرق".

حدثني بن مساعد قال: "ما اغتاب أحد أحدا بمجلس أبي العباس السبتي ولقد قلت يوما من أشعر ابن حبوس أو أبو العباس الجراوي بابا من الجواب وقال لي: أتريدان أن أغتاب الناس فقلت له وما في ذلك فقال لو فضلت أحدهما على الأخر وهما حاضران لعز ذلك على أحدهما والغيبة هي أن يذكر الإنسان في غيبته بما يكره وما حضرت معه قط فأنشد أحد شعر أبي الغزل إلا قال له دعنا من هذا وأخذ في مدح الله تعالى وسمع منشدا ينشد من أبيات رفعوا الهوادج للرحيل و سلموا فقال هو:

رفعوا الأنامل للصلاة وكبروا
فبدا الخشوع لحزنهم يترنم
وبدت سوابك دمعهم مسبولة
خوف لما قد أخروا وقدموا
هذه صلاة المتقين وغيرهم
ناد الفواد والسن يتكلم

وسمع منشدا ينشد من أبيات يا أخي قم ترى السليم عليلا معارضه بهذه الأبيات:

يا أخي قم ترى الكتاب دليلا
واجعل الذكر والسجود سبيلا
واطلبن الإله جنة الخلد

بخضـــوع يـــراك فيـــه دلـــيلا

إن رب العبـــاد يـــدعوك لـــيلا

إن فضـــلي لمـــن يكـــون ســـؤولا

أســـعف العبـــاد بالإجابـــة منـــي

لـيس فضـلي عليـك عبـدي قلـيلا

[خفيف]

وكان أبو العباس يلهج في حياته بهذه الأبيات التي لشيخه أبي عبد الله الفخار

عقدت عليك مكمنات خواطري

عقد الرجاء فألزمتك حقوقا

إن الزمان عدا علي فزادني

علما بأنك خالقي تحقيقا

مانالني بوجه مساءة

إلا عبرت به إليك طريقا

أمضي القضاء علي مني به

إني وجدتك بالعباد رفيقا

[كامل]

فإذا سمعها يخر ساجدا لله سبحانه و أنشده إياه حفيده أبو زكرياء و هو في النزع فمد يده إليه إلي أن أخذ بيده فقبلها قال

فقلت له قل لا إله إلا الله فأوما بيدي إلى موضع قلبه كأنه يقول لي هو في قلبي و أنشده عبد الله بن أبي العباس لأبيه رحمة الله تعالى:

ألاغ يا منيبا بات يدعو الإله

لقد هاج لي شوق إلى ذلك

تبيت على قطع المراحل بالتقي

سبوقا إلى الخيرات في جنة

ومثلي على فراش البطالة غافل

فيا أسفي من قرب غيري وفي

أأنا عن الفردوس في جنة العلا

ويحضى بهذا و الدمع سكب على

[كامل]

قال: وحدثني عبد الرحمن بن يوسف من أهل البيت عليهم السلام قال: " رأيت النبي في النوم فقلت له :يا رسول الله أريد أن أراك في النوم كل ليلة فقال لي: هذا لا يمكن فإني مطلوب في المشرق والمغرب فشكوت إليه حالتي وفقري فقال لي: البخل أضربك فمر علينا أحمد بن دوناس وهو رجل من الأولياء الأخفياء من أهل أغمات لا يمسك شيئا وربما متجرد من أثوابه فيؤثر بها ويستر بالأبواب فسلم علينا وانصرف فقلت له يا رسول الله وهذا، فقال لي: البخل أضربك فحرت لما أعرفه من كثرة إيثارة فقلت له: بين لي هذا النجل فقال لي لأقولن لك فيه قولا لم ينقله إليكم علماؤكم إذا خطر لأحدكم خاطر بالعطاء ثم عقبه خاطر آخر بالمنع فالتردد في الخاطر الأول بخل فسألته عن أبي العباس السبتي وكنت سيء الاعتقاد فيه فبتسم ثم قال لي هو من السباق فقلت له: بين لي فقال لي هو يمر على الصراط كالبرق فأصبحت وخرجت فلقيت أبا العباس السبتي، وقال لي: ما سمعت وما رأيت فقلت له: دعني فقال لي الله لا تركتك حتى تعرفني فذهبت معه إلى حانوت بن مساعد فأنشأت أحدثه إلى أن قلت له التردد في الخاطر الأول بخل فصاح وغشي عليه ثم قال كلمة الصفا من المصطفى ﷺ وصار حتى تذكر هذا الكلام يغشى عليه".

قال التاذلي وحدثني على بن زكرياء: "قال سمعت أبا العباس السبتي يقول: أنا هو القطب قال أبوا العباس السبتي عقدت مع الله سبحانه يأتني بشيء إلا وأنا أشاطر فيه إخواني المؤمنين الفقراء فعملت على هذا عشرون سنة فأثمر لي ذلك الحكم في الخلق بالولاية والعزل فأوي من شئت وأعزل من شئت ثم بعد كمال العشرين انتقلت إلى درجة أخرى وهي أني عقدت مع الله تعالى عقدا أن كل ما يأتني من قليل أو كثير إنما أمسك منه

السبعين وأصرف خمسة الأسباع على مستحقها فأقمت على هذا أربعة عشر عاما فأثمر لي ذلك الحكم في السماء فمتى قلت يارب قال لي لبيك".

قال على بن أحمد الصنهاجي ثم قال لي أبو العباس: "الله أعلم إن نهاية تمام عمري أن تنقضي ستة أعوام تكملة العشرين قال فأرخت ذلك اليوم فلما مات أبو العباس وحضرت جنازته تذكرت التاريخ الذي كتبه وحققت العدد فنقضى من ستة أعوام المذكورة ثلاثة أيام خاصة فيحتمل أن يكون ذلك من الشهور الناقصة والله أعلم".

قال التاذلي: "وحدثني بن مساعد وكان خاصا بأبي العباس قال جاءني بعض السلاطين إلى أبي العباس فقاله كلاما معناه إلى متى تخير ولا تصرح لنا عن الطريق فقال له هو الإحسان فقال له بَيِّن فقال له كلما أردت أن يفعله معك فأفعله مع عبيده".

وحدثني عبد الله بن أبي العباس قال: "لما احتضر أبي دنا منه أبو يعقوب الحكيم وكان صديقه فقال له أوصنا بما نفعله بعدك فقال له ليس إلا الإحسان و لسانه ثقيل لا يكاد يبين الكلام قلت: وكان معتنيا بالعمل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [1] وكانت هي كفة قصده ومحل فكرته على ما حكاه عنه علي بن أحمد المتقدم.

قال التاذلي: "وحدثني غير واحد أن أبا العباس بات ليلة مطيرة فغلبه

---

(1) سورة النحل16 ، الآية: 90 وتمامها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾.

البرد فأمر أن يغطى باللحف فلم ترفع عنه البرد فزيدت عليه اللحف والبرد لم يندفع عنه فقام من فراشه يمشي بالمحلة التي هو فيها ويقرع أبواب الديار فلا يستجيب له أحد إلى أن قرع باب دار فاستجاب أهلها فعلم أنهم لم يناموا لمكابدة البرد فقال لهم ما لكم لم تناموا فقالوا له ابتلت أثوابنا بالمطر فنحن نجففها على النار فقال من ها هنا غلبني البرد فقال أبو العباس لأهله أحملوا لهم هذه اللحوف فسيقت إليهم فتغطوا بها ودخل أبو العباس في فراشه وجعل على نفسه الغطاء الذي جرت عادته أن يتغطى به دون تلك اللحف فزال عنه البرد ونام وقدم إليه ليلة عشاه فلم يستسغ الأكل فقال لأهله لعل بقي منكم من لم يأكل فإنه لم يطب لي الطعام فقالوا ما بقي من أحد إلا وقد أكل فقال لهم أطلبوا في الدار لعل أحدهم لم يأكل ففتشوا إلى أن وجدوا عند باب الدار امرأة مسكينة قائمة فرفع إليها عشاءه فأكلته وجعل لها فراشا تنام عليه".

قال التاذلي: "وحدثني علي بن أحمد الصنهاجي قال احتبس المطر في بعض الأوقات فقال أبو الحسن البلنسي لأبي العباس أما ترى ما فيه الناس من احتباس المطر فقال له إنما احتبست لشح الناس فلو تصدقوا مطروا فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطروا، فقال أبو الحسن: أنه لمن يصدقني أحد ولكن مرني بخاصة نفسي فما أمرتني له فعلته فقال له تصدق بما أنفقته فقال له أبو الحسن إذا مطرت أخرجت من ثمن الغلة مثل ما أنفقت فقال له أبو العباس إن الله تعالى لا يعامل بالدين ولكن استسلفها فاحتال فيها أبو الحسن وتصدق بها كما أمره فقال له أبو الحسن فخرجت إلى البحيرة التي كنت اعتمرها والشمس شديدة الحر فيبست من المطر ورأيت جميع ما غرسته قد أشرف على الهلاك فأقمت

ساعة فرأيت سحابة مطرت البحيرة إلى أن رويت وابتلت ثيابي وظننت أن الدنيا كلها قد مطرت فلما خرجت من البحيرة رأيت المطر لم يجاوزها قال التاذلي وهذه القصة مشهورة صحيحة، وظننت أن الدنيا كلها مطرت فلما خرجت من البحيرة رأيت المطر لم يجاوزها.

قال التاذلي: "هذه القصة مشهورة صحيحة سمعت أبا يعقوب وجماعة كبيرة يتحدثون بها وكان أبوالعباس يعضدها بحديث الحديقة المخرج في الصحيحين وحدثني ابن مساعد قال خرجت مع أبي العباس ومعنا رجل ثالث واتينا إلى باب بحيرة الناعورة وكان مغلقا فلما وصل إليه أبوالعباس فتحنا له ودخلنا البحيرة فضننا انه فتح له رجل كان خلف الباب ونظرنا يمينا وشمالا ولم نرى أحدا فعجبنا من ذلك فالتفت إلينا وقال أتعجبون من انفتاح الباب ولا تعجبون من هذه السحابة التي استدعيتها حتى أضلتني فرفعنا رؤوسنا فنظرنا فوق رأسه سحابة تظله وكان أبي العباس إذا أراد أن يطلب من الله سبحانه وتعالى شيئا اطرق ساعة وينقبض فلا يحصر على كلامه احد قال ابن مساعد وحضرته يوم وقد انشده بعض الحاضرين بيتين من قصيدة بنو عمار التي أولها ادم الزجاجة فان النسيم قد انفر فقطع إنشاده وكره سماع القصيدة وقال لابدان اكفر هاتين البيتين التين سمعتمهما فكفرهما بهاتين البيتين.

أقم الصلاة مهاجرا سنة الكرا

واجعل صباحك صبح ذوي

واطوي المراحل بالعروج لمن له

لطيف ينزله إذا هجع الورى

[كامل]

قال التادلي: "وحدثني ابن مساعد قال قال لنا أبوالعباس السبتي أنا أودعكم السر الذي لا يطلع عليه احد بإعطاء الشطر تكون الوقاية لقوله عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة وبإعطاء الثلثين يتحكم في المخلوقات كالاستسقاء والولاية والعزل ودخول الجنة وأمثال ذلك وبإعطاء خمسة أسباع يستجاب الدعاء وتتكون الكائنات قال ابن مساعد وانتهى أبو العباس إلى إعطاء تسعة أعشار والتمسك بالعشر وهي النهاية وأخبار أبي العباس وكرامته لا تحصى مات أبوالعباس عام 601 واحد وستمائة.

بَابُ ما جاءَ في التَّهَجُد وفَضل المُتهَجدين والذَّاكرينَ وفيه فُصُولٌ

روى مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: "كان يحب الدائم قلت: أي حين كان يصلي فقالت كان إذا سمع الصارخ قام فَصلَّى"

وروى مسلم عن حديث هاشم ابن عامر عن عائشة رضي الله عنها قال قلت يا أم المؤمنين أنبئني عن وتر رسول الله ﷺ فقالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله متى شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي" الحديث.

وروى مسلم عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : "من خاف أن لا يقوم آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم في آخره فليوتر آخر الليل فان صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل" ، وفي رواية فإن قراءة آخر الليل محضورة وذلك أفضل".

وروى أبو عيسى في جامعه عن عمروش ابن عنبسة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن"، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب.

وروى أبو عيسى الترمذي عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "من صلى قبل الظهر وبعدها أربع حرمه الله سبحانه عن النار" قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وقد روي من غير هذا الوجه وفي رواية عن أم حبيبة قالت سمعت

رسول الله ﷺ يقول: "من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربعا بعدها حرمه الله تعالى عن النار قال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب.

وروى الترمذي من غير هذا الوجه وفي رواية عن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله تعالى من النار" قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وروى الترمذي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "رحم الله امرئ صلى قبل العصر أربعا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وروى الترمذي أيضا من حديث عاصم ابن دمرة عن علي ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات يفَصلّ بينهن بالسلام على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المرسلين والمؤمنين قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

وروى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهم عدلنا له بعبادة اثنتي عشرة سنة". ثم ذكره أبو عيسى في سنده بعض من ذكر بضعف.

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "من ثابر على اثنتي عشر ركعة من السنة بنا الله له بيت في الجنة في أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين قبل الفجر" قال وفي اللباب عن أم حبيبة رضي الله عنها وأبي هريرة وأبي موسى وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وروى الترمذي عن سعيد الخذري ﷺ عن نبي الله ﷺ: "يصلي الضحى

حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها" قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وروى الترمذي عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره" قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وقد روى وكيع والنظر بن شميل وغير واحد من الأئمة هذا الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر".

وروى الحافظ أبو نعيم في حليته عن انس ابن مالك ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: " من صلى في اليوم اثنتي عشر ركعة حرم الله عز وجل لحمه عن النار قال فما تركتهن بعد وذكر ابن عبد الله في لطائف المنن: "إن المؤمن إذا صلى صلاة فتقبلت منه خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة إلى يوم القيامة ويكون ذلك لصاحب الصلاة".

يا أخي علامة المحبة طلب الخلوة بالحبيب وبيداء الليل فلوات الخلوات لما ستر وقيام الليل في ظلام الدجى غير أن يطلع الغير عليه سترهم بستر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين لما صفت خلوات الدجى ونادى أدان الوصال أقم فلان وانم فلان فخرت بالأسماء الجرائد وفاز الأحباب بالفوائد وأنت غافل راقد آهٍ لو كنت معه آسف لك لو رايتهم لو أبصرت طلائع الصديقين في أول القوم أو سمعت استغاثة المحبين في وسط الليل أو شاهدت ساقت المستغفرين في آخر الركب لو رايتهم يا غافل وقد دارت كؤوس المناجاة بين مزاهر التلاوات فاكسرت قلب الواجد ورقمت في مصاحف الوجنات تعرفهم بسيماهم يا طويل

الليل فآتتك مدخة تتجافي وحرمت منحة المستغفلين يا هذا روي أن لله سبحانه ريحا تسمى الصبيحة مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الدعاء والاستغفار إلى الكريم الغفار".

قال ابن الحاج في مدخله: "وينبغي لطالب العلم أن لا يخلي نفسه من التعبدات في أول طلبه وان يكون له ورد من كل شيء منه وقد قال ﷺ: "استعينوا بالغدوة والريحة وبشيء من الدلجة وما يستعان به لا يترك قال مالك رحمه الله تعالى أدركت الناس وهم يتعلمون العلم إلى أن قال أن يصل احدهم إلى الأربعين سنة فينقطع للعبادة ويطوي فراشه".

قلت: ونحو في التذكرة للقرطبي ولفظه: "قال مالك رحمه الله تعالى أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا وهم يخالطون الناس حتى لا يأتي لأحدهم أربعون سنة فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس ثم قال صاحب المدخل وليحذر الطالب من التكلف في العمل مما عليه فيه مشقة أو يخل باشتغاله بالعلم ثم يسال بعد ذلك قلت والأصل في هذا ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وبشيء من الدلجة".

قال ابن ابي جمرة رحمه الله تعالى: "ولا يخلي الإنسان نفسه من النفل لأن الله عز وجل يقول على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ولإخباره عليه الصلاة والسلام انه كان إذا كان يوم القيام ينظر الله تعالى إلى صلاة العبد فان وفاها وإلا قال تعالى انظروا إن كان له نافلة فأكملوها له منها وكذلك في جميع

الفرائض إذا نقص منها شيء ينظر في النفل الذي هو من جنس ذلك الفرد الذي نقص منه فيجبر منه فالمقتصر على الفرد يخاف عليه عدم التوفيق فيستحق العذاب ويدل على ذلك ما روى البخاري أن النبي ﷺ: "رأى رؤيا في منامه وكان مما رأى فيها رجل يشرخ رأسه فسال عنه فقيل له رجل علمه الله القران فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار فهكذا يفعل به إلى يوم القيامة ومعلوم أن قيام ليس بواجب والعذاب لا يقع إلى على ترك الواجب أو وقوع الخلل فيه لكن وان كان قيام الليل مندوبا فالعذاب إنما وقع على وقوع الخلل في الواجب الذي ليس له مندوب ينجبر به وفي الحديث دليل على أن البشارة إنما تكون للعاملين لأنه عليه الصلاة والسلام لم يقل ابشروا إلا بعدما نص على العمل الذي يوجب البشارة وهو التسديد والتقريب".

قال ابن أبي جمرة وقوله عليه الصلاة والسلام: "استعينوا بالغدوة والروحة وبشيء من الدلجة إما الاستعانة بالزمان فلما في طرفي النهار من اعتدال الهوى ونشاط النفس فيهما روى أن العمل فيهما أن كان مما في غيرهما قال الله تعالى في كتابه مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1]، وقال تعالى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام: " اذكرني ساعة بعد الصبح وساعة بعد العصر اكفيك ما بينهما والدلجة أيضا كذلك لان الدلجة هي آخر الليل

---

(1) سورة الكهف، آية 28 وتمامها، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

وفي آخر الليل ابدؤوا البدن أقوى لأنه قد اخذ راحته من النوم والغدى".

وقد ورد فيه من الفضل كثير ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا وفي رواية كل ليلة في ثلث الليل يقول هل من داع استجيب له هل من مستغفر اغفر له هل من تائب فأتوب عليه فإذا أن عز وجل يقول هكذا كل ليلة في آخرها ومحال أن يدعوا أحد في ذلك الوقت أو يتوب أو يستغفر فيرد لان الله عز وجل لا يخلف الميعاد والمراد بالنزول هنا نزول طول وَمنٍ ورحمة دون حلول والانتقال وينبغي أن يعمل الإنسان على الرفق".

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "وإذا عمرت هذه الأوقات المذكورة في الحديث فأنواع الطاعات لم يبق بعدها إلا الأوقات التي جعلت للراحات وهي ما نص عز وجل عليها في كتابه حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ ﴾[1]، فعلى هذا فمفهوم هذا الحديث ما نص عليه - عليه الصلاة والسلام - في حديث آخر حيث قال: "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة"، لكنه عليه السلام زاد في الحديث الذي نحن في سبيله تعيين أوقات، ثم قال ابن أبي جمرة:" وإذا أخذ المرء أولا نفسه بأرفق والرياضة في تعبداته حتى يصير له ما اخذ من ذلك عادة كانت العبادة عليه يسيرة لا

---

(1) سورة النور 24، الآية:58.

مشقة عليه فيها حتى يبلغ النهاية وهو كأنه لم يرد على نفسه شيء".

قال ابن الحاج: "وينبغي للطالب في ابتداء حاله أن يشد يده على مداومة فعل السنن والرواتب وما كان منهما تبعا للفرد قبلهم أو بعده وإظهارها في المسجد أفضل من فعلها في بيته عدا موضعين فانه ﷺ يفعل ذلك في بيته وهما الركوع بعد الجمعة لحكمة في ذلك مذكورة إما المغرب فمن باب اللطف والرحمة بالأمة لان الغالب عليهم الصيام ومن في البيت من النساء والصبيان ينتظرونه وليبدأ بقضاء الفوات قبل ذلك وكذلك لا يخلي نفسه من ركوع الضحى وكذلك يحافظ على قيام الليل ولا يخلي نفسه منه وهو خمس تسليمات غير الوتر يعني بشفعة ويقرا فيها بما اخف من القران يكون له في تلك الركعات حزب معلوم من حزبين إلى ثلاثة لان أحب العمل إلى الله تعالى ادومه وان قل كما جاء في الصحيح فان وجد حلاوة المناجاة في التلاوة فليمضي فيها ولا يقتصر فيها على حزبه، وقد قالوا: أن من كان يتفلت منه القران فليقم به في الليل فان ذلك يثبته له ببركة امتثال السنة سيما الثلث الآخر من الليل لما ورد في ذلك من البركات والخيرات وفي قيام الليل فوائد جملة لا ينبغي لطالب العلم أن يفوته منها شيء ومنها انه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة الثاني انه ينور القلب الثالث انه يحسن الوجه والرابع انه يذهب السل وينشط البدن الخامس أن موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الذري لنا في السماء".

وقد روى الترمذي عن بلال وعن أبي إمامة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "عليكم بقيام الليل فانه من آداب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة إلى الله تعالى ومنهات عن الآثام وتكفير للسيئات ومطردة للداء

عن الجسد".

ونقل صاحب شفاء الصدور عن أبي الدرداء انه قال: "اعلم انه من صلى ليلة واحدة تاليا من كتاب الله تعالى وراكعا وساجدا وذاكرا وخاشعا ليلة في عمره كله فبخ بخ انقطع العلم عن وصف ثوابه فكيف لمن صلى أكثر من ذلك ومن صام يوما تطوعا ابتغاء وجه الله خالصا أطفأ صومه غضب الله سبحانه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فكيف بمن صام أكثر من ذلك.

فَصلٌ

من رافق المجتهدين عاد ليله كالنهار من سرى مع نجائب تتجافي انس من جانب الطور النار يا ساعيا على غير الجادة متى تصل إلى الديار قصرت نظرك على جسمك وتركت ما وراءه من الإسرار ،كم فيك من خطوط يقروها من فتح باب الذكر والافتكار، كم أطلقت ألسنة حملة العرش لك بالاستغفار عملك ما لم تكن تعلم حتى أشرق قلبك وأنار، كم تنسى ذكره وهو لا ينساك في الخطوب الكبار كم انعم عليك من نعم لا تحصى وأنت تعصي من هذا صنعه بك يا ناقض العهد يا غدار ضيعت أيام الشباب في المعاصي وها أنت في المشيب لا توبة ولا وقار، إما تذكر المصرع إلا تذكر النقلة من دار إلى دار إذا عاجلك المنوم فما ينفعك الاعتذار، لله ذر قوم عمروا أوقاتهم ذكرا وصياما وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما.

قال الغزالي في الإحياء: "اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا من وفقه الله تعالى بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فأما الظاهرة فأربعة أن لا يكثر الأكثر فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام وان لا يتعب نفسه

في النهار بالأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب أن ذلك أيضا مجلبة للنوم وان لا يترك القيلولة بالنهار فإنها عون على القيام الرابع أن لا يحتقب الأوزار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة فان العبد لا يأكل الأكلة أو يفعل الفعلة فيحرم بها قيام سنة والباطنة فأربعة احدها سلامة القلب من حقد المسلمين وعن بدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدابير الدنيا لا يتيسر له القيام فان قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه وفي مثله قيل وأنت إذا استيقضت أيضا كنائم الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما انشد لذي النون المصر".

منع القران بوعده وعيده
مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه
فرقابهم ذل لكيم تخضعا
[كامل]

وانشدوا:

يا طويل الرقاب والغفلات
كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر دفعت إليه
لرقاد يطول بعد الممات
ومهاد ممهدا لك فيه
بذنوب عملت أو حسنات
[خفيف]

الثالث: أن يعرف فضل القيام بسماعه ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم رجاه وشوقه إلى أثوابه فيهيجه الشوق بطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان الرابع وهو اشرف البواعيث الحب للمولى سبحانه وقوة الإيمان لأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه سبحانه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه وإذا أحب مولاه سبحانه لا محالة أحب الخلوة به والتلذذ بمناجاته فتحمله لذة المناجاة بالمولى الحبيب سبحانه على طول القيام ويجد لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه فكيف والموقن يسمع من الله تعالى كلما يرد على خاطره في أثناء مناجاة".

قال أبو سليمان الدرني: "أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللّهو في لهوهم وقال أيضا لو عوض الله تعالى أهل الليل من ثواب أعماله ما يجدونه من اللذة لكان ذلك من أكثر أعماله وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأولياءه لا يجدها سواهم قال بعض العارفين أن الله تعالى ينظر في الأسحار إلى قلوب المتيقضين فيملاها نورا فترد الفوائد على قلوبهم ثم تنتشر من قلوبهم العوافي لا قلوب الغافلين".

قال بعض العلماء من القدماء: "إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين أن لي عبادا من عبادي يحبونني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكرهم وينظرون إلي وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال: يا ربي وما علاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه، ويحنون إلى غروة الشمس كما

تحن الطير إلى أوكارها فإذا حبهم الليل واختلط الظلام وخلى كل حبيب بحبيبه نصبوا إلي أقدامهم، وافرشوا إلي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا لي بأنعامي، فبين صارخ وباك، وبين متؤوه وشاك، بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشكون من حبي أول ما أعطيهم أقذف من نور في قلوبهم فيخبروني عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والأرض ومن فيهن في موازينهم لاستقللتها لهم والثالث أقبل بوجهي عليه افتري من أقبلت عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه يا أخي امتطى القوم مطايا الرجاء على مركب السهر فما حلوا ولا حلوا رحالهم حتى السحر درسوا القران فقر فغرسوا بأيدي الفكر أزكى الشجر ومالوا إلى النفوس باللوم فلا تسال عما شجر رجعوا بنيل القلوب من ذلك السفر ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر.

حذوا عزمات صاحت بينها
فصار صراهم في ذهور العزائم
تراهم نجوم الليل ما يبتغونه
على عاتق الشعر أوهام نعائم

قال ابن عطاء الله في لطائف المنن: "سمعت شيخنا أبي العباس ﷺ يقول رجال الليل هم الرجال قال الغزالي في الإحياء اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب الأولى إحياء كل الليل وهذا شان الأقوياء الذين تجردوا بعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غداء لهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغل الناس فقد كان ذلك فريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء.

حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكي عن سبيل الاشتهار عن أربعين

من التابعين وكان فيهم من أوضب عليه أربعين سنة فمنهم: سعيد ابن المسير وصفوان ابن سليم المدنيان وفضل ابن عياض ووهب ابن الورد المكيان، وطاووس ووهب بن منبه الميمنيان،والربيع ابن خثيم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الدراني وعلي ابن بكار الشاميان، وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العبادانيان، وحبيب أبو محمد وأبو جابر الفارسيان، ومالك ابن دينار التميمي ويزيد الرقاشي،وحبيب ابن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون، وكهمس ابن المنهال وأيضا من أهل المدين، أبو جاسم ومحمد ابن المنكدر في جماعة يكثر عدهم الرتبة الثانية أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواضبين عليه من السلف.

والرتبة الثالثة أن يقوم ثلث الليل، والرتبة الرابعة أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون في النصف الآخر، الرتبة الخامسة أن لا يراعي التقدير فان ذلك إنما يتيسر لنبي يوحي إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقضه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم قلت ومن عباد الله أن يجعل الله له سبحانه إمارة إذا رآها قام عندها كما إذا رأى في نومه إن يتوضأ أو رأى انه يصلي أو يؤدي أو يقرا الفاتحة ونحو ذلك وهذا لمن صدق مع الله تعالى يتكرر عليه هذا المعنى حتى يحصل له بذلك علم يقين انه أمر بالنهوض إلى ورده وربما إن ترك ذلك فعقبه زجر وكدر فمن حصل له شيء من هذا المعنى فليعمل عليه معتصم بالله سبحانه وتعالى ومفوض أمره إليه فانه سبحانه بفضله يتولى سياسة أولياءه ولا يتركه إلى غيره فعليك بالصدق مع الله سبحانه ترى العجب الرتبة السادسة وهي اقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة

مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذا طريق القسمة فليختر الإنسان لنفسه ما رآه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في جوف الليل فلا ينبغي أن يهمل أحياء ما بين العشاء والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فرتب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره".

قال الغزالي: "كان صلة ابن اشين يصل الليل كله فإذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن برحمتك أجرني من النار فقال الربيع: بت في بيت الشافعي رحمه الله تعالى ليالي كثيرة لم يكن ينام من الليل إلا أيسره وقال أبو الجويرة لقد صحبت أبا حنيفة ستة أشهر فما فيها ليلة وضع فيها جنبه وكان أبو حنيفة أولا يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا هذا يحيي الليل كله فقال إني أوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله، ويروى انه ما كان له فراش بالليل".

وقال المغيرة بن حبيب: "رمقت مالك ابن دينار قام فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة وجعل يقول اللّهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر قال مطر القاري غلبني النوم ليلة فنمت عن حزبي فرأيت فيما يرى النائم جارية كان وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم قالت: اقرأ هذا الكتاب ففتحه فإذا فيه مكتوب فوالله ما ذكرته إلا ذهب عني النوم شعر.

الهتـــك اللذائـــذ والآمنـــى
عـن الفـردوس والظلـل الـدوان
ولـذة نومـة مـن خيـر عيشـى
مـع الخيـرات فـى غـرف الجنـان
تـيقض مـن منامـك أن خيـرا
مـن النـوم التهجـد بـالقران

وحكى القرطبي في تذكرته نحو هذا عن مالك بن دينار قال: "قال مالك ابن دينار كانت لي أجزاء اقرأها كل ليلة فنمت ذات ليلة فإذا أنا بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة فقالت لي أتحسن القراءة فقلت نعم فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات":

لهـلاك النـوم عـن طلـب الأمـان
وعـن تلـك الأوانـس فـي الجنـان
تعـيش مخلـدا لا مـوت فيهـا
وتلهـوا فـي الخيـام مـع الحسـان
تنبـه مـن منامـك إن خيـرا
مـن النـوم التهجـد بـالقرآن

وذكر القشيري في تحبيره عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال: نمت ليلا فجاءتني واحدة من الحور العين فركضتني برجلها فقالت لي: أتنام وأنا لك ؟ فقلت لا نامت عيني بعدها فضحكت فخرج من فيها نورا أضاء محرابي ومصلاي من نور وجهها فقلت لها من أين لك هذا الحسن ؟ فقالت أتذكر الليلة الفلانية ؟ وكانت ليلة باردة وقمت وتوضأت وصليت ثم دعوت وبكيت فأخذت من دموعك دمعة وحملت إلي ومسحت بها وجهي فضاء وجهي من تلك الدمعة.

وروي عن يحي بن عيسى السعدي وكان قد بكى شوقا إلى الله تعالى

ستين عاما قال رأيت كأن صفة نهر تجري بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب وإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد سبحان المسبح بكل لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم في كل زمان سبحانه سبحانه قال قلت من أنتن ؟ قال قلن خلق من خلق الله سبحانه قلت ما تصنعن هنا ؟ فقلن:

درأنا إله الناس رب محمد
لقوم على الأقدام بالليل قوم
يناجون رب العالمين إلههم
وتسري هموم القوم والناس نوم
[طويل]

فقلت: بخ بخ لهؤلاء من هؤلاء ؟ لقد أقر الله أعينهم فقلن أما تعرفهم ؟ فقلت والله ما أعرفهم قلن هؤلاء المتهجدين بالليل أصحاب السهر فسبحان من أعطى أهل العزائم فوق ما أملوه من الآمال وخلف المطرود يبكي على الأطلال باعوا النوم بنقد السهر فأهلا بهم من أبطال نعيمهم في التلاوة ودموعهم تجري كالزلال يا مخنث العزم أين منك مقامات الرجال أفنيت شبابك في الغفلة وبين يديك أهوال غيرك على الجادة وأنت على تخريب العمر في إقبال.

قال صاحب شفاء الصدور وهو أبو محمد بن عتاب وعن القاسم بن محمد قال: "غدوت يوما على عائشة رضي الله عنها وهي قائمة تصلي وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] وتدعوا وتبكي وترددها

(1) سورة الطور 52، الآية 27-28.

قال فقمت حتى مللت القيام فذهبت لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي.

فَصلٌ

ومن حلية الأنوار للصامغاني [1]قال قال يزيد الرقاشي [2]: "قيام الليل نور للمؤمن يسعى بين يديه ومن خلفه وصيام النهار يباعد العبد من حر السعير وقال رسول الله ﷺ: "من صلى ركعتين في جوف الليل أضاء لأهل السماء كما يضيء الكوكب لأهل الأرض واكتنفته الملائكة من لدن قدميه إلى عنان السماء وذر عليه البر ذرورا "[3].

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "ركعة بالليل أفضل من عشرين بالنهار فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل أيقظه إما سنووا وإما صبي وإما شيء حتى يستيقظ فيفتح عينيه".

وقال محمد بن سيرين ثلاثة من السنة: هي دواء من البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن بالليل وقال أبو جعفر القاري قلت ليلة عند صاح بن عبد الكريم:

بكى البكاؤون للرحمان ليلا
وباتوا دمعهم ما يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم

---

(1) لم أقف عليه.

(2) هو : يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري، محدث زاهد، ضعيف الحديث، مات قبل سنة (120)هـ.

(3) لم أعثر عليه.

تحـــن وهـــم إليهـــا يسجـــدون

[رجز]

قال: "فبكى صالح حتى غشي عليه"، وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يوقظه الله سبحانه من الليل فلا يأتي السحر إلا وقد فرغ من حزبه.

وكان العلاء بن زياد يحيي كل ليلة جمعة فوجد ليلة فترة فقال لامرأته يا أسماء إني أجد فترة فإذا مضى كذا وكذا فأيقظيني لوقت وقته ثم رقد فأتاه آت في منامه فأخذ بناصيته فقال يا بن زياد قم فاذكر الله يذكرك فقام فزعا فلم يزل بعد ذلك قائما ليله حتى مات.

وكان هشام بن الحارث يدعو فيقول: "اللّهم أمتعني من النوم باليسير وارزقني سهرا في طاعتك فما كان ينام إلا هنيئة وهو قاعد".

وقال سعيد بن المسيب: "إن الرجل ليصلي من الليل فيجعل الله في وجهه نور المحبة فلا يراه أحد ممن لم يراه قط إلا قال إني لأحب هذا العبد في الله سبحانه".

وقال بن عباس: "لرجل شاب قد كنت أنا مثلك أصلي العتمة ثم لا أزال قائما حتى أصلي الغداة فالآن حين أصبح أنشط مني حين قمت، وكان ابن عباس إذا تهجد من الليل ومر بالآية يريد أن ينظر فيها يقول" يا كريب إذا أصبحت فاذكرنيها حتى إذا أصبح أذكرته إياها فقال الحمد لله والله إني لأرجو من الله سبحانه أنه كما استجاب لنوح دعوته في الكفار فلم يذر على الأرض من الكافرين ديارا أنه يستجيب له دعوته "ربي اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة".

وقال يحي بن دينار: "شهدت محمد بن سيرين وسأله رجل فقال رأيت في المنام كأنه اثنين أتياني فرقيا بي إلى السماء حتى إذا ارتفعت أرسلت

فهبطت إلى الأرض، فقال له ابن سيرين اتق الله وعد إلى ما كنت تسمع فإنك قد كنت تقوم من هذا الليل فكان عملك يرفعك وإنك لما تركت ذلك أرسلت فهبطت إلى الأرض فعد إلى ما كنت تصنع.

وقال عبادة بن الصامت ﷺ: "من صلى منكم بالليل فليجهر فإن الملائكة الذين يسكنون الهوى يصلون بصلاته ويستمعون لقراءته وإن مسلمي الجن يصلون بصلاته ويستمعون لقراءته وإنه يطرد بقراءته إذا جهر وسمع عن داره ما حولها من فساق الشياطين ومردة الجن وما من رجل يتعلم كتاب الله تعالى عن ظهر قلبه يريد به وجه الله تعالى ثم صلى به ساعة معلومة إلا أمرت الليلة الماضية الليلة المقبلة أن تكون عليه خفيفة وأن تنبهه بساعته.

وقال عمر بن ذر قال لي أبي: "بلغني أن العبد المسلم إذا قام من الليل للصلاة لم يسمعه شيء من خلق الله تعالى إلا استحن تهجده ودعا له بخير إلا الثقلين الجن والإنس".

قلت: "وينبغي للعبد أن يكثر الدعاء في هذا الوقت بخضوع وخشوع فهو وقت إجابة حسب ما ورد في حديث النزول أنه سبحانه يقول: "هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأستجيب له"[1].

---

(1) النزول للدارقطني: ح: 29، (حديث قدسي) (حديث موقوف) وقال الباقون : وقال الباقون: عن النبي ﷺ، قال : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء ، ولأخرت صلاة العشاء إلى ثلث الليل أو نصف الليل ، فإنه إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل نزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ، فيقول : " هل من تائب فأتوب عليه ، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له " ، حتى يطلع الفجر ، وقال ابن شبة ، وأبو موسى : أو شطر

قال بن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "فكيف يقول الله عز وجل هذا ويستغفر أحدا إذ ذاك أو يتوب أو يدعوا فيرد ذلك محال من طريق قوة الرجاء في فضله ومنه سبحانه.

وقال طلحة بن مطرف: "بلغني أن العبد إذا قام من الليل يتهجد ناداه ملكاه طوبى لك سلكت منهاج العابدين قبلك، و قال حدثني رجل من أهل عسقلان قال قمت ذات ليلة للتهجد على بعض السطوح فإذا أنا بهاتف يهتف من البحر إليكم معاشر العابدين عن أنباء السابقين من الأمم العبادة ثلاثة أجزاء فأولها قيام الليل وثانيها صيام النهار وثالثها الدعاء والتسبيح فخذوا بالحظ الأوفر، قال فسقطت والله بوجه مما دخلني من ذلك.

وقال الحسن: "إذا قام العبد في سحوره يباهي الله سبحانه به الملائكة يقول أنظروا عبدي يعبدني وروحه عندي.

وقال أبو الدرداء: "إذا نام الرجل وهو تحدث بنفسه أن يقوم من الليل فيصلي فغلبته عيناه فنام حتى يصبح كتب الله له مثل ما أراد أن يعمل وكان نومه عليه صدقة، وقال صدقة بن يزيد بلغني أن طول الصلاة راحات يوم القيامة:

ولـــــه عبـاد مخلصـون تراهـم
صفر الوجوه لما بهم من مشهد
ذبـــل الشفاه وما بهم من علة
آلفـو التـلاوة مـن لذيـذ المرقـد
[رجز]

الليل .

قال وهب بن منبه: إن بيوت المتهجدين لتعرف في السماء ليس منها بيت إلا عليها نور ساطع.

وكان صفوان بن سلم لا يتوسد بالليل وسادا ولا يضع جنبه على فراش بالليل إنما كان يصلي فإذا غلبته عيناه احتبى قاعدا، وكان عمران الضبعي يصلي من الليل ما شاء ليلا طويلا فإذا أعيا ألقى رداءه وتوسده ونام في مكانه الذي صلى فيه.

قال: "ويذكر في ذلك حديث حسن أن العبد إذا قام من الليل استغفر له كل شيء سمع صوته فإن غلبته عيناه فنام في مصلاه كتب الله له أجر القانتين وإن هو رجع إلى فراشه لم يكتب له بقدر قيامه".

قال وهب بن منبه[1]: "وقيام الليل يشرف به الوضيع ويعز به الذليل وصيام النهار يقطع به صاحبه الشهوات وليس للمؤمن راحة دون الجنة.

وقال مالك بن مغول: قيام الليل أيسر من خوض النيران وشرب الحميم، وقال أبو عاصم العباداني: "كان رجل من بني سعد يصلي الليل والنهار لا يفتر من ذلك فإذا كان السحر احتبى واستقبل البحر فجعل يبكي وينوح على نفسه فإذا أحسن بإنسان أمسك، قال فخرجت ذات ليلة إلى الساحل فإذا بصوته يبكي ويقول:

ألا يا عين ويحك أسعديني

---

(1) هو: الإمام وهب بن منبه (34 هـ - 114 هـ) هو تابعي جليل، له معرفة بكتب الأوائل وإخباري قصصي يُعد أقدم من كتب في الإسلام. كان ممن قرأ الكُتب ولزم العبادة وواظب على العلم وتجرد للزهد. وعدّه أصحاب السِيَر من الطبقة الثالثة من التابعين. روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير.

بطـول الـدمع فـي ظلـم الليـالي

لعلـك فـي القيامـة أن تفـوزي

بخيـر الـدهر فـي تلـك العلالـي

[وافر]

قال فلما أحس بي أمسك قال: فرجعت وتركته، وكان أبو هريرة ﷺ إذا قام من الليل يرفع صوته طورا ويذكر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك.

قلت: وروى البخاري في صحيحه عن أبي عثمان يعني النهدي قال: "تضيفت أبا هريرة ﷺ سبعا فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا يصلي هذا ثم يوقظ هذا، وروى البخاري عن عوان بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبدلة فقال لها ما شأنك ؟ قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فضيع له طعاما فقال له كل فإني صائم قال ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال نم فنام ثم ذهب يقوم فقال نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان قم الآن فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعطي كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له قال صدق سلمان.

وروى البخاري : عن أبي هريرة ﷺ أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنهما قال:

وفينـا رسـول الله يتلـوا كتابـه

إذا إنشق معروف من الفجر ساطع

أرانـا الهـدى بعـد العمـل فقلوبنـا

بـه موقنـات أن مـا قـال واقـع

يبيـت يجـافي جنبـه عـن فراشـه

إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

[طويل]

وقال عبيد بن عمير الليثي: "كان يقال إذا جاء الشتاء قال الملك يا أهل القرآن قد طال الليل لصلاتكم وقصر النهار لصومكم فإن أعياكم الليل أن تكابدوه وخفتم العدو أن تجاهدوه وبخلتم بالمال أن تنفقوه فأكثروا من ذكر الله سبحانه.

وقال وائل بن الأسقع ﷺ[1]: "ما من عبد يقوم من فراشه يصلي إلا قال الله سبحانه لملائكته هذا عبدي قد قام من فراش وطي إلى ماء بارد يلتمس رحمتي فلأرحمنّه، وقال الأوزاعي من أطال قيام الليل هون الله عليه موقف يوم القيامة.

---

(1) من رواة الحديث روى عنه مسلم .

فَصلٌ

روى أبو عيسى الترمذي في جامعه عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته إلا الله تعالى والذي أعطاه وقوم ساهروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملقن ويتلو آياتي ورجل كان في سرية فلقي العدو فهزموا وأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم،قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

قال الباجي[1] في سنن الصالحين: "قال أبو ذر ثلاثة يضحك الله عز وجل إليهم ويستبشر بهم رجل قام من الليل وترك فراشه ودفئه الحديث، قال الباجي قال أبو سليمان الدراني: من قام إلى الصلاة فاستفتح القراءة فوجد لها لذة فلا يركع ولا يسجد وإذا وجد للركوع لذة فلا يقرأ ولا يسجد وإذا و جد للسجود لذة فلا يقرأ ولا يركع فالوجه الذي يفتح له فيه يلزمه قيل له فالخرب الذي جعله على نفسه من الركوع متى يصليه ؟ قال بالنهار ثم قال له كيف له بأن يفتح له في مثل ما كان فيه هل رأيت أحدا يطلب شيئا فإذا وجده تركه ثم بعد ذلك يطلبه .

قال سفيان الثوري: "عليك بقلة الطعام تملك سهر الليل، وقالت بنت

---

(1) هو: أبو الوليد الباجي هو القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، الأندلسي، القرطبي الباجي، الذهبي، المالكي إمام، وفقيه مالكي وصاحب التصانيف، مات أبو الوليد بالمرية في التاسع عشر من رجب سنة 474 هـ.

الربيع بن خشيم لأبيها مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام فقال لها إن أباك يخاف البيات.

قال الباجي رحمه الله تعالى ولي في هذا المعنى:

قد أفلح القانت في جنح الرجاء
يتلوا الكتاب العربي النيرا
فقائما وراكعا وساجدا
مبتهلا مستعبدا مستغفرا
له حنين وشهيق وبكاء
يبل من أدمعه ترب الثرا
إنا لسفر نبتغي نيل الهدى
ففي الشرى بغيتنا لا في الكرا
من ينصب الليل ينل راحته
عند الصباح يحمد القوم الشرا
[رجز]

قلت: روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: "سُئِلَ يعني النبي ﷺ أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان فقال أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم انفرد به مسلم.

بَابٌ مَشتَمِلٌ عَلى فُصُولٍ فِيها وَصَايَا وكَلِمَاتٍ حَكمِيَّةٍ

باب مشتمل على فصول فيها وصايا وكلمات حكمية، يلذ سماعها ويروق معناها وحكايات عن الأولياء تنفع مطالعها وتحملهم على حسن التأسي والإقتداء بهم إن شاء الله تعالى، ذكر الباجي في كتابه سنن الصالحين عن ابن مسعود ﷺ قال: "أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال إن الله بارك للمسلمين فيك قال الحمد لله قال فخصني منك بخاصة قال فهل أنت مستوص بما أوصيك؟ قال ما شاء الله قال فرددتها ثلاث مرات فقال إذا أردت الأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان غير ذلك فانته عنه.

قلت: ولفظ الترمذي على ما نقله البغوي[1] في مصابيحه عن أنس ﷺ أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصي قال: "خذ الأمر بالتدبير فإن رأيت في عاقبته خيرا فأمضه وإن خفت غيا فامسك".

ولما خرج معاذ من اليمن قال: "يا رسول الله أوصني فقال: "عليك بتقوى الله ما استطعت واذكر الله عند كل شجر وحجر وإذا عملت سوءا فأحدث له توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية.

فَصلٌ

ومن شفاء الصدور لأبي محمد بن عتاب قال رحمه الله تعالى: "روى عمرو بن دينار عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال أوصيكم وبالله لفقركم وفاقتكم وأن تثنوا عليه من الثناء بما هو أهله وأن تستغفروه إنه كان غفارا

---

(1) هو: الحافظ البغوى هو الإمام الحافظ محى السنة شيخ الإسلام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى، من الذين خدموا الكتاب العزيز والسنة النبوية.ولد قي بغشور وإليها نسبته وهى بليدة بين هراة ومروالروذ من بلاد خرسان، توفى سنة 516 من الهجرة.

وأن تخلصوا إليه أعمالكم وأن تخلصوا إليه اليقين فما بلغكم من كتابه العزيز فإنه جلى وتعالى أثنى على زكرياء وأهله فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [1] واعلموا أن الله تعالى قد [أرتهن][2] بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفئ نوره فصدقوا قول الله وانتصحوا كتابه واستضيئوا به ليوم الظلمة فإنما خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون وأمركم بطاعته واعلموا أنكم تغدون وتروحون في آجال قد غيب عنكم علمها فإن استطعتم أن تنقضي الأجل وأنتم في طاعة الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا به وسابقوا في مهل من آجاله من قبل أن تنقضي فتكون قد أسلمتكم إلى سوء أعمالكم فإن قوما جعلوا آمالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [3]

وقال تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [4]

---

(1) سورة الأنبياء 21، الآية: 90 وتمامها قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

(2) كلمة هكذا رسمت بالحرف ولكن المعنى لا يتماشى وسياق الكلام .

(3) سورة الحشر 59، الآية: 19.

(4) سورة التوبة: 09، الآية 67 وتمامها قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

فالوحا الوحا النجا النجا فإن من ورائكم طالبا حثيثا ممده سريع واعلموا أنكم ما أخلصتم لله عز وجل فربكم أطعتم وحقكم حفظتم فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم واجعلوها قربة لربكم حتى تستوفوا به سلفكم وضرائبكم حين فقركم وحاجتكم ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم أين ما تعرفون من إخوانكم قد قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم فحلوا فيه بالشقاء والسعادة أين الجبارون الأولون الذين أنشئوا المدائن العظام وحضوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب قد صاروا رميما تحت الصخور الآكام فتلك بيوتهم خاوية وهم في ظلمات القبور ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾[1] أين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها قد نسو ونسي ذكرهم فلهم اليوم كلا شيء.

أين الوضاة الحسنة وجههم المعجبون بشبابهم قد صاروا رميما إن الله عز وجل ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه به سوءا إلا بطاعته واجتناب معصيته واتباع أوامره وإنه لا خير في في خير بعده النار ولا شر في شر بعده الجنة ولا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم.

ومن وصايا عمر بن الخطاب ﷺ فمما كتب به إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: من عبد الله عمر إلى عبد الله بن قيس سلام عليك فإني

---

(1) سورة مريم 19، الآية: 98 وتمامها قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأوصيك بتقوى الله الذي يأخذ بقدره ويعفوا بحلمه ولا يعجز أحد راده فكن منهم على حذر وأصلح الذي بينك وبينه فإن صلاح ذلك أن تود في الحق الذي افترض عليك في كتابه وتجتنب ما نهاك عنه فإذا فعلت ذلك كفاك ما أهمك من أمر الدنيا وجعل منقلبك إلى خير ثم قال بعد كلام: واعلم أنما يقصر بحاجة العبد في طلب الآخرة ضعف النية وإنما يبين رغبة العبد في الجنة وزهادته فيها عمله في الدنيا فإذا كان العبد حريصا على طلب الخير أحبه وابتغاه وكَّل به الحريص الراغب في الجنة، وإذا كان العبد زاهدا في العمل الصالح وابتغاء الخير فذلك الزاهد في الجنة وإن الزاهد فيها لخليق أن لا يدخلها.

وقد ذكر لي أن نبي الله ﷺ كان يقول: "والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حريص عليها.

وروى ابن المبارك عن مالك بن مغول أنه بلغه أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون وأيسر لحسابكم وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: من شهد الصلاة أربعين ليلة في جماعة يدرك مع إمام التكبيرة الأولى كتب له براءة من النار.

وقد روي نحوه عن النبي ﷺ وقد روي عن عمر ﷺ أنه قال: ما كانت الدنيا قط هم رجل إلا لزم نفسه خصال أربع: فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفذ أولاه وعمل لا يدرك منتهاه.

قال ابن عتاب: وروي أن عمر ﷺ مر ببقيع الغردق فقال: السلام عليكم

أهل القبور أخباركم عندنا إن نساؤكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت وأموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا عمر أخبارها عندنا أما ما قدمناه فقد وجدناه وما أنفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه".

ومن وصايا عثمان بن عفان ﷺ قال في خطبة: "يا ابن آدم أعلم أن ملك الموت الذي وكل بك لم يزل يخلفك إلى غيرك منذ أنت في الدنيا وأعلم أنه قد تخطى غيرك وأقبل إليك فخذ حذرك واستعد له واعلم أنه لا يغفل عنك واعلم أنه إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لم يستعد لك غيرك ولابد من لقاء الله عز وجل فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك.

ومن وصايا علي بن أبي طالب ﷺ ومواعظه وحكمه: "وعن أوفى بن دلهم قال: خطب علي بن أبي طالب ﷺ الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوادع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وإن الإضمار اليوم وغدا السابق ألا وإنكم في أيام مهل وأمل من ورائه شدائد وأجل فمن قصر في أيام منهله قبل حضور أجله فقد خيب عمله ألا فاعملوا لله في الرهبة كما تعملون له في الرغبة ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ولم أر كالنار نام هاربها ألا إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر.

وعن نوفل البكالي[1] قال: رأيت علي بن أبي طالب ﷺ يكثر الخروج والنظر إلى السماء فقال يا نوف أنائم أنت؟ قلت لا فقال: يا نوف طوبى

---

(1) هو: نوف بن فضالة الحميري البكالي أبو زيد ويقال أبو رشيدين ويقال أبو عمر، شامي وهو ابن امرأة كعب الأحبار وقد ذكره البخاري في فضل من مات بين التسعين والمائة ولم يرد تاريخ وفاته في تهذيب التهذيب إلا أن الزركلي في الأعلام ذكره وفاته بنحو:95هـ،

للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطا وماؤها طيبا وترابها فراشا وجعلوا القرآن شعارا والدعاء آثارا.

وقيل لعلي ﷺ: صف لنا الدنيا قال: أطيل أم أقصر؟ قال: بلى قصر قال: حلالها حساب وحرامها عذاب زاد في راوية فاقتصروا على الحلال لطول الحساب واتركوا الحرام لطول العذاب.

ومن كلامه إنما الدنيا عرض تنتضل فيها المنايا لا ينال العبد فيها نعمة إلا بعراق آخرين ولا يستقبل يوما من عمره إلا يهدم آخر من أجله.

وروي عنه أنه صلى يوما صلاة الصبح ثم انفتل عن يمينه فقال: لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم أحد يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم كأمثال ركب العنز قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله عز وجل ويراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا وذكروا الله هملت أعينهم حتى تبل ثيابهم و والله لكان القوم اليوم باتوا غافلين.

وعن الحارث بن علي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1]، قال خليلين مؤمنين وخليلين كافرين فمات أحد المؤمنين فبشر بالجنة فذكر خليله المؤمن فقال يا رب إن خليلي فلانا كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويخبرني بأني ملاقيك فلا تظله بعدي أهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فإذا ماتا جمع بينهما في الجنة ويقال لهما ليثني كل واحد

(1) سورة الزخرف 43، الآية: 67 .

منكما على صاحبه فيقول اللّهم وأنت أعلم كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويخبرني أني ملاقيك، فنعم الأخ والخليل والصاحب، قال ثم يموت أحد الكافرين فيبشر بالنار فيذكر خليله فيقول اللّهم إن خليلي فلان كان يأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويخبرني أني غير ملاقيك اللّهم فأضله كما أضلني فإذا ماتا جمع بينهما في النار فيقال لهما ليثني كل واحد منكما على صاحبه فيقول اللّهم وأنت أعلم كان يأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويخبرني أني غير ملاقيك.

وعن علي ﷺ قال: "إذا أقدرت على عدوك فأعفوا عنه واجعل العفو عنه شكرا لله تعالى أَنْ قواك عليه".

وروى كميل عنه أنه قال له يا كميل القبر صندوق العمل وعند الموت يأتيك الخبر .

وعن عميرة بن سعد قال رأيت علي ابن أبي طالب ﷺ يسرع المشي فاتبعته فقال يا عميرة هلم حتى نصب من دموعنا في المقابر فقام بين القبور فقال: "يا أهل القبور محلكم وأوحش دياركم يا أهل القبور نسيكم الأولاد والأحبة واستبدل الجيران بكم جيرانا واستبدل الإخوان بكل إخوانا، يا أهل القبور كيف وجدتم مرارة الموت وثقل التراب ثم بكى".

وعن علي ﷺ أنه قال: قال خير المسلمين: "من وصل أخاه وأعانه ونفعه وقال من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاجتنبه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها".

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: "ألا إن لله عبادا مخلصين كأنهم نظروا إلى أهل الجنة في الجنة فاكهين وإلى أهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، أما بالليل فصفوا أقدامهم في صلاتهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يرغبون إلى ربهم في فكاك أعناقهم وأما بالنهار فحلماء علماء بررة أتقياء.

وقال علي ﷺ: الزاهدون في الدنيا قوم وُعظوا فاتعظوا وخُوفوا فحذروا وعلموا فعلموا إ ن أصابهم يسر شكروا وإن أصابهم عسر صبروا".

وقال علي ﷺ: "ما كان الله ليفتح باب الدعاء ويغلق باب الإجابة وما كان الله ليفتح باب الشكر ويغلق باب المزيد وما كان الله ليفتح باب الذكر ويغلق باب الرحمة، وما كان الله ليفتح باب التوبة ويغلق باب المغفرة وها أنا أتلوا عليكم بهن كتاب الله تعالى قال الله العظيم: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾[2] وقال ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

روي أن علي ﷺ كان يتمثل هذه الأبيات:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة

---

(1) سورة البقرة 2 الآية: 152 .

(2) سورة غافر40، الآية: 60 .

(3) سورة النساء 3، الآية: 110 .

فـإن ثـواب الله أعلـى وأكمـل

وإن تكـن الأرزاق قسـما مقـدرا

فقلـة حـرص المـرء فـي الكسـب

وإن تكـن الأمـوال للتـرك جمعهـا

فمـا بـال متـروك بـه العبـد ينجـل

وإن تكـن الأبـدان للموت انشكت

فقتـل امـرء فـي الله بالسيف أجمـل

[طويل]

وقال ﷺ: "من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروؤته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته، ومن وصية أبي عبيدة بن الجراح ﷺ واسمه عامر يقول في أثناء كلامه عند موته: "ولا تلهيكم الدنيا فإن امرئ لو عمر ألف حول ما كان له يد من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون وأن الله عز وجل كتب الموت على بني آدم فهم ميتون وأكيسهم أطوعهم لربهم وأعملهم ليوم ميعاده ، وروي أنه كتب إلى أخ له: "أما بعد فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله فإن الله لا يضيع أولياءه وإن يكونوا أعداء الله فما تمسك بأعداء الله والسلام عليك".

فَصلٌ

ومن وصية ابن عباس ﷺ لابنه: "يا بني إني مودعك كلاما فإن أنت وعيته اجتمع لك به أمر الدنيا والآخرة، ليكن كنزك الذي تدخره العلم وكن به أشد اغتباطا من الذهب الأحمر، ولا تكن ممن يرجوا الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي إن عرض عمل الآخرة

أخذه ويقصر في العمل حين يعمل وهو بالقول مذل ومن العمل مقل يخشى الموت ولا يخاف الفوت يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه ما لا يستوجبه من ربه.

وعن عمر بن عيسى عن وبرة قال: "أوصاني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بست كلمات هي أحسن من الدرهم الموقرة:

أولهن قال لي: "لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه أفضل ولا آمن عليك فيه الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى ترى لكلامك موضعا ورب متكلم بالحق تقي قد تكلم في غير موضعه فهنت ولا تمارين سفيها ولا حليما فإن الحليم يغلبك والسفيه يؤذيك، ولا تذكر أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يذكرك به إذا تواريت عنه، ودعه فيما تحب أن يدعك منه واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام، فقال رجل عنده: هذه خير من عشرة آلاف فقال له ابن عباس كلمة واحدة منها خير من عشرة آلاف.

وقال ابن عباس ﷺ: "الميزان له لسان وكفتان توزن فيه الحسنات والسيئات فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فيثقل عمل الحسنات قال فيؤخذ فيوضع عمله في الجنة عند منازله ثم يقال للمؤمن ألحق بعملك إلى الجنة قال: فينطلق إلى الجنة فيعرف منازله كما يعرف منازله في الدنيا قال: ويؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان فتخف والباطل خفيف فيطرح عمله القبيح في جهنم عند منازله ثم يقال له إلحق بعملك إلى النار فيأتي النار فيعرف منازله من النار بعمله فينظر ما أعد الله له فيها من ألوان العذاب قال: فوالله لقد يعرف كل أحج من الفريقين منزله من الجنة أو النار كرجوع القوم من الجمعة إلى

منازلهم في الدنيا، قلت قوله فتثقل عمل الحسنات وقوله فتخف والباطل خفيف كذا هو في شفاء الصدور لابن عتاب.

وذكر بعضهم أنه قال: كنت عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا إنا خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا حتى إذا أتينا الصفاح فمات فهيئناه ثم انطلقنا فحفرنا له قبرا ولحدنا له لحدا فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود ملأ اللحد فتركناه وحفرنا له قبرا في مكان آخر فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فتركناه وأتيناك، قال ابن عباس ذلك عمله الذي يغل به انطلقوا فادفنوه في بعضها فو الذي نفسي بيده لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها فانطلقنا فدفناه في بعضها فلما رجعنا أتينا أهله بمتع له وقلنا لأهله ما كان عمل زوجك قالت كان يبيع الطعام فيأخذ كل يوم قوت أهله ثم: يقرض من الغصب مثله فيلقيه فيه.

قال بن عتاب عن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل يقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يأتي بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقا أنيابها بادية خلقتها مشوهة تتشرف على الخلائق فيقال هل تعرفون هذه فيقولون: نعوذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تنافستم عليها وبها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم فيقذف بها في جهنم فتنادي أي رب أين الذين اتبعوني وكانوا أشياعي فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

وعن مجاهد قال: قال لي ابن عباس: يا مجاهد أحب لله أو أبغض في الله وعادي في الله سبحانه فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وقد صارت مؤاخاة الناس للدنيا وذلك لا يعني عن أهله شيء ثم قرأ قوله تعالى ﴿لَّا

تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [1] ثم قرأ قوله تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [2].

ومن وصايا عبد الله بن مسعود ﷺ ومواعظه وعن عبد الملك بن عميران بن مسعود ﷺ قال: ثلاثة أحلف عليهن والرابعة إن حلفت عليها رجوت أن أبر: "إن الله سبحانه لا يجعل من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ولا يحب رجل قوما إلا كان معهم ولا يتولى الله عبدا في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة.

وقال ابن مسعود: "إن الخيرات يوم القيامة تخف بمثقال حبة ويرجح بمثلها وإنه يحاسب الناس يوم القيامة ممن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار يعني إلا أن يعفو الله ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، قال ابن مسعود:" وأنا أرغب الله سبحانه أن يجعل حسناتي تفضل سيئاتي ولو بمثقال ذرة.

وقال ابن مسعود : "من كان مقتديا فليقتد بمن قد مات من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا وأعتقها علما وأقلها تكلفا قوما اختار الله سبحانه لمحبة نبيه عليه السلام وإقامة دينه فاعرفوا لهم

---

(1) سورة المجادلة 58 الآية: 22 وتمامها قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(2) سورة الزخرف 43 الآية: 67 .

فضلهم واتبعوا آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

ومن مواعظ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "من كثر ماله اشتد حسابه" ، وقال أيضا: "ما أعطى أحد من الدنيا شيئا إلا انتقصت درجاته عند الله تعالى وإن كان من أهل الجنة.

وعن ميمون بن مهران قال: "دخلت بيت عبد الله بن عمر فما قدرت أن يساوي متاع بيته طيلسا في هذا".

وروى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: "والله لو صمت النهار ولا أفطره وقمت الليل ولا أنام وأنفقت مالي في سبيل الله ثم مت وليس في قبلي حب لأهل الله سبحانه ولا بغض لأهل معصية الله سبحانه ونفعني[1] ذلك شيئا".

ومن وصايا عبد الله بن عمرو بن العاص ومواعظه روى أبو كثير الزبيري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "يجمع الله فقراء هذه الأمة ومساكينها فيبرزون فيقال لهم ما عملتم فيقولون ربنا ابتلينا فصبرنا وأنت أعلم ووليت السلاطين والأمور غيرنا فيقال لهم: "صدقتم فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان ويبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان قال قلت: فأين المؤمنون حينئذ قال توضع لهم كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك أقصر عليهم من ساعة من نهار.

وعن حميد بن هلال عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "دع ما

---

(1) الراجح والصوب من نفعني.

لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك وأحرز لسانك كما تحرز دراهمك" ، وعنه: "من لم يبال من حيث يكتسب المال لم يبال الله من حيث يدخله النار.

وعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: "المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وروي أن رجلا قال لمعاذ أوصني فقال له: "كن بالمؤمنين رحيما أكن لك بالجنة زعيما يعني ضامنا".

وسأل أبو الوليد بن عبادة بن الصامت أباه عبادة قال قلت: "يا أبت كيف لي أن أؤمن بالقدر كله خيره وشره ؟ قال بأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك" .

وقال أبو الحجاج الأزدي قلت لسلمان: "ما معنى قول الناس حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قال: معناه أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ولا تقل لو فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولو لم أفعل كذا وكذا لم يكن كذا وكذا".

وروى أبو الدرداء ﷺ قال: "شهدت النبي ﷺ يوما وقد سأله رجل عن قسوة قلبه فقال له: "إن كنت تريد أن يلين قلبك وتدرك حاجتك فارحم اليتيم وإذن مجلسه وأطعمه من طعامك".

وقال رجل لأبي الدرداء أوصني فقال له: "أذكر الله في السراء يذكرك في الضراء" .

وعن أبي الدرداء أنه قال: "الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله تعالى يدخلون الجنة وهم يضحكون قال ومن عصا الله تعالى وهو يضحك دخل النار وهو يبكي".

وروي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال قلت لسلمان الفارسي ﷺ أوصني فقال لي: "أذكر الله عند همك إذا هممت وعند لسانك إذا تكلمت وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا بطشت .

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال لي سلمان الفارسي ﷺ : "يا جرير تواضع في الدنيا فإنه من يتواضع في الدنيا يرفعه الله يوم القيامة ومن يتعاطر في الدنيا يضعه الله يوم القيامة يا جرير لو حرصت أن تجد عودا يابسا في الجنة لم تجده قلت كيف وفيها الثمار؟ قال أصول الشجر الذهب والفضة وأعلاها الثمار يا جرير تدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قلت: لا قال: "إنه ظلم الناس بعضهم بعضا في الأرض".

وعن أبي عثمان النهدي عن سلمان ﷺ قال: "إذا كان الرجل دعاءا في السراء ثم نزلت به الضراء فدعا قالت الملائكة صوت معروف أشفعوا له فيشفعون له، وإذا كان الرجل ليس بدعاء في السراء ثم نزلت به الضراء فدعا قالت الملائكة صوت ليس بمعروف لا تشفعوا له.

وعن سعيد بن سويد قال: قال سلمان من يزرع خيرا يحصد رغبة ومن يزرع شرا يحصد ندامة فإنه كما يزرع الزارع يحصد فكن ممن ينصب نفسه لله في الدنيا فإنه نصب يسير يورث راحة طويلة وإياكم وإتباع الشهوات في الدنيا فإنها شهوة ساعة تورث حزنا طويلا".

وروي عن سلمان أنه كتب إلى أبي الدرداء أما بعد: " فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي ولن تدرك ما تؤمل إلا بالصبر على ما تكره فليكن كلامك ذكرا ونظرك عبرا فإن الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام" .

فَصلٌ

وعن سفيان الثوري: "قال قام أبو ذر عند الكعبة فقال : يا أيها الناس أنا جنتدبة بن جتادة الغفاري هلموا رحمكم الله فاكتنفه القوم فقال لهم: لو أن أحدكم أراد سفرا لكان يتخذ له من الزاد ما يصلحه قالوا بلى قال فسفر يوم القيامة أبعد أما تريدون فيه ما يصلحكم ؟ قالوا : وما يصلحنا ؟ قالوا: "الصلاة في ظلم الليالي لوحشة القبور وصوموا في حر الأيام لحر يوم النشور وتصدقوا مخافة يوم عسير وحجوا حجة لعظائم الأمور وعليكم بأمرين كلمة خير تقولونها أو كلمة شر تستكتمون عنها الدنيا مجلسان مجلس لطلب العلم ومجلس في طلب الحلال والثالث يضر ولا ينفع، اجعل المال درهمين درهما أنفقته على عيالك من حله ودرهما قدمته لآخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك ثم نادى بأعلى صوته يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدا".

وروى أبو وائل عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ﷺ قال: تخرج نفس المؤمن أطيب من ريح المسك فتصعد به الملائكة الذين يتوفونه فتتلقاهم ملائكة دون السماء آخرون فيقولون من هذا ؟ فيقولون هذا فلان كان يعمل كيتا وكيت لمحاسن عمله فيقولون مرحبا به فيقبضونه ويصعدون به من بابه الذي كان يصعد منه عمله فيشرق في السماوات حتى ينتهي إلى العرش وله برهان كبرهان الشمس وتخرج نفس الكافر أنتن من الجيفة فتصعد به الملائكة الذين يتوفونه فتتلقاه ملائكة دون السماء آخرون فيقولون من هذا؟ فيقولون هذا فلان كان يعمل كيتا وكيت لمساوي عمله فيقولون لا مرحبا به ردوه قال ابن عباس: فيردونه إلى واد يقال له يرهوت أسفل الثرى من الأراضين السبع.

وقال أبو موسى الأشعري: "إن هذا القرآن كائن لكم ذخرا وكائن

عليكم وزرا فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم فإن من اتبع القرآن قاده إلى رياض الجنة ومن اتبعه القرآن زج في قفاه فقذف في النار.

وعن حذيفة بن اليماني ﷺ أنه قال: "ما من صباح ولا مساء إلا ومنادي ينادي يا أيها الناس الرحيل الرحيل" ، وقال حذيفة: "ما استخف قوم قط بحق الله سبحانه إلا بعث الله عليهم من يستخف بهم وبحقهم" .

وعن زريق قال: قال حذيفة: "من بكى على الدنيا أدخله النار، ومن بكى على الآخرة أدخله الجنة.

وروى الأعرج عن أبي هريرة ﷺ قال: "أحسن الناس مرورا على الصراط أحسنهم عقلا وأفضل الناس ثوابا يوم القيامة أحسنهم عقلا وأرجح الناس موازين يوم القيامة أرجحهم عقلا فقيل له يا أبا هريرة وما أحسن العقل قال: الكف عن مساخط الله وإتباع مرضاة الله سبحانه".

وعن أبي هريرة ﷺ: "أن ملوك الجنة هم الذين إذا استأذنوا لم يؤذن لهم وإن خطبوا النساء لم ينكحوا وإن قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الخلق لو سعهم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: "إني لأعلم متى يحييني ربي قالوا: ومن أين تعلم ذلك يا أبا هريرة؟ قال: إذا فتح لي باب الدعاء عرفت أنه قد أذن لي في الإجابة لأنه من كرمه سبحانه إذا فتح باب الدعاء لعبد يوشك أن يستجيب له".

وعن مالك بن دينار عن أنس بن مالك ﷺ أن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي إني لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم

أذبهما[1] قال: فبكى أنس فقيل وما يبكيك؟ قال: أبكي لعبد يستحيي الله منه ولا يستحيي هو من الله عز وجل.

قلت: وروى ابن الخطيب بسنده عن النبي ﷺ أنه قال إن الله يستحيي أن يعذب عبده وأمته إذا شابا في الإسلام".

وروى ابن الخطيب أيضا بسنده عن ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "ما من أمة إلا بعضها في الجنة وبعضها في النار إلا أمتي فإنها في الجنة".

وروى أبو الزاهري وعبد الله بن بريدة قالا: قال شداد بن أوس: "يا أيها الناس إنكم لن ترون من الخير شيئا إلا أسبابه ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة وإنكم لن تروا شيئا من الشر إلا أسبابه وإن الشر كله بحذافيره في النار.

وعن أسد بن وداعة قال: كان شداد بن أوس ﷺ إذا آوى إلى فراشه يتقلب كأنه حبة القمح على المقلا وهو يقول: "اللّهم إن النار منعتني من النوم ثم يقول الصلاة الصلاة".

وعن أبي الزنادي عن أبي حازم قال: "قدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ أمير فلما نظر إلي عرفني ولم أعرفه فقال أدن يا أبا حازم فلما دنوت منه عرفته فقلت أنت أمير المؤمنين؟ فقال: نعم قلت ألم تكن عندنا بالمدينة أميرا فكان مركبك وطيب ثوبك نقيا ووجهك بهيا وطعامك شهيا فما الذي غير ما بك؟ وأنت أمير المؤمنين فبكى عمر بن عبد العزيز ثم

---

(1) الراجح والصحيح: أعزبهما.

قال: يا أبا حازم فكيف لو رأيتني بعد ثالثة في قبري لكنت لي أشد إنكارا من يومك هذا أعد علي الحديث الذي حدثنيه بالمدينة قلت: نعم سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: إن بين أيديكم عقبة كئودا مضرسة لا يجوزها إلا كل خمار مهزول فبكى عمر طويلا ثم قال: يا أبا حازم أتلومني أن أصير نفسي هكذا الثلث العقبة عسى أن أنجو منها وما أظنني بناج".

قال: حميد بن هلال: قال لي الربيع بن خشيم: "عليك بكثرة الصمت وطول الصلاة والخشوع لله سبحانه فيها والخضوع له واعلم أن في الجنة دار ما بين بابيها كما بين المشرق والمغرب من لؤلؤة صفراء مجوفة فيها قصور وبيوت من ياقوت أخضر وأحمر وأبيض أعدها الله للمتقين قلت: ومن المتقين ؟ قال: الذين اتقوا سخط ربهم، ثم قال لي: يا أخا بني عدي عليك بتلاوة القرآن وأكثر الفكرة فيه فإن فيه عبرا وأمثالا لمن أعتبر واتعظ وخاف واحذر ولاستكثرت المعروف فمن يفعله واعلم أن المعروف سقى مصارع السوء، واعلم أن أعلم الخلق بالله أكثرهم خوفا من الله.

وعن يزيد بن نافع قال: كان الربيع بن خثيم: "أخشع الناس وأصمتهم إلا من خير وكان لسانه لا يفتر على الذكر" .

وعن عبد الله بن صالح الصنعاني قال: "حدثنا أبو همام عبد الرزاق عن الربيع بن برة الإمام الواعظ الحكيم وحمد الله تعالى قال: دعيت إلى ميت لأغسله فلما كشفت الثوب عنه إذا بثعبان منطوي عليه فاعر فاه على فيه فلما رأيته هالني فقمت إلى الصلاة فصليت ثم دعوت الله تعالى وجعلت أسمع الثعبان وأقول له إن سنغسل موتانا فجعل يخرج من تحته ثم تنحى ناحية عنه فغسلته فلما فرغت من غسله رجع إلى حالته التي كان عليها

ولما رجعنا من دفنه دخلت على أهله فسألتهم ما كان فعله ؟ فقالوا كان يبيع الطعام وكان يأخذ بعد بيعه ما كان يقوتنا ثم يأمرنا أن نقرض من الغصب بالمقراض صغارا فيكيل منه قدر الطعام ويجعله في الطعام بدل الذي أخذ لنا منه قلت: وقد نقدم نظيرتها في ترجمة ابن عباس في الأسود الذي وجد في قبره الذي فرغ من حجه [...][1] الله سبحانه من عذابه بمن لا رب سواه ولا نرجو لدفع الشدائد في الدارين إلا إياه.

فَصلٌ

ومن وصايا أبي حازم سلمة بن دينار ومواعظه وحكمه: "وعن عبد العزيز أبي حازم عن أبيه قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بها ثلاثا فقال: أما ها هنا رجل ممن أدرك أصحاب سيدنا محمد ﷺ يحدثنا فقالوا: بلى ها هنا رجل يقال له أبو حازم فبعث إليه فجاءه فقال له سليمان: يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم وأي جفاء رأيت مني فقال له سليمان: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني فقال له أبو حازم: أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ما جرى بيني وبينك معرفة أتيك عليها. قال: صدق الشيخ ثم قال: له يا أبا حازم ما لنا نكره الموت، لأنكم خربتكم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون الشغل من العمران إلى الخراب قال: صدقت يا أبا حازم كيف القدوم على الله سبحانه قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالأبق يقدم على مولاه خائفا محزونا فبكى سليمان وقال: يا ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم فقال: أعرض نفسك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله سبحانه قال: يا أبا

---

(1) كلمة غير مفهومة، والراجح أنها فنعوذ بالله.

حازم وأي آية نصيب فيها تلك المعرفة قال أبو حازم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [1] قال سليمان: يا أبا حازم فأين رحمة الله ؟ قال: قريب من المحسنين قال سليمان: يا أبا حازم أي الأعمال أفضل ؟ قال: أداء الفرائض مع إجتناب المحارم.

وعن معض بن ميسرة أن أبا حازم قال: "يا عجب لقوم يتركون العمل والزاد لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة ويعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة".

وقال أبو حازم: "يسير الدنيا شغل عن كثير الآخرة"، وقال أبو حازم: "أنظر إلى الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم وانظر الذي تركته أن يكون معك في الآخرة فتركه اليوم".

وقال أبو حازم: "أنظر كل عمل كرهت الموت من أجله فتركه ثم لا يضرك متى مت"، وقال أيضا: "اضمنوا إلي اثنتين نضمن لكم الجنة عمل ما تكرهون إذا أحبه الله وترك ما تحبون إذا كرهه الله سبحانه".

وقال جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ﷺ: إذا أهلم الله عبده الاستغفار لأنه لا يعذبه وما علمكم الله الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم".

وعن الحسن البصري أنه قال: "إذا صليت نافلة فاصنع فيها كما تصنع في الفريضة من تمام خشوعها وركوعها وسجودها واستفاء جميع حدودها فإن الذي يتقرب إليه بالنافلة هو الذي يتقرب إليه بالفريضة لا إله إلا هو

---

(1) سورة الإنفطار 82، الآية: 13-14.

إليه المصير وإياك أن ينظر إليك وتنظر أنت إلى غيره وإياك أن تسأل الجنة وقلبك ساه لا تدري ما يقول لسانك.

وقال الحسن: "ما ألزم عبد قلبه ذكر الله إلا صغرت الدنيا عنده وهان عليه جميع ما فيها"، وعن الحسن أنه قال: "ما في جهنم واد ولا مغارة ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا واسم صاحبها عليها مكتوب".

فَصلٌ

ومن كلام الفضيل بن عياض ومواعظه قال الفضيل بن عياض: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة ألا فأضروا بالدنيا فإنها دار فناء واعملوا لدار البقاء وليس من عبد أعطى شيئا من الدنيا إلا كان له نقصان من الدرجات في الجنة وإن كان كريما على الله تعالى".

وقال الفضيل: "يأتي بالعبد يوم القيامة إلى الحساب فيرى أمرا عظيما فيلتفت عن يمينه فيرى قوما في ظل العرش وقوما على كراس من نور قد ظللوا بالغمام وقوما في الجنة ويلتفت عن يساره فيرى قوما يعذبون في النار في أعناقهم السلاسل والأغلال وقوما يسحبون في النار على وجوههم".

وقال الفضيل: "من أكثر ذكر الموت قل فرحه وفخره وحسده وتكبره"، وقال الفضيل: قال بن مسعود: "الأرض كلها نار والجنة من ورائها يرون أكوابها وكواعبها والذي نفسي بيده إن الرجل يرشح غرقا حتى يرشح عرقه في الأرض قامة ثم يرشح حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب فقيل له أن يكون هذا قبل الحساب؟ قال: هم فقيل: بما ذلك؟ فقال مما يرى الناس معدود لهم".

وقال الفضيل: "إن الله تعالى جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا"، وقال : أيضا رهبة العبد من الله تعالى على قدر عمله به وزهده في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة".

وقال الفضيل: "خمس من علامات الشقاء القسوة في القلب وجمود

العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الأمل وخمس من علامات السعادة اليقين في القلب والورع في الدين والزهد في الدنيا والحلم والعلم".

وقال الفضيل: "ما من مضغة أحب إلى الله سبحانه من لسان صدوق وما من مضغة أبغض إلى الله سبحانه من لسان كذوب".

وقال الفضيل: "إذا أحب الله عبدا أسكن محبته في قلوب العباد"، وقال: "من تكلم فيما لا يعنيه شغله عما يعنيه ومن تكلم فيما يعنيه شغله عما لا يعنيه"، وقال: "والله لو أهمك شأنك لشغلك عن شأن فلان وفلان ولكن لما قل همك بشأنك اشتغلت بشأن غيرك".

وقال الفضيل: "ست فرائض في كتاب الله عز وجل في سورة واحدة في موضع واحد فالواجب على الناس أن يعمل بها ومن عمل بها نجا إن ثناء الله تعالى قيل له: وما الست فرائض قال قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[2].

وعن عبد الصمد بن يزيد خادم الفضيل قال: حدثني الفضيل قال: حدثني رجل أن رجلا خرج بغزل يبيعه ليشتري بثمنه دقيقا فباعه بدرهم

---

(1) سورة الحجرات 49، الآية: 9- 11وتمامها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

(2) سورة الحجرات 49، الآية: 12وتمامها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

فمر على رجلين كل واحد منهما أخذ برأس صاحبه فقال: ما بهذين الرجلين ؟ فقيل له يختصمان في درهم ففرق بينهما وأعطاهما ذلك الدرهم ولم يكن معه شيء غيره فجاء إلى امرأته فأخبرها فطلبت في بيتها شيئا ليبيعه فوجدت شيئا قد بعثه الله سبحانه فمر إلى السوق فكسد عليه فمر على رجل معه سمكة قد أروحت فقال أحدهما للآخر إنه معك شيئا قد كسد ومعي شيء قد كسد فهل لك أن تبيعني هذا بهذا ؟ قال: نعم فدفعه إليه وأخذ السمكة فذهب بها إلى منزله فقامت المرأة تصلحها فإذا في جوفها لؤلؤة فقالت لزوجها: أتعرف اللؤلؤ ؟ قال: لا ولكني أعرف من يعرفه فانطلق به إلى صاحب اللؤلؤ فأراه إياها فقال: هي لؤلؤة فمن أين هي لك ؟ فأخبره بالقصة فقال له: إن لك بها أربعين ألف درهم وإن شئت فاذهب بها إلى فلان فإني أراه أثمن لك بها مني فذهب بها إليه فقال له: لك ثمانون ألف وإن شئت فاذهب بها إلى فلان فإني أراه أثمن لك بها مني فذهب بها إليه فقال له: لك بها عشرون ومائة ألف درهم ولا أرى أحد يزيدك فباعها بذلك وأتى بالمال فلما وضعه في بيته إذا هو برجل قائم على الباب فقال: واسوا فقيرا مسكينا فقال صاحب الدار: هذه حالتي كنت عليها بالأمس أدخل رحمك الله يا سائل فدخل فأعطاه نصف المال فحمله غير بعيد ثم رجع فقال: ما أنا بمسكين وما أنا بفقير لكني مرسل من ربك إليك أعطاك بذلك الدرهم الذي أصلحت به بين الرجلين عشرين قراطا من الأحمر وهذا المال الذي أعطاك ربك قراط واحد ودخر لك تسع عشر قراطا عنده".

قال الفضيل: "إن أهل البيت ليبتلون بالسائل ما هو من الجن ولا من الإنس فيحرمونه ثم قال: اللّهم لا تحرمنا".

قال الفضيل: قال محمد بن كعب: "إذا أراد الله بعبده خيرا أزهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبه".

قال الفضيل: ربما قال الرجل لا إله إلا الله فأخشى عليه النار، قيل له: وكيف ذلك ؟ قال: يغتاب بين يديه رجل فيعجبه فيقول لا إله إلا الله وليس هذا موضعها إنما هو موضع أن ينصح له في نفسه ويقول للذي اغتابه إتق الله .

فَصلٌ

قال مالك بن دينار كان لي جار لا يزال بطالا فبينما هو في بطالته ذات ليلة ولهوه إذ سمع هاتفا ينشد ويقول:

يـا أهـل لـذي لهـو لا دوام لهـا
إن المنايـا تبيـد اللّهـو واللعبـا
كـم قـد رأينـاه مسـرورا بلذتـه
أمسـى فريـدا مـن الأهلـين مغتربـا
[البسيط]

قال فتاب وحسن رجوعه والحمد لله، وقال مالك بن دينار ترك الرجل درهما إذا تكره من خشية الله خير له من أن يتصدق بما به ألف قلت ونحو هذا عن سحنون، قال: عياض في المدارك: قال يحي بن عمر كان سحنون يقول ترك الحلال أفضل من جميع عبادة الله تعالى وترك الحلال لله أفضل من أخذه وإنفاقه في طاعة الله سبحانه، وقال ترك [..لعلها الحرام لأنها

تتماشى وسياق الكلام][1] مما حرم الله سبحانه أفضل من سبعين ألف حجة يتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متصلة وأفضل من سبعين فرس في سبيل الله بزادها وسلاحها ومن سبعين ألف بدنة يهديها إلى بيت الله العتيق وأفضل من عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل فبلغ كلامه هذا عبد الجبار بن خالد فقال: نعم وأفضل من ملء الأرض إلى عنان السماء ذهبا وفضة كسبت أي من حلال وأنفقت في سبيل الله لا يراد بها إلا وجه الله تعالى. انتهى من المدارك من ترجمة سحنون.

وقال القشيري في التحبير وقيل: "يؤخذ [... لعلها كلمة: من العبد لانها تتماشى وسياق الكلام][2] سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم يعني يوم القيامة انتهى من التحبير.

قال أبو محمد بن عتاب في الشفاء قال مالك بن دينار: "لو أن رجلا نادى بباب المسجد أخرجوا أشركم رجلا ما سبقني أحد إلى الباب قال: فبلغ قوله ابن المبارك فقال: "بهذا صار مالك بن دينار ملكا".

وعن خلف بن تميم قال: التقى إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي[3] بمكة فقال إبراهيم لشقيق: " ما كان بدء أمرك الذي بلغك هذا فقال سرت يوما في بعض الفلوات فرأيت طائرا مكسور الجناحين في فلات من الأرض فقلت: من أين يأتي رزق هذا ؟ فقعدت بحذائه[4] فإذا أنا بطائر قد أقبل في

---

(1) كلمة مبهمة، لعلها الحرام لأنها تتماشى وسياق الكلام.

(2) كلمة مبهمة لعلها كلمة: من العبد لانها تتماشى وسياق الكلام.

(3) هو: هو: أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي، استشهد في غزوة كولان عام 194 هـ.

(4) يعني بجانبه.

منقاره جرادة فوضعها في منقار الطائر المكسور الجناحين فقلت لنفسي يا نفسي الذي قيد الطير الصحيح للطير المكسور في هذه الفلات هو قادر أن يرزقني حيث ما كنت فتركت التسبب واشتغلت بالعبادة".

وذكر بن عتاب في ترجمة شقيق البلخي: "أنه أوصى حاتم الأصم أن لا يجلس في الأسواق فإن الجلوس فيها يزيدك بعدا من الرحمة.

قلت: وهذا يوافق ما ذكره ابن العربي[1] في أحكام القرآن، ولفظه: "ولما كثر الباطل في الأسواق وظهرت فيها المناكر كره علماؤنا دخولها لأرباب الفضل والمقتدى لأمر في الدين تنزيهها لهم عن البقاع التي يعصى الله تعالى فيها. انتهى.

قلت وإذا كره لهم دخولها فالجلوس بها أشد إذ لا يخلوا الجالس بها من مشاهدة المنكر.

فَصلٌ

ومن مواعظ سهل بن عبد الله وحكمه روى أحمد بن عطاء قال: "أخبرني أحمد بن زيد قال: قال سهل بن عبد الله: "من خاف الله أمنه الله ومن رجا منه أمرا بلغه ومن تقرب إليه قبله ومن توكل عليه لم يكله إلا نفسه، قال وأعمال الخير يعملها البر والفاجر والمعاصي لا يجتنبها إلا

---

(1) هو: ابن العربي هو القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم - وهو غير محي الدين بن عربي الصوفي - من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة 468 هـ، تأدّب ببلده وقرأ القراءات وسمع به من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج، ومات في فاس في ربيع الآخر سنة 543 هـ، ودفن بها. قال عنه ابن بشكوال: هو الإمام الحافظ، ختام علماء الأندلس.

الصديقون".

وقال سهل بن عبد الله: "من أخلاق الصديقين وعندهم ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ولا يغتابون أحدا من خلق الله سبحانه ولا يشبعون بطونهم وإذا وعدوا لم يخلفوا".

وقال سهل: ما من يوم إلا والله عز وجل يقول يا ابن آدم إما تنصفني أذكرك وتنساني وأدعوك فتذهب إلى غيري وأدفع عنك البلايا وأنت معكوف على الخطايا ما تقول إذا جئتني غدا".

وقال سهل: "علامة حب الله عز وجل حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي ﷺ إتباع سنته".

فَصلٌ

ومن مواعظ شميط بن عجلان وحكمه روي عن شميط بن عجلان: أنه قال: ما خلا رجل بامرأة ليست منه بمحرم إلا بسط الشيطان حبائله بينهما وإلا دعا كل عضو منها كل عضو منه وكانا في سخط الله حتى يفترقا".

وقال أيضا: "من رضي بالفسق فهو من أهله ومن رضي أن يعصي الله لم يرفع له عمل".

وقال أيضا: إن الله تعالى جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه ألا ترى أن الشيخ يكون ضعيفا يصوم الهواجر ويقوم لله والشاب يعجز عن ذلك".

وقال عبد الله بن شميط: سمعت أبي يقول: "إن المؤمن أبصر الدنيا فأنزلها حيث أنزلها الله سبحانه فإن هي أقبلت عليه قال لا مرحبا بك ولا أهلا والله ما أظنك جئت بخير وما فيك من خير إلا أن يفتدى بك من النار

أو يطلب بك الجنة وإن هي أدبرت عنه قال عليك العفا وعلى من يتبعك نفسه والحمد لله الذي صرف عني بليتك وشرّك قال: وسمعته يقول: يا ابن آدم اجعل أشد الأمور على نفسك وارج للناس رحمة ربهم ابن آدم إنما بطنك شبر في شبر لم يدخلك جهنم غيره إن لم تحفظه كما أمرك الله تعالى وقال: بلغنا أنه ما قام أحد من مجلس ذكر من غير حاجة تلزمه القيام إلا صفرت الشياطين في أذنه وصفقت في قفاه".

فَصلٌ

قال محمد بن واسع: قال لي عطاء: "يا أبا عبد الله بينما أنا قائم أصلي وأنا يومئذ غلام إذا أنا برجل على فرس فقال لي يا غلام عليك بالبر والتقوى فإن البر والتقوى يهديان إلى الإيمان وإياك والكذب والفجور فإن الكذب والفجور يهديان إلى النار ثم قال لي: يا ابن أخي اصحب أولياء الله فقلت: بأي شيء أعرف أولياء الله فقال: إن أولياء الله العقلاء والحذرون والمسارعون في رضوانه المراقبون له فإذا رأيت أهل هذه الصفة فاقترب منهم فهم أولياء الله فقلت: كيف أعرف أهل النفاق والكذب والفجور فقال أولئك قوم إذا رأيتهم يأباهم قلبك ولا يقبلهم عقلك وإذا سمعت كلامهم سمعت كلاما لا منفعة له وإياك أن تصحب أهل الخلاف قلت: ومن أهل الخلاف ؟ قال المفرقون بين الكتاب والسنة أولئك [..لعلها: الذين] [1] تراهم مصطحبين وقلوبهم يلعن بعضهم بعضا فاحذر هؤلاء وعليك بالصلاة والتقرب إلى الله عز وجل بالنوافل فإنك إذا كنت كذلك كنت شاكرا عاملا قال: ثم التفت فلم أرى أحدا.

---

(1) كلمة مبهمة

فَصلٌ

في وصايا وهب بن منبه وغيره وما يذكرون من المواعظ: "جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: علمني شيئا ينفعني الله به فقال له أكثر ذكر الموت وأقصر أملك وخصلة ثالثة إذا أنت أصبتها ظفرت بالغاية القصوى وألقيت بها عنك حملا ثقيلا وصلت أمرك على من هو أقوى عليه منك قال: فما هو ؟ قال: التوكل على الله سبحانه".

وعن وهب بن منبه قال: "قال عالم لمن فوقه كم أبني من الدنيا قال: ما يسترك من الشمس ويكفك عن المطر قال: فكم ألبس من الثياب قال: لباس المسيح قال: كم آكل من الطعام ؟ قال: ما فوق الجوع ودون الشبع قال: كم أضحك ؟ قال: "ما يسفر وجهك ولا يسمع صوتك قال: كم أبكي ؟ قال: لا تمل أن تبكي من خشية الله سبحانه فإن الحزن أمامك قال: كم أسر عملي ؟ قال: حتى يظن الناس أنك لم تعمل حسنة قط قال: كم أعلن من عملي ؟ قال: ما يأثم به الحريص ولا يوهن".

ومن مواعظ أحمد بن حرب الزاهد ووصاياه وحكمه قال أحمد بن حرب بلغنا أن النبي ﷺقال: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن وبلغنا عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس".

وبلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: "فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع".

وعن وهب المكي قال: "إن كانت العبادة الصلاة والصيام فما أيسرها وإنما العبادة الورع وبلغنا أن النبي ﷺ قال: "لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا

وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما تقبل منكم إلا بورع صادق".

وبلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: "جلساء الله عز وجل إذا أهل الورع والزهد في الدنيا".

وبلغنا عن كهيمس أنه قال: قال الله عز وجل سبحانه لموسى عليه السلام: "يا موسى إنه لم يتزن لي المتزينون بشيء خير من الزهد في الدنيا ولم يتقرب إلي المتقربون بشيء خير من الورع عما حرمت قال: يا رب فبماذا أثبتهم يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين قال: أما الزاهدون في الدنيا يا موسى فإني أثبتهم بالجنة يتبوءون منها حيث يشاءون وأما الورعون يا موسى فإنه لا يحضر حاضر الحساب يوم القيامة إلا ناقشته ونصبته للحساب إلا أهل الورع فإني أجلهم وأستحيي منهم أن أسألهم عن شيء وأما الباكون من خشيتي فإنهم أهل الرفيع الأعلى"

قال أحمد بن حرب: "وإذا كنت مع الناس جالسا فعليك بالتسبيح مكان الكلام ويقال خير العمل تسبيحة" الحديث، إذا كنت تسبح الله سبحانه والناس يتحدثون واذكر الله والناس غافلين كالمقاتل خلف الفارين وأقلل مخالطة الناس ومجالستهم إلا من ترجو في مجالسته السلامة والزيادة في أمر دينك واحذر فتنة القبر وعذابه وخذ لذلك جنة ومن أحب السلامة من عذاب القبر فلينته عن الغيبة والنميمة وليتنزه عن البول وليتحفظ منه فإن عذاب القبر من ثلاثة أشياء من الغيبة والنميمة والبول وليتعاهد قراءة سورة تبارك الذي بيده الملك في كل ليلة فإنه جاء أنها المانعة من عذاب القبر وليستكثر من الاستغفار فإنه ليس يصحب المؤمن في قبره شيء خير من الاستغفار الكثير وليصل في ظلمة الليل لظلمة القبر".

وبلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ

من قال حين يصبح الغداة مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كانت له أمانا من الفقر وأمانا من وحشة واستقرع باب الجنة واستدل بالغنا وليقدم المرء لنفسه ما استطاع من الخير وأنواع البر فإنه سيؤنسه في قبره ويبشره بالذي يحب من رضوان الله وجنته ويدفع عنه ما يحذره من عذاب القبر ومن منكر ونكير وعن قريب أيها المرء سترد القبر فتعلم وتندم وتعلم العلم لتعمل به لا لتباهي به وأمر أهلك ومن أطاعك من قريب أو بعيد بطاعة الله عز وجل فإن لك بذلك مثل أجره من عمل بذلك".

وعنه ﷺ أنه قال: "الدال على الخير كفاعله" وقال: توضع الموازين يوم القيامة فتوضع حسنات العبد في ميزانه فتخف فيؤتى بمثل السحاب والغمام كثرة فتوضع في ميزانه فيثقل فيقال له هل تدري ما هذا ؟ فيقول لا فيقال له هذا ثواب ما علمت الناس من الخير فعملوا به وعلموه من بعدك الناس".

وبلغنا عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: إن العبد الذي يعلم الناس الفقه والخير إذا عرض يوم القيامة على الله تعالى يقول الله عز وجل مرحبا مرحبا أنت الذي كنت تحبب إلي عبادي وتحببني إلى عبادي ألبس حلة كرامتي فيلبس حلة لم ترى عين مثلها قط ويتوج بتاج في ركن ذلك التاج ياقوتة بيضاء تضيء مسيرة أيام وليالي ثم يقول الله جل جلاله لملائكة الرحمة شيعوا عبدي حتى تردوه على الذين كان يعلمهم القرآن والخير والفقه في الدنيا فخذ بحظك يا أخي من فعل الخيرات وآداب في عمل الصالحات وتوق إتيان السيئات [...لعلها: تَنَلْ أي تفذ] [1] بذلك رفيع

---

(1) كلمة غير واضحة

الدرجات وألزم مخالطة الصالحين ومجالسة الذاكرين فإن القلب بقدر ما يسمع من الخير يدخل فيه الخير وبقدر ما يدخل فيه الخير يخرج منه حب الدنيا فلا تصحب يا أخي إلا أهل الفضل والتقى ولا تجالس غيرهم ولا تتباعد منهم فإنهم خير وإذا رءاك الناس جالسا معهم حسبوك منهم واهرب من الجهال وتباعد منهم فإنه لا ينجو من خالطهم وجالسهم من فساد دينه وإدخال الخلل في عمله".

وبلغنا عن عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريين تحببوا إلى الله سبحانه ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله سبحانه والتمسوا رضاه فقالوا له يا نبي الله فمن نجالس ؟ قال: جالسوا من يزيد في علمكم منطقه ومن تذكركم بالله رؤيته ومن يزهدكم في دنياكم عمله اللّهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة باعث الأموات سامع الأصوات مجيب الدعوات قاضي الحاجات محيي العظام وهي رفات اغفر لنا ما جنينا من السيئات وتقبل منا ما أنعمت علينا به من عمل الصالحات اللّهم مولانا أعنا على الموت وسكراته وعلى القبر ووحشته وعلى يوم القيامة وروعته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط وزلته واجعلنا يا مولانا لك من الشاكرين ولطاعتك في أيام المهلة من العاملين ومن علينا بما مننت به على أوليائك المقربين بفضلك يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وصحابته الطيبين صلاة ندخرها ليوم الدين صلاة كثيرة طيبة مباركة عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك.

بَابٌ في ذكرِ المَوتِ ومَا بَعدَهُ وفيه فَصُولٌ وأبْوَابٌ

الفَصلُ الأوَل

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض ليبلوا أعمال العباد قسمهم قسمين وجعلهم فريقين هذا محتوم عليه بالشقاوة وهذا موفق لسلوك طريق الرشاد فضلا منه وعدلا لا يسأل عما يفعل فتبارك الله مالك العباد فسبحان من تفرد بالعزة والكبرياء وتوحد بالديمومة والبقاء طوق عباده بطوق الفناء وفرقهم بما كتب لهم وعليهم من السعادة والشقاء جعل الموت مخلصا لأوليائه السعداء ومهلكا لأعدائه الأشقياء خلق خذلانا وقدر ترفيقا وأوضح طريقا فهدى الله فريقا وأضل فريقا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.

وبعد يا أخي فالموت أمر [كبار] (1) قد أنجد وأغار وكأس يدار فيمن أقام أو سار وباب تسوقك إليه يد الأقدار.

قال عبد الحق في العاقبة: "واعلم أن الناس في ذكر الموت على ضروب فمنهم المنهمك في لذاته المثابر على شهواته المضيع فيها ما لا يرجع من أوقاته تخطر له الموت على بال ولا يحدث نفسه بزوال قد طرح أخراه وأكب على دنياه واتخذ إلهه هواه فأصمه ذلك وأعماه إن ذكر له الموت نفر عنه وشرد وإن وعض أنف وعنه قد نكب عن طريق رشده وأقبل على بطنه وفرجه فثبت يداه وخاب مسعاه كأنه لم يسمع قول الله عز

---

(1) كلمة مبهمة.

وجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1] وآخر من طلاب الدنيا المحرومين وأبنائها المكدورين لم ينل منها حظا ولا نجح له فيها مسعا إن ذكر له الموت تصامم عن ذكره رجاء أن يبلغ آمال أو يدرك بعض ما تخيل فعمره ينقص وحرصه يزيد وجسمه يخلق وأمله جديد وحتفه قريب ومطلبه بعيد وربما ضاق ضرعه وطال همه فيها لتعذر مراده فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه وهذا من جهله بالموت وما يأتي من بعده وإنما يستريح بالموت غيره ويفرح به سواه إنما الفرح من وراء الصراط والراحة من بعد المغفرة فهذا والذي قبله إن لم تكن لهما عناية أزلية وسابقة أولية فيمسك عليهما الإيمان ويختم لهما بالإسلام وإلا فقد هلك كل الهلاك ووقعا بحيث لا مخلص ولا انفكاك فتعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء بفضله ورحمته، ورجل آخر قليل ما هم قد أزيل عن عينيه قذاها وكشف عن بصيرته عماها وأبصر نفسه وهواها فزجرها ونهاها فلبى المنادي وأجاب الداعي وشمر لتلاقي ما فات ونظر فيما هو آت فتأهب لهجوم الممات والانتقال إلى محلة الأموات ومع هذا فإنه يكره الموت أن يشهد وقائعه أو يرى طلائعه وليس يكره الموت لذاته ولا لأنه هادم لذاته لكن يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد والاكتساب ليوم الحساب ويكره أن تطوى صحيفة عمله قبل بلوغ أمله وأن يبادر بأجله قبل إصلاح خللّه فهو يري البقاء في هذه الدار لقضاء هذه الأوطار كما يروى عن بعض الصالحين وقد بكى عند الموت فقيل له وما يبكيك ؟ فقال والله ما أبكي لفراق هذه الدار حرصا على غرس الأشجار وأجزاء الأنهار.

---

(1) سورة العنكبوت 29، الآية: 57

فهذا إذا مات فالله دره من ميت ما أفضل حياته وأطيب مماته وأعظم سعادته وأكرم وفاته وأتم سروره وأعل حبوره ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام: "من كره لقاء الله كره الله لقاءه"، لأن هذا لم يكره لقاء الله إنما يكره أن يقدم على الله عز وجل مدنسا بأوطاره ثقيل الظهر من أوزاره فأراد أن يتطيب للقاء ويستعد لفصل القضاء على أن هذا الحديث قد جاء مفسرا فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقلت: يا رسول الله أكراهة الموت فكلنا نكره الموت فقال: ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره الله فكره الله لقاءه" رواه مسلم.

وقال البخار ي في هذا الحديث ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه، ورجل آخر وهو من أقل القليل قد عرف الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وشاهد ما شاهد من كمال الربوبية وجمال الحضرة الألوهية فملأت عينه وقلبه وأطاشت عقله ولبّه فهو يحن إلى ذلك المشهد ويحوم على ذلك ويستعجل إنجاز ذلك الموعد وقد علم أن الموت حجاب بينه وبين محبوبه وستر مسدل بينه وبين مطلبه فعذابه في الحياة وراحته في الممات كما يروى عن حذيفة بن اليماني رضي الله عنهما لما نزل به الموت قال: حبيب جاء على ناقة وقد قيل الموت خيل يوصل الحبيب إلى الحبيب ومقدمان هنا وأشاله تدل على ما وراء هذا من الوصال والاتصال والأنس بذلك الجلال والجمال

وآخر قد شاهده وشاهد ذلك فربما زاد عليه لكنه فوض الأمر إلى خالقه وسلّم الحكم لبارئه فلم يرضى إلا ما رضي له ولم يزد إلا ما أريد له وما اختار إلا ما حكم فيه إن أبقاه في هذه الدار أبقاه وإن أخذه أخذه".

قال أحمد بن أبي الحواري: قال أبو سليمان الداراني: الناس وجهان رجل أحب الله فأحب الموت شوقا إلى لقاء الله سبحانه ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله سبحانه قال وثب غلام لم يحتلم فقال ورجل ثالث فقال أبو سليمان ومن هو قال من لم يختر هذا ولا هذا بل اختار ما اختار الله عز وجل له فقال أبو سليمان احتفظوا بالغلام فإنه صديق فهذا إذا مات فلا يسئل عن حاله ولا يقال ما فعل به. قال القرطبي في تذكرته: قال العلماء الموت ليس بعجم محض ولا فناء صوت و إنما هو انقطاع تعلن الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وقبول حال وانتقال من دار إلى دار.

فَصلٌ في الفكرَة في الموت ومَا يجبُ من الاستعدَاد لَه

قال القرطبي وعبد الحق: "روى النسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت" وأخرجه الترمذي وابن ماجة أيضا وأخرجه الحافظ أبو نعيم بإسناد من حديث مالك بن أنس عن يحي بن سعيد عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أكثروا من ذكر هادم اللذات قلنا يا رسول الله وما هاذم اللذات قال: الموت".

وروى ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فبادر رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ فقال يا رسول الله صلى الله عليك: أي المؤمنين أفضل ؟ قال أحسنهم خلقا قال: فأي المؤمنين أكيس ؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الأكياس وخرجه مالك أيضا زاد عبد الحق قي الحديث أولائك الأكياس ذهبوا شرف الدنيا وكرم الآخرة".

وروى الترمذي عن شراد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها و [..لعلها وتمنى..][1] على الله ومعنى دان نفسه أي حاسبها وروى عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ: "أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا".

وروى عنه عليه السلام أنه قال: "ويكفي بالموت واعظا"، وقيل له يا رسول الله: "هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة قال علماؤنا قوله ﷺ: " أكثروا من ذكر هادم اللذات

---

(1) كلمة لم استطع تحديدها.

كلام مختصر جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نقض عليه الحاضرة ومقعد من تمنيها في المستقبل وزهده فيها كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويف الألفاظ وكان عمر بن الخطاب رضي الله كثيرا ما يتمثل كهذه الأبيات:

لا شيء ما ترى تبقا بشاشة
يبق الإله ويؤد المال والولد
لم تغر عن هو فرا يوما خزائنه
والخلد قد جاولت عاد فما خلد
ولا سليمان إذ تجري الرياح له
والإنس والجن فيما بينهما برد
أين الملوك الذي كانت لعزتها
كل من أوب إليها وافد بعد
حوض هنالك مورود بلا كذب
لا يومن ورده يوما كما ورد

[البسيط]

قال عبد الحق: قال أبو الدرداء ﷺ: "من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقال عمر بن عبد العزيز: "لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد واعلم أن ذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي ويذهب الفرح بالدنيا ويموت المصائب فيها".

ويروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها فقالت لها: "أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فجازت تشكر

عائشة رضي الله عنها".

وقال الحسن: ما رأيت عاقلا قط إلا وجدته حذرا من الموت حزينا من أجله".

وقال حامدا اللفاف: "ويح بن آدم إن أمامه ثلاثة أشياء موت كريه المذاق ونار أليمة العذاب وجنة عظيمة الثواب، واعلم أن كثرة الاشتغال بالدنيا وحلاوة أحاديثها ولذة أمانيها تمنع حرارة ذكر الموت إن يرد على القلب وإن يبح فيه لأن القلب إذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء آخر فيه مدخل ولا سواه فيه مجال ألا ترى الإناء إذا امتلأ بشيء لم يمكنك أن تدخل عليه شيئا آخر ووجهك إذا صرفته إلى موضع صرفته عن موضع آخر ومتى دام القلب على إقبال على الدنيا لم يكن له لذكر الموت فيه بشيء تأثير لأنه لم يجد فيه مكانا ينزل فيه ولا موضعا يتعلق به فإذا أراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة والانتفاع بالموعظة لم يكن له يد من تفريغه ليجد الذكر فيه منزلا وتلقى الموعظة فيه محلا قليلا ولا يزال يتعاهده ويتفقده بالأذكار والإفتكار والنظر والاعتبار وأناء الليل وأطراف النهار لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الدّين ويعود إلى حالته الأولى من الغي ومما يعنيك عن الفكرة في الموت ويفرغك له ويكثر اشتغالك به قصد أملك وتذكر ممن مضى من إخوانك وأصحابك وأترابك الذين تقدموا أمامك فإنهم كانوا يحرصون حرصك ويؤملون آمالك فكأنهم لم يكونوا فكم فيهم من فصيح اللسان يسحر بالبيان أكلته الهوام والديدان وأنشدوا:

وذو بيان إذا ما قال أو خطب

أتى بسحر يزيل القول الخطبا

أتى بسهل من الألفاظ ممتنع

جزل مصيب المعاني آية عجبا

فلو تميع كأن مشربا سلسا

ولو تجسد كان خالصا ذهبا

رمته هذا المنايا وهي صائبة

سهما فما هو إلا أن رمته كبا

فأخرسته فما يبدي بضاحكة

ولا يرد جوابا هان أو صعبا

وبات مطرحا في بطن موحشة

غبرا مصطفق الأحشاء منقلبا

[البسيط]

فَصلٌ

واعلم أن طول الأمل داء عضال وقد قال العارفون رضي الله عنهم: "من طال أمله ساء عمله" ، قال عبد الحق: "وروى ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ يهرق الماء فيتيمم بالتراب فأقول: يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول: ما تدري لعلي لا أبلغه.

ويروى عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا: نعم يا رسول الله فقال: قصروا آمالكم وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء"، ثم قال عبد الحق: "والناس في طول الأمل وقصره على أحوال مختلفة فمنهم من طول في أمله فازداد في كسله ودخل الوهن في عمله وآخر قد جعل التقوى بضاعته والعبادة صناعته ولم يتجاوز بأمله ساعته بل جعل الموت نصب عينه ومثالا قائما

بين يديه و [سيقا مصلتا] [1] عليه مرتقا لحلوله ومستعدا لنزوله لا يشغله عن ارتقابه شاغل يعد يوما واحدا بعيشة غنيمة لازدياد الخير ومنحه من الله سبحانه لادخار الأجر فمثل هذا قد رفع التوفيق عليه لواءه وألبسه رداءه وأعطاه جماله وبهاءه فانظر رحمك الله تعالى أي الرجلين تريد أن تكون وأي العملين تريد أن تعمل وبأي الرداءين تريد أن تشتمل وبأيهما تريد أن تتزين وتتجمل فلست تلبس هناك إلا ما لبسته هنا ولا تحشر هناك إلا فيما كنت فيه هنا إن صلاح فصلاح وإن فجور ففجور".

قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: "رأيت في البادية في يوم شديد البرد شابا عليه ثوبان خلقان وعليه آثار الدعاء وأنوار الإجابة فعرفته وكنت عهدته ذا ثروة وحسن مال كان ذا مال وآمال قال: فبكيت لما رأيته على تلك الحال فلما رآني بكى وبدأ في السلام وقال لي: "يا مالك بن دينار ما تقول في عبد أبق من مولاه ؟ فبكيت لقوله بكاءا شديدا وقلت هل يستطيع المسكين ذلك ؟ البلاد بلاده والعباد عباده وأين يهرب المسكين وقال: يا مالك سمعت قارئا يقرأ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [2] فأحسست في الحال بنار وقعت بين ضلوعي فلا تخمد ولا تهدأ من ذلك اليوم يا مالك أتراني أرحم وتطفأ هذه الجمرة من قلبي فقلت: أحسن الظن بمولاك فإنه غفور رحيم ثم قلت له: إلى أين ؟ قال: آتي مكة شرفها الله تعالى لعلي أن أكون ممن إذا التجأ إلى الحرم واستحق مراعاة الذمم قال مالك: ففارقني ومضى فعجبت من وقوع الموعظة منه موقعها فقال: واعلم أن

---

(1) هكذا رسمت الكلمات في النص.

(2) سورة الحاقة:69، الآية: 18.

طول الأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتقاعس ويخلد إلى الأرض ويميل إلى هون وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه برهان كما أن قصره يبعث على العمل ويحث على المسابقة وسأضرب لك في ذلك مثلا: مثل ملك من الملوك كتب إلى رجل يقول له افعل كذا وكذا وأصلح كذا وكذا وأنتظر رسولي فلان فإني سأبعثه لك ليأتيني بك وإياك ثم إياك أن يأتيك رسولي إلا وقد فرغت من أشغالك وتخلصت من أعمالك ونظرت في زادك وأخذت ما تحتاج إليه في سفرك وإلا حللت بك عقابي وأحللت عليك سخطي وعذابي وأمرته أن يأتيني بك مغلولة يداك مقيدة رجلاك مشمتا بك أعداءك مسحوبا إلى دار خزي وهوان وما أعددت لمن عصاني وإن هو وجدك قد فرغت من أعمالك وقضيت جميع أشغالك أتى بك مكرما مرفعا مرفها إلى دار رضواني وكرامتي وما أعددته من الكرامة لمن امتثل أمري وعمل بطاعتي واحذر أن يخدعك فلان أو فلانة عن امتثال أمري والاشتغال عن عملي وكتب إلى رجل آخر بمثل ذلك، فأما الرجل الأول فقال هذا كتاب الملك جاء يأمرني فيه بكذا وكذا وذكر لي أن رسوله يأتيني ليحملني إليه وأنا لا أمضي إليه حتى يأتيني رسوله ولعل رسوله لا يأتيني إلا الخمسين سنة أو أكثر فإنا على مهل وسأنظر فيما أمرني به ولم يقع كتاب الملك منه بذلك الموقع ولم ينزله من نفسه تلك المنزلة.

وقال: والله لقد أتى كتابه إلى خلق كثير بمثل ما أتاني ولم يأتهم رسوله إلا بعد السنين الكثيرة والمدة الطويلة وأنا واحد منهم ولعل رسوله يتأخر عني كما تأخر عنهم وجعل الغالب على ظنه أن الرسول لا يأتيه إلا إلى خمسين سنة كما ظن أو أكثر أو إلى المدة التي جعل لنفسه بزعمه ثم أقبل

على أشغال نفسه مما لا يحتاج إليه وما كان غنيا عنه وترك أوامر الملك والشغل الذي كلفه إلى النظر فيه والاشتغال به فكلما دخلت سنة قال: أنا مشغول في هذه السنة وسأنظر في السنة المقبلة والمسافة أمامي طويلة وهكذا كلما دخلت سنة سوف وقال: سأنظر في الأخرى وسأنظر في نصف السنة أو في الشهر الفلاني منها فبينما هو على ذلك من تسويفه واغتراره بطول أمله إذ فاجئه رسول الملك في صورة المغضب فكسر بابه وهتك حجابه وحصل معه في جوف بيته وقال له: أجب المالك فقال الرجل: والله لقد جاءني كتابه يأمرني فيه بأعمال أملها وأشغال أنظر له فيها وما قضيت منها شغلا فقال له الرسول: ويلك وما الذي أبطأ بك عنها وما الذي حبسك عن الانشغال بها والنظر فيها فقال: لم أكن أظنك تأتيني في هذا الوقت فقال له: ويلك ومن أين كان لك هذا الظن ومن أخبرك به ومن أعلمك بأني لا آتيك إلا في الوقت الذي تظن ؟ قال ظننت ذلك ظنا وطمعت وسولت لي نفسي ومنتني وخدعني الشيطان وغرّني فقال له: ألم يحذرك الملك في كتابه منهما وأمرك لا تسمع وأمرك لا تسمع لهما قولا قال بلا والله لقد فعل وجاءني هذا في كتابه ولكني خدعت فانخدعت وفتنت فافتتنت وقال له ويلك غرك الغرور وخدعك المخادع اجب الملك لا أم لك قد حل بك الهوان وأحاطت بك الزبانية والأعوان وسترني من العذاب ألوان في كل زمان وقال له ينشدك بحق الملك إلا ما تركتني حتى انظر في ما أمرني به الملك فقال له هيهات ليس إلى ذلك من سبيل ثم دفعه دفعة أنعاه على وجهه ثم جمع يديه إلى عنقه وانطلق به وجره من خلفه خزيان ندمان جيعان عطشان قد أحاطت به الزبانية من كل جهاته قد غضبوا لغضب الملك فلا يمرن به على محفل إلا واخبرهم بعصيانه وموجبات ولا تسال عن سوء حاله وشدة ما يلقاه من انكاله ووبال سوء

عصيانه يقصر اللسان عن وصف ما يلقاه من العذاب بسبب المخالفة والعصيان وأما الآخر الموفق الذي كتب إليه الملك بمثل ما كتب إليه إلى هذا البائس فانه اخذ كتاب الملك وقبله وقرأه وتصفحه وتدبره وقال أرى الملك قد كتب إلي بأن اعمل له وأقضي له في كذا ومن أين سبقت لي هذه السابقة عند الملك ومن ذا الذي عني به عنده ومن ذا الذي أنزلني عنده بهذه المنزلة حتى جعلني من خدامه والقائمين بأمره والناظرين في أعماله والله أن هذا لسعادة ووالله أن هذه لعناية الحمد لله رب العالمين ثم نظر في الكتاب وقد قال لي في كتابه وانتظروا رسولي فإني سأبعثه إليك ليأتيني بك واراه لم يحدد لي الوقت الذي يبعث فيها الرسول إلي ولا سماهم لي ولعل لا افرغ من قراءة كتابه إلا ورسوله قد أتاني ونزل علي والله لا قدمت شغلا على شغل الملك ولا نظرت في شيء إلا بعد فراغي مما أمرني به الملك وأعد له زادا ومركبا أركبه فإذا جائني رسوله وحملني إليه وتعرض له فلان أو فلان وقالوا له لما هذه المسارعة كلها وفيما هذه المبادرة كلها قال له ويحك أما ترى كتاب الملك بما جاءني بهاما تسمع فيه أما تصدقه أما تؤمن به قال بلا ولكن لم يقل فيه أن رسوله يأتيك اليوم أو في غد ولا وقت لك وقت معلوم، وقد جاء كتابه إلى فلان بهذا الذي قد جاءك أنت وقد بقي منظرا لرسوله أكثر من سبعين سنة، وفلان أتاه الرسول بعد ثمانين سنة وفلان وفلان وأنت واحد منهم فلما هذه العجلة فقال لهم ويلك أتدلني على الغرور أوما ترى أنت فلان قد جاءه كتاب الملك بهذا الذي جاءني وجاءه الرسول اثر مجيئ الكتاب وفلان كذلك، وفلان كذلك وفلان ممن لا يحصي كثرة، وفلان جاءه الرسول بعد شهر وفلان بعد سنة فدعني من غرورك والله إني لا أخاف أن يأتيني الرسول وأنا أكلمك فدعني من شرك ثم اقبل على ما أمره به الملك وامتثل بقدر وسعه

وطاقته واشتغل به واعد ما ينبغي من الزاد لسفره وجعل ينتظر الرسول أن يأتيه وفرح بالسفر إلى حضرة الملك مما يؤمنه من الخير من الملك فبينما هو كذلك وإذا هو برسول الملك قد أتاه بخلع الكرامة وبأنواع التحف والهدايا والبشرى برضا الملك عنه وسلم عليه وبشره بإقبال الملك عليه وان له عنده المنزلة الرفيعة وأنه محبوب عند أهل حضرته وأنهم منتظرون لقدومهم فاجب على بركة الله الملك وارتحل إليه مكرما ومعظما قال نعم قال الساعة قال الساعة وقد فرغت فما أمرك به الملك قال هنيئا لك فانطلق قال بسم الله دخل عليه خلعة الأولياء وكساه كسوة الأصفياء وأعطاه مركوبا يليق به ويجعل لمثله وانطلق به في حبور وسرور وهو ينشد بلسان حاله ويقول:

هنئوني بغبطتي وسروري

فجدير بان يهنأ مثلي

ربحت صفقتي وركي سعي

وارتقا الاله قولي وفعلي

كيف لي أن اعبر اليوم عني

بمقال يبين وصف محلي

ضاقت الكتب أن تضم حديثي

بل تلاشت عن بعض ما أنا أملي

قد بلغت المنا وزدت عليها

وتملأت بالمسرة كلي

ليت قومي لو يعلمون بما

لله مـــن نعمـــة علـــي وفضـــلي

طـاب عيشـي وقـر فيـه قـراري

فتقلبـــت بـــين مـــاء وظلـــي

أنـا ذا كـم حقيقـا أم هـو غيـري

فاعـــذروني فقـــد تـــولاه عقلـــي

[خفيف]

هذا مثل حال الناس في الدنيا فمنهم مغرور ومنهم مشمر فرحم الله عبد قصر من أمله قبل حلول اجله واخذ من يومه وأمسه ما يستضيء به في ظلم رمسه.

روى الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة" قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وعن أبي ابن كعب ﷺ قال كان رسول الله ﷺ: "إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه" الحديث رواه الترمذي فعليك يا أخي بكثرة ذكر الموت قبل حصول الفوت ولله در القائل:

واذكـــر المـــوت تجـــده راحـــة

فـي أذكـار المـوت تقصـير الأمـل

[رمل]

جاء في الحديث عنه ﷺ انه قال: "أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد"، ذكره القادي أبو الحسب ابن صخر في الفوائد.

شعر:

ذنـوبي غـزار لا أطيـق احتمالهـا
وعفـوك عـن ذنبـي أجـل وأكبـر
قـد وسـعتني رحمـة منـك هاهنـا
وإنـي إليهـا فـي القيامـة أفقـر

[طويل]

وما ينبَغي أن يَكونَ عَليهِ:

خرج مسلم في صحيحه عن جابر ابن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاثة أيام يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله.

قال القرطبي روى ابن ماجة عن انس: "ابن مالك ﷺ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال ارجوا الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي وقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه ما يخافوه ورواه أيضا أبو عيسى الترمذي.

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسنده عن النبي ﷺ انه قال: "قال ربكم عز وجل لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة".

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال: "عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه حسن الظن بالله عز وجل فمن مات منكم وهو حسن الظن

دخل الجنة [...][1]، وقال عبد الله ابن مسعود ﷺ والله الذي لا اله غيره: "لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به وإذا كان حي فخوفوه".

قال عبد الحق في العاقبة: "أما عن حسن الظن بالله عز وجل عند الموت فواجب ثم سرد أحاديث حسن الظن بالله سبحانه، قال ودخل واثلة ابن الأسقع على الرجل فوجده في الموت فقال له: "أخبرني كيف حسن ظنك بالله تعالى فقال الرجل أغرقتني ذنوبي وأشرفت على الهلك لكنني أرجوا رحمة الله عز وجل فكبر واثل وكبر أهل البيت لتكبيره، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء".

وقال منصور: "دخلت على عطاء السلمي أعوده وهو مريض فرأيته يتبسم فعجبت من ذلك فكأنه فهم عني وقال: أتعجب يا ابن أخي وقلت: كيف لا أعجب وقال: كيف لا اضحك وقد دنى فراقي ممن كنت أخافه ودنى قدومي على ما كنت أرجوه وأومله أتجعل مقامي مع مخلوق أخافه كقدوم على خالق أرجوه".

وقال أحمد ابن أبي الحواري: "دخلت على بعض المتقدمين فقلت كيف تجدك فقال بحال شريفة وأسير كريم حريس جواد مع أعوان صدق

---

(1) كلمة مبهمة .

والله لو لم يكن مما ترون عوضا إلا ما أودع قلبي محبته لكنت خليقا أن أدوم على الرضا عنه وما الدنيا وما غاية البلاء فيها هل هو إلا ما ترون من هذه العلة ويوشك أن اشتري بي الأمر أن ترحلني إلى سيدي ولي نعمة العلة علة رحلة من محب إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه".

ومرض أعرابي وقيل له: "إنك تموت قال فإذا مت فأين يذهب بي؟ وقالوا: أتى الله تعالى قال: وما أكرم من أن يذهب بي إلى من لا يرجى خير إلا من عنده".

ويروى عن سعيد ابن المسيب رحمه الله تعالى أنه قال لما احتضر أبو بكر الصديق ﷺ: "أتاه ناس من أصحابه فقالوا له يا خليفة رسول الله ﷺ إن نراك لما بك فأوصنا بوصية وزدنا بموعظة فقال من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين قالوا وما الأفق المبين قال فراق بين يدي العرش به رياض وأشجار تغشى كل يوم مئة رحمة فمن قال هذا القول جعله الله في ذلك المكان".

اللّهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجلني للنعيم ولا تجعلني للسعير، اللّهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم وجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصي، اللّهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها عما علمت فاجعلني ممن تستعمله، اللّهم أن أحد لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتي أن أشاء ما يقربني إليك، اللّهم إنك قدرت حركات العباد ولا يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك، اللّهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين، اللّهم إنك خلقت الجنة والنار

وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلني من ساكني جنتك اللّهم إنك أردت بقوم الظلال وضيقت به صدورهم وأردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي اللّهم انك دبرت الأمور فجلت مصيرها إليك فأحييني بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك زلفا اللّهم من أصبح ثقته ورجاءه غيرك فأنت ثقتي ورجاءي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال أبو بكر ﷺ: "وهذا كله في كتاب الله عز وجل قلت نقلت هذا الدعاء من العاقبة إلى عبد الحق ومن الأحياء للغزالي وقابلته منهما ولما احتضر مالك ابن أنس رحمه الله تعالى ونزل به الموت قال لمن حضره ليعاينن الناس غدا من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشر.

قال عبد الحق كشف له رضي الله عنهم: "من سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظيم تجاوزه ما أوجب أن قال هذا قلت وهذا الفَصلُ يليق به سياق الشيء مما ورد في الرجاء لأنه معين لحسن الظن المطلوب للمحتضرين ومذهب للقنوط ".

قال الغزالي ﷺ في الأحياء إما استقراء الآيات والأخبار فيما ورد في الرجاء فخارج عن الحصر أما الآيات فقوله تعالى وفي قراءة جارح السبع تغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم رويت عن النبي ﷺ وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴿٦﴾ ﴾وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى نبينا محمد ﷺ واحدا من أمته في النار ويقال أن النبي ﷺ لم يزل يسأل بأمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وإن ربك لذو مغفرة والناس على ظلمهم وقال تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾، وقال في

الآيـة الأخـرى: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا ﴾[1]، وأخبـر تعـالى أن النـار أعدها لأعداءه وإنما خوف بها أولياءه وقال ذلك الذي يخوف به الله عباده وقال واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[2] أي لا يصـلاها صـلي خلـود، وأمـا الأخبـار فقد روى أبو موسى عن النبي ﷺ : "أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل له هذا فداؤك من النار" قلت: "هذا لفظ الاحياد وقد رواه أبو داوود في سننه فقال حدثنا عثمان ابن أبي شيبة عن أبيه عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ: "أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل وهذا الحديث وما في معناه ليس هو على عمومه في جميع الأمة بثبوت نفوذ الوعيد في طائفة من العصاة حسب ما ورد في الأحاديث الصحيحة.

قـال الغزالي: "ومـن أحاديـث الرجـاء قولـه ﷺ: "الحمى من فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار" وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ إن الله تعـالى أوحى إلى نبيه ﷺ إني أجعل حساب

---

(1) سورة غافر، الآية:7وتمامها قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾

(2) سورة الليل: الآية:14-16

أمتي إليك فقال يا رب أنت خير لهم مني فقال إذًا لا أخزيك فيهم.

وروي عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ سأل ربه في ذنوب أمته فقال: "يا رب اجعل حسابهم إلي لئلا يطلع على مساوئهم غيري فأوح الله تعالى إليه هم أمتك وهم عبيدي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري كي لا ينظر إلى مساوئهم أنت ولا غيرك".

وقال ﷺ: "حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتي فإن أعمالك تعرض علي فما رأيت منها حسن حمدت الله عليها وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم".

وفي الحديث الطويل عن أنس ﷺ: "أن الأعرابي قال يا رسول الله: "من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الأعرابي فقال النبي ﷺ: لماذا تضحك يا أعرابي فقال: إن الكريم إذا قدر عفى وإذا حاسب سامح فقال النبي ﷺ: صدق ألا ولا كريم أكرم من الله تعالى وهو أكرم الأكرمين، ثم قال: فقه الأعرابي.

وفي الخبر يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم وفي حديث عن ابن سعيد الخذري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "ما خلق الله شيء إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه".

وفي الخبر المشهور أن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق إما رحمتي تغلب غضبي، وعن معاذ ابن جبل وأنس ابن مالك رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيء حرم الله عليه النار

ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان".

وفي خبر آخر: "لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيئس من رحمته أحد، وفي الحديث: الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها"، وفي الخبر :ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن تصيبه".

وفي الخبر: "إن لله مئة رحمة"، الحديث قلت: "ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: "جعل الله الرحمة مئة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزء واحد ومن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدآبة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه".

ولمسلم في طريق آخر كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة وخرج مسلم والبخاري وغيرهما عنه ﷺ أنه قال: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي وفي طريق سبقت غضبي"، إلى غير ذلك من الأحاديث. قال ابن عطية: "فما اشقى من لم تسعه هذه الرحمات تغمدنا الله برحمته.

قال الغزالي وقال ﷺ: "إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها للمصلين المتقين بل هي للمخلصين المتلوثين".

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى قال عليه السلام: "من أصبح وأمسى لا ينوي ظلم لأحد غفر الله له ما جنى".

وقال علي ﷺ: "من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا الله تعالى

أعدل من أن يثني في عقوبته على عبده في الآخرة".

وقال بعض السلف: "المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره الله عن أبصار الملائكة كي لا تراه فتشهد عليه قلت: ومن هذا المعنى ما حكاه ابن أبي جمرة ﷺ قال وقد جاء عنه ﷺ في قوله: "من أظهر الجميل وستر القبيح إن الله عز وجل خل تحت العرش تماثيلا على صفة كل شخص من بني آدم فإذا تحرك الآدمي بأي نوع تحرك ذلك التمثال بمثل ما تحرك به الآدمي لكن بفضل الله إن كان تحرك الآدمي بطاعة تحرك ذلك التمثال بمثلها فأبصرته الملائكة فاستغفرت له ودعت له وإن كان بمخالفة أو مكروه ستر الله عز وجل ذلك التمثال عن الملائكة فلا يرونه حين تحركوا بالمعصية فسبحان من هذا حلمه بعد علمه انتهى ما نقله ابن أبي جمرة ﷺ .

ولقي مالك ابن دينار أباناً فقال إلى كم تحدث الناس بالرخس فقال يا ابا يحيى: "إني لأرجوا أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق له كسائك هذا من الفرح وفي حديث ربع بن حيراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخي شجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان وهو عني غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تضنون ولا تغتروا وان محمدا ﷺ ينتظرني وأصحابه حتى ارجع إليه قال ثم طرح نفسه فكأنها حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه".

وفي الخبر أن رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فإذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبهم فيقول: يا ربي ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فترفعه علي في عليين فيقول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلا وأنت تسألني النجاة من النار فأعطيت

كل عبد سؤله وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم إتقاءا لعقابه وبين من يخدم إرجاء لأنعامه وإكرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال ﷺ [1] :"أسئلوا الدرجات العلى فإنما تسألون كريما" وقال "إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة وأسئلوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاظمه شيء ".

وقال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس رحمه الله تعالى في العشية التي قبض فيها فقلنا له يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال: لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله سبحانه ما لم يكن في حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه ﷺ.

وقال بن عطاء الله في لطائف المنن قال الشيخ أبوا العباسي ﷺ: طالعت مقام الرحمة فإذا على يقال لي والله ليكونن من رحمة الله غدا يوم القيامة ما ينال منها ابن أبي الطواجن وكان ابن أبي الطواجن هذا قد قتل الشيخ القطب ابن عبد السلام ابن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ .

ورأى الأستاذ أبو سهل الصلعوكي أبا سهل الزجاج في المنام وكان يقول بوعيد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أسهل مما توهمناه، ورأى بعضهم أبا سهل الصلعوكي في المنام على هيئة حسنة فقال له يا أستاذ بم نلت هذا؟ فقال بحسن ظني بربي.

و حكي أن أبا العباس بن سريج رأى في مرض موته في منامه كأن

---

(1) كلمة مبهمة.

القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء؟ فجاءوا فقال ماذا عملتم مما علمتم؟ قال فقلنا: يا رب قصرنا وأسأنا قال: فأعاد السؤال كأنه لم يرض الجواب وأراد جوابا أخر فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه قال فأذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال.

قلت: وقد أطال الغزالي في أسباب الرجاء وها أنا استدرك إن شاء الله بعض أحاديث الرجاء الصحيحة معزوة لأني أميل إلى العزو و به يثلج الصدر وهكذا فقلت والحمد لله في كل ما ألفت فخذه بكلتا يديك.

فروى البخاري و مسلم عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ و معاذ رديفه على الرحل فقال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال: "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله إلّا حرمه الله على النار قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا إذا يتكلوا وأخبر به معاذ عند موته تأثما يعني خروجا من الإثم ونحوه حديث أبي هريرة الصحيح حيث أمره النبي ﷺ أن يبشر الناس و قول عمر ﷺ: "دعهم يعملون و فيه إذا يتكلون".

روى البخاري عن معاذ بن جبل ﷺ قال بينما أنا خلف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرجل فقال يا معاذ بن جبل فقلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على عباده أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا ثم سار ساعة فقال يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يا رسول الله و سعديك قال:هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله و رسوله أعلم قال : حق العباد على

الله عز وجل ألا يعذبهم.

وروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله قال قدم على النبي ﷺ يسبي فإذا امرأة تحلب ثدييها نسقا إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها و أرضعته فقال لنا النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا له وهي تغدو ألا تطرحه فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها، قال القشيري في التحبير والله تعالى أرحم بعباده من كل أحد، قال وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره فمر بامرأة تخبز ومعها صبي لها فقالت يا رسول الله بلغني أنك تقول أن الله سبحانه أرحم بعبده من الوالدة بولدها أفهو كما قيل لي فقال ﷺ نعم فقالت فإن الأم لا تلقي ولدها في هذا الشور فبكى رسول الله ﷺ وقال إن الله تعالى لا يعذب إلا من أبا أن يقول لا إله إلّا الله.

وروى أبو داود عن عامر الرامي قال قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل وعليه كساء وفي يده شيء قد إلْتف عليه فقال يا رسول الله مررت بغيضة فسمعت فيها أصوات فراخ طير فأخذتهن فوضعتهن في كسائي فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن بكسائي فهي معي قال ضعهن فوضعهن فأبت إلا لزومهن قال أتعجبون لرحم أم إلا فراخ بفراخها والذي بعثني بالحق الله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها أرجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن فرجع بهن.

وروى الترمذي و النسائي عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخر أبدا، قال النسائي ويروى:

"في جوف أبدا"، قال الترمذي وفي الباب عن أبي ريحانة وابن عباس وهذا حديث حسن صحيح.

وروى الترمذي عنه ﷺ قال: "عينان لا تمسهم النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله".

وروى الترمذي عن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال، قال رسول الله ﷺألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم النار عليه كل قريب هين سهل" قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب

وروى عنه ﷺ أنه قال: "ما إغرورقت عينا عبد من خشية الله تعالى فتمسه النار"، ذكره أبو منصور المهداني في شرح سورة يوسف عليه السلام.

وروى الصنامحي عن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال: "دخلت عليه وهو في الموت فبكيت عليه فقال لي مهلا لم تبكي فو الله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفع لك ولئن استطعت لأنفعنك ثم قال والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه لكم فيه خيرا إلا حدثتكموه إلا حديث واحد وسوف أحدثكموه اليوم".

وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده و رسوله حرم الله عليه النار" رواه مسلم و الترمذي بهذا السياق إلا عند الترمذي وسأحدثكموه.

وعن عتبان بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "لا يشهد أحد أنه لا إله إلا الله و أني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه النار"، قال أنس بن مالك فاعجني هذا الحديث فقلت لابني أكتبه فكتبه رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة وينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول ألك عذر فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وأنت لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلى الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله فيقول أحضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال فإنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء" رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم و ابن حبان في صحيحهما، وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن غريب، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وطاشت معناه خفت والسجل الصحيفة والبطاقة القطعة، وفي المستدرك للحكام في حديث يقول في أخره وقول: "لا اله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يشبهها عمل"، وقال صحيح الإسناد.

وعن ابن مسعود ﷺ: "من جاء بالحسنة فله خير منها قال من جاء بلا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك" رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح شرط الشيخين يعني البخاري ومسلم وفي الحديث: "لو أن السموات السبع والأراضي السبع في كفة لمالت بهم لا إله إلا الله"، مختصر رواه النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ له.

قال القرطبي في تذكرته: "وفي الخبر إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقها في كفة الميزان يمنى التي فيها حسناته فترجع الحسنات فيقول العبد المؤمن للنبي ﷺ بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت، فيقول أنا نبيك محمد وهذه صلواتك

التي كنت تصلي علي وقد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها" ذكره القشيري في تفسيره.

وروى أبو نعيم من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: "من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن ربح وإلا شفعت" .

وحدثنا الشيخ عبد الواحد الغرياني إجازة بسنده عن عبد الرزاق عن مالك بن الزهري عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: "تبلى الذنوب عن أمتي كما تبلى الأبدان حتى يخرجون من قبورهم وما لأحد ذنب"، و بهذا السند عن عبد الرزاق قال قال رسول الله ﷺ: "أمتي أمة مرحومة يدخلون القبور بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنب فقيل بماذا يا رسول الله فقال بطول البلاء واستغفار الحي للميت".

ما قصدنا سياقه من أحاديث الرجاء فينبغي أن يذكر بها من احتضر لعله يموت وهو يحسن الظن بالله تعالى.

فَصلٌ في تَلقينِ الشَّهادَتينِ وتَغميضِ الميَت وما جَاء في تَكلِيمِ الميتِ:

قال عبد الحق في العاقبة: ولما حضرت أبى علي الرودباري الوفاة كان [...] [1] في حجر ابنته فاطمة ففتح عينيه فقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنات قد زخرفت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك المرتبة القصوى وإن تردها، ثم قال: يا رب وحقك لا نظرت إلى سواك بعين مودة حتى أراك قال عبد الحق كان أبو علي هذا ممن يعبد الله لذاته

---

(1) كلمة مبهمة.

وكان يقول لا أريد الجنة ونعيمها وإنما أريدك يا رب قلت: و أبو علي صاحب أحوال كثيرة قال عبد الحق المستحب من حال المحتضر أن يكون يعلوه الهدوء والسكون ومن لسانه النطق بالشهادتين ومن قلبه حسن الظن بالله سبحانه أما نطقه بالشهادتين فهو علامة الخير ودليل السعادة وإمارة الاتصال بالحفرة الإلاهية".

روى أبو داود من حديث معاد بن جبل ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من كان أخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".

وروى مسلم من حديث عثمان بن عفان ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من مات و هو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة". وروى أيضا من طريق أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" .

قال عبد الحق: "والمقصود أن يموت الإنسان وليس في قلبه إلا الله عز وجل لأن المدار على القلب وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتحصل النجاة بسببه وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها ولا خير عندها، وقال عمر ﷺ: "أحضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ما ترون قالت أم سلمة رضي الله عنها دخل رسول الله ﷺ عن أبي سلمة وقد شق فأغمضه" .

قال القرطبي في تذكرته: "قال أبو داوود وتغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح قال عبد الحق يروي أن ما من ميت يموت إلا ويكلماه ملكاه اللذان يكتبان عمله في الدنيا فإن كان مطيعا قالا له جزاك الله صاحب خيرا فرب كلام حسن قد أستمعناه و رب مجلس خير قد أجلستناه ورب عمل صالح قد أحضرتناه فنحن لك اليوم على ما تحب وإن كان فاجرا قالا له جزاك الله من صاحب شرا فرب كلام قبيح قد استمعناه ورب مجلس سوء

قد أجلستناه ورب عمل سيء قد احضرتناه فنحن لك اليوم على ما تكره.

بَابٌ فِي ذِكرِ حَدِيثِ البَراءِ المشهُورِ الجَامِعِ لأحوَالِ الموتَى عندَ قَبضِ أرواحِهِم و فِي قُبورِهِم

و قد ساقه عبد الحق والقرطبي على الكمال قال القرطبي وقد خرجه أبو داوود للطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية وهناد بن السري في زهده وأحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم وهو حديث صحيح له طرق كثيرة تهتم بتخريج طرقه على بن معبد حدثوا كلهم بأسانيدهم وبعضهم يزيد على بعض.

عن البراء بن عازب ﷺ قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر و لم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير قال فجعل النبي ﷺ يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى الأرض ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول أخرجي أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه منه فتسيل كما يسيل قطر السقاء وإن كنتم ترون غير ذلك و ينزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون معه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين قال فذلك قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1] قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت على وجه الأرض فتخرج الملائكة فلا يأتون على

---

(1) سورة الأنعام 6، الآية: 61، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

جند من الملائكة.فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقال هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه فإن أنتهوا إلى سماء الدنيا قالوا ما هذه الروح الطيبة فقالوا هذا فلان بأحسن أسمائه فيفتح له أبواب السماء ويشيعه من كل سماء حتى ينتهي به إلى السماء السابعة قال فيقال أكتبوا كتابه في عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم شهده المقربون فيكتب كتابه في عليين ثم يقال ردوه إلى الأرض فاني وعدتهم منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فيرد إلى الأرض وتعاود روحه في جسده قال ويبعث إليه مكان شديدا الإشهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام فيقولان فما تقول في هذا الرجل هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال وذلك قوله تعالى﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[1] قال وينادي مناد من السماء قد صدق عبدي فالبسوه من الجنة وافرشوا له من الجنة واروه منزله في الجنة قال فيلبس من الجنة ويفرش له من الجنة ويرى له من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قال فيقول: ابشر بما أعد الله لك من الكرامة فهذا يومك الذي كنت توعد أبشر برضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم قال فيقول بشرك الله بخير ومن أنت رحمك الله فوجهك الذي جاء بالخير قال فيقول أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا سريعا في طاعة الله

---

(1) سورة إبراهيم 14، الآية:27،وتمامها قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

بطيئا عن معصية الله فجزاك الله عني خيرا فيقول يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي.

قال عبد الحق: "في هذا الحديث قال الأعمش وهو سليمان بن مهران حدثني بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال:" نم قال فينام ألذ نومة ما نامها قط حتى توقظه الساعة ثم نرجع إلى حديث البراء قال وإن كان فاجرا أو كان في إنقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا جاء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى غضب الله وسخطه من الله فتفرق روحه في جسده قال فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب في الصوف المبلول قال وتنزل ملائكة من السماء سود الوجوه معهم مسوح من نور فيجلسون معه مد البصر فإذا وقعت في يد ملك الموت قام إليه ملائكة فلم يتركوها في يده طرفة عين قال ويخرج منه ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون به فلا على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون هذا فلان باسوا أسمائه قال فإذا انتهوا به إلى السماء الدنيا أغلقت دونه فلم تفتح له وينادي مناد أن اكتبوا كتابه في سجين وأرجعوه إلى الأرض فاني وعدتهم أن منها خلقتهم وفيها أعيدهم وممنها أخرجهم تارة أخرى قال فيرمي به في السماء قال وتلى هذه الآية: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[1] قال فيعاد روحه

(1) سورة الحج 22، الآية:31،وتمامها قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان له من ربك وما دينك فيقول لا أدري فيقولان فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فلا يهتدي لاسمه فيقال محمد فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون ذلك قال فيقولان له لا دريت قال وذلك قوله تعالى :﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[1] قال وينادي مناد من السماء أن قد كذب فالبسوه من النار وافرشوا له من النار واروه منزله من النار قال فيكسا من النار ويفرش له من النار ويرى منها منزله قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال ويمثل الله عمله في صورة رجل قبيح المنظر قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك ابشر بغضب الله وسخطه وفي طريق ابشر بعذاب الله وسخطه هذا يومك الذي كنت توعد هذا يومك الذي كنت تكذب قال فيقول له ويلك ومن أنت فوالله لوجهك الوجه الذي جاء بالشر قال فيقول أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا بطيا عن طاعة الله سريعا إلى معصية الله فجزاك الله عني شرا قال فيقول يا رب لا تقم الساعة ما يرى مما أعد الله له وفي بعض طرق هذا الحديث عن البراء عن النبي ﷺ قال "فيقض له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل صار ترابا أو قال رميما فيضربه بها ضربة يسمعها الخلائق إلا الثقلين ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى وفي بعض طرقه فإذا أخرجت روحه لعنه كل ملك في السماء وكل ملك في الأرض". وروى ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في

---

(1) سورة إبراهيم 14، الآية:27،وتمامها قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

قبره غير فزع ولا مشغوب ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت في الإسلام فيقال ما هذا الرجل فيقول محمد رسول الله ﷺ الحديث.

قال القرطبي: "وخرج النسائي بسنده عن أبي هريرة ﷺ إن رسول الله ﷺ قال إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتون به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد به فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال لهم أما أتيكم فلان فانه قد مات فيقولون ذهب إلى أمه الهاوية" الحديث.

وذكر الغزالي في الفاخرة: "في حديث يذكره عن أبي مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: "في المؤمن يعني العالم العامل أن الملكين بعد سؤالهما له يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة ويفتحان له بابا إلى الجنة من تلقاء يمينه ثم تفرشان له من حريرها ريحانها ويدخل عليه من نسيمها ورواحها وريحانها ويأتيه عمله في صورة أحب الأشخاص إليه ويؤنسه ويحدثه ويملأ قبره نورا ولا يزال في فرح وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة فليس شيء أحب اليه من قيامها".

قال الغزالي: "ودونه في المنزلة المؤمن العامل الخير ليس معه حظ من العلم ولا من أسرار الملكوت يلج عليه عمله عقب الملك رومان في أحسن صورة طيب الريح حسن الثياب فيقول له أما تعرفني فيقول له من أنت الذي مَنَّ الله علي بك في غربتي فيقول أنا عملك الصالح لا تحزن ولا تَؤْجَل فَعَّما قليل يلج عليك منكر ونكير يسألانك فلا تدهش ثم تلقنه

حجته فبينما هو كذلك إذ دخلا عليه فينهرانه ويقعدانه مستندا فيقولون من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي ومحمد نبي والقرآن إمامي والكعبة قبلتي وإبراهيم أبي وملته ملتي الحديث"، وذكر فيه أن أول من يلج على الميت في قبره ملك اسمه رومان" .

فَصلٌ

قال القرطبي: "استحب العلماء أن يحضر أهل الصلاح والخير عند الميت حالة الموت لِيُذَكِّرُوهُ ويدعوا له ولمن يخلفه كما هو مذكور في حديث موت أبي سلمة".

وروى ابن المبارك وسفيان عن ليث عن مجاهد قال:" ما من ميت إلا يعرض عليه أهل مجالسته الذين يجالس إن أهلا اللهو له فأهلا اللهو وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر يعني قبل خروج روحه قال أبو الفرج الجوزي في كتابه روضة المشتاق قال ما من يوم تطلع شمسه إلا وملك ينادي يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضره وأعضاءكم قوية شداد، يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد، يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن الجواب فما لكم من نصير: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [1] يا مسكين اخل في نفسك في بيت الفكر ساعة

---

(1) سورة فاطر35 : الآية:37،وتمامها قال تعالى﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

وانظر هل هي معك أو عليك، آه لنفس تركت يقينها وتبعت آمالها وجهلت ما عليها وما لها أما ضربت ضربة العبر بأخذ أمثالها من لها إذا نزل الموت فقالها وأعجبا يتأمل الحيوان والبهيم العواقب وأنت لا ترى الحاضر ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء إلا في القر ولا بمؤنة الصيف حتى يشتد الحر ومن هذه صفته في أمور الدنيا وهو في أمور الآخرة أعمى وأضل سبيلا".

هذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع أفتراك ما عملت قرب رحيلك إلى القبر فهل لا بعثت فراش التقوى فلأنفسهم يمهدون وأنشد الفقيه ابن أبي زمين:

الموت في كل حين ينشر الكفنا
ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها
وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران وما فعلوا
أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسا غير صافية
فيصرتهم لأطباق الثرى رهنا

حكي عن بعض العلماء أنه كان يميل إلى الراحات كثيرا وكان يخلوا في بستان له بأصحابه فلا يأذن لأحدهم سواهم فبينما هو كذلك في

البستان إذ رأى شخصا يتخلل الشجر فغضب وقال من إذن لهذا وجاء الرجل فجلس أمامه وقال أما ترى في رجل ثبت عليه حق فزعم أن له منافع تدفعه فقال يتلوم له الحاكم بقدر ما يرى فقال السائل ضرب له الحاكم آجالا فلم يأت بمنفعة له ولا أقلع عن اللّهو والمدافعة قال يقضي عليه قال فإن الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة فأطرق الفقيه وتحر وعرف وجهه وذهب السائل ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل فقال البواب ما دخل إليكم ولا خرج من عندكم أحد فقال لأصحابه انصرفوا فما كان يرى إلا في مجلس يذكر فيه العلم وسرد القائل":

لاه بـــدنياه والأيـــام تنعـــاه
والقبـــر غايتـــه واللحـــد مـــأواه
يلهو فلو كان يدري ما أعد له
إذا لأحزنـــه مـــا كـــان ألهـــاه
ومـــاذا جنتـــه يـــداه لـــو تعرفـــه
ويـــلاه فمـــا جنـــت يـــداه ويـــلاه

قلت: "وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي ﷺ أنه قال إذا فنيت أيام الدنيا عن هذا العبد المؤمن بعث الله إلى نفسه من يتوفاها قال فقال: صاحباه اللذان يحفظان عليه أن هذا قد كان لنا أخا وصاحبا وقد حان اليوم منه الفراق فأذنوا لنا أو قال دعونا نثن على أخينا فيقال اثنيا عليه فيقولان جزاك الله خيرا ورضي عنك وغفر لك وأدخلك الجنة فنعم الأخ كنت والصاحب ما كان أيسر مؤنتك وأحسن معونتك على نفسك ما كانت خطاياك تمنعنا أن نصعد إلى ربنا فنسبح بحمده ونقدس له ونسجد له

ويقول الذي يتوفى نفسه اخرج أيها الروح الطيب إلى خير يوم مر عليك فنعم ما قدمت لنفسك اخرج إلى الروح والريحان وجنات النعيم ورب عليك غير غضبان وإذا فنيت أيام الدنيا: عن العبد الكافر بعث الله إلى نفسه من يتوفاها فيقول صاحبان اللذان كان يحفظان عليه عمله إن هذا كان لنا صاحبا وقد حان منه فراق فأذنوا لنا ودعونا نثن على صاحبنا فيقال أثنينا عليه فيقولان لعنه الله وغضب عليه ولا غفر له وادخله النار فيئس الصاحب ما كان أشد مؤنته وما كان يغير على نفسه إن كانت خطاياه وذنوبه لتمنعنا أن نصعد إلى ربنا فنسبح له ونقدس له ونسجد له ويقول الذي يتوفى نفسه أخرج أيها الروح الخبيث إلى شر يوم مر عليك فبئس ما قدمت لنفسك أخرج إلى الحميم وتصلية الجحيم ورب عليك غضبان انتهى. رواه ابن المبارك رحمه الله تعالى.

قال القرطبي: "وروى عن محمد بن كعب القرطبي قال إذا استنقعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولي الله، الله يقرئك السلام ثم نزع بهذه السة: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾[1] وقال ابن مسعود ﷺ إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام، وعن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾[2]، قال يسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه.

---

(1) سورة النحل16 ، الآية:32،وتمامها قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

(2) سورة الأحزاب33 ، الآية:44،وتمامها قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

قلت: "ومن حصلت له هذه البشرى هانت عليه سكرات الموت وقد قدمنا حديث ابن الصامت وهو من هذا المعنى.

فقد روى البخاري وغيره عن عبادة ابن الصمات ﷺ عن النبي ﷺ انه قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة رضي الله عنها أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب الله لقاءه وإن كان الكافر إذا احتضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره الله مما أمامه فكر لقاء الله فكره الله لقاءه" هذا لفظ البخاري وخرجه مسلم وابن ماجة من حديث عائشة وابن المبارك من حديث انس.

قال ابن أبي جمرة ﷺ: "فيه دليل على تهوين الموت على المؤمن يؤخذ ذلك من فرحه بما أمامه بما يبشر من رضاء مولاه عنه وإحسانه له فإنه من فرح بشيء هان عليه ما يلقا عليه أو دونه من الشدائد وهذا ندركه حسا في أهل الدنيا فإنهم ما حملوا فيها من المشاق والشدائد إلا لفرحهم بها وحبهم لها فكيف بذلك الفرح الذي ليس مثله فرح جعلنا الله من أهله بفضله أمين" انتهى كلام ابن أبي جمرة رضي الله تعالى عنه وأعاد علينا من بركاته.

قال القرطبي:" وروى ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالوا أخرجي أيها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فينفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان مرحبا بالنفس

الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء يعني السابعة وإذا كان رجل سوء قال: أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث إرجعي ذميمة وابشري بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فلان بن فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء حتى تصير إلى القبر وهذا حديث صحيح.

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال إذا أخرجت روح العبد تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد نذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة ﷺ فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت على أنفه هكذا، فتأمل رحمك الله هذه الآثار واستيقظ من غفلتك.

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "حكي عن بعض الصالحين أنه كان خطيبا بأحد الأمصار بجامعها الأعظم فلما انتقل وراءه صاحب له في النوم فسأله ما فعل بك الملكان في القبر فقال سألاني فارتج علي فلم أدر ما أجاوبهما فبقيت متحيرا ساعة فإذا انا بشاب حسن الصورة خرج من جانب القبر فلقني الحجة فلما جاوبتها وذهبا عني أراد أن ينصرف فتعلقت به فقلت من أنت يرحمك الله الذي أغاثني الله بك فقال: أنا عملك فقلت:

وما أبطأك حتى بقيت متحيرا؟ قال: كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطانة فقلت والله ما أكلت منها شيئا وإنما كنت أتصدق بها فقال لي لو أكلتها ما أتيتك ولأخذك إياها أبطأت عنك" اللّهم عاملنا برحمتك وجد علينا بفضلك.

وروى عن عائشة رضي الله عنها إنها قالت: "إذا أراد الله بعبد خيرا قيد له قبل موته بعام ملكا فسرده ووفقه حتى يقول الناس مات فلان خير ما كان عليه فإذا حضر ورأى أثوابه تهوعت نفسه فذلك حين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإذا أراد الله بعيد شر قبض له قبل موته بعام شيطانا فأضله وفتنه حتى يقول الناس مات فلان شر ما كان عليه فإذا حضر ورأى ما ينزل به من العذاب تثلع نفسه فذلك حين يكره لقاء الله وكره الله لقاءه".

وخرج الترمذي عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إن الله إذا أراد بعبد خيرا استعمله فقيل كيف يستعمله يا رسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت" قال أبو عيسى هذا حديث صحيح، قال القرطبي ومنه الحديث الآخر: "إذا أراد الله بعبد خيرا عسله قالوا يا رسول الله وما عسله قال يفتح له عملا صالحا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله".

وروى ابن جريج عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾[1] إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان ويقول قدما إلى الله عز وجل وأما الكافر فيقول يا رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت

---

(1) سورة المؤمنون23 ، الآية:99.

الآية.

باب

روى البخاري عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله قال ابن أبي جمرة ﷺ: "وقد جاء أن العمل إذا كان صالحا على المرء في قبره في صورة شخص حسن الصورة طيب الرائحة نوريا فيأنس به من وحشة القبر فيقول له من أنت الذي مَنَّ الله علي بك فيقول له أما تعرفني فيقول له لا أعرفك فيقول له: من أنت الذي مَنَّ الله علي بك؟ فيقول له: أما تعرفني فيقول له: لا أعرفك فيقول: أنا عملك الصالح في دار الدنيا لا أفارقك وإن كان العمل سيئا دخل في صورة وحشة منتنة وظلمة فيستوحش منه زيادة على ما عنده من وحشة وضيقة فيقول: من أنت الذي روعتني؟ فيقول له: أما تعرفني فيقول له: لا أعرفك فيقول له أنا عملك السيئ في دار الدنيا لا أفارقك عافانا الله من سيء الأعمال بمنه وقال ﷺ في غير هذا الحديث:" إن كان صالحا لم تأنس إلا به وان كان سيئا لم تستوحش إلا منه".

قلت:" هذا الحديث نقله في الودعانية وقد تقدم، وروى أبو نصر الشهير بابن ودعان عن قيس بن عاصم ﷺ قال: قدمت على النبي ﷺ في وفد بني تميم فقال لي اغتسل بماء وسدر ثم عدت إليه فقلت: يا رسول الله عظنا موعظة نتنفع بها فقال: يا قيس إن مع العز ذلا وإن مع الحياة موتا وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شيء حسيبا وعلى كل شيء رقيبا، وإن لكل حسنة ثوبا ولكل سيئة عقابا، وإن لكل أجل كتابا إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه، وأنت ميت فان كان كريما أكرمك، وإن كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه

فلا تجعله إلا صالحا فانه إن كان صالحا لم تأنس إلا به وإن كان فاحشا لم تستوحش إلا منه وهو فعلك ولله در القائل:

تـزود قرينـا مـن فعلـك إنمـا
قرين الفتا في القبر ما كان يفعل
ولمـن يصحب الإنسـان مـن بعـد
إلـى قبـره غيـر الـذي كـان يعمـل
ألا إنمـا الإنسـان ضـيف لأهلـه
يقـيم زمانـا عنـدهم ثـم يرحـل

[طويل]

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا"، قال ابن أبي جمرة ﷺ في هذا الحديث دليل على أنه من حين خروج الميت من هذه الدار يلقى عمله والمجازات عليه خيرا كان أو ضده وفيه دليل على أنه ليس للمرء في تلك الدار إلا ما قدم من هذه" كما هو مذكور قبل.

بَابٌ جَامِعٌ لأحوَالِ المَوتَى

ويجب على من له عقل وتمييز أن يبادر بالتوبة ويجتهد في خلاص نفسه قبل حلول رمسه ويتأمل هذه الأخبار فيما يلقاه الميت ما دام في قيد الحياة وقبل فوات الوقت وقد روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر".

قال ابن أبي جمرة: "وهذا إذا كان الروح في الحلقوم وعاين مبادئ أمور الآخرة فهناك يكون وقت البشارة، قال وقد أخبرني من أثق به أنه كان بعض من يقرب منه وكان مسرفا على نفسه فابتلى في بدنه فتاب ورجع إلى الله وبقى معه الخوف مما تقدم منه فكان يقول بذلك الشخص مع مرور الأيام يا فلان كيف يكون قدومي إلى الله وبماذا ألقاه وبكثرت لذلك كثيرا فلما مرض مرض الموت واحتضر التفت إلى ذلك الشخص بعدما نظر إلى السماء وتبسم وتهلل وجهه فرحا وقال يا فلان أبشر فما ثَمَّ إلا خير وشهق شهقة طلعت فيها روحه وفيه قيل:

للموت فاستعد إن كنت عاقلا
وبالتقوى فتزود إن كنت راحلا
واتى الله فارجع فإنك عليه قادم
وفي البشارات إشارات و بها

جعلنا الله ممن أجمل وبها سعد بمنه انتهى كلام ابن أبي جمرة بلفظه وكل من نقلت عنه شيئا فسياقي له باللفظ.

قال عبد الحق في العاقبة: "اعلم إن أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يقومون مما عليه أهل القبور يندمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون".

قال أبو عيسى عليه السلام:" عجبت لغافل وليس بمغفول عنه ومؤول دنيا والموت يطلبه بانيا قصرا والقبر مسكنه وقال بعض الحكماء: ما انقضت ساعة من يومك إلا بقطعة من عمرك ونصيب من جسمك".

وقال لقمان لابنه:" يا بني أمر لا تدري متى يلقاك فاستعد له قبل أن يعجاك، ولمثل هذا بكى أولوا الألباب واسبلوا مدامعهم خوفا من ربهم".

قال القشيري: "قيل لسان المذنبين دموعهم سمعت الأستاذ أبا علي يقول: إذا بكى المذنب فقد راسل الله تعالى وفي معناه أنشد:

دموع الفتى عما يكن تترجم

وأنفاسه تبدين ما القلب يكتم

[طويل]

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "أهل الصوفة يقولون إن المنتهى في السلوك يكون حاله مع مولاه مثل الصبي مع أمه كلما رابه شيء بكى عليها لا يعرف غيرها وذلك دأبه معها، وقال أهل الصوفة: "من بكا صادقا شفعت دموعه"، وقد قال بعض أهل الطريق في هذا المعنى: "بالباب يبكون والبكاء إذا كان خاليا من النفاق نفع تشفع فيهم دموعهم وإذا شفع دمع الميتمين شفع" انتهى كلام ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى وانشدوا:

ليبكي على الشيبة من بكاها

كما ابكي عليها ملء جفني وافر

عجبت لمن يبكي رسم دار عفتا

أبوابهـــا أو سيرضعـــــــتني[1]

ويتـــرك نفســـه يبكـــي عليهـــا

وقـد جبلـت علـى صـعب ووهنـي

وقـد صـاح الحمـام بهـا أجيبـي

إلـــى وليمـــا ويحـــك ذا الثـــاني

ومـــن بعـــد الحمـــام لـــه حـــديث

يريـــد مـــن العجائـــب كـــل فنـــي

حـــديث مـــا حـــديث مـــا حـــديث

يبـــين لـــه اليقـــين مـــن التضـــلي

وعـــم ينقضـــي فـــي غيـــر شـــــيء

ولكـــن فـــي المحـــال مـــن التمنـــي

وتعـــذلني لـــئن أرســـلت دمعـــا

علـــى وجنـــات ذي خســـر وغبنـــي

ألا ياصـــاح والبلـــوى ضـــروب

ودعتـــك للـــذي تهـــوا فـــدعني

إذا أنـــا لـــم ابـــك ذهـــاب عمـــري

فمـــن هـــذا الـــذي يبكيـــه عنـــي

---

(1) هكذا رسمت في النص.

قال أبو سليمان الداراني: "دخلنا على عابد نزوره وقد حضره الموت وهو يبكي فقلنا له: ما يبكيك رحمك الله؟ فانشد يقول:

وحق لمثلي بالبكاء عند موته

ومالي لا أبكي وأجلي قد اقترب

[طويل]

ولي عمل في اللوح أحصاه خالقي فان لم يجد بالصفح مرت إلى العطف

قال القرطبي: "وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ أرفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فإني بكل مؤمن رفيق واعلم أنه ما من أهل بيت حدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم كل يوم خمس مرات حتى لأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله الآمر بقبضها، قال جعفر بن علي: "بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة" ذكره الماوردي.

قلت: "ويجب على العاقل الاهتمام بنفسه قبل حلول رمسه"، ففي الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار" قال أبو عيسى هذا حديث من غريب.

قال القرطبي: "وروى ابن ماجة عن هاني بن عثمان ﷺ إذا وقف على قبر بكا حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا قال من رسول الله ﷺ قال:" إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه".

وروى ابن ماجة عن البراء ﷺ قال كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير قبر فبكى وابكا حتى بل التراب ثم قال: "يا إخواني لمثل هذا فأعِدوا".

وذكر صاحب كتاب التشوف:" أن سليمان الفارسي ﷺ دخل على رجل من أصحابه وهو في النزع فسلم فسمع رد السلام عليه ولم ير شخصا فقال سليمان يا ملك الموت أرفق بصاحبنا فقال: إني رفيق بكل مؤمن فقيل ليحي بن معين يا أبا بكر هل يصح هذا الحديث فقال: رواه شبابة وليس ينكر أن يكون هذا في جملة كراماته ﷺ" وهذا حديث جعفر المتقدم.

فَصلٌ في تَلاقِي الأرواحِ

فقد روى ابن المبارك عن أيوب الأنصاري ﷺ: "قال إذا قبضت نفس المؤمن يتلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشر في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد. قال فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة، هل تزوجت فلانة. فإذا سألوه عن الرجل مات قبله فيقول أنه هلك فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون ذُهِب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم بئست المربية".

وذكر أبو نعيم عن وهب بن منبه أنه قال: "إن لله في السماء السابعة دار يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسايل الغائب أهله إذا قدم عليهم".

بَابٌ فِي الجِنَازةِ وكَلامِهَا ومَا جَاءَ مِنَ الفَضلِ فِي إتِّبَاعِهَا

روي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله قال قال رسول الله ﷺ: "إذا وضعت الجنازة فأحملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني،و إن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان فلو سمعها الإنسان لصعق".

وروي البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: "قال من تبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معها حتى يُصلي عليها ويُفرغ من دفنها، فإنه يرجع بقراطين من الأجر كل قيراط مثل أحدُ ومن صلى عليها ثم يرجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط.

وروي مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: "من صلى على جنازة فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان القراط مثل أحد".

فَصلٌ:

روى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: "مرَّ بجنازة فأثنى عليها خيراً فقال النبي ﷺ: "وجبت وجبت وجبت فقال عمر بن الخطاب ﷺ فداك أمي وأبي يا رسول الله مر بجنازة فأثنى عليها فقلت: وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شرا وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله ﷺ : "من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض".

وفي بعض طرق البخاري عن عمر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قلنا وثلاثة قال وثلاثة قلنا واثنان قال واثنان

ثم لم نسأل عن الواحد قال عبد الحق وهذا الحديث مخصوص والله أعلم، والذي قبله يعطي العموم وإن كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بخير والثناء الصالح كانت له الجنة والله أعلم.

وحدث مالك عن زيد بن أسلم أنه كان يقول: "اتق الله ابن آدم يحبك الناس وإن كرهوا"، قال ابن رشد ومعنى قوله:" وإن كرهوا أنهم مغلوبون على محبته بما ألقى الله في نفوسهم" .

وعن عبد الله بن السايب قال: "مرت جنازة بابن مسعود فقال الرجل: قم فانظر أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار فقال: الرجل وما يُدرِيني أمِنْ أهل الجنة هو أم من أهل النار قال انظر ما ثناء الناس عليه فأنتم شهداء الله في الأرض".

قال ابن رشد في البيان والتحصيل: "إن الله سبحانه إذا أحبَّ عبدا أحبه أهل السماء ووضع له القبول في الأرض وانطلقت الألسن بالثناء عليه. قال رسول الله ﷺ: "إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء".

فَصلٌ

قال عبد الحق: "ويجب على أهل الإنسان أن لا يحتقر أحدا من المسلمين وإن كان ظاهره الفسق فلعل له بطانة من خير وخبيئة من عمل صالح ولأنه قد صار إلى أرحم الراحمين، وكذلك إذا كان الميت منبوذ أو مطروحا لا يعرف أو لا يحضره أحد.

فقد روي مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه: "قال ربّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره".

ويروى عن عمر وعثمان بن شعبة قال: "رأيت في بعض الليالي في المنام كأن قائداً يقول لي إذا كان غدا فأتي مصلى خولان تصلي على ولي لنا قال فخرجتُ قبل طلوع الفجر خوفا من أن يفوتني قم قعدت إلى وقت قريب من غروب الشمس فلم يُؤتَ بميت إلى ذلك المصلى. قال فانصرفتُ فبينما أنا في الآكام فإذا أنا بميت على رأس حمال على فرد باب وعليه عباءة فقال لي الحمال:يا هذا إن هذا الميت رجل غريب فهل لك أن تُصلي عليه فقلتُ في نفسي أنا قاعد من أجله منذ اليوم قال فَصلّيتُ عليه ثم قال لي الحمال ادخل معي حتى نُواريه فنزلتُ في قبرهِ فصوَّبهُ عليَّ فأضجعتُهُ واحللتُ العقدة عن رأسه فالتَفتَ الميتُ إلي بوجهه متبسماً وقال سوف أشكرك عندهُ غداً يا أبا عمر وثم عاد كما كان.

وروى عن أبي علي الرودباري قال: "قدم علينا فقير فمات فدفنتُهُ فكشفتُ عن خده فجعلته على التراب ليرحم الله غربته ففتح عينيه فقال يا أبا علي أتدللني بين يدي من لا يدللني فقلت: يا سيدي أحياةٌ بعد موت فقال بل: أنا محب لله سبحانه وكل محب لله سبحانه فهو حيٌّ يا رودباري لأنصرنّك غدا بجاهي".

وقال أبو سعيد الخراز: "كنتُ بمكة فجزت على باب بني شيبه فرأيتُ به شابا حسن الوجه ميتا فنظرتُ في وجهه فتبسَّم في وجهي وقال: يا أبا سعيد أما علمت أن الأحبة أحياء وان ماتوا وإنما يُنقلون من دار إلى دار".

قال وحدثني أبو القاسم عبد الرحمان القرشي رحمه الله قال: "لما مات أبي غسله المقربي أبو الحسن بن عُظيمة فقال لي أبو الحسن لما كشفتُ الثوب عن وجهه لأغسله ضحك في وجهي ولا أشك في ذلك".

وذكر وليد بن عثمان وكان من الصالحين قال: "قدم علينا بإشبيلية رجل

أسود فأقام في المسجد الذي كنت فيه ثم انتقل عنه لعلة أصابته فأقام في فرن يرقد فيه على الحطب ويُتصدَّق عليه، ثم أنه مات فنقلته إلى داري لأغسله فكشفتُ عنه الثوب لأغسله فبينما أغسله إذ رأيت وجهه قد ابيضَّ بياضا شديدا وصار مثل القمر ليلة البدر حسنا وعم البياض وجهه وعنقه خاصة دون سائر جسده فراعني ما رأيت وأرعدت وأصابني دهش عظيم فرددتُ الرداء على وجهه وخرجت فأخبرت جماعة من أصحابي فجِئتُ بهم معي وأعلمتهم قصته فلما كشفوا الرداء عن وجه رعاهم حسنه وجماله وابيضاضه وسائر جسده أسود كما كان وتسامع الناس به فما كدنا نبلغ قبره إلى الليل من كثرة الزحام على نعشه وكثرة ما حضر جنازته رحمه الله تعالى".

قلت: "والحكايات في هذا الباب كثيرة وقصة عمر بن الفارض مع شيخه البقال من نوع ما تقدم وذلك أن عمر بن الفارض دخل يوما بعض مدارس مصر فوجد شيخا يتوضأ ويقدم ويؤخر في أعضاءه وضوئه فأنكر عليه وقال له يا شيخ تكون في هذا السن ولا تحسن أمر دينك فرجَّع إليه رأسه وقال له: مكاشفا يا عمر لا يفتح عليك هنا وإنما يفتح عليك بمكة فصر إليها فعلم أنه من أولياء الله تعالى وإنما خلط في وضوءه سترا لحاله، قال عمر فقلت له يا سيدي كيف أسير إلى مكة وليس هنا مسافرون أو نحو هذا من الكلام قال فأشار لي إلى مكة فرأيتها من مصر وجعلتُ أمشي حتى دخلتها ثم إن عمر بقي بمكة زمانا فحضرت الوفاة للشيخ البقال قال فناداني من مصر وقال يا عمر احضر وفاتي فجِئتُهُ فقال إذا مُتُّ فادفني هناك وأشار إلى الجبل المقطم فرأيتُ المكان الذي أشار إليه قال فلما مات وحملته إلى قبره ووضعته فإذا أنا برجل من أولياء الله تعالى فقال لي تقدَّمْ

يا عمر وصلِّ بنا قال ونزلَتْ طيور وفيها طير كبير قال فتقدَّمتُ وصلَّيتُ قال فجاء إليه الطير الكبير إلى الشيخ البقال فالتقمهُ حتى صار في حوصلته ثم طار وطارت تلك الطيور خلفه فالتفتُ إلى الوليّ الذي صلَّى معي فقلتُ يا سيدي ما هذا فقال يا عمر أما سمعتَ قول النبي رسول الله ﷺ أرواح الشهداء في حواصل طير خضراء أولئك شهداء الشيوف وأما شهداء المحبة فهم بأرواحهم وأجسادهم وهذا الشيخ منهم، وقد كنتَ يا عمر بلغت هذه المنزلة ثم زللتُ زلة فأنزلت عن هذه المنزلة وأنا أرجو من الله سبحانه الرجوع إليها وفي قبر هذا الشيخ البقال دفن عمر بن الفارض وهو معلوم مزاره نقلت هذه الحكاية بالمعنى.

فَصلٌ

قال عبد الحق رحمه الله تعالى في باب ما يُحذر من سوء الخاتمة أعاذنا الله منها بفضله: "اعلم رحمك الله أن أمر الخاتمة إذا ذكر حقيقة ذكره انفطرت له القلوب وتشققت وانصدعت له الأكباد وتقطعت. ففي الخبر الصحيح عن النبي الله ﷺ أن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتم.

ثم روي من طريق آخر وليس فيه فيما يبدو للناس وصح عنه ﷺ أنه قال: "جف القلم بما أنت لاقٍ وقال عليه السلام رفعت الأقلام وجفت الصحف" ذكر هذه الأحاديث البخاري ومسلم والترمذي وعند أحدهم ما ليس عند الآخر.

وانظر رحمك الله كيف تقر عين عاقل في هذه الدار مع هذه الأهوال وتوقع هذا المآل لكن حجاب الغفلة غطى على القلوب وقد بكا أولو

الألباب على هذا فأكثروا وسهروا من اجله الليالي الطويلة واسهروا ورام عادلوهم كفهم عماهم فيه فلم يقدروا وذلك للعلم الذي لاح لهم والتأبيد الذي شملهم والتوفيق الذي قطع عنهم ما صدَّ غيرهم عن طريق الله عز وجل وشغلهم وربما هيت عليهم لفحات الرجاء فاستبشروا وسكنوا من ذلك الهيمان وفتروا ثم ذكروا ما هم معرضون له فعادوا لما كانوا عليه من الاجتهاد وربما زادوا عليه وأكثروا ومع هذا فإنه لشدة خوفهم وكثرة جزعهم يحسبون كل صحة عليهم ويظنون أن كل إثارة إنما يشار بها إليهم كما يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ سمع قارئاً يقرأ والطور وكتاب مسطور قال هذا قسم حق فلما بلغ القارئ إلى قوله عزوجل: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ إن العذاب قد وقع به فغشي عليه وسمع آخر قارئا يقرأ خذوه فغلوه فظن أنه المأخوذ فغشي عليه ومر آخر على رجل يبيع الخيار وهو يقول الخيار عشرة بدانق فغشي عليه فلما أفاق فقيل له في ذلك فقال إذا كان الخيار عشرة بدانق فما قيمتي وقيمة أمثالي فانظر إلى هذا وشده خوفه وسوء ظنه بنفسه والأخبار في هذا الباب كثيرة فلتسلُك رحمك الله منهاج هؤلاء العقلاء ولنمشِ على آثار هؤلاء الفضلاء والتزين بزينة هؤلاء الحكماء وارم حسرتك وأطل زفرتك وامزج بدم دمع الفؤاد عبرتك وابكِ ثم ابكِ البكاء بالبكاء والأسى بالأسى حتى تنكشف لك هذه الغاية.

وبكى سفيان الثوري رحمه الله ليلة إلى الصباح فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب فأخذ تبنة من الأرض وقال الذنوب أهون من هذا إنما أبكي فوق الخاتمة، وبكى غير سفيان للأمر الذي يُبكي عليه ويصرف الاهتمام كله إليه.

وقد قيل: "لا تكف دمعك حتى تراى في المعاد رفعك وقيل لا

يخصب لك جناب ولا تأنس بكعاب حتى ترى ما خط لك في أم الكتاب وتسبين العاقبة والمآب وقيل يا ابن آدم الأقلام عليك تجري وأنت في غفلة لا تدري. يا ابن آدم دع التنافس في هذه الدار حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار".

وسمع بعض الصالحين منشدا ينشد: أيا راهبي نجران ما فعلت هند فبكى ليلة إلى الصباح فسئل عن ذلك فقال: قلت في نفسي ما فعلت الأقدار بي وماذا جرت به عليّ وقد علمت رحمك الله أن الناس صنفان صنف مقرب مُصان وآخر مبعد مُهان، صنف نصبت لهم الأسرة[1] والحجال والأرائك والكلال وجمعت لهم الرغائب والآمال وآخرون أُعدَّتْ لهم الأراقم والضلال والمقامع والأغلال وضروب الأهوال والأنكال وأنت لا تعلم من أيُّهما أنت ولا في أي الفريقين كتبت.

نزلوا بمكة في قبائل نوافل
ونزلت بالبيداء أبعد منزل
وتقبلوا خرجتي تحت ظلالها
وطرحت في الصحراء غير مضلل
وسقوا من الصافي المعتق ريهم
وسقيت دمعة والدم تململ

[كامل]

قال أبو القاسم القشري رحمه الله تعالى: "كان أبو علي الدقاق رحمه

---

(1) جمع سرير.

الله كثيرا ما ينشد":

ما حييتي تفعل الأقدار ما أمرت

والناس ما بين ذي غنى وذي شد

[بسيط]

فتعوذ بالله العظيم من درك الشقاء وجهد البلاء وشماتة الأعداء برحمته اللّهم يا مقلب القلوب [ثبت] [1] قلوبنا على دينك.

قال عبد الحق رحمه الله تعالى: "اعلم رحمك الله أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسباب ولها طرق وأبوابا أعظمها الاكباب عن الدنيا والإعراض عن الآخرة والإقدام بالمعصية على الله سبحانه."

واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله وإنما تكون لمن كان له فساد في العقد وإسرار على الكبائر وإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل عليه الموت قبل التوبة، ويثبت عليه قبل الإنابة ويأخذه إصلاح الطوية فيصطلحه الشيطان عند تلك الصدمة ويتخطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو تكون لمن كان مستقيما أو يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ غير طريقه فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته والعياذ بالله والعياذ بالله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا

(1) كلمة ساقطة من النص وقد أضفتها ليكتمل المعنى.

بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1]

قلت: "ومن هذا المعنى ما قاله الجوزي في المورد العذب: "قال قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى كان لي أخ في الله يزورني وكان كثير الصلاة والبكاء، فغاب عني فأخبرت بمرضه فسألت عن منزله فدللتُ عليه فنقرتُ بابه فخرجت بنية له فأدخلتني عليه فوجدته مضطجعا في وسط الدار قد اسودَّ وجهه وازرقت عيناه ففزعتُ منه فقلت له: "يا أخي قل لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلي شزرا ثم غشي عليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم قال لي يا أخي هذه كلمة حق قد حيل بيني وبينها، قال منصور فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قلت: يا أخي فأين الصلاة وأين البكاء وأين الصيام فقال يا أخي ما كان شيء من ذلك لله تعالى وإنما كان للناس، فإذا خلوت بنفسي أرخيتُ الستور وشربتُ الخمور وكنت على ذلك مدة فأصابني مرض فأشرفت منه على الهلاك فتناولت المصحف فقرأت فيه حتى بلغتُ سورة يس ثم قلت اللّهم بحرمة القرآن العظيم ألا ما شفيتني وأنا لا أعودُ إلى ذنب أبداً قال ففرج الله تعالى عني فرجعتُ إلى ما كنت فيه من الذنب وارتكبتُ المعاصي ونسيتُ العهد الذي كنتُ عاهدت

---

(1) سورة الرعد: 13، الآية: وتمامها قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾

الله تعالى في مرضة أخرى وأشرفتُ على الموت فقرأتُ في المصحف أيضاً ودعوتُ الله ففرج عني قال فعدتُ إلى حالتي السيئة فوقعتُ في هذه المرضة فدعوت بالمصحف لأقرأ فيه وأدعو فلم أميِّز فيه حرفا واحداً، قال فدعوتُ الله تعالى أن يفرج عني فسمعتُ قائلاً يقول وينشد:

تتوب من الذنوب إذا مرضت
وترجع إلى الذنوب إذا برئت
أما للضر مسك أنت باكي
وأخبث ما تكون إذا قويت
ألا يا راكب العصيان مهلاً
كأنك بالمنايا قد رميت
كأنك فوق نعش الموت ملقا
صريع لا تجيب إذا دُعيت
وكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلايا إذا بُليتَ

قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى: "فوالله ما خرجتُ من عنده إلا وقد قام الصباح وهم يقولون مات فلان نعوذ بالله من سوء الخاتمة القضاء فعليك أيها الأخ بتقوى الله تعالى في السر والعلانية وحسن النية وإخلاص العمل وإن قل وأكثر من التضرع إلى الله سبحانه وتعالى في سائر أوقاتك فإنه سبحانه بفضله وعميم إحسانه لا يُضيع أمل من رجاه ولا يكله لأحد سواه، وعليك بتلاوة كتابه وتدبره والعمل بسنة نبيه ﷺ والدوام على ذلك، واعتصم بالله سبحانه فإنه لا يخذلك وتوكل عليه سبحانه في أمورك فإنه لا

يخيب ظنك ورجاءك".

فائدة

روى أبو عبد الله في كتابه المستدرك على الصحيح أن سعد بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "في قوله تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برئ برئ وقد غفر الله له جميع ذنوبه".

بَابُ تَلقِينِ المَيِّت بَعدَ الدَفنِ والدُعَاءِ لَهُ

قال أبو محمد عبد الحق في العاقبة: يروي عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: " إذا مات أحدكم فسويتم التراب عليه فليقُم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان وابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبينا وبالقرآن إماما فإن منكر ونكير يتأخر كل واحد منهما يقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجهما دونه فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال ينسبه إلى أمه حواء.

قلت: وذكر الغزالي في الأحياء قال القرطبي في التذكرة :وهو حديث غريب أخرجه الثقفي في الأربعين له.

قال القرطبي: "أنبأنا الشيخ المسن الرواية محمد عبد الوهاب عُرفَ بابن رواح بمسجده بثغر الاسكندرية والشيخ الفقيه الإمام أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي بمنية ببني خصيب قال جميعا إن الشيخ الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد الثقفي بأصبهان".

قال حدثنا أبو علي الحسين بن عبد الرحمان بن محمد بن عيد أن التاجر بنيسابور قال: "حدثنا أبو العباس بن محمد بن يعقوب الأصم قال: حدثنا أبو الدرداء هاشم بن يعلا الأنصاري قال: حدثنا عتبة بن السكر الغزاري عن أبي زكريا عن حماد بن يزيد عن سعيد الأزدي، قال: دخلت على أبي أمامة الباهلي وهو في النزع فقال لي يا أبا سعيد إذا أنا مُتُّ

فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا فقال إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان ابن فلان فإنه يسمعه فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه سيقول أرشدني رحمك الله فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فإن منكر ونكير عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول ما نصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله حجيجهما دونه حديث أبي أمامة في النزع غريب من حديث حماد بن زيد ما كتبناه إلا من حديث سعيد الأزدي.

قال عبد الحق: "وقال شيبة ابن أبي شيبة أوصتني أمي عند موتها فقالت لي يابني إذا دفنتني فقم عند قبري وقل يا أم شيبة قولي: لا إله إلا الله ثم قال فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت يا أم شيبة قولي لا إله إلا الله ثم انصرفت فلما كان من الليل رأيتها في المنام فقالت لي يا بني كدتُ أن أهلك لولا أن تداركتني لا اله إلا الله فلقد حفظت وصيتي يا بني".

وروى عن بعض الصالحين أنه قال: "مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت له يا أخي ما كان حالك حين وُضعتَ في قبرك قال أتاني آتٍ بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لهلكت قال القرطبي".

بَابُ الوُقُوفِ عندَ القَبرِ قَليلاً بعدَ الدَّفنِ والدُعَاءِ بالتَّثبتِ لَهُ

روى مسلم من حديث عبد الله بن شماسة المهري قال: "حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت الحديث وفيه فإذا دفنتموني فشنوا التراب عليَّ شناً ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي، قال عبد الحق في قوله: حتى أستأنس بكم يريد يستأنس بدعائهم وبذكرهم لله عز وجل عنده".

وروى أبو داوود عن عثمان بن عفان ﷺ قال كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم وسئلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل.

قلت: "ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد وخرج أبو عبد الله الترمذي والحكيم في نوادر الأصول له عن عثمان بن عفان ﷺ قال كان رسول الله ﷺ : "إذا دفن ميتا وقف وسأل له التثبيت وكان يقول ما يتقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفضع منه"، وخرجه أبو نعيم الحافظ في باب عطاء بن ميسرة الخراساني عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ وقف على قبر رجل من أصحابه حين فرغ منه فقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون اللّهم إنه قد نزل بك وأنت خير منزل به اللّهم جاء في الأرض عن خيبة فافتح أبواب السماءبروحه واقبله منك بقبول حسن وثبت عند المسألة منطقه" غريب من حديث عطاء.

قلت: "وذكره صاحب سلاح المؤمن وقال رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وفيه: اللّهم جاء في الأرض عن خيبه" الحديث.

قال القرطبي قال الأجري أبو بكر محمد بن الحسين في كتاب النصيحة له: "تستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبلا

وجهه بالثبات فيقال: اللّهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه إلا خيرا وقد أجلسته لتسأله اللّهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما تثبته في الحياة الدنيا اللّهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ولا تضلناه بعده ولا تحرمنا أجره.

وقال الترمذي الحكيم: "الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه مردٌ للميت بعد الصلاة لان الصلاة بجماعة المسلمين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مرد للعسكر وتلك ساعة شغل الميت لانه يستقبله هو المطلع وسؤال فتنة فتاني القبر".

بَابُ مَاينجي مِنْ ضَغطَة القَبروفتنَته

قال القرطبي: "روى من حديث أبي العلا يزيد بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: "من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وآمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة" ، قال هذا حديث حسن غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي[1].

وروى مسلم عن سلمان ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإنْ مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان فالرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت".

وفي الترمذي عن فضالة بن عبيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى القيامة ويأمن فتنة القبر، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ورواه أبو داوود سمعناه قال ويؤمن من فتاني القبر ورواه النسائي.

عن رشد بن سعيد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: "يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة"، وقد روى ابن ماجة والترمذي وغيرهما في حديث طويل أن الشهيد يُجارُ من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر".

وفي الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "أن تبارك الذي بيده الملك هي المانعة وهي المنجية من عذاب القبر".

---

(1) كلمة مبهمة.

وروي الترمذي أيضا عنه ﷺ: "أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها يعني قارئها" وروى أنها المجادلة تجادل عن صاحبها يعني قارئها في القبر"، وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان.

وروى عن ابن عباس أنه قال الرجل: "ألا أتحفك بحديث تفرح به فقال: الرجل بلى يا ابن عباس رحمك الله قال: اقرأ تبارك الذي بيده الملك، أحفظها وعلمها أهلك وجميع أولادك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن تنجيه من عذاب النار وينجي الله بها أصحابها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ: "لو وددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي" ، وقد أسند القرطبي هذا الحديث من طريقين.

قلت: وقد أطنب الغافقي في جمع الأحاديث في تبارك الذي بيده الملك وأنها المانعة والمنجية من عذاب القبر فنقل عن النسائي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله من عذاب القبر وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة وأنها في كتاب الله عز وجل سورة من قرأها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب"، ثم سرد الغافقي أحاديث عن جابر وابن هريرة والمطلب بن عبد الله بمعنى ما تقدم، وروى عنه ﷺ: "من يقتله بطنه لم يعذب في قبره يعني المبطونون".

وروي الترمذي عنه ﷺ: "ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر". قال القرطبي: "ولا معارضة بين هذه الأحاديث وبين ما تقدم بل هي مخصصة ومبنية لمن لا يسأل في قبره ولا يفتن فيه ممن يجري عليه السؤال ويقاسي تلك الأهوال، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه وإنما فيه التسليم والانقياد للصادق والمرسل إلى العباد ﷺ وعلى إله إلى يوم الدين.

بَابٌ جَامعٌ لِمَا جَاء في قراءَة القُرآن على القُبورِ ورحمَةُ الله تعالى بعبده

قال عطاء الخراساني: "ارحم ما يكون الله سبحانه بعبده إذا أدخل قبره وتفرق الناس عنه وأهله" وروى عن ابن عباس ﷺ مرفوعا، وقال أبو غالب: "كنت اختلف الى أبي أمامة ﷺ بالشام فدخلتُ يوماً على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عمٌّ له، وهو يقول له: يا عدو الله ألم أمُرْكَ ألم أنهاك فقال الفتى: يا عمَّاه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي كيف كانت صانعة قال تدخلك الجنة قال الله ارحم بي من والدتي وقبض الفتى وأدخلته القبر مع عمه فلما أن نسواه صاح وفزع قلت مالك قال فسح له في قبره وملئ نوراً" .

فَصلٌ

روى النسائي وأبو داوود وابن ماجة والحاكم في المستدرك واللفظ للنسائي عن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له اقرؤوها على موتاكم".

قال عبد الحق: "قوله عند موتاكم يحتمل أنه يريد عن الموت في حالة موته ويحتمل أن يريد عند قبره" ، ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه: "أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة وقد رُوي إباحة قراءة القرآن الكريم عند القبر".

عن العلا بن عبد الرحمان وروى أيضا أن أحمد بن حنبل رجع إلى هذا بعد ما كان يكره وعن أحمد بن حنبل أنه قال: "إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم". قال القرطبي: "وقد خرج السلفي من حديث على

أبن أبي طالب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من مرَّ على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أُعطيَ من الأجر بعده الأموات".

بَابٌ جَامعٌ فِي زِيارَةِ القُبورِ والسَّلامِ عَليهَا

قال عبد الحق: "ذكر أبو داوود من حديث بريرة بن حصيب قال قال رسول الله ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة"، وفي صحيح مسلم من رواية أبي هريرة: "فزوروا القبور فإنها تذكر الموت"، وروى أبو عمر بن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "ما من رجل مرَّ بقبر أخيه المؤمن المسلم كان يعرفه فسلَّمَ عليه إلا عرفه ورد عليه السلام" .

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ: "ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم قلت: ورأيت حكاية لبعضهم أنه قال: "مات أخ لي فرأيته في المنام بعد موته بسنين أليس قدمت قال بلى فقلت ما فعل الله بك وأين أنت فقال لي: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله فنتلقى أخباركم فقلت: بأجسامكم أم بأرواحكم فقال: هيهات والله هيهات بليت والله الأجسام وإنما تتلقى الأرواح فقلت له: أو تعرفون زيارتنا إياكم؟ قال: نعم عشية يوم الخميس ويوم الجمعة كله وليلة السبت إلى طلوع الشمس فقلت: ولِمَ ذلك فقال الفضل يوم الجمعة ويصحح هذا المعنى ما ذكر القرطبي في تذكرته قال: "وقد قيل أن الأرواح تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحسن زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة وبكرة السبت فيما ذكره العلماء انتهى كلام القرطبي.

قال ابن رشد في البيان والتحصيل: "وقد جاء في الروح أنها في أفشية القبور وأنها تطلع رموسها وأن أكثر اطلاعها يوم الخميس وليلة الجمعة ويومها وليلة السبت".

قلت: فينبغي زيارتها في هذه الأيام الثلاث عشية الخميس وليلة الجمعة ويومها وليلة السبت إلى طلوع الشمس.

قلت: "فهذه الأوقات تتعين للزيارة لهذه النصوص وروى أبو داوود عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: "خرج إلى المقبرة فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون".

وروى مسلم والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كلما كانت ليلتها من رسول الله ﷺ كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون وغداً مؤجلين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون، اللّهم اغفر لأهل بقيع الغرقد.

قال عبد الحق: "إعلم أن الميت كالحي فيما يعطاه ويُهدى إليه بل الميت أكثر وأكثر لأن الحي قد يستقبل ما يُهدى إليه ويستحقر ما يتحف به والميت لا يستحقر شيئا من ذلك ولو كان مثقال جناح بعوضة ووزن مثقال ذرة لأنه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه".

وقد قال عليه السلام: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له. فهذا دعاء الولد يصل إلى والده وينتفع به وكذلك أمره عليه السلام بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم وما ذاك لكون الدعاء لهم والسلام عليهم يصل إليهم ويأتيهم والله اعلم.

ويروى عنه عليه السلام أنه قال: "الميت في قبره كالغريق ينتظر صدقة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديقه فإذا ألحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها.

قال عبد الحق: "واعلم أن قبور الصالحين لا تخلو من بركة وإن زائها والمسلم عليها والقارئ عندها والداعي لمن فيها لا ينقلب إلا بخير ولا

يرجع إلا بأجر وقد يوجد لذلك إمارة وتبدو لهم منها بشارة". حدثني أبو الوليد إسماعيل بن احمد عُرفَ بابن أفرند وكان هو وأبوه صالحين معروفين، قال لي أبو الوليد رحمة الله عليه:" حدثني بعض إخواني ممن يوثق بحديثه قال لي: زرت قبر أبيك فقرأتُ عليه حزبا من القران، ثم قلت له: يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا إليَّ فهبّت علي نفحة مسك غشيتني وأقامت معي ساعة ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيتُ نصف الطريق.

وحدثني عبد الله البكري ويعرف بالمغاور، وكان من الصالحين مشهور بالصدق والخير قال: "زرت قبر الزبير بن العوام ﷺ بأرض البصرة قال: فبينما أنا عند قبره إذ صب علي ماء ورد من الجوء فبلني حتى بلَّ مرقعتي رأيت ذلك وأنا حاضر الذهن مفتوح العين وذكر ابن إسحاق.

وقال حدثني ابن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال على قبره نور".

قلت: "وحدثني الشيخ الصدوق أبو العباس أحمد الفلالي رحمه الله تعالى قد شاهد في بعض الليالي قنديلا معلقا في السماء على قبر الشيخ الخير أبي الحسن على والد الفقيه الفاضل القاضي أبي محمد عبد الحق الجزائري في خارج باب عزور وكان الفلالي بايت عند فرن له هناك وشاهدت أنا بالمسير على قبر مجهول عندي كهيئة القمر نورا ثم انفَصل على القبر وبقي أثره في القبر ونادى حاله إلى أن ذهب أكثر الليالي" قال عبد الحق.

بَابُ ذكر مَنامات رُؤيت لبعض الصَّالحينَ تَدُلُ عَلى ما هُم فيه من الخَير

وقد قال عليه السلام: "إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، فشق ذلك على الناس فقال: ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله المبشرات قال رؤيا المسلمين وهي جزء من أجزاء النبوة وقد فسر قوله تبارك وتعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، إنها الرؤيا الصالحة ذكر الحديثين الترمذي قال قال :صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت له: يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال: أنا والله لقد أعقبني ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت: في أي الدرجات أنت فقال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية إلى الصالحين.

ولما مات سفيان الثوري رحمه الله تعالى: "رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك؟، قال: وضعت أول قدم على الصراط والثاني في الجنة".

وقال صخر بن رشد: "رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت له أليس قد مت؟ قال: بلى قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطة بكل ذنب قلت سفيان الثوري قال: ذلك مع الذين أنعم الله عليه الآية إلى رفيقا. وعن قبيصة بن سفيان قال:"رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال:

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي

هنيئا رضائي يا ابن سعيد

لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا

بعبرة محزون وقلب عميد

فـدونك فـاختر أي قصـر تريـده

وزرنـي فـإني منـك غيـر بعيـد

[طويل]

وعـن أبي عيينة قـال: "رأيت سفيان الثوري وقد مات كأنه يطير من شـجرة إلـى نخلـة ومـن نخلـة إلـى شـجرة وهـو يقـول لمثـل هـذا فليعمـل العاملون، قيل: له بم أدخلت الجنة بالروع والوراع؟ قيل له: فما فعل علي بن عاصم؟ قال: ما نراه إلا مثل الكوكب.

وكان شعبة بن الحجاج ومسعد بن كدام رجلين فاضلين وكانا من تقاة المحدثين وحفاظهم فماتا قال أبو أحمد اليزيدي:" فرأيتهما في النوم وكنت إلى شعبة أميل مني إلى مسعر فقلت له: "يا أبا بصطام ما فعل الله بك؟ فقال لي: وفقك الله يا بني احفظ ما أقول ثم أنشد يقول:

حيـاتي إلا هـي فـي الجنـان بقبـة

لها ألف باب من مجين وجوهرا

وقـال لـي الجبـار يـا شـعبة الـذي

يتحـر فـي جمـع العلـوم وأكثـرا

تمتـع بقربـي إننـي عنـك ذو رضـا

وعن عبدي القوام في الليل مسعرا

كفى مسعرا عنا بأن سيزورني

واكشـف عـن وجهـي ويـدنوا

وهذا فعالي بالذين تنسكوا

ولم يألفوا في سالف الدهر منكرا

[طويل]

ويروى عن عبدة العابدة رحمها الله: "أنها رأت رابعة العدوية بعد موتها على حالة حسنة يطول ذكرها قالت فقلت لها: لما تأمرني أن أتقرب إلى الله عز وجل فقالت: عليك بذكر الله عزوجل فيؤتك أن تغبطي بذلك في قبرك".

وكان من دعاء بعض الصالحين: "اللّهم يا سيدي حبست من شئت عن خدمتك وأطلقت لها من أحببت من خلقك غير ظالم ولا مسؤول عن فعلك ، وقد تقدمت لي فيك آمال فلا تجمع علي المنع من الطاعة مع خيبة الأمل فيك يا كريم" وكان هذا خاتمة دعاء به فلما مات رئي في المنام في الجنة وقيل له: بم نلت هذا؟ قال: بذلك التضرع والاستكانة بالأسحار قال: ورئي عليه حلة قال الراوي ما رأيت لها شبيها وعليها مكتوب بالذهب أنعم فقد نلت الأمل فقلت له ما هذا الكتب على ثيابك قال: "هذا تضرعي وأملي الذي كنت أمله من سيدي".

وقال بعض الصالحين: "رأيت أبا بكر الشبلي في النوم وعليه ثياب حسان فسلمت عليه وقلت له: يا سيدي من أقرب أصحابك إليك فقال: مسرعا ألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله ، وأسرعهم مبادرة في مرضات الله".

وقال أبو عبد الرحمان الساحلي: "رأيت ميسرة بن مسلم في المنام بعد موته فقلت: أصلحك الله طالت غيبتك فقال: السفر طويل، قلت: فما الذي قدمت عليه؟ فقال: رخص لنا لأن كنا نفتني بالرخص قلت: بما تأمرني فقال: إتباع الآثار وصحبة الأخيار ينجيان من النار ويقربان إلى الجبار.

ويروى عن أبي جعفر الضرير قال: "رأيت عيسى بن زادان في النوم بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ فأنشأ يقول:

لو رأيت الحسان في الخلد حولي

وأكـــواب معهـــم للشـــراب

يتـرنمن بـالقرآن جميـــــــعا

يتمشـــين مســـبلات الثيـــاب

وذكر بعض أصحاب الحسن بن هاني: "أنه رآه بعد موته في النوم فقال: له ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال: بأربعة آيات قلتها في طيِّ الفراش فمشى الرجل إلى دار الحسن فالتمسها في الفراش فوجدها:

يـا رب إن عظمـت ذنـوبي كثـرة

فلقـد علمـت بـأن عفـوك أعظـــم

أدعـوك رب كمـا أمـرت تضـرعا

فإذا رددت يـدي فمـن ذا يرحـــم

إن كـان لا يرجـو لـه إلا محسـن

فمـــن ذا الـــذي يرجـــو المســـيء

مـا لـي إليـك وسـيلة إلا الرجـاء

وجميـل ظنـي أنـي مســـــــلم

وذكر الصامغاني في حلية الأنوار: "قال لعلي ابن ابي طالب ﷺ صديق يقال له حبيب وكان له محبا فدارت عليه دوائر الهلكة فمات فذكره علينا يوما فزار قبره فوقف على القبر فقال: يا حبيب في ظلمة القبر كيف

اهتديت وفي ضيق اللحد كيف التويت وحين زال الناس عن موضعك كيف استويت وحين انكشف البدن الناعم كيف تغطيت وحين أجلسك الملكان يسألانك عن من توليت ليت شعري أقمت بحجتك أم تلكيت فلما لم يسمع لكلامه جوابا بكى شديدا وأنشد يقول:

ما لي مررت على القبور مُسَلِّمًا

على قبر الحبيب فلم يرد جواب

يا حبيب ما لك لا تجيب مناديا

أحللت بعدي خلة الأحباب

قال فهتف به هاتف من القبر يسمع الصوت ولا يرى الشخص وهو يقول:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم

وأنا رهين جنادل وتراب

أفل التراب محاسني فنسيتكم

وتقطعت من بعدكم أسباب

فعليكم مني سلام تقطعت

مني وشكر خلة الأحباب

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء:" قال مالك بن دينار مررت بمقبرة فأنشأت أقول:

أتيتُ القبور فناديتُها

وأين المعظم والمحتقر

وأيـــن المـــذل بســـلطانه

وأيـــن العزيـــز إذا مـــا أمـــر

قال فنُوديتُ من بعدهم أسمع صوتا أرى شخصا وهو يقول:

تفـــانوا جميعـــا فـــلا مخبـــر

ومـــاتوا جميعـــا ومـــات الخبـــر

فيـــا ســـألي عـــن أنـــاس مضـــواْ

أمالـــك فـــي تـــرى معتبـــر

نـــروح وتغـــدواْ أنيـــات الثـــرى

وتمحـــو محاســـن لكـــن الصـــور

قال: فرجعت وأنا باكٍ قلت: وقد ذكر صاحب سبل الخيرات هذه الحكاية هكذا قال الغزالي: "عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها لأنهم قد عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور وعرفوا قدر العمر بعد انقطاعه".

"فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختبار إن لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار".

ثم ذكر حديثا عن النبي ﷺ من طريق أبي ذر ﷺ قال الغزالي رحمه الله: "وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش بوجه إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخر

لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح لا تيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن العدو وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد وإذا عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة، فالموت له سعادة والحياة لها مزيد خير فليكن الموت على بالك يا مسكين فالسير حادث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة فلا يكون اهتمامك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه، ثم قال الغزالي بعد كلام: "فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج في ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكر في خطر تلك الأحوال وما الذي ينكشف له عن الغطا من شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان ذاك كافيا لاستغراق جميع العمر. والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا، ثم تكلم على المنامات الكاشفة عن أحوال الموتى فقال قال يزيد بن مدعور: "رأيت الأوزاعي في المنام فقلتُ له: يا أبا عمر دُلَّني على عمل أتقرب به إلى الله عز وجل ، فقال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى إظلمت عيناه وأنه والله لخليق بالمرء أن يكثر من بكائه حتى ينكشف ما يؤول أمره إليه بعد وفاته:

إن الناس في الدنيا مُعافًا ومبتلا

وما زال حكم الله فيها مرشدا

مضى في جميع الناس سابق عمله

وفضله من حيث تشاء تفضلا

وما خلق الانسان إلا لغاية

ولم يترك الإنسان في الأرض

كفـى عبـرة أنـي وأنـك يـا أخـي

نصــرف تصــريفا لطيفــا وتــنقلا

كأنــا وقــد صــرنا حــديثا لغيرنــا

نخاض كما خضنا الحديث بمن

ومـا النـاس إلا ميـت وابـن ميـت

تأجــل حــي مــنهم وتعجــلا

هو الموت يا بن الموت والبعث

فمـن بـين مبعـوث مجـف ومـثقلا

ومن بين مسحوب على حر وجهه

ومـن بـين مـن يـأتي أغـرا محجـلا

ركنــا إلــى الــدنيا فطــال ركوننــا

ولسنا نرى الدنيا على ذلك منزلا

فتبــا لِــدار مــا أحــث رحيلهــا

ومـا أعـرض الآمـال فيهـا وأطـولا

أيـا صـاحب الـدنيا وثقـت بمنـزل

تـرى المـوت فيـه بالعبـاد تـوكلا

وقال أبو بكر الكتاني: "رأيتُ في النوم شابا لم أرَ أحسن منه فقلتُ: من أنت؟ قال: التقوى قلتُ: فأين تسكن؟ قال: في كل قلب حزين، ثم التفتُ فإذا امرأةً سوداء كالوحش ما يكون فقلت: من أنت؟ فقالتْ: السُّقم، قلتُ: فأين تسكُنين؟ قالت: في كل قلبٍ فرح مرح، قال: فأنتبهتُ وعقدتُ ألاّ

أضحك إلا غلبة".

وقال أبو بكر بن أبي مريم: "رأيتُ ورقا بن أبي بشير الحضرمي فقلتُ: ما فعلت يا ورقا؟ فقال: نجوتُ بعد كل جهد قلت: فأيُّ الأعمال وجدتموها أفضل؟ قال: البكاء من خشية الله عز وجل".

قال عبد الحق في العاقبة: "ورئي حماد بن سلمة في النوم فقيل: له ما فعل الله بك؟ فقال لي: طال ما كدرت نفسك في الدنيا فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين".

بَابٌ جَامعٌ في فرَحِ المَوتَى بالصَّدقة وعَرضِ المَيِّت على مَقعدِه وأيْنَ تَكونُ الأرْوَاحُ

قال القرطبي: "روى ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إن ما يلحق من عمله وحسناته بعد موته علما علَّمهُ ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه و مسجدا بناهُ أو بيتاً لابن السبيل بناهُ أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موتهِ".

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال:" حدثنا أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إنك لتصدق عن ميتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فيُنادي يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا لك هذه الهدية فاقبلها قال فيُدخلها إليها في قبره ويفسح له في مداخله وينوِّر له فيه فيقول جزا الله عني أهلي خير الجزا قال فيقول: لزيق ذلك القبر إنا لم أخلق لي ولدا ولا أحد يذكرني بشيء فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة".

وقال بشار بن غالب: "رأيتُ ربيعة العدوية[1] في المنام وكنتُ كثير الدعاء لها فقالت لي. يا بشار هديتك تأتيني في أطباق من نور عليها مناديل الحرير وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لإخوانهم الموتى

---

[1] هي: رابعة العدوية وتكنى بأم الخير، عابدة ومتصوفة تاريخية وأحد الشخصيات المشهورة في عالم التصوف الإسلامي وتعتبر مؤسسة أحد مذاهب التصوف الإسلامي وهو مذهب العشق الألهي هي رابعة بنت إسماعيل العدوي، ولدت في مدينة البصرة ويرجح مولدها حوالي عام (100 هـ -718م)

فاستجيب لهم يُقال هذه هدية فلان إليك.

وقال إسماعيل بن رافع: "ما من ذي رحم أوصل الذي رحمه من رجل اتبع دا رحم يحج أو عتق أو صدقة".

فَصلٌ

روى البخاري ومسلم عن أبي عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ: "قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدوة والعشيِ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يُقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة"، ويروى عرض على مقعده.

قال القرطبي: "قيل هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من الجسد ويجوز أن يكون مع جميع الجسد فترد الروح كما ترد عند المساءلة وجاء في التنزيل في حق الكافرين: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، فأخبر الله تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنة.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: "أن أرواح ءال فرعون في أجواف طير سود تغدواْ على النار كل يوم مرتين يُقال لهم هذه داركم عافانا الله من عذابه بفضله وإحسانه".

وفي صحيح مسلم عن مسروق قال: "سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيـــة: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[2]

---

(1) سورة غافر: الآية46، وتمامها قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

(2) سورة آل عمران:3 ، الآية169.

فقال: "أما أنا فقد سألنا عن ذلك يعني النبي ﷺ أرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث تشاء ثم تأوي إلى تلك القناديل الحديث.

قال القرطبي: "وقد قال بعض العلماء أن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى وإنما قيل لها جنة المأوى لأنها تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فينعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها وهي في الجنة تسرح وتأوي إلى قناديل من نور تحت العرش".

وقد روى ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "أرواح المؤمنين في صور طير كالزرازير يتعارفون في الجنة".

وروى بن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب: "أن منصور بن أبي منصور حدثه قال: سألت عبد الله بن عمر فقلتُ: أخبرني عن أرواح المسلمين أين هي حين يُتوفون؟ قال: ما تقولون أنتم يا أهل العراق؟ قلتُ: لا أدري قال: فإنها في صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة" وذكر الحديث وحديث مالك: "إنما نسمة المؤمن طائر يلعق من ثمر الجنة ومعنى يلعق يأكل ومنه قولهم ما ذقت علاقا أي مأكلاً".

قال أبو الحسن القابسي: "وأنكر العلماء القول بأنها في حواصل طير لأنها رواية غير صحيحة لأنها إذا كانت كذلك فهي مسحورة مضيف عليها قال القرطبي و غيره الرواية صحيحة في صحيح مسلم فَيُحتمل أن تكون الفاء بمعنى على أي أرواحهم على جوف طير أخضر، قلت: ولا يحتاج إلى هذا وإنما الأحسن ما ذكره شيخنا أبو عبد الله الابيي أن جوف الطير يكون بها كالقبة والخفا شفافاً فالروح تصدق هذا الطير بحسب ما تشتهي فهو لها مركوب يطير بها حيث شاءت كما لو كان الشخص في قبة تطير به حيث أحب وأمور الآخرة لا تُقاس على أمور الدنيا".

وذكر شبيب بن إبراهيم في كتاب الإفصاح: "أن المنعم على جهات مختلفات منها ما هو طائر يعلق من شجر الجنة ومنها ما هو في حواصل طير خضر ومنها ما يأوي في قناديل تحت العرش ومنها ما هو في حواصل طير بيض ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير ومنها ما هو في أشخاص صور من صور الجنة ومنها ما هو في صورتخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما يُسرح ويتردد إلى جثتها تزورها ومنهاما يتلق أرواح المقبوضين ومنها ما هو في كفالة ميكائيل ومنها ما هو في كفالة آدم ومنها ما هو في كفالة إبراهيم عليه السلام"، قال القرطبي: "وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبار حتى لا تتدافع والله أعلم".

قلت: ونحو هذا لابن عطية ولفظه روى عن النبي ﷺ: "أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تلعق من ثمر الجنة"، وروى: "أنهم في قبة خضرا"، وروى: "أنهم في قناديل من ذهب"، إلى كثير من هذا ولا محالة أنها أحوال الطوائف وللجميع في أوقات متغايرة انتهى كلام ابن عطية وهو حسن في غاية الوضوح.

بَابُ كَمِ الشُهدَاءِ

وخرج الأجري وغيره عن أبي مالك الأشجعي ﷺ قال: "قال رسول الله ﷺ: "من فصل في سبيل الله فمات أو قُتِل فهو شهيد أو وقصته فرسه أو بعيره أو ولدغته هامة أو مات على فراشه بأي صنف شاء الله أنه شهيد وإن له الجنة"، وأخرجه أبو بكر ابن أبي شبيبة بمعناه عن عبد الله بن عتيك ﷺ عن النبي ﷺ.

وروى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل"، وقال حديث حسن صحيح.

وروي الترمذي والنسائي عن جابر ﷺ قال: "قال رسول الله ﷺ: "الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله المطعون والمبطون والغرق والحرق وصاحب ذات الجنب والذي يموت تحت الهدم والمرأة تموت بجمع قيل هي التي تموت من الولادة وقيل هي التي تموت بكراً لم يمسها الرجال وقيل التي لم تحض وفي جمع لغتان ضم الجيم وكسرها وذات الجنب هي الشوحة".

وروى أبو داوود والترمذي والنسائي عن سعيد بن زيد قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد"،قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وروى النسائي من حديث سُويد بن مقرن قال: "قال رسول الله ﷺ: "من قتل دون مظلمة فهو شهيد".

وروى ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله

ﷺ: "موت غربة شهادة" وأخرجه الدارقطني ولفظ موت الغريب شهادة رواه أيضا من حديث بن عمر رضي الله عنهما وصححه وأخرجه أبو بكر الخرائطي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من مات غريبا مات شهيدا"، و خرجه ايضا من حديث ابي هريرة ﷺ قال: "قال رسول الله ﷺ: "من مات غريب مات شهيدا".

قال القشيري في التذكرة: "حكى عن بعضهم أنه قال: مات فقير فكنت أغسله فرأيت على عنقه بين الجلد واللحم طوبى لك يا غريب".

وروى الترمدي عن معقل بن يسار قال: "قال رسول الله ﷺ: "من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله له به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسي وإن مات يومه مات شهيدا أو من قالها حين يُمسي كان تبلك المنزلة"، قال حديث حسن غريب.

وذكر الثعلبي عن يزيد الرقاشي عن انس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من قرأ آخر سورة الحشر إلى آخرها لو أنزلنا هذا القرآن على جبل فمات من ليلته مات شهيدا".

وخرج الأجرش عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يا أنس إن استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فإن ملك الموت إن قبض روح العبد وهو على وضوء كُتب له شهادة".

وروي الشعبي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: "من صلى الفجر وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد"، أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وروى من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على حاله مات شهيدا"، وبعضهم يقول:

ليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم.

وروى مسلم وغيره من حديث أنس بن مالك قال: "قال رسول الله ﷺ: "من طلب الشهادة صادقا أُعطيها ولو لم تصبه".

وعن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: "من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه".

وخرج الترمذي الحكيم من حديث بن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله ﷺ: "ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله يأبى لهم الذبح وإن لله خلقا من خلقه يأبى لهم الذبح أقوام يجعل موتهم على فرشهم ويقسم أجور الشهداء".

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ: "إن فناء أمتى بالطعن والطاعون قالت أما الطعن فقد عرفناه فما الطاعون فقال غرة كفرة البعير تخرج في المراق والآباط من مات منها مات شهيدا"، أخرجه أبو عمر في التمهيد والاستذكار.

بَابٌ فِي ذِكرِ حَديثِ الرؤيا المشتَمل على أرواحِ المُعذَّبينَ والمُنعمينَ في البَرزخ

روى البخاري عن سمرة بن جندب ﷺ قال: "كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من راء منكم الليلة رؤيا فإن رأى أحد قصها فيقول ما شاء الله فسألنا يوما فقال: هل راء من أحد فقلنا: لا قال لكني رأيتُ الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد قال بعض أصحابنا عن موسى انه يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلتُ: ما هذا قال لي انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل واقف على رأسه بفهر أو صخر فيشرخ بها رأسه فإذا ضربه تدهد ه الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إليه حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه وضربه قلت: ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل النور أعلاه ضيق وأسفله واسع تتوقد تحته نار فإذا اقتربت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت: ما هذا فقالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر قال يزيد ووهب بن جرين بن حزام وعلى شاطئ النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رماه الرجل بحجر في قبه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رماه في قبه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما هذا فقالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضرا فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً لم أرَ قط أحسن منها فيها رجال

وشيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلتُ: طوفتُماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا: نعم الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع ذلك به يوم القيامة والذي رأيته يشرخ رأسه فرجل علمه الله تعالى القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار يفعل به ذلك إلى يوم القيامة والذي رأيته في الثقب فهم الزناة والذي رأيته في النهر فهو آكل الربا والشيخ الذي في أصل الشجرة إبراهيم والصبيان حوله أولاد الناس والذي يقود النار مالك خازن النار والدار الأولى التي دخلت الجنة دار عامة المؤمنين واما هذه الدار فهي دار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعتُ راسي فإذا فوقي مثل السحاب قالا لي ذلك منزلك فقلت دعائي ادخل منزلي فقالالي انه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته دخلت منزلك انتهى الحيث بكماله وكرره البخاري في كتاب الرؤيا وفيه أما الرجل الاول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه فإنه رجل يأخذ القران قيرفقه وينام عن الصلاة المكتوبة".

بَابٌ جَامعٌ لما يراهُ الميِّت من حينَ مَوته إلى حين نُزُوله بأحَد الدَارَين وفيه فُصُولٌ

قال الحارث بن أسد المحاسبي[1] في كتاب التوهم والعجب: "منك كيف تقر عينك أو يزايل الوجل قلبك وقد عصيت ربك والموت لا محالة نازل بك بكربه وغصصه ونزعه وسكراته فكأنه قد نزل بك وشيكا.

"فتوهم نفسك وقد صرعت صرعة الموت لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربك، فتوهم نفسك إلى نزع الموت وسكراته وغصصه وكربات وقد استحت النزع وجذبت الروح وبلغ الكرب منتهاه وقلبك وجل محزون ومنتظر للبشر من ربك بالرضى أو بالسخط فبينما أنت في كربك وغمومك وألم أوجاعك إذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت في أحسن صورة أو أقبحها وقد تعلق قلبك يفاجئك من البشرى[2] إذ سمعت صوته أبشر ولي

---

(1) هو: الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري كنيته أبو عبد الله، سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه. أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، يقول عنه أبو عبد الرحمن السلمي أنه «أستاذ أكثر البغداديين»؛ وهو من أهل البصرة ولد سنة 170 هـ..توفي المحاسبي ببغداد سنة 243 هـ.

(2) وأخرج الإمام أحمد في مسنده (364/2) حدثنا [حسين] بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : " اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان " . قال : " فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال: فلان . فيقولون: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل .

وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال حتى يخرج ثم يعرج بها

الله برضائه وثوابه أو ابشر يا عدو الله بسخطه وعقابه فستتيقن حينئذ بفوزك ونجاتك أو بعطبك وهلاكك.

"فتوهم حينئذ وقد استطار قلبك فرحا وسرورا أو ملى غما وحزنا واذكر القبر بهول مطلعه وعظيم روعه وسؤال الملكين فيه إياك عن إيمانك فمثبت من الله بالقول الثابت أو متحير شاك مخذول وتوهم أصواتهااد يناديانك فتجلس لسؤالهما إياك".

"فتوهم جلستك في ضيف لحدك وشخوصك يبصرك إلى صورتهما فإن رأيتهما في أحسن صورة حسن قلبك بالفوز والنجاة وإن كان غير ذلك حزن قلبك وحس بالهلاك والعطب وتوهم إقبالها عليك إن ثبتك الله بالسرور وانفراج جوانب القبر عنك واتساعه عليك وقولهما لك عند ذلك باللين واللطف انظر إلى ما صرف الله عنك من عذابه فيزداد قلبك فرحا وسرورا بسلامتك من النار، وتوهم خر بهما بأرجلهما جوانب القبر وانفراجه عن الجنة بزينتها وبغيمها وقولهما لك انظر يا ولي الله ما أعد الله لك فهذا منزلك واليه مصيرك وتوهم سرور قلبك وفرحك عندما عاينت من نعيم الجنان أنك سائر إليها وإن تكن الآخرين".

"فتوهم قولهما لك انظر إلى ما أحرمك الله عند معاينتك الجنة وقولهما لك انظر ما أعد الله لك من النار فهذا منزلك فهذا منزلك ومصيرك فيزداد

إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا ؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر .

وإسناده صحيح، فرجاله كلهم ثقات رجال الكتب الستة. ولفظ [حسين] تحرف في المسند إلى [حسن]، والصواب حسين وهو حسين بن محمد بن بهرام. والحديث أخرجه أيضاً ابن ماجة ح4262، والنسائي في الكبرى ح11442 ..

غمك وحزنك.

وتوهم الفنا والبلاء إذا انقطعت أوصالك في القبر وفنيت عظامك وبلى بدنك ولم يبل حزن البشرى أو الفرح من روحك فروحك متطلعة عند القيام بذلك للمنشور إلى رضا الله وثوابه أو إلى غضبه وعقابه فيا حسرة روحك وغمومة أو يا غبطة روحك وسروره حتى إذا تكاملت عدة الموتى وخلت من سكانها الأرض والسماء فصاروا خادمين بعد حركاتهم فلا حسن يسمع ولا شخص يرا وبقي الجبار عز وجل كما لم يزل أزليا واحداً متفردا بعظمته وجلاله ثم لم يفاجأ روحك نداء المنادي بالحق للعرض على الله عز وجل.

فَصلٌ في ذكر النفخ في الصور وبعض في القبور

قال عبد الحق رحمه الله تعالى: "اعلم أن الناس كما قدمنا لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكان من أحدى الدارين وصحبه من إحدى الفريقين وأنه لا تزال نفسه معذبة أو منعمة إلى يوم الجزاء والاجتماع لفَصلِ القضاء بعد ذلك يتحدد النعيم او العذاب على وجه آخر وصفة أخرى كما سيأتي ما أمكن ذكره منه".

وروى مسلم عن النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ: "وذكر خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هلاكهم ثم ذكر ما يكون بعد ذلك من البركان والخيرات فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت إباطهم فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها فعليهم تقوم الساعة".

واعلم: "أن كل ميت قد مات فقد قامت قيامته لكنها قيامة صغرى وأما القيامة الكبرى فهي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة".

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا ادري أيوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما الشك في الراوي قال فيبعض الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه. قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير واصلام الباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكر فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستحيون فيقول بما تأمرنا

فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد إلا أصغى لينا ورفع لينا قال فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مُسألون ثم يقال اخرجوا بعث النار فقيل: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعينن، قال فذلك يوما يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق واصفا معناه امال ليتا يعني صفحة العنق ويلوط معناه يطين ويصلح".

قال القرطبي: "وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاما وفي صحيح مسلم ورواية أبي هريرة ﷺ قال: "ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة".

قال عبد الحق: " وكما ينبت نبات الأرض بالماء كذلك تنبت الأجساد بهذا الماء فبينما روحك في البرزخ مع الأرواح وكل على عمله من فساد أو صلاح إذ أمر الله عز وجل بها ان تجتمع فتقبل أرواح المؤمنين تتلألأ نوراً وأرواح الكافرين تسود ظلمة فيقبضها جميعا فيجعلها في الصور ثم ينفخ اسرافيل فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض".

ويروى عنه ﷺ انه قال: "يقول الله تعالى وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجسام فتدخل من الخياثيم".

قلت: "وهذا حديث طويل رواه علي بن معبد وصححه ابن العربي وعجب الذنب قيل: "يا رسول الله ما هو قال مثل حبة خردل منه تنبتون قيل

وهو آخر فقرات الظهر وصعق معناه مات".

قال القرطبي وغيره: "والصور قرن من نور في حديث أبي هريرة ﷺ والذي نفسي بيده إن عظم دارت فيه كعرض السماء والأرض قال العلماء: والنفخة الأولى للفنا وهي نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴾[1] في الصور لتكون الصيحة أعظم والنفخة الثانية للبعث من غير نقر لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنفيرها من أجسادها وفي حديث علي بن معبد الطويل عن أبي هريرة فينفخ فيه ثلاثة نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يعني نفخة البعث".

قلت: "ووجدت مكتوبا ما نصه قال الشيخ أبو محمد بن بريده في شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الذي تلقيناه عن شيوخنا المحققين أن العوالم التي لا تنقى العرش والكرسي واللوح والعلم والجنة والنار والأرواح وفي حديث علي بن معبد قلت يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2]، قال أولئك هم الشهداء عند ربهم يرزقون أنما يصل الفزع إلى الأحياء.

وروى مسلم بن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ قال: "يبعث كل عبد على ما مات عليه".

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إذا

---

(1) سورة المدثر 74، الآية: 8.

(2) سورة النمل 27، الآية: 87، وتمتمها قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نيائهم".

وروى أبو داوود عن عبد الله بن عمر انه قال: "يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو فقال يا عبد الله إن قتلت صابرا محتسبا بعثت صابرا محتسبا وإن قتلت مرائيا مكاثرا بعثت مرائيا مكاثرا على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحالة".

قلت: "والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ولما تكلم بن أبي حمزة ﷺ على قوله ﷺ أن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة قال: "ظاهر الحديث يدل على فضيحة الغادر يوم القيامة ينصب لواء غدرته وشهرته بها على جميع العالم هناك قال وإنما هذه العلامة التي يعرف بها يوم القيامة لأنه قد جاءت الحكمة الربانية ان جعلت لكل صاحب ذنب علامة يعرف بها ذنبه مثل شاهد الزور يبعث مدلعا لسانه بالنار وآكل الربا يتخبط مثل صاحب الجنون في الدنيا والذي يطلب وليس بذي حاجة ليس في وجهه مزعة لحم والتائحة لها سربالان سربال من جرب وثاني من قطرات وحابس الزكاة وإن كانت أبد بطح لها بقاع قرقر فجاءت أوفر ما كانت تطأه بأخفافها وتعظه بأفواهها الحديث.

وإن كانت غنما مثل ذلك إلا أنه قال تنطحه بقرونها وتطاه بأظلافها وإن كان ماله ذهبا وفضة مثل له شجاع أقرع الحديث.

والمتكبرين يبعثون مثل [ ] [1] وآكل أموال اليتامى السنة النار تخرج من منافس جسده وشارب الخمر الكوز معلق في عنقه والكذاب يشق شدقه كما تقدم في الحديث والمغتابون تفرض شفاههم بالمقاريض هذه كلها

---

(1) كلمة مبهمة.

علامة على كل ذنب حتى يعرف به صاحبه وهي أشياء عديدة بحسب الجرائم وكفى في ذلك قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾[1]، أعاذنا الله من الذنوب ومن الفضيحة ولو لم يكن فيها إلا هذا المقدار لكان كافيا في الردع والازدجار فكيف بالأمر الزائد على ذلك الذي لا تحمله الجبال.

قلت: "ومنه الحديث في الذي قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم والحديث كحديث الذي قتل نفسه بالسم فهو يتحساه في نار جهنم الحديث، وكالقال يحمل بقرة لها خوار أو شاة تيعروكذلك يعرف أهل الخير والطاعة بسيماهم كالشهيدة يبعث وجرحه يثعب دماء اللون لون دم والريح ريح مسك وكالمحرم يبعث ملبيا وفي رواية ملبدا ومن هذا المعنى ان هذه الأمة يبعثون غرا محجلين. من أثر الوضوء يعرفهم من رآهم أنهم أمة النبي ﷺ وقد قال الغزالي ان المعاني في علم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيمثل كل شي بصورة توازي معناه فيحشر المتكبرون في صورا [ ][2] يطأهم من أقبل وأدبر والمتواضعون أعزاء".

قال القرطبي: "روى عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر قال: "إن المؤذنين والملبيين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبي الملبي"، ذكره الحليمي أبو الحسن الحافظ في كتاب المناهج له.

---

(1) سورة الرحمن:55، الآية 41.

(2) كلمة مبهمة.

روى أبو القاسم إسحاق ابن إبراهيمي الختلي في كتاب الديباج: "له بسنده عن ابن عباس وعن علي بن حسين رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: "أخبرني جبريل عليه السلام أن لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تريهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم هذا يقول لا إله إلا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادي يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله فيسود وجهه" .

قال: "وحدثني يحي بن عبد الحميد ثم ذكره بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في منشرهم كأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن وجوههم وهو يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن".

فَصلٌ فيما جاء أن العبد إذا خرج من قبره يتلقاه ملكاه وعمله

قال القرطبي وروى أبو نعيم من حديث جابر ﷺ إنه قال: "إذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد".

وروى أبو نعيم أيضا عن ثابت النباتي أنه قرأ حم السجدة حتى بلغ" ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾[1]. وقف قال بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد قال فأمن الله خوفه وامن سجينه".

قلت: "وفي البخاري: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴿٣٠﴾ ﴾[2]

قال وكيع: "والبشرى في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث".

وقال ابن العربي في أحاكمه: "تتنزل عليهم الملائكة"، قال المفسرون: "وأنا أقول كل يوم وأوكد الأيام يوم الموت وعند القبر ويوم الفزع الأكبر وفي ذلك آثار بيناها في موضعها.

قال ابن المبارك في رقائقه سمعت سفيان يقول في قوله تعالى: ﴿

---

(1) سورة فصلت: 41، الآية:30 وتمامها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(2) سورة فصلت: 41، الآية:30 وتمامها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1] أي عند الموت ألا تخافوا مما أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من صنيعاتكم وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال يبشر بثلاث بشارات عند الموت وإذا خرج من القبر وإذا فزع نحن أولئكم في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] قال قرناؤهم يتلقونهم يوم القيامة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلون الجنة.

قال القرطبي: "قال عمر بن قيس المدائي: "إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في احسن صورة واطيب ريح فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طيب ريحك وأحسن صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالحك طال ما ركبتك في الدنيا اركبني اليوم وتلى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾[3]، أي ركبانا وأن الكافر يستقبله عمله أقبح شيء صورة وأنتن ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا إلا أن الله قبح صورتك ونتن ريحك فيقول كذلك كنت في الدنيا أنا عملك السيئ طال ما ركبتك في الدنيا وأنا اليوم أركبك وتلى: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4]

---

(1) سورة فصلت: 41، الآية:30 وتمامها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(2) سورة فصلت: 41، الآية:31 وتمامها قال تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

(3) سورة مريم: 19، الآية:85 .

(4) سورة الأنعام: 6: الآية:31 ، وتمامها قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

فَصلٌ في بيان الحشر إلى الموقف

قال الله سبحانه: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]، قال عبد الحق وغيره: "روى أن المنادي ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن ان تجتمعن لفَصلِ القضاء" ، قال عبد الحق: "وهذا النداء خلاف الصيحة العظمى".

قال القرطبي: "قال قتادة المنادي هو صاحب الصور ينادي من الصخرة من بيت المقدس".

قال كعب: "وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل: المنادي جبريل".

وروى الحارث ابن أي أسامة وعروة عن عبد الله بن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: "يقول يحشر الله العباد أو قال: الناس وأوْمَأ بيده إلى الشام حفاتا عراتا"، الحديث، وفيه فيناديهم أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قلنا: كيف نأتي الله حفاتا عراتا عزلا؟ قال: بالحسنات والسيئات والحشرُ وهو على أربعة أوجه. حشران في الدنيا وحشران في الآخرة أما اللذان في الدنيا فقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ

---

(1) سورة ق: 50، الآية: 41-42 ،

ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴿٢﴾ ﴾[1] كان أول حشر حشر في الدنيا إلى الشام قاله الزهري وغيره.

والحشر الثاني في الدنيا هو ما رواه مسلم والبخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "قال يحشر الناس على ثلاث طرائف راغبين راهبين وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم إلى النار تبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا قال عياض: هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها كما رواه مسلم قال الحديث.

وفي آخر ذلك: "نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وفي رواية تطرد الناس وفي حديث آخر لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجار".

والحشر الثالث: "حشرهم إلى الموقف كما قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾[2] الآية.

والحشر الرابع إلى الجنة والنار قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾[3]، الآية.

ووفداً معناه ركبانا على النجب وقيل العمال كما تقدم وقد وردت بذلك أخبار منها ما رواه النعمان بن سعيد عن على ﷺ عن النبي ﷺ في

---

(1) سورة الحشر: 59: ، الآية:2 ، وتمامها قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾

(2) سورة الكهف: 18، الآية:47 ، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾

(3) سورة مريم: 19، الآية:85 .

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1]، قال: إما أنهم ما يحشرون على أقدامهم ولا ياقوت سوق ولكنهم يؤتون بنوق من فوق الجنة لم ينظر الخلائق إلى مثلها رجالها الذهب أو أزمتها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرع أبواب الجنة: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾[2] أي عطشا قال عبد الحق يساقون كما نساق الإبل وغيرها من النعام نسوقهم الملائكة بسط النار إلى النار نجانا الله من عذابه.

وقد روى الترميذي عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم قيل يا رسول وكيف يمشون على وجوههم إما إنهم يتقون بوجوههم كل جدب وشوك".

وروى مسلم والبخاري عن قتادة عن أنس ﷺ أن رجلاً قال: "يا رسول الله كيف يحشر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشي على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا"، قال عبد الحق:" وغيره فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا.

قلت: "وهو كما قال العلماء ليس للعقل في أمور الآخرة وإنما يجب التصديق والتصميم بإن كل ما أخبر الله به ورسوله حق لا شك فيه".

وقد تذكر القرطبي حديث عن معاد بن جبل رضي الله عن النبي ﷺ قال معاذ: "يا رسول الله أرأيت قول عزوجل: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا

---

(1) الآية السابقة .

(2) سورة مريم: 19، الآية:86 .

﴿١٨﴾ ﴾[1] فقال النبي ﷺ: "يا معاذ بن جبل من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله من جماعة المسلمين وبدا صورهم فمنهم على صفة القردة وبعضهم على صفة الخنازير وبعضهم منكسر أرجلهم فوق رؤوسهم يسبحون على وجوهم وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعلقون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلات على صدورهم فيسيل القيح من أفواههم يقدرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعات أيديهم وأرجلهم وبعضهم جالسين على جدوع من النار وبعضهم أشد نتنا من جيفة وبعضهم يلبسون جلابيب سائغة من نار، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السجن والحرام والمكس، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا، وأما العمين فمن يجوز في والصم والبكم الذين يعجبون بأفعالهم والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة وأرجلهم.

فالدين يؤدون الجيران والمبطون على جذور على من نار فالسعادة بالناس إلى السلطات والذين هم أشد مشنا من الجيفة فالذين يتمتعون بالشهوات والذات ويمنعون حق الله من أموالهم والذين يلبسون جلابيب فأهل الكبر والفجر والخيلاء".

قلت: "ذكر القرطبي هذا الحديث ولم يعزوه والله أعلم لصحته"، وقد ذكر صاحب كتاب الفردوس هكذا وينبغي للعاقل أن يحتاط نفسه ويجتنب كل ما نهى الله سبحانه عنه".

قال القرطبي: "اعلم أن الناس إذا أحيو و بعثوا من قبورهم فليست

---

(1) سورة النبأ: 78، الآية:18 .

حالهم ولا مقالهم ولا موقفهم وأحد ولكن لهم مواقيف وأحوال واختلفت الأخبار عنهم لاختلاف موافقهم وأحوالهم وجملة ذلك أمها خمسة أحوال أولها: حال البعث من القبور ، والثانية: حال الشوق إلى موضع الحساب، والثالثة: حال المحاسبة، والرابعة حال السؤال إلى دار الجزاء ، والخامسة: حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها".

فصلٌ في ذكر أحداث الحشر

روى مسلم والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما الناس قال قام فنيا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: "أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاتا عراتا غرلاً" ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[1] ألا وإن أول من يكسي يوم القيامة ابراهيم عليه السلام إلا وإنه سيجأ برجال من أمتي فيؤخذهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[2] قال فيقال إنهم لم يزالوا مدبرين على أعقابهم منذ فارقتم وقوله غرلاً أي مختوتين".

وروى الحلمي في كتاب منهاج الديباج: "له سبدة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله أن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن

---

(1) سورة الأنبياء 21: الآية:104، وتمامها قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

(2) سورة المائدة 5: الآية:116-118، وتمامها قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

المؤذن ويلي الملبي وأول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم خليل ثم محمد ﷺ ثم النبيئون والرسل عليهم الصلاة والسلام ثم يكسا المؤذنون ونتلقهم الملائكة من نجايب من نور أحمر أزمتها من زمرد أخضر رحالها من الذهب وشيعهم من قبور سبعون ألف ملاك إلى المحشر".

وروى البخاري ومسلم عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: "تحشرون حفاتا عراتا غزلا قالت عائشة قلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظرون بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك".

وروى أبو بكر بن الخطيب من عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "يحشر الناس يوم القيامة أجوع من كانوا قط وإنما كانوا قط وأعرى من كانوا قط وأعرى من كانوا قط وأنصب من كانوا فمن أطعم الله أطعمة ومن سقا الله سقاه ومن كسى الله كساه ومن عامل الله كفاه".

وقال محمد كعب القرضي: "يحشر الناس يوم القيامة في ظلمة وتطوي السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يومئذ فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1] قال عبد الحق: "فتذكر الآن فيهم كيف يساقون وكيف يجمعون وكيف يحشرون من بين محمول قد مدت ظلال الرحمة عليه وجمعت الأماني في يده وبين ساع على قدميه وآخر مجرور على خديه ومصروع لهول مأبين يديه كما ورد في الحديث.

---

(1) سورة طه 20: الآية:108، وتمامها قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

فصلٌ: في قول تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] الآية

روى مسلم وأنس ما فيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل الرسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[2] فأين تكون الناس حينئذ قال علي الصراط رواه الترميذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

وفي رواية لمسلم هم في الظلمة دون الحشر، قال القرطبي رورى عن ابن مسعود تبدل الأرض نار أوخية من ورائها ترى أكوابها وكواعبها وعن بعضهم قال وجدت فيما قرأته من كتاب الله أن الأرض تشتعل ناراً يوم القيامة وعن على تبدل الأرض فضة والماء ذهبا وعن جعفر بن محمد في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴿٤٨﴾ ﴾[3] قال تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة ثم قرأ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾[4]، وقال سعيد بن جير ومحمد بن كعب تبدل الأرض خبرة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه وهذا المعنى الذي ذكره حبير ومحمد بن كعب مروى في الصحيح.

قال ابن عطية وروى: "في تبديل الأرض أخبار منها في الصحيح يبدل الله هذه الأرض عفرا بيض كأنها قرصة نقية".

---

(1) سورة ابراهيم 14: ، الآية:48، وتمامها قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

(2) الآية السابقة.

(3) الآية السابقة.

(4) سورة الأنبياء21، الآية: 8.

وفي الصحيح: "أن الله يبدلها خبزة يأكل المؤمن منها من تحت قدميه".

وروى: "أنها تبدل أرض من فضة وروى أنها أرض كالفضة من بياضها"، وروى: "أنها تبدل من نار".

قال ابن عطية: "وسمعت من أبي رحمة الله أنه روى أن التبديل يقع في الأرض ولكن يبدل لكل فريق بما يقتضيه فالمؤمن يكون على خبز يأكل منه يحسب حاجته إليه وفريق يكون على فضة إن صح لسندها وفريق الكفرة يكون على نار ونحو هذا فما هو كله واقع تحت قدرة الله تعالى عزوجل وأكثر المقصرين على أن التبديل يكون على أرض بيضا عفرا لم يعص الله فيها ولا سفك فيها دم وليس فيها معهم لأحد".

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: "المؤمنون وقت التبديل في ظل العرض"، وروى عنه أنه قال: "الناس وقت التبديل على الصراط".

وروى عنه أنه قال: "الناس حينئذ ضياف الله فلا يعجزهم ما لديه طويل أن التبديل بحسب مواطن الآخرة".

قلت: "ولا شك أن الآخرة مواطن وللناس أحوال مختلفة في الآخرة كما أن أحوالهم في الدنيا مختلفة ولهذا ونحوه يقع الجمع بين الآثار والقاعدة والحيرة أن كل ما أخبر الله به ورسوله حق لا تعارض و تناقض فيه بوجه ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافا كثيرا".

وروى البخاري في صحيحه عن سهيل بن سمعة قال سمعت النبي ﷺ يقول: "يحشر الناش يوم القيامة على أرض بيضا عزا كقرصة النقي".

قال سهيل وغيره: "ليس فيها معلم لأحد"، قال الشيخ الوالي العارف بالله أبو محمد عبد الله بن أبي حمزة ﷺ:" ظاهر الحديث يدل على أن الأرض التي يحشر الناش عليها يوم القيامة غير هذه الأرض وأنها بيضاء مسنوية ممدودة لم يتقدم لأحد فيها لك و لا طلق الأخبار تعضى أنها أكبر

من هذه بدليل أنه قد جاء أن كل ما في هذه الأرض وما عليها يحشر يوم القيامة وكل من الأرضيين السبع وكل من في السموات السبع والملائكة وغيرها وغيرها وأن هذه بنفسها تحشر أيضا بدليل أن بقاعها تشهد بما عليها من خير وغير ول لا تشهد إلا وهي حاضرة يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾[1] وفي صحيح مسلم من حديث سهيل وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:" يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الراعي وينفذهم البصر".

قال عبد الحق:" يريد عليه السلام أنها أرض منسوية لا جيل فيها ولا أئمة و لا ربوة ولا هذه أرض بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولا عمل عليها خطيئة ولا ارتكب فيها مجرم".

فَصلٌ: في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٢﴾ ﴾[2] الآية.

قال ابن عطية العامل في يوم قوله: ﴿ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[3]، والرؤيا هنا رؤية عين والجمهور أن نور هنا هو نور حقيقة.

---

(1) سورة الزلزلة: 99، الآية: 4.

(2) سورة الحديد: 57، الآية: 13، وتمامها قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾

(3) سورة الحديد: 57، الآية: 18، وتمامها قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

وقد روى ابن عباس وغيره آثار مضمنها أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطي يوم القيامة نوراً فيعطي نوراً كل منافق ويبقى نور المؤمنين حتى أن منهم من نوره يضئ كما بين مكة وصنعاء، ورفعه قتاده إلى النبي ﷺ ومنهم من نوره كالنخلة والسحوق ومنهم من نور يضئ ما قرب من قدميه قاله بن مسعود ومنهم هم بالانطفاء مرة على قدر منازلهم في الطاعة والمعصية".

قال الفخر قال قتادة: "ما من عبد إلا وينادي يوم القيامة يافلان هذا نورك يافلان لا نور لك، نعود بالله من ذلك فمقادير الأنوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف في الدنيا فمعرة الله من ذلك تعالى اليوم هي النور في القيامة وقول المنافقين: " انظرونا أي: أخروا مشيتكم لنا حتى نلتحق فنقتبس من نروكم واقتبس الرجل أخذ من نور غيره، قبسا.

قال الفخر القبس: "الشعلة من النار والسراج والمنافقون طمعوا في شيء من أنوار المؤمنين وهذا منهم جهل لأن لكل الأنوار نتائج الأعمال الصالحة في الدنيا وهم لم يقدموها".

قال الحسن: "يعطي يوم القيامة كل أحد نور على قدر عملهم يؤخذ من حجرهم ومما فيها من الكلالب والحسك ويلقى على الطريق ثم تمضي زمرة من المؤمنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضي زمرة أخرى كأضوء كوكب في السماء ثم على ذلك ثم تفشاهم ظلمة تطفئ نور المنافقين فهناك من يقول المنافقون للذين أمنوا أنظرونا نقتبس من نوركم".

قال الغزالي في الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: "فإذا استوى كل أحد قاعدا على قبره فمنهم العريان ، ومنهم المكسو والأسود والأبيض، ومنهم من يكون له نوح المصباح الضعيف، ومنهم من يكون كالشمس لا يزال حتى كل واحد منهم مطرق برأسه ألف عام حتى تقوم من المغرب وفي نسخة من المحشر نار لها ذوي فيدهش منها الخليقة إنسا وجنا وطيرا

ووحشا يأتي كل واحد من المخاطبين عمله ويقول له: قم فانهض إلى المحشر فحن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عملا نعلاً ومنهم من شخص له غير ذلك يحمله ويجعل لكل منهم نور شعاعي بين يديه وعن يمينه مثله يسري بين يديه في الظلمات وهو في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٢﴾﴾[1]، وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفادها يجار فيها الكفار ويتردد فيها المرتأبون والمؤمن ينظر إلى قوة ملكتها وشدة حندسها ويحمد الله سبحانه على ما أعطاه من النور المهتدي به في لكل الشدة يسعى بين أيديهم وبأيمانهم لأن الله تعالى يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقي ليتبين له قدر النعمة عليه ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرق بنانه نوره يطفر مرة ويشعل أخرى وأما نورهم عند البعث على قدر إيمانهم وأعمالهم" .

---

(1) سورة الحديد: 57، الآية: 13، وتمامها قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

فصلٌ في ذكر ور الملائكة على حافات أرض المحشر ودنو الشمس من الخلق وتفاوتهم في العرق

قال عبد الحق وغيره: "روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا كان يوم القيامة مدة الأرض مداً الأديم ثم يتقاض أهل السماء الدنيا على الأرض فأهل سماء الدنيا وحدهم أكثر من جميع أهل الأرض حبهم وأنسهم بالضعف، ثم يتقاضى أهل السموات سماءً كلما انقاضت سماء أنتشر أهلها على وجه الأرض فيكونون أكثر من أهل السموات الذين تحتهم وأهل الأرض جنهم وأنسهم بالضعف ، ثم ينقاض أهل السماء السابعة فينشر أهلها على وجه الأرض فلهم وحدهم أكثر من أهل السموات والأرض جنهم وانسهم بالضعف يهني وتكون الجن والإنس والبهائم في الوسط لقد أحدقت بهم صفوف الملائكة وفي حديث إبن المبارك نحو هذا: وأن الجن والإنس لا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة فذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] وذلك قوله سبحانه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[2] الحديث انتهى مختصرا وبهذا أن الحديثان وإن في كل سندهما من ذكر يضعف فقد أجاز العلماء ذلك في باي الترغيب والترهيب لا في الأحكام وبيان الحلال

---

(1) سورة الرحمن55: ، الآية: 33-34، وتمامها قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾

(2) سورة الفجر 79: ،الآية: 22

والحرام فإنهم فهمي الله وإياك الحقائق وأزاح عني وعنك العوائق".

قال المحاسبي رحمه الله: "فتوهم ذلتك وانفردك وغرتيك في القيامة وهمومك وأحزانك في زحمة الخلائق أذلاء مضمونون بالذلة والمسكنة والرهبة فلا تسمع إلا همسك أقدامهم وهم مقبلون نحو المنادي ساعين الله بالذلة والخشوع وقد اجتمعت الأمم من الجن والإنس حفات عراتا إدلاء قد نزع الملك من ملوك أهل الأرض وعزمهم الصغار بعد عتوهم والزلة بعد تجبرهم ثم اقبلت الوحوش من اماكنها منكسرة ورؤوسها بعد توحشها من الخليفة وانفردها دليلة من هول يوم النشور من غير ريبة اتتها ولا خطيئة أصابتها حتى وقعت من وراء الخلائق بالذلة والانكسار للملك الجبار واقبلت الشياطين بعد تمررها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الملك الديان حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض وانسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر بالظلمة عليهم ومارت السماء الدنيا من قوتهم فدارت بعضها من فوق رؤوسهم وجميع ذلك تغشى بعينك وعين أهل الموقف ينظرون إلى هوله ثم انشقت بعضها وهي خمستنة أم فيا هول انشقاقها سمعك ثم دايت حتى صارت مثل الفضة المذابة وهبطت الملائكة من حافاتها إلى الأرض بالتدين لربها فتوهم انحدارهم من السماء بعظم أجسادهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم".

"فتوهم فزعك وفزع الخلائق عند نزولهم مخافة أن يكونوا قد آمرو بهم فأخذوا مصافهم محرفين بالخلائق منكسي رؤوسهم لعظم هول يومهم قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بالذلة والخشوع لربهم وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة قد اضعف كل أهل سماء على أهل السماء الذين قبلهم قب العرق وعظم الأجسام والأصوات حتى إذا وفى

الموفق أهل السموات والأرضيين السبع كسبت الشمس حر عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوس أو قوسين فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش رب العالمين لكم بين متطلب بطل العرش وبين وافق لحر الشمس قد مهرنه واشتد فسها كرية وقلقة وقد ازدحمت الخلائق وتضايقت وانقطعت العناق من العطش قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس ووهج أنفاسهم وتزاحم اجسامهم فقاض العرض منهم على وجه الأرض ثم على أبدانهم على قدر مراتبهم منازلهم عند ربهم من السعادة والشقاوة فمنهم من يبلغ منه العرق إلى منكسة وحقويه[1] وإلى شممة أذنيه ومنهم من قد جمه العرف وكاد يغيب فيه".

"فتوهم نفسك في ذلك الموفق بأنك لا محالة واحد منهم وتوهمها إذ علاك العرق واطبق عليكالغم وضاقت نفسك وأنت منتظر لفَصلِّ القضاء إلى دار السعادة أو دار الشقاء نجانا الله من سخطه وألم عذابه".

روى ابن المبارك بسنده عن سليمان قال: "تدنا الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوس أو قوسين فتعطي حر عشر سنتين وليس على أحد طحرية ولا ترى فيه عورة مؤمن ولا مؤمنة ولا يضرحرها يؤمنذ مؤمنا ولا مؤمنة وأما الآخرون أو قال الكافرون فتطحنهم فإنما تقول أجوافهم غق غق قال: نعيم الطحرية الخرقة".

وروى هناد بن السري سنبدة عن سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان الهندي حتى سليمان فذكره سواء إلا أنه قال:" ولا يجد حرها بدل ولا يضر قال أما الكافرون أو الآخرون فتطنجهم طنجاً حتى سمع

---

(1) الأصل في الحَقْو مَعْقِد الإزار وجمعه أحْقٍ وأحْقاء ، ثم سُمّي به الإزار للمجاورة .

لأجوافهم غق غق رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وقال: حتى نقول أجوافهم غرغر فإذا رواه ما هم فيه قال بعضهم بعض ألا ترون إلى ما أنتم فيه أيتو أباكم آدم فيشفع لكم الحديث بطولغ وسيأتي مرفوعا إن شاء الله تعالى".

وفي صحيح مسلم عن رواية المقداد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبة الحديث".

وروى قاسم ابن أصبغ[1] عن أبي أمامة ﷺ النبي ﷺ تدنا الشمس يوم القيامة على قدر سبل ويزداد فيها كذا وكذا تغلى منها الهوام كما تغلى القدور على الأثامي".

وروى البزار[2] في مسنده عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: "إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول يا رب إرسالك بي إلى النار أهوت على وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب".

قال القرطبي قوله: "لا يضر حرها ومناولا مؤمنة ظاهرة العموم في جميع المؤمنين والسبب كذلك وإنما المراد والله أعلم لا يضر مؤمنا كامل الإيمان ومن استطل بطل عرش الرحمان كما جاء في الحديث سبعة يظلم الله في ظلمه يوم لا ظل إله ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحسابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا

---

(1) هو : قاسم بن أصبغ أبو محمد الأموي القرطبي. إمام حافظ، مُحدِّث (247 هـ -340 هـ، 862 - 951م).. أصله من بيانة من قرطبة. سكن قرطبة ومات بها، وكان جده من موالي بني أمية. كان عالمًا في العربية وفقيهاً بارعًا في الدين انتهى إليه بالأندلس علو الإسناد والحفظ. مات بقرطبة في جمادى الأولى.

(2) هو الشيخ الإمام، الحافظ الكبير، أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري، البزار، صاحب "المسند" الكبير. ولد سنة نيف عشرة ومائتين، وقد كانت منزلته في الحديث. وكلام أهل العلم فيه كانت وفاته في سنة اثنتين وتسعين ومائتين.(292) .

ورجل طلبته امرأة ذات منصبو جمال فقال إني أخاف الله عزوجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا فقاضت عيناه".

قال القرطبي: "ومعنى في ظلمه أي في عرشه وقد جاء هكذا مفسراً في الحديث، وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذارعاً ويلجمهم حتى يبلغ إذانهم" ، قال ابن اأبي حمزة: "وهنا إشارة إذا نظرناها يريد المرء بها تهويلا وتعظيما وهو أنه أخبر ﷺ أن النار تدور بالمحشر كالخاتم بالإصبع وأن الشمس ينقلب وجهها إلى الناس وتدنا من رؤوسهم حتى يكون بينها وبينهم قدر الميل وهو المورد الذي تكمل به العين فانظر كيف تكون حرارة تلك الأرض التي تكون الناس عليها وماذا عسى أن يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعا ثم بعد ذلك يلجمهم وكيف تكون حرارته فسبحان الذي حبس أرواحهم مع هذا البلاء العظيم أعاذنا الله منه بجاه نبيه محمد الكريم ﷺ وعلى آله أفضل الصلاة أزكى التسليم".

ونقل القرطبي عن الغزالي ما نصه: "وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس حتى لو مدّا حديدة لنالها ويضاعف حرها سبعين مرة، وقال بعض السلف: "لو طلعت الشمس على الأرض على هيئتها يوم القيامة لاحترقت الأرض وذابت الصخور وتنشقت لأنها قلت"، فتأمل يا أخي هذه الأهوال واعمل خلاص نفسك منها اليوم مادام من الحياة ومكنت صالح الأعمال".

قال عبد الحق: "فتفكر في هذا المجتمع وكيف يقومون على أقدامهم قد جمعوا جمع النبل في الكنانة وقد انشقت السماء فوقهم وذابت عليهم وسالت على رؤوسهم فطاشت الألباب وذهلت العقول فيا له من هول

تنهد منه الجبال".

قال ابن أبي حمزة ﷺ: "وقد جاء أ، ثم من لا يحضر تلك المواطن مثل الشهداء لأنه قد جاء أنهم يقومون من قبورهم إلى قصورهم ومنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما جاء في حقهم أنهم على كراسي في ظل العرش وإن العلماء هناك دون الأنبياء بدرجة الصديقين دونهم وهذا كلها أخبار والخبر لا يدخله نسخ ويسوغ الجمع بينهما بأن تقول قوله ﷺ: "يعرف الناس هو حال الأغلب في الناس وإن غيرهم ممن ذكرنا مستثنون ممن ذكروهم قلائل ويبقى قوله يعرف الناس على عمومه فيمن بقي لان الأكثر من الناس يوم القيامة هم الكفار كما جاء في حديث بعث النار قال القرطبي:" وخرج الميانشي القرشي من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابير فيأمر لله تعالى جبريل أن يأتيهم فيسألهم من هم فيأتيهم فيسألهم فيقولون نحن أصحاب الحديث فيقول الله تعالى: "أدخلوا الجنة فطال ما كنتم تصلون على نبي ﷺ".

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا كان يوم القيامة وضعت منأبير من نور عليها قباب من نور ثم ينادي منادي أيت الفقهاء وأيت الأئمة وأيت المؤذنون أجلسوا على هذه فلا روع عليكم ولا حزن يفرغ الله فيما بينه بين الناس من الحساب".

قلت: "وروى أبو عمر بن عبد الله البر في كتاب فضل العلم بسنده عن عبد الله بن داوود قال: "إذا كان يوم القيامة عزل الله تعالى العلماء عن الحساب فيقول ادخلوا الجنة على ما كان فيكم إني لم اجعل حكمتي فيكم إلا لخير أردت بكم وزاد غيره في هذا الخبر أن الله يحبس العلماء يوم القيامة في زمرة واحدة حتى يقضي بين الناس ويدخل أهل الجنة الجنة

وأهل النار النار ثم يدعوا العلماء فيقول: "يا معشر العلماء إني لم أضع حكمتي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم قد علمت أنكم تخلطون من المعاصي ما يخلط غيركم فسترتها عليكم وقد غفرتها لكم وإنما كنت أعيد بغيتالم وتعليمكم عبادي ادخلوا الجنة بغيره حساب ثم قال لا معطي لما منع الله و لا مانع لما أعطى الله".

قال أبو عمر: "وقد روينا نحو هذا المعنى بإسناد متصل عن سعيد بن أبي هند عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال رسول الله ﷺ: "يبعث الله العباد يوم القيامة و ثم يميز العلماء ثم يميز العلماء ثم يقول لهم يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم أذهبوا فقد غفرت لكم" ، وحدثنا عبد الرحمان بن مروان باسناده عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: "يبعث الله عزوجل العباد فذكر مثله".

فَصلٌ في الشفاعة العامة سيدنا محمد ﷺ لأهل المحشر وما جاء في طول ذلك اليوم وما جاء في المقام المحمود

روى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ الطويل وفيه عن النبي ﷺ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد يسمعهم الداعي وينفرهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الهم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ثم ذكر في الحديث اتيانهم آدم عليه السلام ثم نواحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليه السلام وإن كل واحد منهم يقول إني ربي قد غضب اليوم لم يغضب مثله ولن يغضب بعده مثله نفسي نفسي ثم يقول عيسى اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمد ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد عفرا الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر الشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجداً لربي ويفتح الله عليّ محامده رأسك سل تعطي واشفع تشفع فارفع رأسي فأقول أمتي أمتي يا رب فيقول يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من البواب والذي نفس محمد بيده إن من بين المصارعين من مصارع الجنة لكما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرا وفي مسلم لكما بين مكة وهجرا".

وذكر الغزالي في الدرة الفاخرة: "أن الناس في الموفق على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم فقوم عظمت فروجهم تسيل قيحا وآخرون خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح ما يكون وآخرون عظمت بطونهم كالجبال وهؤلاء الزنات والكذابون وآكلون الربا وكل ذي ذنب قد

بدا سوء ذنبه، وذكر في آخر الكتاب أن الرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء على منابر صغار دونهم ومنابر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسي من نور والشهداء والصالحون كقرءتي القرآن والمؤذنون على كثبان من مسلك قال وهذه الطائفة العامة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهون إلى نبينا محمد ﷺ أجمعين، قال أبو بكر بن جبان في كتاب الإرشاد له ويلهم رأسا المحشر الطلب فمن يشفع لهم [...][1] مما هم فيه وهم رأسا أتباع الرسل.

وروى البخاري من حديث آدم ابن على قال: "سمعت بن عمر ﷺ يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود" وقد رواه حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ وقد روى الترمذي حديث الشفاعة مطولا عن أبي سعيد الخذري وفي الترمذي عنه ﷺ في هذا الحديث أعني حديث الشفاعة قال: فأخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال: من هذا؟ فأقولك محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحباً فأخر ساجداً، الحديث".

وفيه: "وهو المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾[2] وفي صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ أن المقام المحمود

---

(1) كلمة مبهمة.

(2) سورة الإسراء: 17، الآية: 79، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾

هو إخراجه ﷺ طائفة من النار بشفاعة وقيل المقام المحمود هو إعطاؤه عليه السلام لواء الحمد.

ففي الترمذي من حديث أبي سعيد الخذري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ما من نبي يوميذ آدم فمن سواه إلا تحت لواء وأنا أول من تشق عنه الأرض ولا فخر، قال فيقرع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربنا غير هذا في المقام المحمود والمقامات ويحتمل أن يكون المقام المحمود جنسا يشمل هذه المقامات في كل موطن وخفف لنا هو ذلك اليوم جعلنا الله ممن شملته بركته ﷺ في كل موطن وخفف عنا هو ذلك اليوم وجعله لنا يوم فرح وسرو".

قال عبد الحق: "اعلم رحمك الله تعالى أن يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول من طول الأيام بل هو آلاف من الأعوام ويتصرف في هذه الأيام على الوجوه والأقدام حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الأحكام وليس يكون خلاصهم دفعة واحدة ولا فراغهم في مرة واحدة بل يفرغون ويتخلصون شيئا بعد شيء لكن طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم فمن الناس من يطول مقامه وحسبه إلى آخر ومنهم من يكون انفصاله في ذلك اليوم مقدار يوم من أيام الدنيا وفي ساعة من ساعاته أو في أقل من ذلك ويكون رابحا في ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يؤمر به إلى الجنة من غير حساب ولا عذاب كما أن منهم يؤمر به إلى النار في أول الأمر من غير وقوف ولا أنتظار أو بعد يسير من ذلك اليوم وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم إلا وقد نول كل إنسان بدار من جنته أو نار ففكر أيها الإنسان في طول ذلك اليوم وأختر بنفسك كم تريد أن تقف فيه على أي حال تكون فيه فلست تحشر هناك إلا فيما كنت

هنا وأعلم أنه كلما طال قيامك هنا في طاعة الله عزوجل وكثر تعبك قصر قيامك هناك وقل تعبك ويقدر ما تبدل تعطي وكما تدين تدان ولترجع إلى حديث الشفاعة وقدر خرج أبو داود الطيالسي حديث الشفاعة عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه قال رسول الله ﷺ: "فيأتيني الناس فيقولون أشفع لنا إلى ربنا متى يقضي بيننا فأقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء و يرض فادا أراد الله أن يقضي بين خلقه منادى أين محمد وأمته فأقوم وتبعتني أمتي غراً محجلين من أثر الوضوء، قال رسول الله ﷺ: "الآخرون والأولون وأول من يحاسب وفيه تفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها" الحديث.

فجاهد نفسك اليوم أيها الإنسان عسى أن تكون في الزمرة الناجية من هذه الأمة وتسلم من هذا اليوم الطويل الشديد قال القرطبي: "خرج الوائلي من حديث بن وهب قال: حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي هاني عن أبي عبد الرحمان الجبلي عن عبد الله بن عمر قال تلى النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[1] ثم قال رسول الله ﷺ كيف بكم إذا جمعكم الله عزوجل كما يجمع النيل في الكنانة خمسين ألف سنة، لا ينظر إليكم" .

قال الوائلي غريب جيد الإسناد وقد خرج مسلم لابن وهب نفسه عن الجبلي عن عبد الله أحاديث.

فَصلٌ: في الحساب وتطاير الصحف:

روى مسلم عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "لا

---

(1) سورة المطففين 83، الآية:

تزال قد ما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره قيما أفناه عن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه" رواه الترمذي، قال فيه حديث حسن صحيح.

قال القرطبي: "ذكر أبو جعفر العقلي من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال:" الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله ريحا فتطيرها بالإيمان والشمائل أول خط فيها إقراء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا".

وروى أبو عيسى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال وعاذير" الحديث، ورواه ابن ماجة ورواه أبو بكر البزار أيضا عن أبي موسى الشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال وأما الثانية فتطاير الصحف يمينا وشمالاً وذكره الترمذي الحكيم عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة فأما عرضتان فجدال أو معاذير وأما العرضة الثانية فتطاير الصحف فالجدال لأهل الأهواء لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم سمائه إلى آدم وإلى الأنبيائه على جميعهم الصلاة والسلام ويقيم حجته سمائه عندهم على الأعداء ثم يبعثهم الله إلى النار فإنه سبحانه يجب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهراً حتى لا تأخذهم الحيرة وكذلك قيل عن رسول الله ﷺ لا أحد أحب إليه المدح من الله عزوجل ولا أحد أحل الله إليه العذر من الله عزوجل والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر نجلوا بهم سبحانه فيعاتب في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء ويرفض عرق بين يديه ويفيض العرق منهم عن أقدامهم من

شدة الحياء ثم يغفر لهم ويرض عنهم".

وروى أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الختلي في كتاب الديباج له سنده عن أبي هريرة ﷺ قال: "يدني الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول اقرأ كتابك يا بن آدم قال فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويمر بالسيئات فيسود لها وجهه، قال فيقول الله تعالى: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم يا رب أعرف، قال فيقول سبحانه: أعرف بها منك قد غفرتها لك فلا يزال بحسنة تقبل فيسد لها وسيئة تغفر فيسجد فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك حتى ينادي الخلائق بعضها بعضا طوبي لهذا العبد الذي لم يعص الله قط ولا يدرون فيما قد لقي فيما بينه وبين الله سبحانه مما قد وفقه الله عليه".

وفي الحديث عن أبي ذر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يُوتى بالرجل يوم القيامة فيقال أعرضواْ عليه صغار ذنوبه ويخبأ كبارها فيقال علمت يوم كذا وكذا وكذا وكذا ثلاث مرات قال وهو يقرأ ليس ينكر قال وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، قال فإذا أراد به خيرا قال اعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول حين طمع يا رب إن لي ذنوبا ما رأيتها هنا، قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجده ثم تلى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾[1] هذا حديث صحيح.

---

(1) سورة الفرقان 25، الآية: 70، وتمامها قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾

وخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أني لا اعلم آخر أهل الجنة دخولاً وآخر أهل النار خروجها، منها رجل يوتي به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه وأرفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت سيئات لا أراها ها هنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى طهرت نواجده".

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: "لا يستر الله على عبداً في الدنيا إلا ستره يوم القيامة، وفي صحيح مسلم أيضا من حديث أبي هريرة ﷺ ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، وروى من ستر على مسلم عورته ستر الله عورته يوم القيامة، قال أبو حامد فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك نفسه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في عيوبهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجاوز بمثله يوم القيامة".

تنبيه: قال القرطبي رحمه الله في قوله ﷺ: وعن علمه ما عمل فيه هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ما قال فيه وإنما قال ما عمل فيه فلينظر العبد ما عمل فيما عمله،هل صدق الله في ذلك أم لا والآيات والأخبار بالوعد والوعيد في هذا كثير".

وروى مسلم عن صفوان بن محرز قال قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول: "في النجوا؟ قال: سمعته يقول: يدني الله سبحانه المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول له هل تعرف فيقول: رب اعرف قال فيقول: سبحانه المؤمن يوم

القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف قال: فيقول سبحانه أنا سترتها عليك في الدنيا وأني اغفرها لك اليوم فيعطي صحيحه حسنان وأما الكافرون والمناقفون فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم إلا لعنة الله على الظالمين.

وروى عن على رضي الله عن أنه قال قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة خلا الله عزوجل بعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنبا ذنب ثم يغفر الله سبحانه له لا يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل وستر من ذنوبه عليه ما يكره أن يوقف عليها ثم يقال لسيئا كوني حسنات".

وروى عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه"، قال القرطبي: "وهذا مأخوذ من حديث النجوا ومن قوله عليه السلام: "لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة" خرجه مسلم.

وروى الطبراني عن سليمان بن أحمد بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إذا كان يوم القيامة دعا الله بعيد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله".

وروى الحافظ أبو القاسم عبد الرحمان بن مندة في كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺأنه قال: "إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة يا عباد أنا الله لا إله إلا أنا أنا أرحم الراحمين أحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم ويسروا جوابا فإنكم مسؤولون ومحاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا على أطراف أنامل أقدامكم للحساب" .

وروى الحافظ أبو نعيم في حليته عن مجاهد في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ

لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾[1] قال عن كل شيء من لذة الدنيا"، قال أبو عيسى الترميذي.

وروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخفف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا فضل منه".

روى أبو بكر البراز عن انس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لا يتركه أما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2] وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم من بعض.

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: "لتودين الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجما من الشاة القرنا".

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث أبي ذر ﷺ قال: "رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر هل تدري فيما تنتطحان قلت لا أدري قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما".

وروى أبو بكر البزار عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعيم من الله عليه فيقول الله تعالى لأصغر نعمة أحسبه قال في

---

(1) سورة التكاثر 102، الآية: 8.

(2) سورة لقمان 31، الآية: 13، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

ديوان النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح ثم ثمنا فتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل فإذا أراد الله أن يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك وأحسبه قال ووهبتك نعمتي".

وروى الترمذي عن عبد الله بن الزبير عن أبيه رضي الله عنهما قال لما نزلت: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] قال الزبير يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال: نعم قال إن المر إذا

لشديد".

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون من المفلس؟ قالواْ: المفلس فينا من لا درهم له و لا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار.

---

(1) سورة الزمر 39، الآية: 31، .

فَصلٌ فيما جاء أن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة

روى النسائي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضي بين الناس في الدماء".

وروى مالك عن يحي بن سعيد قال: "بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فإن قبلت نظر فيما بقي من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله".

وقد رواه أبو داوود والترمذي والنسائي مرفوعا بهذا المعنى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عزوجل لملائكته: أنظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان أنتقص منها شيئا قال انظروا أهل لعبدي من تطوع فإن له كان له تطوع قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك" وهذا لفظ أبي داوود وخرجه ابن ماجة أيضا.

وروى الترمذي عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "لا يجري صلاة لا يقيم فيها الرجل صليه في الكوع والسجود" وقال حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم.

وروى أبو داوود الطيالسي في مسنده سنده عن عباده بن الصامت ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني فترفع وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني فتلف كما يتلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه".

فَصلٌ: في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾[1]

روى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ في قول الله: "يوم ندعوا كل أناس بإمامهم" قال يدعا أحدهم فيعطي كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللّهم أتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ويقول أبشروا كلك واحد منكم مثل هذا، قال وأما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا قيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللّهم لا تأتيا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللّهم أخره فيقول أبعدكم الله فأن لكل رجل منكم مثل هذا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب قلت: قوله في الكافر ويلبس تاجاً أي من العذاب ففي حديث آخر أنه يعظم للنار وتزرق عيناه وسيود وجهه ويكسى سرأبيل القطران ويقال له انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا".

فَصلٌ:

قال المحاسبي رحمه الله: "فتوهم نفسك وقد نوديت بإسمك أين فلان هَلُّم للعرض على الملك الديان ، قد وكلت الملائكة بأخذك وقربك الله

---

(1) سورة الإسراء 17 ، الآية: 71، وتمامها قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾

إلى الله تعالى لم يمنعها اشتباه الأسماء باسمك إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قد قرع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوب فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك بتخطيك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت في أيدي الملائكة وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك".

"فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك وفي يدك صحيفتك مجبرة بعلمك لا تغادر يليه كتمنها و لا مخبأت أسررتها وأنت تقرأ ما فيها بلسان قليل وقلب منكسر ذليل فليت شعري بأي لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك وعظيم جرمك وأي قلب يحتمل كلام الملك الجبار في عظمته وقد سمعت كلامه فذكرت ذنوبك".

"فتوهم نفسك بهذه الهيبة والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك فكم من يلبه قد كنت نسيتها وذكر لها وكم من عمل طبي ظننت أنه قد سلم لك وخلص فرد، عليك في ذلك الموقف وكم من سيئة قد كنت أخفيتها أظهرها وأبدها بعد أن كان أملك فيه عظيما فيا حسرة قلبك وتأسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك حتى إذا كرر السؤال تذكرت كل بلية ونشر كل خفية فاجهك الكرب وبلغ الحياء منك منتهاه لمخالفة أمره وقلة حياك منه وقلة اكتراثك بإطلاعه عليك".

"وتوهم نفسك بعد المسائلة وقد بدالك منه أحد أمدين أم العفو والرضا أم الغضب فأما أن يقول لك عبدي أنا سترتها عليكم في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم وقد غفرت لك كبر جرمك وتقبلت يسير اسحانك فيستطرح بالفرح والسرور قلبك وسيفر لذلك وجهك.

"فتوهم نفسك وقد قالها لك فبدا إشراق السرور ونوره في وجهك فانبض بذلك بعد كآيته وتوهم رحت قلبك برضائه عنك حين سمعته يقول

لك آت تموت فرحا وسروا فكيف بك لم قد سمعت من الله الرضا فأمن خوفك وسكن حذرك وحقق أملك وأيقنت بفوزك ونعيمك".

"وتوهم نفسك وقد خرجت على الخلائق بوجه قد حل فيه الكمال والجمال والحسن كتابك بيمينك أخذ بضبعك ملك ينادي على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقي بعدها أبدا لقد شهرك الله سبحانه بالرضى عند جميع خلقه وحقق حسن الظن بك وإن هذه المنزلة غدا على رؤوس الخلائق لعوضا من المنزلة عند العباد بطاعتك والصّنع لهم في الدنيا وإن زهدت في التصنع وطلب المنزلة عندهم بطاعة ربك وعاملته وحده عوضك المنزلة الكبرى على رؤوس الخلائق فشهرك برضائه عنك وولايته إياك".

"فتوهم نفسك وأنت تتخطى الرقاب كتابك بيمنك يحمل وجهك ونوره وفرحت قلبك وسروه وقد شخصت الأبصار إليك وغبطك أهل ذلك الجم فليعظم في ذلك أمكل فإنه أن تفضل عليك غضان فلن أغفر لك عظيم ما أتيت به ولن اتقبل منك ما عملت وإن يقول لك عند بعض ذنوبك العظيمة وعزتي وجلالي لا تذهب بها مني".

"فتوهم نفسك إن لم يعف عنك وقد قالها لك وأمر الزبانية فابتدرتك بفضاضتها غضب لغضب الله تعالى متقربون إليه بالعنف وإدخال الذل والهوان عليك ".

"فتوهم نفسك وأنت في أيديهم ذليلاً مرتنابا بالهلاك وهم ذاهبون بك إلى النار وقد سود وجهك وأنت تنادي بالويل والثبور وقد أفضحك عند خلقة وعند من آثرته عليه بالمعاملة ورضيت بحمده على طاعة ربك عوضا من حمده فتوهم وذلك واذكر هذا الخطر وكن حذر الحد الأمرين".

فَصلٌ في بعث الأيام والليالي ويوم الجمعة

قال القرطبي: "في تذكرته ورى القاضي الشريف أبو الحسن على بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عزو جل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها مخفونون بها كالعروس تهدي إلى كريمها تقئ لهم يمشون في ضوءها لو أنهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المتحسبون".

وروى أبو نعيم عن أبي عمران الجوزي أنه قال: "ما من ليلة تأتي إلا تنادي اعملوا في ما استطعتم من خير فلن ارجع إليكم يوم القيامة".

وقال عياض في مداركه: "روى عن الغازي بن قيس أنه كان يقول ما من يوم يأتي إلا ويقول أنا خلق جديد وعلى ما يفعل في شهيد خذوا مني قبل أن يبدأ أمس ذلك اليوم خرسه ساجدا، وقال الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم".

فصلٌ في شهادة البقع وغيرها لابن آدم وعليه قال تعالى

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: "يومئذ تحدث أخبارها" قال: أتدرون ما أخبارها قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا وكذا قال فهذه أخبارها.

وروى أبو نعيم عن معقل بن يسار ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك غدًا فإني لو قد مضيت لن تراني أبدا ويقول الليل مثل ذلك.

وروى ابن المبارك عن عبد الله بن عمر بن القاضي رضي الله عنهما قال من سجد في موضع عند حجر أشجر شهر له يوم القيامة عند الله".

قال ابن المبارك وعن عثمان بن عفان ﷺ يقول: "وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد" قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها".

وخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخذري ﷺ وفيه: "أن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطا منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال ﷺ: "وأنه من يأخذه لغير حقه كالذي يأكل و لا يشبع ويكون عليه شهيد يوم القيامة وروى الأئمة مالك وغيره عن أبي سعيد الخذري ﷺ عن النبي ﷺ أنه:" قال لا يسمع مدا صوت المؤذن جن و ى انس و لا شجر ولا حجر ولا مد إلا شهد له يوم القيامة، قال العلماء

---

(1) سورة ق 50 ، الآية: 21.

وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم قال الله تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[2] وقال وشهد كل أمة نبيها وقيل أنهم كتبه الأعمال.

وروى ابن المبارك عن سعيد بن المسبب أنه قال: "ليس يوم إلا يعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم تعرض على الله تعالى يوم الاثنين ويوم الخميس وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ولا تعارض ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص نبينا ﷺ بالعرض كل يوم الجمعة مع الأنبياء" والله أعلم.

وروى ابن المبارك عن سليمان بن راشد أنه: "بلغه أن مرءاً لا يشهد على شهادة في الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ولا يمتدح عبدا في الدنيا إلا امتداحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد".

---

(1) سورة الزمر 39 ، الآية: 69.

(2) سورة النساء 4 ، الآية: 41.

فصل في إرضاء الله تعالى الخصم في الآخرة

قال القرطبي: "روينا في الأربعين وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله عزوجل عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقلت له مِمَ تضمك يا رسول الله قال رجلان من أمتي جاثيان بين يدي ربي عزوجل فقال أحدهما: خذ لي مظلمتي من أجل أخي قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته فيقول يا رب ما بقي من حسناتي في شيء يقول يا رب فليحمل من أوزاري وقاضت عيناه رسول الله ﷺ ثم قال إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى ان تحمل أوزارهم قال الله تعالى لطالب حقه أرفع بصرك فنظر إلى الجنان فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطاني ثمنه قال ومن يملك ثمن ذلك قال أنت قال بمإذا قال بعفوك عز أخيك قال يا رب فإني قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله ﷺ: " فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة" .

قال ابن أبي الدنياء وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل قال: "بلغني أن الله سبحانه أوحى إلى بعض أنبيائه بعين ما يتحمل المتحملون من أجلي مما يكابرون في طلب مرضاتي أترأبي أنس لهم عملا كيف وأنا ألاحم بخلقي لو كنت معاجلا بالعقوبة أحد أو كانت العجلة من ثنائي لعالجت بها القانطين من رحمتي ولو يرى عبادي المؤمنون كيف استوهبهم ممن ظلموه ثم احكم لمن وهبهم بالجلد المقيم في جواري إذا ما تفهموا فضلي وكرمي".

قال القرطبي: "وهذا لعض الناس ممن أردا الله ألا يعذبه ويغفر له

ويرض عنه خصماه وقد يكون هذا في الظالمين الأولين إنه كان للأولين غفورا والأواب الذي أقلع عن الذين فلم يعد إليه كذا تأوله أبو حامد وهو تأويل حسن أو يكون ذلك فيمن له خبيئة حسنة من عمل صالح يغفر الله له بها ويرضى خصاه ولو كان ذلك في جيع الناس ما دخل النار وكذلك ما روى عن النبي ﷺ أن ينادي منادي من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أثاه كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التباعان فتواهبها واخلوا الجنة برحمتي من هذا المعني ولو كان على عمومه ما دخل احد النار".

قلت: وكذلك ما جاء من هذا المعنى فهذا تأويله وفضل الله عظيم عاملنا الله بفضله وسمحنا بكرمه.

فَصلٌ فيما جاء في حوض النبي صلى الله عليه سلم في الوقف

ذهب صاحب الغوت وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ أنما: "هو بعد الصراط قال القرطبي في التذكرة والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين وكلاهما يسمى كوثر على ما يأتي والكوثر في كلام العرب الخير الكثير واختلف في الميزان والخوض أيهما قبل الأخر فقيل الميزان قبل وقبل الخوص قبل، قال أبو الحسن القاسي والصحيح أن الحوض قبل" ، قال القرطبي والمعنى يقتضيه لإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا والله أعلم.

قلت: "وفي الحديث ما يؤدي إلى هذا وهو قوله ﷺ: "إني لكم فرط على الحوض وقوله اني على الحوض أنتظر من يرد على منكم وسيأتي".

وروى مسلم عن ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ أني لبعقري حوضي إذ وذ الناس لأهل اليمن اضرب بعصاي حتى ترفض عليهم فسأل عن عرضع فقال من مقاصي إلى عمان وسأل عن شرافه فقال اشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل يعب ميزابان يمدان من الجنة احدهما من ذهب والأخر من ورق".

وروى مسلم عن أبي ذر ﷺ قال قلت يا رسول الله ﷺ ما آنية الحوض قال الذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب من لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان أيله ماؤه اشد بياضا من اللبن أحلى من العسل".

وروى الترمذي وابن ماجة عن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: "حوضي من عدن إلى عمان البلفا ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكاويب عدد نجوم السماء من شرب منه شربه لم يظمأ بعدها أبدا، أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا

ينكحون المتنعمات ولا يتفتح له أبواب السرد، قال بن عبد العزيز يكني نكت المتنعمات وفتحت لي أبواب السرد ونكحت فاطمة بنت عبد الملك لا حرم اني لا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى ينسخ ولا داس رأسي حتى بشعث. وعند ابن ماجة قال فبكر عمر حتى أخضل لحيته الحديث، وروى البزار عن انس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "حوضي من كذا إلى كذا فيه من الآنية عدد النجوم وأطيب ريحا من المسك وأحلا من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن من شرب من لم يظمأ أبدا ومن يشرب منه لم يروا أبدا".

قلت: تأمل قوله يخلد في النار وهم الكفار لأن من يدخل الجنة بعد نفوذ الوعيد يوار وينعم ومن هنا تعلم أن الذي يزاد عنه ويطرد إنما هو من وقع منه التبديل في دينه محكم بكفره لفساد عقده عافانا الله من ذلك بكرمه، وهذا من ظاهر الأحاديث ونص صريح في البخاري وغيره".

وقد روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "فينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتم خرج رجل من بين وبينهم فقال هلم فقلت إلى أين فقال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم قال أنهم أرتدوا على ديارهم بعدك القهقرا ثم إذا زمره أخرى إذا عرفتم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم: هلم هلم فقلت إلى أين قال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم قال: اترتدوا على اديامهم فلا أراهم يخلص منهم إلا مثل همل النعم".

وروى مسلم عن أسماء نبت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قال رسول الله ﷺ: "إني على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي فيقال أما شعرت ما عملوا بعد والله ما يرجوا بعدك يرجعون على أعقابهم قال فكان بن أبي مليكة يقول اللّهم إني

أعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن دينيا".

قلت: روى مسلم من طريق عائشة رضي الله عنها نحو هذا ولفظة إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم فوالله ليقتطعن دوني رجال، الحديث ونحوه حديث أنس.

وروى الترمذيد عن كعب بن عجرة ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ: "اعندك يا كعب بن عجرة من أمرء يكونون بعدي فمن غشي أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني وليس من ولا يرد على الخوض ومن غشي أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منهم وسيرد على الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة برهان والصبر جنة والصدق تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة إن لا ير بوكم تبت من سعت إلا كانت النار أولى به"، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وخرجه ايضا في كتاب الفتن وصححه.

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث عثمان بن مضعون عن النبي ﷺ قال: يا عثمان لا ترعب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب ضلاربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة".

قال القرطبي وروى عن بن عباس رضي الله عنهما قال: "سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي الله عزوجل هل فيه ماء قال والذي نفسي بيده أن فيه لماء وأن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء يبعث الله تعالى بسبعين ألف ملك بأيديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء".

وروى الترمذي عن سمرة بن جندب رض الله عنه قل قال رسول الله ﷺ ولكم أن لكل نبي حوض وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة اوني أرجوا الله أن أكون أكثر واردة" قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

ورى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: "أتى المقبرة فقال

السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا أن شاء بكم لاحقون ووردت أني قدر رأيت أخوننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله قال أنتم أصحابي وإخواني الذين يأتوا بعدي فقالوا كيف تعرق من يأتي بعدك من أمتك يا رسول الله قال أرأيت لو أن رجلا له خيلا غر محجلة بين ظهري خيل دهم لهم ألا يعرف خيله قالوا: بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون غدا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض" الحديث.

وروى أبو بكر البزار عن جابر بن جار بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ: "وأنا فرطكم بين أيديكم فإن لم تجد وفي فأنا على الحوض وسيأتي أقوام ورجال ونساء ثم لا يذوقون منه شيئا".

وروى الترمذي من حديث أنس ﷺ قال سألت النبي ﷺ: "أن يشفع لي يوم القيامة قال أنا فاعل قلت: يا رسول الله أين أطلبك. قال: أطلبني أول ما تطلبني على الصراط قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزتن قال فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن، قال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

قلت: قوله ﷺ: "أطلبني أول ما تطلبيني على الصراط يعني والله أعلم أن ذلك حين تبدل الأرض ذلك بعد نفخة البعث على ما جاء في ذلكم من الآثار".

فَصلٌ في ذكر حديث لقيط بن عامر وهو حديث عظيم جامع مشتمل على ذكر الحوض وغيره أذكر منها مالا بد منه

وروى أبو بكر بن أبي حيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر العُقيلي ﷺ قال: "خرجت أنا وصاحب لي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ والمدينة لإنسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ حتى انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال: أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا أسمعكم اليوم ألا فهل من أمري بعثة قومه فقال له أعلم لنا ما يقول رسول الله ألا ثم لعله أن يلهبه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو الضلال إلا إني مسؤول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا اجلسوا فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلنا يا رسول الله ما عندك من علم الغيب قال: فضحك لعمر الله وهز رأسه وزعم أني ايتغي أسقطه فقال ظل ربك بخمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وأشار بيده فقلت وما هن يا رسول الله قال: علم اليتة قد علم مني متية أحدكم ولا تعلمون وقد علم المني مني يكون في الرحم ولا تعلمون وعلى ما في غد قد علم ما أنت طاعم إذا ولا تعلمون وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلي فيظل بضحك وقد علم أن غوثكم قريب قال لقيط بن لم نعدم من رب يضحك خيرا قال وعلم يوم القيامة.

قلت يا رسول الله: إني سائلك عن حاجتي فلا تجعلني قال: سل عما شئت قلت: يا رسول الله علمنا ما نعلم الناس فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقا أحدا قال تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبئكم ثم تلبثون مالبثتم ثم تبعث أصل الصحية ثم ماتدع على ظهرها من شيئ إلا مات فاصبح ربك يطوي الأرض وخلت عليهم البلاد فأرسل ربك السماء يهضب من عند العرش

فلعمر الهلك ما تدع عملي ظهرك من صرع قتيل ولا مدين ميت إلا شقا القبر عنه حتى تخلفه من قبل رأسه حتى يستوي جالسا يقول ربك مهمينا لما كان فيه يقول يا رب أمنيتي أمي اليوم لعهده بالحياه فحسبته حديثا بأهله فقلت يا رسول الله: كيف يجمعنا بعدما لموقنا الرياح قال انبئكم بثل ذلك الِض أشرفت عليها فإذا هي مذره بالية فقلت لا تحيا أبدا فأرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عنها إلا أيامنا حتى أشرفت عليها فإذا هي شويه واحدة فعلم إلا هل لهو قدر على أن يجمعكم من الماء كما أن يجمع نبات الأرض فتخرجون على الأرض على الأرض ومن مصارعكم فتنظرون إليه ساعة وتنظر إليكم قال قلت يا رسول الله نحن ملء الأرض وهو واحد ينظر إليه قال انبئكم بمثل ذلك الشمس والقمر آيه صغيرة تروتهما ساعدة واحدة لا تضامون في رؤيتهما ولعمر إليك لهو قدر على أن يراكم وترونه منهما أن تروهما ويريانكم ولا نضامون في رؤيتهما قلت يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقينا قال تعرضون عليه بادية لديه صحائفكم لا تخفى عليه منكم خائفة فليأخذ ربك بيده غرفه من الماء فينضح بها فبلكم فلعمر إلهك ما تخطى وخطى وجهه أحد منكم منها قطرة فأما المسلم فتدع مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتحطه مثل الحمم السود إلا ثم فينصرف نبيكم ويعرف على أثره الصالحون فتسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول صبر يقول ربط وأن أفلا تطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله أهله فلعمر إلهك ما يبسط أحدكم كمكم يده إلا وقع عليها قدح يظهره من الطوف والبول والأذى وتخنس الشمس والقمر فلا تورن منهما واحد قال قلت يا رسول الله فيما بنصر قال بمثل ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في اسعرته الأرض وواجهته الجبال قال قلت: يا رسول الله فيما نجزا من سيئاتنا وسحناتنا قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن

يغفر قلت يا رسول الله أما الجن أما النار قال لعمر لهك إن لها سبعة أبواب ما منها باب إللا يسير الركب يبنهما سبعين عاما وأن للنة ثمانية أبواب ما منهما بابن إلا يسير الرأس بينهما سبعين عاما قلت يا رسول الله مغلى ما نطلع من الجنة قال على أنهار من عسل مصفى وأنها من خمر كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنها من لبن يتغير طعمه وماء غير آنس وتفاكه لعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطرة قلت يا رسول الله إن لنا فيها أوزاجا أو متهن مصلحات قال الصالحات للصالحين تلزونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلزمكم غير أن لا توالد وذكرياتي الحديث انتهى مختصرا ةفي هذا الحديث أن الحوض بعد الصراط ويشهد لما ذكره القرطبي من أن للنبي ﷺ حوضين احدهما في الموقف وصور الذي بزاد عنه بذل أو غير والثاني بعد جواز الصراط وصور الذي لا يزاذ وعنه أحد بفضل الله تعالى".

قال القرطبي: "لإن الصراط إنما هو جسر على جهتهم صمود يجاز عليه فمن جازه سلم من النار على ما يأتي قال وكذلك أحواض الأنبياء عليهم السلام تكون في الموقف".

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سئل رسول الله ﷺ عن الموقف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال" والذي نفسي بيده أن فيه لماء وإن أولياء الله ليرون حياض الأنبياء يبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عص من نار يزودون الكفار عن حياص الأنبياء" وقد تقدم هذا الحديث.

فَصلٌ فيما جاء في الكوثر

روى مسلم عن انس بن مالك ﷺ قال بينما رسول الله: "ذات يوم بين أظهرنا إذا غفا إعفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال: نزلت على سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[1]، ثم قال اتدورن مال كوثر قلنا الله ورسوله أعلم فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال ما تدري ما حدث بعدك وفي طريق آخر عن أنس أيضا نهر وعدنيه ربي غي الجنة عليه حوضي".

وروى البخاري عن أنس رضي الله عن النبي ﷺ قال: "فينما أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه الدرر المخفوف قلت يا جبريل ما هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينته أو طيبه مسك أدفر شك هذبه وخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه وزادر ثم رفعت لي سدره المنتهي فرأيت عندها نورا عظيما".

وروى الترمذي عن ابن عمر ري الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "الكوثر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدرر والياقوت أطيب من المسك أحلى من العسل وأبيض من الثلج" قال هذا حديث حسن صحيح.

---

(1) سورة الكوثر: 108 ، الآية: 1-3.

بَابُ ما جاءَ في الميزانِ وأنَّهُ حَقٌّ

قال الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، الآية إلى غير ذلك من الآيات، قال القرطبي:" في تذكرته قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن العمال لان الوزن للجزاء فينبغي أن تكون بعد المحاسبة لتقدير العمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها".

وروى عن سليمان الفارسي ﷺ أنه قال: "توضع الموازين يوم القيامة فلو وضعت فيهن السموات والأرض لوسعتهن فيقول الملائكة يا ربنا ما هذا فيقول أزن به لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة عند ذلك ما عبدناك حق عبادتك وقد جاء أن كفة الحسنات من النور والأخرى من ظلام فالكفة المنيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات".

قال ابن عباس: "توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان".

وروى أبو بكر البزار:" الألكائي في سننه عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن ملكا موكل بالميزان فيؤتي بابن آدم فيوقف بين كفتي

---

(1) سورة الأنبياء 21 ، الآية: 47، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

الميزان فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق كلها سعد فلان سعادة لا يئتى بعدها أبدا وإن حق ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق كلها شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا".

وروى الترمذي عن أبي الدراداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "ما شيء يوضع في ميزان أثقل من خلق حسن" .

وذكر خيثمه بن سليمان في سنده في آخر الجزء الخامس عشر عن صابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته بمثقال صوابه دخل النار قبل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال: أولئك أصحاب العراق لم يدخلوا وهمك يطمعون رواه لبن المبارك أيضا عن بن مسعود وفيه: "أن الميزان يخف بمثقال حبه أو يرحج".

قلت: قال الجوهري: "والصوابه بالهمزة بيضة العملة والجمع الصابان وقد أصاب رأيه وأصاب إذا صابان".

قال القرطبي في تذكرته: "وما أصحاب الأعراق فيقال أنهم مساكين أهل الجنةِ"، وروى هناد بن السري عن عبد الله بن الحارث قال: "أصحاب العراق ينتهي بهم إلى نهر يقال له الحياة خافتاه قصب الذهب قال أراه مكلل باللؤلؤ فيغتسلون منه اغتسالا فتبدوا في نحورهم شامة بيضاء ثم يعودون فيغتسلون فلما اغتسلوا زادت بياض فيقال لهم تمنوا فيتمنون ما شاء و قال: فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعين ضعفا قالوا فهم مساكين أهل الجنة وفي رواية فإذا دخلوا الجنة وفي نحورهم تلك الشامة البيضاء يعرفون بها قال فهم يسمون في الجنة مساكين أهل الجنة.

بَابُ ما جاءَ أنَّ أمَةَ سيِّدنَا مُحمَّد ﷺ أولَ مَن يُحاسبُ وأولَ من يَدخل الجَنَّة.

روى ابن ماجة عن ابن عبان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون والأولون وفي رواية عن ابن عباس فتفرح لنا المم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من الآثار الوضوء فيقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون كلها أنبياء، وخرجه أبو داوود الطيالسي بمعناه".

وخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "نحن الآخرون والأولون يوم القيامة وفي رواية نحن السابقون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية نحن أول من يدخل الجنة وفي رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي رواية المقض بينهم" هذا لفظ مسلم.

فَصلٌ

روى عن النبي ﷺأنه قال: "يكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرون صفا طول كل صف سيره أربعين ألف سنة وعرض كل صف عشرون ألف سنة قبل يا رسول الله كم المؤمنون قال ثلاثة صفوف فقيل والمشتركون قال مائة وسبعة عشر صفا قيل له فما صفة من الكافرين قال المؤمنون كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ذكر هذا الحديث القتبي في عيون الأخبار قلت: "و يشهد لصحة بعث النار.

فقد روى مسلم و البخاري عن النبي عن أبي الخذري ﷺ قال رسول الله ﷺ يقول الله عز و جل يا: ادم فيقول لبيك و سعديك قال: اخرج بعث النار قال: يا رب وما بعث النار قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون

أي إلى النار وواحد إلى الجنة قال: فذلك حين يشبب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" الحديث.وفيه أن مثلكم في الأمم كمثل الشفرة البيضاء في جلد الثور الأسود الحديث.

بَابُ ما جاءَ في كَثرة أمَة سيِّدنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ومَن يَدخل الجنَّة بَغَير حسَاب

روى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا".

وروى البزار عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يأتي معي أمتي يوم القامة مثل الليل فيحطم الناس حطمته فيقول الملائكة لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأنبياء".

وروى مسلم والبخاري واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخذري ﷺ عن النبي ﷺ في حديث بعث النار أنه قال ﷺ: "والذي نفسي بيده أني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده أني لأطمع أن تكونوا شطرا أهل الجنة" الحديث.

وروى أبو بكر بن سيبة بسنده عن الشعبي عن النبي ﷺ قال أيسركم أن تكونوا ثلثا أهل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال: أيسركم أن تكونوا نصف أهل الجنة قالوا الله وسوله أعلم صف أمتي من ذلك ثمانون صفا رواه مرفوعا إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة الترمذي رأبية ماجة بُريدة بن حصيب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم"، قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "عرضت على الأمم فرأيت النبي وعه الرهط والنبي وعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فضل لي هذا موسى عليه السلام وقومه ولكن انظر إلى الأفق الآخر فنظرت فإذا سواد

عظيم فقيل انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد وعظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فنظرت فإذا سواد عظيم فقيا أي هذه أمتك ومعهم سبعين ألفا يدخلون الجنة من أمتي سبعون ألف لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيان ممن حثيان ربي"، قال الترمذي حديث غريب رواه ابن ماجة أيضا.

وروى أبو بكر البراز عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ليدخلن من أمتي سبعون ألف مع كل واحد من السبعين ألفا سبعون ألفا".

قلت: يعني الله أعلم بغير ساب كما سيأتي وروى أبو بكر البراز وأبوا عبد الله الترمذي الحكيم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "وإن الله أعطاني سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر: يا رسول الله فهل لا ستزدنه فقال قد استزدته فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألف سبعين ألفا فقال عمر يا رسول الله فهل لاستزادته فقال قد استزادته فأعطاني هكذا فقال فد استزادته فأعطاني هكذا وفتح أبو وهب يديه قال أبو وهب قال هشام وهذا من الله ما يدري عدده وأشار القرطبي في تذكرته عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يجد له خلفا ورجل لم ينصب على مستوقدة يقدر بن فظ ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيها تريده".

وقال بن مسعود: "ومن احتقر بئرا في فلاة من الأرض إيمانا واحتسابا بالله دخل الجنة بلا حساب" قال القرطبي في تذكرته: "ونقلت من الزيادان بعد الأربعين لإسماعيل بن عبد العافر رحمه الله تعالى".

قال حدثني الحسين بن على حديثا يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي ليلى عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال قال رسول

الله ﷺ: "مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير من عبادة سيئة وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل وإن طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجا والولد البار لوالديه يدخلون الجنة بغير حساب".

بَابُ ما جاءَ في جَوازِ الصِّراطِ ودَرجاتِ النَّاسِ في المرورِ عَليه

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن أناس قالوا الرسول ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ ها تضارون في القمر ليلة البدر قالوا: لا يا رسول الله قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سبحان قالوا: لا قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعيد لقمر القمر ويتبع من كان يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقيها الحديث، وفيه يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا و أمتي أول من يجوز ولا يتكلم أحد يومئذ إلا الرسل ودعا الرسل يومئذ اللّهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ألا أيتم شوك السعدان قالوا: نعم يا رسول الله قال فإتها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمتها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموقف بعملة ومنهم المجازي حتى ينجى الحديث ، وذكر الغزالي في كتاب كشف علم الآخرة إنه إذا لم يبق في الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون تجلا بهم الرب سبحانه فيسجدوا له جميعهم فيقول أهلا بكم فيمرن على الصراط والناس أفواجا، المرسلون ثم النبئون ثم الصديقون، ثم المحسنون ثم المؤمنون العارفون وبيقي المسلمون منهم المكتوب لوجهه ومنهم المحبوس في الأعراق ومنهم قوم قد قصروا عم تمام الإيمان فمنهم من يجوز على الصراط على مائة عام والآخر يجوز على ألف عام ومع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه يانا لا يضار في رؤيته".

وخرج مسلم من حديث أبي هريرة وحديفة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ :" يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف

لهم الجنة فيأته آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخلاجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى أبي إبراهيم خليل الله قال فيقول: ابرهيم عليه السلام لست بصاحب ذلك عمودا إلى موسى الذي كلمه الله تكليما فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسلا كلمة الله وروحه فيقول: عيسى لست بصاحب ذلك ادهبوا إلى محمد ﷺ قال: فيأتون محمد ﷺ فيقوم يؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق قال قلت: يأبى أنت وأمي أي شيء كما البرق قال ألم ترى إلا البرق كيفيمر ويرجع في طرفه عين ثم كما الريح ثم كم الطير ولشد الرجال وتجري بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج وكمدرس في النار والذي نفسي أبي هريرة بيده أن قعر جهنم لسبعين خريفا"

قال المحاسبي: واذكر الجسر برقته وهوله وزلته وعظيم خطره وقد حل بفؤادك وجله حيف رفعت ظرفك فنظرت اليد مضربا على شن جهنم وجهنم تخفف بأمواجها من تحته فياله من منظر ما أففضعه وأهواله، فتوهم نفسك وقد قيل لك وللخلائق أركبوا الجسر قطار فزعا ورعبا".

"فتوهم نفسك وقد رفعتا حدى قدميك لتركبه وثبت بالأخرى ستوي عليه وقد أثقلتك أوزارك وأنت حاملها على ظهرك وقد تهافت الناس في جهنم من يبن يديك ومن خلفك وقد نظرت الزالين والزلايات قد نكست رؤوسهم وارتعدت على الصراط أرجلهم ورمتهم الملائكة بالكلاليب فجديتم وهم يبكون وينادون بالويل والثبور فتوهم ذاك تقلب فازع وقعل

جامع عليه فإن أهوال القيامة أنما خفت على الذين توهموهاني الدنيا بعقولهم فتحملوا في الدنيا الهموم خوفا من مقام ربهم فخففها مولاهم عنهم يوم القيامة".

"فتوهم ذلك بقلب فارغ وهمة هائجة من قلبك بالرحمة لبدنك الضعيف وارجع عن ما يكرهه منك مولاه إلى ما يرضاه عسى أن يرضى عنك واستغل عثراتك وابكي من خشيته عسى أن يرحم عبراتك فإن الخطر العظيم والموت منك قريب ومولاك مطلع على سريزيك وعلى نيتك فأحذر نظره إليك بالحقت والغضب فإنه لا طاقة لك بغضبه ولا صبر لك على عذابه".

قال ابن أبي حمزة رحمه الله تعالى: "وقد جاء في صفة الصراط أنه أِق من الشعر وأحد من السيف وأنه سبع عقبات وأن طول كل عقبة منه مقدار ثلاثة ألاف سنة، قال الغزوالي في الإحياء الصراط أخد من السيف وأرق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونحى ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أول قدم على الصراط فأظل فكرك في ذلك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من أبطال فكره فيها في الدنيا فإن الله لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقم كرقة النساء تدمع عينك ويدق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب ثم تعود إلى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف من شيء هرب منه ومن رجا شيء طلبه فلا ينجيك إلا الخوف يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك عن طاعته".

بَابُ مَن جَاء فيمَن لا يُوقفُ على الصراط طَرفةَ عَين وذكر الصراطِ الثاني وهي القَنطَرة التي بَينَ الجَنَة والنَّار

روى الوائلي أبو نصر في كتاب الإبانة بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك فإن أحببن أن لا يوقف على الصراط طرفه عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حديثا برّأيك، قال: هذا حيث غريب الإسناد والمتن حسن".

قال القرطبي في تذكرته: "أعلم رحمك الله في الآخرة صراطين احدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو التغطية عنف النار فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منها إلا المؤمنون الذين علم الله سبحانه منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم حسبوا على صراط لآخر خاص بهم ولا يرجع إلى الناس من هؤلاء أحد بفضل لأنهم قد عبروا الصراط الول والمضروب على متن جهنم الذي يسقط فيه من أو بقية ذنوبه وأربي على الحسنان جرمه".

فقد روى البخاري عن أبي سيعد الخذري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يخلص المؤمنون من النار فيسبحون على القنطرة بين الجنة والنار فيقتض لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن الله لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة كان في الدنيا، قال مقابل إذا قطعوا كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم بمعن التحية فأخلوها خالدين".

بَابٌ فِي صِفَةِ النَّارِ. نَجانَا اللّه سُبحَانَهُ منهَا بِفضلِه ورَحمتِه

فقد حذرنا الله سبحانه من عذابه في غير ما أية في كتابه واجب على العاقل أن يتحذر مما حذره الله ويرحم بدنه الضعيف فإنه لا طاقة لأحد على عذاب الله والتعرض لغضبه.

وقد روى ابن المبارك عن ميمون بن مهرات أنه قال: "لما خلق الله النار أمرها فزفرت زفرة فلم يبق في السموات السبع ملك إلا خز على وجهه فقال لهم الجبار جل جلاله ارفعوا رؤوسكم أما علمتم ؟أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقت جهنم لأهل معصين من خلي فقالوا ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1] ورواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة".

وروى ملك ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: "أن ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزاءا من سبعين جزءا نار جهنم قال قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها سبعة وستين جزءا أكلها مثل حرها".

وروى ابن ماجة عن انس بن مالك رضي الله قال قال رسول الله ﷺ: "إن ناركم هذه جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها أطفيت بالماء مرتين ما أنتفعتم بها وأنها لتدعوا الله عزوجل إلا يعيدها فيها"، رواه سفيان

---

(1) سورة المومنون 23، الآية: 57، وتمامها قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

بن عينه من حديث أبي هريرة ﷺ وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أنها ضربت بمار البحر سبع مرات وحديث ابن مسعود عشرات مرات وخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ يؤتي بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقال عبد الحق في العاقبة: "وروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطروا كما يطروا كما يطير الشرار فإذا رفعتم اشرفوا على الجنة وبينهم حجاب فينادي أهل الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا مع وعدنا ربنا حقا فهل وجتم ما وعدكم وربك حقا قالوا نعم فإذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة حين يون الأنهار تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا أن الله حرمها على الكافرين فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر جهنم قال بعض المفسرين وهو معنى قوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

قال عبد الحق: "ولعلك تقول كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة وكيف يسمع بعضهم كلامهم بعض وبيتنهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك لا تقل هذا فإن الله تعالى يقوي أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا وهذا قريب في القدرة جدا وإذا تأمله وجدته.

قلت وهذا كما قال: "وإنما يحب الإيمان بما أخبر الله رسوله به"، قال

---

(1) سورة السجدة 32، الاية 20 وتمامها قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

ابن أبي حمزة: "ولا يتعرض إلى الكيفية في كل ما جاء في أمر الساعة فإنه أمر لا تسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعيف غي الإيمان وإنما يحب الحزم بالتصديق بما أخبر به ﷺ.

وفي صحيح البخاري من حديث أسماء رضي الله عنها أن النبي ﷺ: "حمد الله وأثنى عليه ثم قال ما من شيء لم أكن رؤيته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار"، الحديث .

قال ابن أبي حمزة رحمه الله تعالى في هذا الحديث دليل على أن الجواهر تحجب بذواتها لأنه عليه الصلاة والسلام قد رأى الجنة هذه الدار وهي في العلم العلوي فوق سبع طباق وسقفها عرش الرحمن سبحانه وهي محدقة بالنور لها شرفات السافلين تحت البحر الأعظم الذي عليه قرار الأرض على ما قد على ثم مع هذا البعد العظيم الكثافة العظمى لن يحجبه شيء من ذلك عن الرؤية والمعاينة ففقه دليل على عظيم قدرة الله تعالى وإنها لا تنحصر بالعقل ولا تجري على قياس انتهى كلام ابن أبي جمزة رحمه لله تعالى .

وقد جاءت آثار كثيرة في أهوال النار يطول ذكرها وكفى في ذلك ما تقدم من الوصف لن خاف على لحمه ودمه من التار وقد جاءت آثار كثيرة بأن في جهنم مقامع وسلاسل وأغلال وجبال وأودية ومجاري وصهاريج وحياض وآبار وجبابا وتنانير وسجوما وبيوتا وقصورا وجسورا وأرحيا ونواعير وعفاريت وحيات وغير ذلك من أنواع العذاب مما لا يحيط له الوصف أجارنا اله من عذابه بمنه" .

وروى مسلم عن انس ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه: "وسلة يؤتي لأنعن أصل الدنيا من أهل الجنة فيسبغ في النار صيغة ثم فيقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط، هل مرّ بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتي

شر النار بوسا في الدنيا من أصل الجنة فيبغ صيغة غي الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل هل رأيت بؤسا قط فهل مرت بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مرّ بي بؤس قط ولا رايت شدة قط".

وروى الترمذي وابن ماجة عن انس ﷺ قال: "فإن أهل النار ليكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى يصير في خدودهم كأمثال الجداويل ولو أجريت فيها السفر لجرت" .

بَابُ ما جاءَ في الشَّفاعَة في المُوحدينَ وفي إخراجهم منَ النَّار

ذكر أبو عبد الله بن مسيره الجملي عن أبيه وابن وضاح: من حديث انس ﷺ يرفعه قال: "يصف أهل النار فيقربون فيمر بكم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان أما تذكرن رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا فيقول كأنك أنت هو قال فيقول نعم فيشفع فيه فيشفع فيقول الرجل يا فلان منهم يا فلان لرجل من أصل الجنة أما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا كذا فيقول: نعم فيشفع له فيشفع فيه وخرجه ابن ماجة بمعناه".

قال حدثنا محمد بن عبد الله بن منير وعلة بن محمد قال: "حدثنا الأعمش عن يزيد الرقاشي عن انس بن ملك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يصف الناس صفوفا صفوفا وقال بن نمير أهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار على رجل من أهل الجنة فيقول يا فلان أما تذرك يوم استقيتني فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل فيقول الرجل أو نذكر يوم ناولتك طهور فيشفع له قال لبن نمير ويقول يا فلان أما تذكر يوم بعشتني لحاجة كذا وكذا فزهبت لك فيشفع له".

وخرجه أبو جعفر الطحاوي أيضا عن انس بمعناه فيه أنت شه إني سمعنا رسول الله يقوله".

قال محمد بن ميسرة: "ورأيت لهم عابدي أني لم أزو عنكم الدنيا لهونكم علي ولكن أردت أن تستوفوا نصيبكم اليوم فتخللوا الصفوف فمن احببتموه في الدنيا أو قضى لكم حاجة أو رد عنكم غيبة أو أطعمك لقمة ابتغاء وجهي وطلب رضاني فخذوا بيده".

قال أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "كان رجلان من أهل الجنة يشرف

يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار فيقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعلافك من أنت فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستقيتني شربة ماء فاستقيتك شربة مار قال قد عرقتك قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعال ويقول إني اشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهل فقال هل تعرفني فقلت لا من أنت قال أنا الذي استقيتني في الدنيا فسقتك فاشفع لي بها فاشفعني فيشفعه الله سبحانه فيؤمر به فيخرج من النار".

ورى ابن المبارك بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد فيقول الصيام رب منعته الطعام والشهوات ففي النهار فاشفعني فيه ويقول القرآن رب منعه النون بالليل فيشفعني فيه فيشفعان وسأتي إن شاء الله في شفاعة القرآن".

وروى أبو بكر البزار عن أبي بكرة الثقفي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "فيحمل الناس يوم القيامة على الصراط فتتقادع بهم جنبات الصراط تقادع الفراش في النار فينجي الله برحمته من يشاء ثم يؤدن للملائكة والنبيئن والشهداء والصالحين فيشفعون ويخرجون كل من كان في قلبه يزن ذره".

وروى أبو داوود الطيالسي عن حديفة بن اليمان رض الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "ليخرجن أقوام من النار منتنون قد محشتهم النار فيدخلون الجنة برحمته الله وشفاعة الشافعين فيسمون الجهنميون".

وروى مسلم عن جابر ﷺعنهما قال قال رسول الله ﷺ إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دراق وجوههم حتى يدخلون الجنة".

قال القرطبي: "هذا الحديث أدل دلليل على أن أهل الكبائر من أهل التوحيد لا يسود لهم وجه ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بخلاف الكفار"، وقد جاء هذا منصوصا في حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ:

"إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم ولا ترزق أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الأدراك ومنهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكوثا فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة ألاف" الحديث رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول له.

قال عبد الحق في العاقبة: "اعلم رحمك الله أنه قد وجب في الحكم الأول والقضية السابقة دخول النار على طوائف المؤمنين ممن أوفقتهم سيئاتهم وأحاطت بهم خطيئاتهم ولم تمحصها عنهم عقوبات الدنيا ولا عذاب القبر والأهوال يوم المحشر وكل إنسان منهم تنال منع النار بمقدار عمله وتأخذ منه إلى الحد الذي أمرت به ثم إن الله جل جلاله بفضله ورحمته يقبل فيهم شفاعة الشافعين ورغبة الراغبين وسؤال السائلين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء العاملين وكل من له عند الله تعالى جاه ومنزلة قد بلغها بعمله منال بصالح سيعة فإن له شفاعة في أهل ويته وأوليائه وأقربائة بل ربما كان في الرجل كان يعرفه في الدنيا ولم يكن يبنهما صحبه ولا كبر معرفة".

قال: "وأعلم ان الجاه الذي يكون به الشفاعة وتحصل به المنولة عند الله تعالى انما يكون اكتسابه في الدنيا بالعمل الصالح على الحد الذي حده الشرع ومن ذلك العمل التوضع للمسلمين ولين الجناح لهم واحتمال الأذى منهم والصبر عليهم واستقاط المنزلة عندهم وطلبها عند خالقهم جل جلاله".

وروى مسلم عن أبي سعبد الخذري ﷺ قال قال رسول ﷺ: "أما أهل

النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحبون لكم ناس أصابته النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فاماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحما أو ذنوبهم في الشفاعة فيجي بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الجنة تكون في جميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله ﷺ: "يرعى الغنم بالبادية وقوله ضبائر ضبائر معناه جماعات جماعات الواحدة ضبارة يكسر الضاد".

وقد خرج البزار هذا الحديث أبو بكر الأخرى واللفظ للبزار عن أبي سعيد الخذري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحبون وأما الذين يريد الله إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة فيسرل الله عليهم ممن مائة وفي بعض النسخ فيرش الله عليهم من مائة فينبون كما تبنت الجنة في جميل السيل ويدخلون الجنة فيسيمهم أهل الجنة الجهنميون فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الذبسم عنهم".

قال عياض في الإكمال في قوله: "فأماتهم الله إماته فالبعض المتكلمين يحتمل معنيين أحدهم أن المدنبين يمينهم الله موتا حقا حتى لا يسحبون النار فيكون عقابهم حسبهم في النار عن دخولهم الجنة كالمسجونين وأما أهل النار الذين هم أهلها فهم أحياء حقيقة الوجه الثاني أن الإماتة لأهل الذنوب ليست على الحقيقة لكن غيب عنهم إحساسهم بالألم بلطف منه سبحانه ويجوز أن تكون ألآمهم أخف كالنون وقد سمى الله تعالى النوم وفاة، وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ: "إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها فإذا أراد أن يخرجهم أمسهم ألم العذاب تلك الساعة"، انتهى كلام عياض.

وروى البخاري عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "يخرج قوم من النار

بعد ماسهم منها سبع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميون".

وروى مسلم والبخاري واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخذري ﷺ في الحديث المتقدم في الجواز على الصراط وفيه: "بعد قوله ومكذوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمن من النار فوالذي نفسي بيده ما من أخد منكم ناشد لله تعالى في سماء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخواتهم الذين في النار ويقولون كانوا يوقلون ربنا يصومون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتهم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخزت النار إلى نصف ساقية وإلى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن أمرتنا فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجذتم في قلبه مثقال نصف ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيما ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلية مثقال ذرة من خير فاخرجوة فيخرجوه خلقا ثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها (خيرا) فكان أبو سعيد الخذري يقول: "أن لم تصدقوني في هذا الحديث فاقروا إن شئتم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] الآية فيقول إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما ما لم يعلموا خيرا قذ قد عادوا حميما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة فيخرجون كما تخرج الجنة في جميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ما يكون إلى الشمس أصفير وأخضير وما تكون منها إلى الظل

---

(1) سورة النساء 4، الآية 4 وتمامها قالتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعا بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفون أهل الجنة وهؤلاء عتقا الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهم لكم فيقولون ربنا اعطينا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا وأي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا استخط عليكم بعده أبدا".

قلت ولفظ البخاري: "فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق وقد تنين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في اخوانهم الحديث.

وقوله: "فيقبض قبضة لا يفهم منهه التشبيه بما يعهد من الخلق فتعالى عنه سبحانه عن ذلك".

قال القرطبي: "وإنما المعنى سبحانه يخرج من لنار خلفا كثيرا لا يأخدهم عدو ولا يدخلون تحت حصر يخرجهم دفعة واحد بغير شفاعة أحد ولا ترتيب خروج بل كما يلي القابض الشيء المقبوض عليه من يده في مرة واحدة قعر عن طلك بالفنة والحثية والقبضة".

وخرج أبو القاس الحثلي بسنده عن ابن عباس رض الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "إذا افرغ الله من القضاء بين خلقة اخرج كتابا من تحت العرش أن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثل أهل الجنة قال وأكثر ظني أنه قال مثلي أهل الجنة مكتوب اعينهم عتقاء الله".

قال القرطبي في تذكرته: "وقوله في الحديث لم يعملوا خير قط يرديد لم يعملوا خيرا إلا التوحيد والمجر عن الأعمال".

وقد جاء هذا مبنيا في صحيح مسلم وغيرة من حديث انس في

إخراجه ﷺ: "من كان في قلبه مثقال حبة من بره أو شعير من إيمان ثم اخرجه ﷺ من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان تم اخراجه من النار".

ومن كان في قلبه أدنى أذنى مثقال حبة من خردل من إيمان ثم قال في آخر الحديث ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر ساجدا فيقال له يا محمد ارفع برأسك وقل يسمع وسل تعطي واشفع يشفع فأقول يا رب ايذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله قال: ليس ذلك إليك أو قال: ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي جبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله ".

وذكر عياض في شفائه: "من حديث انس سمعت النبي ﷺيقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر قلت: وهذا الحديث رواه النسائي ولفظه أني: لا لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على الأررض من شجر وحجر"، الحديث.

وروى أبو الحسن الدار قطني عن أبي أمامة ضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: "قال نعم الرجل أنا شرار امتي فقالوا فكيف أنت لخيارها قال أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتي فيدخلون بشفاعتي وأبو بكر بن أبي شبيه في مسنده عن أبن مسعود ﷺ رسول الله ﷺ قال: "يكون غي ربنا قوم ما شاء الله ثم يرحمهم الله فيخرجهم فيكونة في أذنى الجنة فيغتسلون في نهر الحياة فيسمعهم أهل الجنة الجهنميين لو أضاف أحدهم أهل الأرض لأطعمهم وساقهم وأحسيه تال وزوجهم لا ينقصه وذلك شيء".

وروى أبو بكر الشافعي عن أبي أمام ﷺعن النبي ﷺ قال: "من المؤمنين من يدخل بشفاعتي الجنة أكثر من ربيعه ومضر".

وروى ابن ماجة عن عبد الله بن أبي الجرعا أنه سمع النبي ﷺ يقول: "ليدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من تميم، قالوا يا رسول الله" سواك؟ قال: سواي قلت: أنت سمعته صحيح ورواه البيهقي في دليل النبوة، وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وروى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: "يقول الله سبحانه وتعالى أخرجوا من النار من ذكرني أو خافتي في مقامي".

وروى الترمذي عن أبي سعيدا الخذري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن من أمتي من يشفع للقيام ومنهم يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم م يشفع للرجل وأهل بيته حتى يدخلون الجنة" قال حديث حسن .

وذكر عياض في الشفاء عن كعب: "أن لكل رجلل من الصحابة رضي الله عنهم شفتعة".

وروى ابن المبارك عبد الله بن عمرة بن العاصي:" يشفعان الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إن الصيام والقران يشفعان للعبد يقول الصيام منعة الطعام والشهوات بالنهار فاشفعني فيه يقول القرآن ربي منعته النوم بالليل فيشفعان".

وروى مسلم عن أبي أمامه الباهلي ﷺ قال سمعنا رسول الله ﷺ يقول: "اقروا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين، البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان او كأنهما فرقان من طير صواف يحاججان عن أصحابهما"، الحديث.

قال صاحب التذكرة: "قال علماءؤنا فقوله يحاججان عن أصحابها أي يخلق الله من يجادل عنه من ثوابها ملائكة كما جاءني بعض الحديث أن

من قرأ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٨﴾ ﴾[1] خلق الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة.

قال صاحب التذكرة: "فكذلك يخلف الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريم يشفعان له وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحات كما ذكر ابن المبارك في رقائقه عن زيد بن اسلم قال: "بلغني أن المؤمن يشتمل له عمله يوم له عمله يوم القيامة في امتي صورة ما خلف الله وجها وثيابا وأطيب ريحا فليحس إلا جانبه كلها أفرغه أمته وكلما تخوف شيئا هون عليه فيقول له جزاك الله من صاحب خيرا من أنت فيقول: أما عرفتني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك أنا عملك كان والله حسن فذلك تراني والله حسنا وكان طيبا فلذلك تراني طيبا تعالى فاركبني فطال ماركبتك في الدنيا وهو قوله تعالى ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2] حتى يأتي به إلى ربه فيقول يارب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته غير صاحبي قد اشغل بي نفسه فيقول الرب تعالى فما يسأل قال المغفرة والرحمة أو نحو هذا فيقول فإني قد غفرت له ثم يكسي حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ثم يقول يارب إن أبويه قد كلنا قد شغل عنهما وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه من عمل فيعطيان مثلما أعطي ويمثل للكافر عمله في

---

(1) سورة آل عمران 3، الاية 18 وتمامها قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾.

(2) سورة الزمر39، الاية 61 .

صورة أصبح ما يكون صورة وأنتنه ريح ربحً فيجلس إلى جانبه كلما أفزعه شيء وكلما تخوف شيئا زاده خوفا فيقول بئس الصاحب أنت من أنت فيقول: أو ما تعرفني فيقول: لا فيقول أنا عملك كان قبيحا فذلك تراني قبيحا وكان منتنا فذلك تراني منتنا فطاطي رأسك أركبك فطال ما ركبتني في الدنيا وهو قوله تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] قلت وهو موافق لحديث قيس بن عاصم ﷺ وقد تقدم.

قال الغزالي: "وإذا مات الولد كان شفيعا لأبويه فقد وري عن رسول الله ﷺ: "أن الطفل يجري بأبويه إلى الجنة وقال عليه السلام: "إن المولود يقال له أدخل الجنة فيقف على باب الجنة محبنطيا أي ممتليًا غيظا فيقول: لا أدخل الجنة إلا وأبواي معي فيقال: ادخلوا أبويه معه الجنة وفي خير آخر أن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقالك للملائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة، فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بدراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون وأين آباؤنا وأمهاتنا فتقول الخزنة إن آباؤكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويُطالبون قال: فيتصايحون ويضجون على أبواب الجنة صيحة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم: ما هذه الضجة فيقولون: يا ربنا أطفال المسلمين قالوا: ألا تدخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى: تخللوا الصفوف فتخذوا بأيدي آبائكم فادخلوهم الجنة".

---

(1) سورة النحل 16، الآية: 25، وتمامها قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

وقال ﷺ: "من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم فقيل يا رسول الله واثنان قال: واثنان وقال رسول الله ﷺ : من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحصار من النار".

قال الغزالي: "فليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح بمنزله الجهاد في سبيل الله".

قال القرطبي: "وذكر أبو الفرج الجوزي في كتابه روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بالتوبة في صورة حسنة ورائحة طيبة ولا يجد رائحتها ولا يرى صورتها إلا مؤمن فيجدون لها رائحة رأسا فيقول الكافر والعاصي المصر مالنا ما وجدنا ما وجدتم ولا رأينا ما رأيتم فتقول لهم التوبة: طال ما تعرض لكم في الدنيا فيما أردتموني فلو كنتم قبلتموني لكنتم اليوم وجدتموني فيقولون: نحن اليوم نتوبوا فينادي منادي من تحت العرش هيهات (ذهب) [1] أيام المهلة وانقضى زمان التوبة. فلو جئتموني في الدنيا و ما اشتملت عليه ما قبلت توبتكم ولا رحمت عبرتكم فعند ذلك ثنأ التوبة عنهم وتبعد ملائكة الرحمة عنهم وينادي منادي من تحت العرش ياخزانة النار هلموا إلى أعداء الجبار".

وروى أبو الحسن الدراقطني عن ابن عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: "اشتكت النار إلى ربها عز وجل ضيقها بما فيها من أهلها وجرها

---

(1) هكذا رسمت في النص ولعله صوابها ذهبت.

وزمهريرها فغمزها فقال لها حسبي على عبادي فأخرج منها على عدد الجراد والذباب".

بَابُ ما جاءَ في صفَةَ الجنةَ وأصناف نَعيمها وبَهجتها وسُرورهَا جَعلنَا اللّه من أهلهَا بلا محنةَ بفضَله إنَّهُ ولَيُ المؤمنينَ

وقد وصف الله الجنان في كتابه صنفا يقوم مقام العيان من نور الله قلبه بالإيمان و أكثر ذلك في الطور والدخان وسورة الواقعة والرحمان وهل أتتك حديث الغاشية وسورة الإنسان، بين ذلك سيدنا محمد ﷺ بأوضح بيان فنذكر من ذلك ما تيسر من الأحاديث الصحيحة والحسان وما يقرب من ذلك مما أورده السلف الصالح أهل العرفان.

قال المحاسبي رحمه الله: "فإن كنت ممن عفا عنك مولاك فتوهم نفسك و دورك على الصراط ونورك يسعى بين يديك وكتابك بيمينك وقرأ بيض وجهك وأنت مع زمرة الفائزين وأنت ننادي معهم ربنا أتمم لنا نورنا".

"فتوهم عمرك عليه على قدر أوزارك حتى إذا جزته وخلفيته وراء ظهرك التفت إليه ونظرت وقد اشتد اضطرابه والخلائق مرفوعة وجهنم من تحته توثب وتزفر على من زل فيها فطار قلبك إذا رأيت عظيم ما نجاك الله سبحانه منه ثم خطرت آمنا إلى الجنة وقد ملئت سرورًا إن وافيت الجنة بعيار قبرك فنظرت إلى العينين اللتين أعدهما الله تعالي لأوليائه فاغتسلت قي إحداهما فوجدت له بردا اذهب عنك إلى كرب حر المقام".

"فتوهم فرحة قلبك كما باشر من برد مائها بذاك وجسمك يزداد نظرة وبهجة ونعيما ثم تخرج منها في أحسن صورة واتمم نور وأنت موقن بأنك إنما تنتظر الدخول إلى جوار ربك الكريم الرحيم ثم شربت من العين الأخرى فتطهر جوفك من كل غل وحسد فينقي ووجدت طعم شراب لم

تدق مثله قط فطار قلبك سرورًا وفرحًا بما وجدت من لذته ووجدت لذة طهارة قلبك من الغل والهم والحزن ثم أمر مولاك سبحتنه الخزنة أن يفتحوا أبواب الجنان لأوليائه فبما سمعت حسن ذلك طار قلبك وعلاك السرور فيا عظم سرورك وسرور قلوب المفتوح لهم أبواب الجنان فلما فتحت أبوابها فاح منها نسيم الجنان من أنواع الزعفران والكافور والمسك والعنبر فنظرت إلى حسن بنيانها بطريق الزمرد والدر والياقوت والزبرجد".

"فتوهم نفسك وأنت في هذه الحالة وقد سلمت عليك الخزنة وهم يقولون سلام عليك فادخلوها خالدين، فتوهم نفسك كلامهم وحسن تسليمهم فلما سمعت ذلك كاد قلبك أن يطير فرحًا وقد ازدحمت على باب الجنة مسرورا مع مسرورين ومبادرًا مع مبادرين بأبدان قد ظهرت وجوه قد أشرقت فبينما أنت تتخطى قي أعراض الجنان ورياض الزعفران وكثبان المسك إذ نودي في أزواجكم وخدمك وولدانك وقهار منك وغلمانك إلا أن فلانا قد أقبل فأجابوا وتبششوا لقدومك قد استخف أزواجك العجلة فبعثت كل واحدة منهن رسولاً لينظر إليك ويسرع الرجعة إليها فلما أخبرها بقدومك قالت لرسولها أنت رأيته لشدة فرحها بك وقد كاد الشوق أن يستحقها فتخرج إليك لولا أنهض قصرت في الخيام كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[1] فوضعن أيديهن على عضائد أبوابهن وأشرقن برؤوسهن مطلعات ينتظران صفحة وجهك أن يبدو لهن فبينما أنت تمشي في كثبان المسك ورياض الزعفران وأنت تنظر

---

(1) سورة الرحمن: 55، الآية: 72

إلى قصورك ومنازلك إذ استقبلتك بعض قهارمك فأعظمت شأنه وظننت أنه من ملائكة ربك فقال لك يا ولي الله أنا قهرماتك مثلي سبعون ألفا ثم أقبلت عليك قهارماتك بالتسليم والتعظيم ثم تتبعهم الو صفاء والخدم كأنهن اللؤلؤ المكتوب فسلموا عليك ثم أقبل بين يديك قهار منك وخدمك يزفونك إلى قصورك وما أعدا الله لك فلما دخلت قبرك وبين أزواجك مستعجلات قد استخفهن الطوب والشوق إلى رؤيتك فيا حسن تلك الأبدان الرخيمة والشكل العجيب والوجوه الناعمة يرفلن في الحليي والحلل".

"فتوهم نفسك كما لها شرعة إليك بكمال بدنها نازلة عن سريرها إلى صحن قبتها قد امتلأت بقدومك فرحا وسرورا وقد حار طرفك وهاج شوقك حين عانيت تلك الوجوه في كمال تلك الأبدان ونعمت تلك الأجسام فبقيت كالمبهوت وقد أقبلن نحوك يزهين في السندس والحرير شوقا إلى لقائك بأبدان قد خلقت من المسك والكافور فلما وضعت يديها مسلمة عليك وجدت محبسة كفها فكاد عقلك أن يزول فرحًا ثم مضيت إليها رحمتك بك فتكامل السرور في قلبك وعمت لذة الفرح الجميع بدنك وذكرت عند ذلك صدق موعد ربك سبحانه فناديت بالحمد لمولاك فقلت: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴿٧٤﴾ ﴾[1] قال الله سبحانه: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2] ثم نظرت إلى سريرك وارتفاعه وعليه فرش

---

(1) سورة الزمر: 39، الآية: 74

(2) سورة الصافات: 37، الآية: 61

الحرير وبطائنها من إستبرق وقد علا ظواهرها النور وحسن الرفوف وفضول المجالس ونظرت إلى حسن الحجلة فوق السرير إذا دنوتما منها تظامنت حتى إذا استويتما عليها رجعت إلى ارتفاعها فيا حسن منظرك إليها جالسة معك في حيلها وحللها بضياء وجهها ونعيم جسمها والأسورة في معاصمها والخواتم في أصابعها والخلاخل في ساقيها والوشاح على نهديها والقلائد في عنقها والإكليل من انواع الجواهر على قصتها والتاج من فوق ذلك على رأسها والدواوين من تحت التاج قد حللنا مناكبها وصارت إلى أردافها وأنت مقابلها ترى وجهك في نحرها وهي تنظر في وجهها في نحرك وقد أحدق الولدان بغيتك وقام الو صفاء بين يديك من كرامتك وقد شهدت ثمار الأشجار من جوانب حجلتك واطردت الأنهار حول قصرك وجرت الجداول بالخمر والعسل واللبن والسلسبيل في خيمتك وقد كل حسنها مع حسنك والتاج مكلل على جبينك وقد أشرق قصرك من نور وجهك وأنت تعاين من صفاء قصورك جميع أزواجك وخدمك وكل آنيته وطرفه في مقاصيرك ودورك وأنت جالس مع زوجتك وقد أرخيت عليك حجال خيمتك وسمعت صوت ولدانك بالتقديس لربك سبحانه و قد أطلعوا إلى ضمير قلبك فسارعوا إلى ما حدثتك به نفسك من أنواع سرورك وكرامتك فأتوك بأمنيتك وقد تعاطتها الخمر والسلسبيل والتسنيم في كؤوس القوارير من فضة فما ظنك بك وأنت شاب أمرد قد أكمل خلقك ونور وجهك وأنت أخضر الثياب أصفر الحلي من ذهب الجنان يشويه حمرة الياقوت وبياض الدرر فأتتك عروسة طفلة في جمال وجه وكمال قد تكسر التأتيت وتنظر إليك بنغج الحور وتكلمكم بالملاحة وتلاعبك بادلال بيدها كأس من در لا ظل له أو يتقوت لا فئ له قد جملته حمرة الشربا وقد اجتمع في الكأس نور الشراب ونور وجهها مع نور

وجهك".

فتوهم نفسك إلى هذه الأنوار في صفاء الكأس فمدت إليك يدها فيا حسن تعاطيهما مكأسات الخمور في دار الأمن والسرور والوالدن بين أيديكما يمر عليكما في ذكل حقب الدهور وما تشعر تاشتغالها من قلوبكما بالنعيم الذي أنتما فيه فينما أنتما فيه إذ هجمت الملائمة عليكما بالتحقق من ربكما الكريم سبحانه فسيأذنون عليك حجينك وقهار منك ثم استنأذنوا عليك فدخلوا عليك وأنت متكئ على أرائك من كل باب سلام عليك يا ولي الله ربك سبحانه يعرنك السلام جاءتك التحقق من ربك الهديا والتتخف".

"فتوهم سورو قلبك وقد جاءتك التحق من ربك سبحانه وأنت في نعيمك مع زوجاتك إذ سمعت صوتا بأحسن نعمتك ولأحلى كلام من بعض أزوجك التي اعده الله لك تقول لم يا ولي الله أما لنا فيك من دولة املك أن تنظر إلينا فيخبيها حين وقع الصوت في مسامعك يحسن نعمتك من أنت بارك الله فيك فردت الجواب عليك أنا من اللواتي قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] فوثبت أليها سريرك والوالدين بين يديك حتى اتتهما في قبتها وقد ستخفك الشوق إلك حين استقبتك بالترحيب والتخلي وصافحتك بالتعنيق والتقبيل فرأيت لين كفها وتلألأ النور في عواضها وتعميم حسبها وقد عانقتك على فراشها فمضت بكما الأزمته لا تملك ولا تملها".

"فتوهم نفسك وقد وعظت الموايد وأويتما بانواع من الطرائف من

---

(1) سورة السجدة: 32، الآية: 17.

التمر ثم اقبلت الوالدين بالكؤوس والأكواب فأدرتموها سكب فيما أنتما كذلك على ذلك الحال إذ نادتك اخرى من قصرها أيا ولي الله أما أمالنا فيك من دولة فتحييها أنت ومن أنت بارك الله فيك فردت عليك جوابك أنا من اللواتي قال الله تعالى﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] فترحلت إليها وأنت تنقل بين أزواجك وفي قصورك وخذ من ووالدانك في غاية النعيم وقد زالت عنك الهموم فلا تخظر بنفسك وقد أمنت الموت فلا تخافه وأمنت السقم فلا يتعرض عليك أبدا وأطمات بك المنزل فلا تشخص عنه أبا فإعظم بدار الله دارا وبجزار الله جزار العرش يظلمك والملائكة تختلف اليك بالهديا يا من عنذك بك سبحانه في حياة دتئمة وسرو وسلام راتبه".

"فتوهم نفسك وأنت جالس في ظل طوبي تتحدث مع أولياء الله سبحانه إذ نادى منادى يا أوليا ء الله أن الله يأمركم أن تزروه فيزروه ثم اقبلت الملائكة يعذون يحاسب الياقوت مزمومة بسلاسل الذهب كأن وجوهها المصابيح نضاره وحسنا نجبا من غير رياضة ذلالا من غير صعوبة فركبوها سارعين إلى زيارة خالقهم ومولاهم".

"فتوهم نفسك وأنت تسير معهم في كثبان المسك ورياض الزعفران وجلا معتدلا موكب لا عوج فيها ، فأعظم به من موكب لا يتقدم بعض بعضا على رؤوسهم التيجان الزهرة على وجوهم النظر فلو توهمت ذلك على حقيقته وزهقت نفسك لكنت بذلك حقيقا فتوهم تلك النجائب وهي تثير بأحفافها المسك وقد دنت منهم الأشجار بثمارها وهي في أكفهم وهم يسيرون على نجائبيهم وقد تعلقت قلوبهم بسيدهم والملائكة تزفهم إلى

---

(1) سورة ق: 50، الآية: 35.

زمرا إلى ربهم حتى ينتهوا بهم إلى صفحة العرش وقد وضعت لهم الزرأبي والمنارق والمنابر والكراسي فأعظم به منزل كريم فضل عظيم من رب رحيم. فلما أخذوا مجالسهم و اطمأنوا في مقعد صدق الذي وعدهم الله به فهم في القرب منه سبحانه على قدر منازلهم عنده".

"فتوهم نفسك بقلب فارغ وعقل جامع لعلك أن تنال تلك الرحمة و توهم الزوار وقد وضعت لهم الموائد و قامت الملائكة على رؤوسهم ووضعت الصحاف من الذهب فيها ألوان الأطعمة فمدوا أيدهم و أكلوا فرحين مسرورين حتى إذا فرغوا من أكلهم قال الجليل جل جلاله لملائكته أسقوا عبادي و أوليائي فسقوا شرابا من رحيق شاع نوره في وجوههم ثم يقول جل جلاله أكسوا عبادي وأحبائي فتأتيهم الملائكة بأنواع الحلل فيلبسونهم ثم يقول لهم جل جلاله طيبوا عبادي وأصفيائي فترتفع عليهم سحائب تنشر عليهم المسك فإذا أكلوا وشربوا ولبسوا وطيبوا تعلقت قلوبهم برؤية ربهم سبحانه فيرونه سبحانه عيانا من غير تشبيه ولا تكييف ويكلمهم ويقول:" السلام عليكم يا عبادي كيف وجدتم وعدي فيردون عليه أنت السلام و منك السلام ولك حق الإجلال والإكرام ثم يقول لهم مرحبا بكم يا عبادي وزواري و خيرتي من خلق الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي وخافوني بالغيب وراقبوني فتمنوا ياعبادي ما شئتم فلو رأيتهم وقد سمعوا كلام ربهم وقد داخل قلوبهم السرور وقد بلغوا غاية الكرامة ومنتهى الرضا والغبطة فما ظنك بنظرهم إلى العزيز العظيم الذي لا تقع عليه الأوهام ولا تحيط به الأفهام ولا تحده الفطن ولا تكيفه الفكر، الأزلي القديم الذي حارت العقول عن إدراكه وكلت الألسن عن صفاته المنفرد بذاته المتعالي بجلاله عن سمات المخلوقين فلما سروا أولياء الله برؤيته وأكرمهم بقربه ونعم قلوبهم بمناجاته أذن لهم بالانصراف إلى

منازلهم وما أعد الله لهم من كراماته والنعيم في جناته فما ظنك في وجوه نظرت إلى الله وسمعت كلامه كيف أضعف حسنها وزاد في جمالها ونورها فلما رجعوا إلى منازلهم وأزواجهم وقد ازدادوا بعضهم في أعين بعض حسنا وجمالا فرجعوا إلى نعيمهم ولذاتهم واشتاق بعضهم بعضا فركب بعضهم إلى بعض وتزاوروا على النجائب والتفوا على أنهار الجنان و عليها المنابر الحسان والزرابي و الأرجوان فيلمسون على السدر وقامت الولدان بكؤوس الأكواب يغرفون من أنهار الخمر والسلسبيل والتسنيم فأعظم به من مجلس وأكرم بهم من منادمين في ظل طوبى يأكلون ويشربون ويتنعمون كما قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[1] فهم في الجنة منعمون تلك أجر العاملين وسرور المحزونين وثواب المتقين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين و رسول رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى كلام المحاسبي رحمه الله تعالى[2] وسأذكر إن شاء الله تعالى ما أمكنني من الآثار في ذلك.

---

(1) سورة الحاقة 69، الآية: 25 .

(2) وهذا بيان ما جاء في الكلام منقولا من كتاب المحاسبي كما أروده رحمه الله تعالى ليتضح المعنى جليا لأن المؤلف رحمه الله قد تصرف فيه كثيرا وليتسنى للقارئ الكريم التدبر في هذه المعاني وهذا النص الكامل: فتوهم نفسك وأنت تمر خفيفاً مع الوجل، فتوهم ممرك على قدر خفة أوزارك وثقلها، فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره، فغلب على قلبك النجاة وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم الجنان، وأنت على الصراط، فتطلع قلبك إلى جوار الله عز وجل، واشتاق إلى رضا الله، حتى إذا صرت إلى آخره خطوت بإحدى رجليك إلى العرصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العرصة التي بعد الصراط وبقيت القدم الأخرى على الصراط، والخوف والرجاء قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك، ثم ثنيت بالأخرى فجزت الصراط كله واستقرت قدماك على تلك العرصة، وزلت عن الجسر ببدنك، وخلفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها

وتثب على من زل عنه مغتاظة تزفر عليه وتشهق إليه. ثم التفت إلى الجسر فنظرت إليه باضطراب، ونظرت إلى الخلائق من فوقه وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زلزلوا عن الصراط لها في رؤوسهم وأنحائهم قصيف، فطار قلبك فرحاً إذ رأيت عظيم ما نجاك الله منه، فحمدتَ الله وازددتَ له شكراً، إذ نجوتَ بضعفك من النار. وخلفتَ النار وجسرها من وراء ظهرك متوجهاً إلى جوار ربك. ثم خطوتَ آمنا إلى باب الجنة قد امتلأ قلبك سروراً وفرحاً، فلا تزل في ممرك بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها فإذا وافيتَ بابها استقبلك بحسنه، فنظرتَ إلى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانها، وقلبك مستطير فرح مسرور متعلق بدخول الجنة حين وافيتَ بابها أنت وأولياء الرحمن.

فتوهم نفسك في ذلك الموكب، وهم أهل كرامة الله ورضوانه، مبيضة وجوههم، مشرقة برضا الله، مسرورون فرحون مستبشرون، وقد وافيت باب الجنة بغبار قبرك، وحر المقام، ووهج تعب ما مر بك، فنظرت إلى العين التي أعدها الله لأوليائه وإلى حسن مائها، فانغمست فيها مسروراً لما وجدتَ من برد مائها وطيبه، فوجدتَ له برداً وطيباً فذهب عنك بحزن المقام وطهرك من كل دنس وغبار، وأنت مسرور لما وجدتَ من طيب مائها لمَّا باشرته، وقد أفلت من وهج الصراط وحره، لأنه قد يوافي بابها من أحرقت النار بعض جسده بلفحها، وقد بلغت منه، فما ظنك وقد انفلت من حر المقام ووهج أنفاس الخلائق ومن شدة توهج حر الصراط، فوافيت باب الجنة بذلك، فلما نظرت إلى العين قذفت بنفسك فيها.

فتوهم فرحة فؤادك لمَّا باشر برد مائها بدنك بعد حر الصراط ووهج القيامة، وأنت فرح لمعرفتك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنة والخلود فيها ، فأنت تغتسل منها دائباً ولونك متغير حسناً ، وجسدك يزداد نضرة وبهجة ونعيماً، ثم تخرج منها في أحسن الصور وأتم النور.

فتوهم فرح قلبك حين خرجت منها، فنظرت إلى كمال جمالك ونضارة وجهك وحسنه، وأنت عالم موقن بأنك تتنظف للدخول إلى جوار ربك .

ثم تقصد إلى العين الأخرى فتتناول من بعض آنيتها، فتوهم نظرك إلى حسن الإناء وإلى حسن الشراب، وأنت مسرور بمعرفتك أنك إنما تشرب هذا الشراب لتطهر جوفك من كل غل، وجسدك ناعم أبداً حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدتَ طعم شراب لم تذق مثله ولم تعود شربه، فيسلس من فيك إلى جوفك، فطار قلبك سروراً لما وجدت من لذته، ثم نقى جوفك من كل آفة فوجدت لذة طهارة صدرك من كل طبع كان فيه ينازعه إلى الغموم والهموم والحرص والشدة والغضب والغل. فيا برد طهارة صدرك، ويا روح

ذلك على فؤادك. حتى إذا استكملت طهارة القلب والبدن، واستكمل أحباء الله ذلك معك، والله مطلع يراك ويراهم، أمر مولاك الجواد المتحنن خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين من عقابه إعظاماً له وإجلالاً وهيبة له وحذراً من نقمه، وأمرهم أن يفتحوا باب جنته لأوليائه، فانحدروا من دارها وبادروا من ساحاتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها، وأيقنتَ بذلك فطار قلبك سروراً وامتلأتَ فرحاً، وسمعت حسن صرير أبوابها، فعلاك السرور وغلب على فؤادك ، فيا سرور قلوب المفتوح لهم باب جنة رب العالمين.

فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائها، فنفح وجهك وجمع بدنك، وثارت أراييح الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح الأذفر، وزعفرانها المونع، وكافورها الأصفر، وعنبرها الأشهب، وأرياح طيب ثمارها وأشجارها وما فيها من نسيمها فتداخلت تلك الأراييح في مشامك حتى وصلت إلى دماغك، وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك، ونظرت بعينك إلى حسن قصورها وتأسيس بنيانها من طرائق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفاؤه، فقد أكمله الله في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان، ونظرت إلى حجب الله وفرح فؤادك لمعرفتك أنك إذا دخلتها فإن لك فيها الزيادات والنظر إلى وجه ربك، فاجتمع طيب أراييح الجنة وحسن بهجة منظرها وطيب نسيمها وبرد جوها ، وذلك أول روح وطيب نفح وجهك.

فتوهم نفسك مسروراً بالدخول لعلمك أنها يفتح بابها لك والذين معك أولياء الله، وفرحك بما تنظر إليه من حسن بهجتها، وما وصل إلى فؤادك من طيب رائحتها ، وما باشر وجهك وبدنك من طيب جوها وبرد نسيمها.

فتوهم نفسك أن تفضل الله عليك بهذه الهيئة، فلو مت فرحاً لكان ذلك يحق لك إذا فتحوا بابها أقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه أولياء الله معك، ثم رفعوا أصواتهم يحلفون بعزه ما ضحكنا قط منذ خلقنا إلا إليكم، ونادوكم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ فتوهم حسن نغماتهم وطيب كلامهم وحسن تسليمهم في كمال صورهم وشدة نورهم، ثم أتبعوا السلام بقولهم: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ فأثنوا عليهم بالطيب والتهذيب من كل دنس ودرن وغل وغش وكل آفة في دين أو دنيا، ثم أذنوا لهم على الله بالدخول في جواره، ثم أخبروهم أنهم باقون فيها أبداً، فقالوا ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. فلما سمعت الأذن، وأولياء الله معك، بادرتم الباب بالدخول فكظت الأبواب من الزحام . كما قال عتبة بن غزوان

28- قال النبي ﷺ : " لانقضاضهم على باب الجنة أهم إليّ من شفاعتي ".

فكظ من الزحام - فما ظنك بأبواب مسيرة أربعين عاماً كظيظة من زحام أولياء الرحمن ، فأكرم بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد عاينوا من حسن القصور من الياقوت والدر .

فتوهم نفسك أن عفا الله عنك في تلك الزحمة، مبادراً مع مبادرين، مسروراً مع مسرورين، بأبدان قد طهرت، ووجوه قد أشرقت وأنارت فهى كالبدر قد سطع من أعراضهم كشعاع الشمس. فلما جاوزتَ بابها وضعتَ قدميك على تربتها وهى مسك أذفر ونبت الزعفران المونع، والمسك مصبوب على أرض من فضة، والزعفران نابت حولها، فذلك أول خطوة خطوتها في أرض البقاء بالأمن من العذاب والموت. فأنت تتخطى في ترب المسك ورياض الزعفران، وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة تصويرها. فبينا أنت تتخطى في عرصات الجنان، في رياض الزعفران وكثبان المسك، إذ نودي في أزواجك وولدانك وخدامك وغلمانك وقهارمتك: إن فلان قد أقبل، فأجابوا واستبشروا لقدومك كما يبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه ـ كما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

فبينما أنت تنظر إلى قصورك إذ سمعت جلبتهم وتبشيشهم فاستطرت لذلك فرحاً، فبينما أنت [فرح مسرور] بغبطتهم لقدومك لما سمعت أجلابهم فرحاً بك، إذ ابتدرتْ القهارمة إليك، وقامت الولدان صفوفاً لقدومك، فبينما أتت القهارمة مقبلة إليك، إذ استخف أزواجك للعجلة فبعثت كل واحدة منهن بعض خدمها لينظر إليك مقبلاً ويسرع بالرجوع إليها بقدومك لتطمئن إليه فرحاً، وتسكن إلى ذلك سروراً، فنظر إليك الخدم قبل أن تلقاك قهارمتك ، ثم بادر رسول كل واحدة منهن إليها، فلما أخبرها بقدومك قالت كل واحدة منهن لرسولها: أنت رأيته ؟ من شدة فرحها بذلك، ثم أرسلت كل واحدة منهن رسولاً آخر، فلما جاءت البشارات بقدومك إليهن لم يتمالكن أنفسهن فرحاً، فأردن الخروج إليك مبادرات إلى لقائك لولا أن الله كتب القصر لهن في الخيام إلى قدومك، كما قال مليكك ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾، فوضعن أيديهن على عضائد أبوابهن وأذرعهن برؤوسهن ينظرن متى تبدو لهن صفحة وجهك فيسكن طول حنينهن وشدة شوقهن إليك وينظرن إلى قرير أعينهن ومعدن راحتهن وأنسهن إلى ولي ربهن وحبيب مولاهن .

فبينا أنت ترفل في كثبان المسك ورياض الزعفران وقد رميت ببصرك إلى حسن بهجة قصورك، إذ استقبلك قهارمتك بنورهم وبهائهم، فاستقبلك أول قهرمان لك فأعظمت شأنه وظننت أنه من ملائكة ربك ، فقال لك : يا ولي الله، إنما أنا قهرمانك وكلت بأمرك ولك سبعون ألف قهرمان سواي، ثم تتابعه القهارمة ببهائهم ونورهم كل يعظمك ويسلم عليك

بالتعظيم لك .

فتوهم قلبك في الجنان وقد قامت بين يديك قهارمتك معظمين لك، ثم الوصفاء والخدام فاستقبلوك كأنهم اللؤلو المكنون فسلموا عليك ، ثم أقبلوا بين يديك .

فتوهم تبخترك في موكب من قهارمتك وخدامك يزفونك زفاً إلى قصورك وما أعد لك مولاك ومليكك. فلما أتيتَ باب قصرك فتحت الحجاب أبوابك، ورفعت لك الستور، وهم قيام على أقدامهم لك معظمين، فتوهم ما عاينت حين فتحت أبواب قصورك ورفعت ستوره، من حسن بهجة مقاصيره، وزينة أشجاره، وحسن رياضه، وتلألؤ صحنه، ونور ساحاته.

فبينا أنت تنظر إلى ذلك إذ بادرت البشرى من خدامك ينادون أزواجك: هذا فلان ابن فلان قد دخل باب قصره، فلما سمعن نداء البشراء بقدومك ودخولك توثبن من الفرش على الأسرة في الحجال، وعينك ناظرة إليهن في جوف الخيام والقباب فنظرت إلى وثوبهن مستعجلات قد استخفهن الفرح والشوق إلى رؤيتك .

فتوهم تلك الأبدان الرخيمة الرعبوبة الخريدة الناعمة يتوثبن بالتهادي والتبختر. فتوهم كل واحدة منهن حين وثبت في حسن حللّها وحليتها، بصباحة وجهها، وتثني بدنها بنعمته. فتوهم انحدارها مسرعة بكمال بدنها، نازلة عن سريرها إلى صحن قبتها وقرار خيمتها، فوثبن حتى أتين أبواب خيامهن وقبابهن، ثم أخذن بأيديهن عضائد أبواب خيامهن للقصر الذي ضرب عليهن إلى قدومك، فقمن آخذات بعضائد أبوابهن، ثم خرجن [برؤوسهن ووجوههن] ينحدرن من أبواب قبابهن، متطلعات ينظرن إليك مقبلات قد ملئن منك فرحاً وسروراً .

فتوهم نفسك بسرور قلبك وفرحه، وقد رمقتهن ببصرك، ووقع ناظرك على حسن وجوههن وغنج أعينهن، فلما قابلت وجوههن حار طرفك، وهاج قلبك بالسرور، فبقيت كالمبهوت الذاهل من عظيم ما هاج في قلبك من سرور ما رأت عيناك وسكنت إليه نفسك .

فبينما أنت ترفل إليهن إذ دنوت من أبواب الخيام، فأسرعن مبادرات قد استخفهن العشق، مسرعات يتثنين من نعيم الأبدان ويتهادين من كمال الأجسام، ثم نادتك كل واحدة منهن: يا حبيبي ما أبطاك علينا ؟ فأجبتها بأن قلت: يا حبيبة ما زال الله عز وجل يوقفني على ذنب كذا وكذا حتى خشيت أن لا أصل إليكن، فمشين نحوك في السندس والحرير، يثرن المسك ويحركن نبت الزعفران بأذيال حللّهن وخلاخيلهن استعجالاً إليك وشوقاً وعشقاً لك ، فأول من [تقدمت منهن] إليك مدت إليك بنانها ومعصمها وخاتمها ، كما قال النبي عليه السلام.

فتوهم حسن بنان أنشئ من الزعفران والكافور، ونُعِمَ في الجنان الألف من الدهور، فتوهمه حين مدته إليك يتلألأ نوراً ويضئ إشراقاً، فلما وضعت بنانها في بنانك، وجدتَ مجسة لينة بنعيمه، وكاد أن ينسل من يديك للينه، [وكاد] عقلك أن يزول فرحاً بما وصل إلى قلبك من طيب مسيس بنانها، ثم مددتَ يدك إلى جسمها الرخيم الناعم، فضمتك إلى نحرها، فانثنيت عليها بكفك وساعدك حتى وضعته على قلائدها من حلقها، ثم ضممتها إليك .

فتوهم نعيم بدنها لما ضمتك إليها، وكاد أن يداخل بدنك بدنها من لينه ونعيمه. فتوهم ما باشر صدرك من حسن نهودها ولذة معانقتها، ثم شممت طيب عوارضها فذهب قلبك من كل شيء سواها حتى غرق في السرور وامتلأ فرحاً لما وصل إلى روحك من طيب مسيسها ولذة روائح عوارضها.

فبينا أنت كذلك، إذ تمايعن عليك فانكببن عليك يلثمنك ويعانقنك، فملأن وجهك بأفواههن ملتثمات، وملأن صدرك بنهودهن فأحدقن بك بحسن وجوههن، وغطين بدنك وجللنه بذوائبهن، واستجمعت في مشامك أراييح طيب عوارضهن.

فتوهم نفسك وهن عليك منكبات، بفيك ملتثمات متشممات، عليك متثنيات بنعيم أبدانهن، لهن استراحة عند ضمك إليهن لشدة العشق وطول الشوق إليك، متشبثات بجسمك، ومتنعمات بنسيم أراييح عوارضك.

فلما استمكنت خفة السرور من قلبك، وعمت لذة الفرح جميع بدنك، وموعد الله عز وجل في سرورك، فناديت بالحمد لله الذي صدقك الوعد وأنجز لك الموعد. ثم ذكرت طلبك إلى ربك إياهن بالدؤوب والتشمير. فأين أنت في عاقبة ذلك العمل الذي استقبلته وأنت تلثمهن وتشم عوارضهن ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، ثم أثنين عليك وأثنيت عليهن، ثم رفعن أصواتهن ليؤمنك بذلك من المعرفة لهن بحوادث الأزمان، وتنغيص عيشك بأخلاقهن، فنادين جميعاً بأصواتهن: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الخالدات فلا نبيد أبداً، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً طوباك أنت لنا ونحن لك.

ثم مضيت معهن، فيا حسن منظرك وأنت في موكبك من حورك وولدانك وخدامك، حتى انتهيت إلى بعض خيامك، فنظرت إلى خيمة من درة مجوفة مفصصة بالياقوت والزمرد، فنظرت إلى حسن أبوابها وبجهة ستورها، ثم رميت ببصرك إلى داخلها فنظرت إلى فرشها ونجدها وزرابيها وحسن تأسيس بنيانها، قد بنيت طرائق على جنادل الدرّ والياقوت، ثم نظرت إلى سريرك في ارتفاعه وعليه فرشه من الحرير والإستبراق بطائنهن قد علا

ظواهرهن من النور المتكثف، وعلى أطرافهن من فوق الحرير والديباج، وحسن الرفرف الأخضر، وهي فصول المجالس. فلما تأملت تلك الفرش بحسنها وفوقها المرافق قد ثنتها، حار طرفك فيها. ثم نظرت إلى حجلتها من فوق سريرها قد أحدقت بالعرش من فوقها.

فتوهم حسن الأبواب، وحسن الستور، وحسن عرصة القبة بحسن فرشها، وحسن السرير وحسن قوائمه وارتفاعه، وحسن الفرش فوقه والمرافق فوق فرشه، والحجلة المضروبة من فوق ذلك كله، فتأملت ذلك كله ببصرك، فلما دنوت من فرشك تطأمنت سريرك فارتفعت الحوراء وارتقت عليه.

فتوهم صعودها عليه بعظيم بدنها ونعيمه حتى استوت عليه جالسة، ثم ارتقيتَ على السرير فاستويت عليه معها فقابلتك وأنت مقابلها، فيا حسن منظرك إليها جالسة في حللَها وحليها، بصباحة وجهها ونعيم جسمها. الأساور في معاصمها، والخواتم في أكفه، والخلاخيل في أسواقها، والحقاب في حقوها، والوشاح قد تنظر نهديها وجال بخصرها، والقلائد في عنقها، والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها، والتاج من فوق ذلك على رأسها، والذوائب من تحت التاج قد حل من مناكبها وبلغ أردافها وأنعالها، ترى وجهك في نحرها وهي تنظر إلى وجهها في نحرك، وقد أحدق الولدان بقبتك، وقد قام الرهط بين يديك ويديها وقد تدلت الأشجار بثمارها من جوانب حجلتك، واطردت الأنهار حول قصرك، واستعلى الجداول على خيمتك بالخمر والعسل واللبن والسلسبيل. وقد كمل حسنك وحسنها، وأنت لابس الحرير والسندس، وأساور الذهب واللؤلؤ على كل مفصل من مفاصلك ، وتاج الدر والياقوت منتصب فوق رأسك ، وأكاليل الدر مفصصة بالنور على جبينك .

وقد أضاءت الجنة وجميع قصورك من إشراق بدنك ونور وجهك وأنت تعاين من صفاء قصورك جميع أزواجك وخدمك وجميع أبنية مقاصيرك. وقد تدلت عليك ثمار أشجارك، واطردت أنهارك من الخمر واللبن من تحتك، والماء والعسل من فوقك وأنت جالس مع زوجاتك على أريكتك، وقد فتحت مصاريع أبوابك وأرخيت عليك حجال خيمك، وحفت الخدام والولدان بقبتك، وسمعت زجلهم بالتقديس لربك، وقد اطلعوا على ضمير قلبك فسارعوا إلى كل ما حدثت به نفسك من أنواع كرامتك وسرورك وأمانيك، فأتوك بكل أمنيتك. وأنت وزوجك بأكمل الهيئة وأتم النعمة، وقد حار فيها طرفك تنظر إليها متعجباً من جمالها وكمالها، طرب قلبك بملاحتها، وأنس قلبك بها من حسنها، فهي منادمة لك على أريكتك تنازعك وتعاطيك الخمر والسلسبيل والتسنيم في كأسات الدر

وأكاويب قوارير الفضة.

فتوهم الكأس من الياقوت والدر في بنانها، وقد قربت إليك ضاحكة بحسن ثغرها، فسطع نور بنانها في الشراب مع نور وجهها ونحرها ونور الجنان ونور وجهك وأنت مقابلها، واجتمع في الكأس الذي في بنانها نور الكأس ونور الشراب ونور وجهها ونور نحرها ونور ثغرها، فما ظنك بذوائب شاب أمرد، كامل الخلق، أنور الوجه، أبيض الجسم، أنضر الثياب، أصفر الحلي من ذهب الجنان يشوبه حمرة الياقوت وبياض الدر وحسن العقيان. فيا لك من عروس ويا تلك عروس طفلة أنيسة عربوبة كامل خلقها ويا جمال وجهها، ويا بياض نهودها وتثني جسمها، يكسوها التأنيث، ويلينها النعيم، تنظر إليك بغنج الحور، وتكلمك بملاحة المنطق، وتداعبك بالدلائل، وتلاعبك بالعشق والطرب، بيدها كأس در لا ظل له، أو ياقوت لا شبه له من صفائه ورقة جسمه قد جملته بحسن كفها وزمردها ونور خواتمها فيه. فتوهم حسن الكأس مع بياضه مع بياض الشراب مع بياض كفيها وحسنه .

فتوهم كأس الدر والياقوت أو الفضة في صفاء ذلك في بنانها الكامل، وقد اقتربت إليك ضاحكة بحسن ثغرها، وسطع نور بنانها في الشراب مع نور وجهها ونحرها، وأنت مقابلها فضحكت أيضاً إليها، فاجتمع في الكأس الذي في بنانها نورك مع نورها مع نور الكأس ونور الشراب ونور وجهها ونور نحرها ونور ثغرها ونور الجنان .

فتوهمه بهذه الأنوار في ضيائه، يلمع بصفائه في كفها ، وقد مدت به إليك يدها بخواتمها، وأساورها في معاصمها، فناولتك الكأس بكفها، فيا حسن مناولتها ويا حسنها من يد، ثم تعاطتك كأسات الخمر في دار الأمن واللذات والسرور، فتناولته منها ثم وضعته على فيك ثم سلسلته في فيك، فسار سروره في قلبك وعمت لذته جوارحك، فوجدت منه طعماً أطيب طعماً وألذه فشربته، والولدان قيام بين يديك .

فتوهم ذلك وقد شربت الكأس من يدها، ثم ناولتها من يدك، فتناولته بحسن كفها وهي ضاحكة، فيا حسن مضحكها، فشربته من يدك، حتى إذا تعاطيتما الكأس ودار فيما بينكما، وشاع نور الشراب في وجنتيها، ورفعتما أصواتكما بالتحميد والتقديس لمولاكما وسيدكما، ورفعت الولدان والخدام أصواتهم تسبيحاً وتهليلاً مجاوبة لكما، فيا حسن تلك الأصوات بتلك النغمات في تلك القصور وتلك الخيمات .

فبينما أنتما في لذاتكما وسروركما، وقد مضت الأحقاب من الدهور وما تشعران من اشتغال قلوبكما بنعيمكما، إذ هجمت الملائكة بالسلام عليك، وأتتك بالتحف والألطاف من عند ربك، حتى إذا انتهت رسل ربك إلي الحجبة الذين دونك والقهارمة الموكلين

بك، فطلبوا إليهم الإذن عليك ليوصلوا ما أتوا به من عند مولاك إليك، فقالت عند ذلك حجبتك لملائكة ربك: إن ولي الله مشغول مع أزواجه وإنا لنكره الإذن عليه إعظاماً وإجلالاً له، وكذلك يقول الله ربك تبارك وتعالى ﴿ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ وبذلك جاء التفسير. فأعظم به من شغل، وأعظم بك من ملك تستأذن عليك رسل ربك. وكذلك يقول الرافع قدر أوليائه في جواره تبارك وتعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ فقيل في التفسير: إن ذلك استئذان الملائكة عليهم، فقيل له: رسل الله بالباب يا ولي الله لا تدخل عليك إلا بإذن يا ولي الله، فقد نلت من الله الرضا وبلغت غاية الملك والمنى .

فتوهم الملائكة وهى قائلة حين أبت حجابك أن تستأذن لهم عليك: إنا رسل الله إليه بهدايا وتحف من عند ربه، فوثبتْ عند ذلك حجابك تستأذن لهم عليك.

فتوهم أيدي الحجاب وقد مدوا بها إلى حلق الياقوت المفصص بالدر على صفائح الذهب الأحمر، فقرعوا حلق أبواب قصرك فلما اصطك حلق الياقوت بأبواب قصرك من الدر والزمرد طنت الحلق على الأبواب بأحسن طنين تلذ به الأسماع وتسر به قلوب المستمعين، فلما سمعتْ الأشجار طنينها تمايلت ثمارها على بعضها بعضاً فهبت بذلك أراييح طيبها ونسيمها، ثم أشرقتَ من قبتك بجمال وجهك وإشراق نورك، فبادرتْ الحجبة إليك بالقول مسرعة وهى مع ذلك غاضة أبصارها تعظيماً لك، ولما رمق أبصارهم من إشراق نور وجهك: يا ولي الله، رسل الله إليك بالباب ومعهم التحف من عند ربك، فرجعت إليهم بالجواب: أن ائذنوا لرسل مولاي، ففتحت الحجبة عند إذنك لهم أبواب قصرك وأنت متكئ، فدخلوا على أريكتك والولدان قد صفوا بين يديك، فأقبلت الملائكة بحسن صورهم والهدايا تلمع وتسطع نوراً في أيديهم، فدخلوا عليك من أبواب متفرقة لينجز لك ربك ما وعدك من كل باب، سلام عليك، فبادروا بالسلام عليكم بحسن نغماتهم من كل أبوابك، ثم أتبعوا تسليمهم: يا ولي الله إن ربك يقول: عليك السلام، وقد أرسل إليك بهذه الهدايا والتحف.

فتوهم سرور قلبك بتحف ربك ولطفه إياك حتى إذا خرجوا من عندك أقبلت على نعمتك مع زوجتك قد حار فيها طرفك واشتد بها سرورك.

فبينا أنت معها في غاية السرور والحبور إذا أتى النداء بأحسن نغمة وأحلى كلام من بعض ما أعد الله من أزواجك: يا ولي الله أما لنا منك دولة ؟ أما آن لك أن تنظر إلينا ؟ فلما امتلأت مسامعك من حسن كلامها طار قلبك عشقاً لحسن نغمتها فأجبتها: ومن أنت بارك الله فيك ؟ فردت الجواب إليك: أنا من اللواتي قال الله عز وجل ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

فتوهم وثوبك من سريرك إلى صحن قبتك، ثم مشيت مع ولدانك وخدمك، ووفد ولدانها وخدامها يستقبلونك، واستقبلوك ومشوا بين يديك حتى أتيت قبة من ياقوتة حمراء في قصر من در وياقوت، فلما دنوت من باب قصرها قامت قهارمتك وخدامك رافعي ستور قصرك ، فدخلته ممتلئاً سروراً.

فتوهم باب القصر وحسن الستر وحسن الحجاب والقهارمة والخدام، ثم دخلت قصرك الذي نادتك منه زوجتك، فلما دخلت من بابه وقع بصرك على حسن جدرانه من الزمرد الأخضر، وحسن رياضه، وبهجة بنائه، وإشراق عرصاته، ونظرت إلى قبتك التي فيها زوجتك يتلألأ نور القبة نوراً وضوءاً وإشراقاً بنور وجهك ونور وجه زوجتك، فلما نظرتْ إليك، نظرتْ من فرش الحرير والإستبرق والأرجوان، فنزلت عن سريرها مبادرة، قد استخفها شدة الشوق إليك، وأزعجها العشق، فاستقبلتك بالترحيب والتبجيل ، ثم عطفت عليك لمعانقتك.

29- وكذلك روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ : "إن الحوراء تستقبل ولي الله فتصافحه".

فتوهم مجسة لين كفها بحسنها وخواتمها في كفك، وقد شخصتَ كالمبهوت تعجباً من حسن وجهها ونعيم جسمها وتلألؤ النور من عوارضها، ثم وضعت كفها في كفك حتى أتيتما سريرك مضروبة عليه أريكتك ، فارتقيتما جميعاً على أريكتك وأسدلت عليك جلال حجلتك، وعانقت على فرشها زوجتك ، فمضت بك الأزمنة الطويلة. ثم أقبلت الولدان بالكاسات والأكواب فاصطفت قبالتكما، ثم أدرتما الكأس فيما بينكما.

فبينا أنتما قد ملئتما فرحاً وسروراً إذ نادتك أخرى من قصر من قصورك: يا ولي الله أما لنا منك دولة ؟ أما آن لك أن تشتاق إلينا ؟ فأجبتها : ومن أنت بارك الله فيك ؟ فرجعت إليك القول : أنا من اللواتي قال الله عز وجل ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، فتحولت إليها وأنت تنتقل فيما بين أزواجك في قصورك وخدامك وولدانك، في غاية النعيم وكمال السرور، وقد زحزحت عنك كل آفة وأزيل عنك كل نقص، وطهرت من كل دنس، وأمنت فيها الفراق، لأن الله تعالى قد قصد قلبك فقال للّهموم: زولي عنه فلا تخطري له أبداً، وقال للسرور: تمكن فيه فلا تزول منه أبداً، وقال للأسقام: زولي عن جسمه فلا تعرضي له أبداً، وقال للصحة: أقيمي في بدنه فلا تبرحي أبداً، وذبح الموت وأنت تنظر إليه، فأمنت الموت فلا تخافه أبداً، ولا زوال ترتقبه، ولا سقم يعتريك أبداً، ولا موت يعرض لك أبداً، قد منحت جوار ربك، ترفل في أذيالك، لا تخاف سخطه أبداً بعد رضاه عنك، فلا تخاف نقمه فيما تتقلب فيه من نعيمه، وأنت عالم بأن الله عز وجل محب لك مسرور بك وبما تتقلب فيه من سرورك، فأعظم بدار الله داراً، وأعظم بجوار الله جواراً، فالعرش قد أظلك بظله،

والملائكة تختلف إليك بالألطاف من عند ربك في حياة لا يزيلها موت، ونعيم لا تخاف له فوتاً، آمناً من عذاب ربك، قد أيقنت برضاه عنك، ووجدت برد عفوه في قلبك، مقيماً دائماً في الخلود مع الأمان لنوائب الدهر وحوادث الأزمان لك ولجميع أوليائه، متحدثاً بجمعهم تحت ظل طوبى.

فبينا أولياؤه وأنت فيهم تحت ظل طوبى يتحدثون ، إذ أمر الله منادياً من ملائكته فنادى أولياءه لينجز لأوليائه ما وعدهم من غاية كرامته وعظيم مسرته، بأن يقربهم منه ويناجيهم بترحيبه ويريهم وجهه الكريم، ليبلغوا بذلك أشرف المنازل وغاية السرور ومنتهى الرغبة، فلم تشعر ألا ونداء الملك: أن يا أهل الجنة إن لكم عند الله لموعداً لم تروه، فيرجعون إليه القول استعظاماً لما أعطوا، فإنه لا عطية فوق ما أعطوا بعد ذلك ، أدخلوا في جواره وأمنوا من عذابه، وأنت قائلها معهم: ألم ينضر وجوهنا ؟ ألم يدخلنا الجنة ؟ ألم يزحزحنا عن النار ؟ فناداهم أن الله يستزيركم فزوروه .

فبينا هم كذلك وقد كادت قلوبهم أن تطير بأرواحهم في أبدانهم فرحاً وسروراً، إذا أقبلت الملائكة يقودون نجائب بخت خلقت من الياقوت، ثم نفخ فيها الروح، مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوههم المصابيح نضارة وحسناً، لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة قد علاها خز من خز الجنة أحمر، ومرعز من مرعزها أبيض مشرق في بياضه على ظهرها خطان حمرة في بياض على هيئة وتر النجائب في الدنيا، لم ينظر الخلائق إلى مثله وحسن لونه.

فتوهم حسن تلك النجائب وحسن صورها، نجائب من ياقوت الجنة في حمرته وصفائه، وإشراق نوره وتلألؤه، حين يمشي في تحركه.

فتوهمها بحسنها وحسن وجوه الملائكة وحسن أزمتها بسلاسل من ذهب الجنان، وهي تقودها وتقبل بها إلى أولياء الله وأنت فيهم، معتدلة في خببها بحسن سيرها ، لأنها نجب خلقت على حسن السير من غير تعليم من العباد، فهي نجب من غير رياضة ذلل بسلاسلها ، منقادة من غير مهنة.

فتوهم إقبال الملائكة بها إليهم، حتى إذا دنوا من أوليائه أناخوها، فتوهم بروكها في حسنها وهيئة خلقها، وقلبك عارف أنك ستركب بعضها إلى ربك منطلقاً في الزائرين له. فلما أناخوها فبركت على كثبان المسك من رياض الزعفران تحت طوبى ومستراح العابدين، أقبلت الملائكة على أولياء الله فقالوا بحسن نغماتهم: يا أولياء الرحمن، إن الله ربكم يقرئكم السلام ويستزيركم فزوروه، لينظر إليكم وتنظروا إليه ويكلمكم وتكلموه، ويحييكم وتحيوه، ويزيدكم من فضله ورحمته، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم. فلما سمعها

أولياء الله، وسمعتها معهم وثبوا مسارعين إلى ركوبها، حباً وشوقاً إلى ربهم.

فتوهم سرعة توثبهم، وأنت معهم، بحسن وجوههم ونورها وإشراقها، سروراً بقرب ربهم ورؤية حبيبهم.

فتوهم هيبتهم حين رفعوا أيمان أرجلهم إلى ركب الياقوت والزمرد والدر.

فتوهم حسن أقدامهم ونعيمها، إنها أقدام غيرت عن خلقها فأكسيت في الحسن بخلاف ما كانت عليه في دار الدنيا، ثم أكنها الله في جنته من كل آفة فغير خلقتها متخضبة، لها أحقاب الدهور في كثبان المسك ورياض الزعفران.

فتوهم حسن نورها وقد رفعها أولياء الله ركب الياقوت والدر، فتوهمها بحسنها في أحسن ركب نجائب الجنان، ثم ثنوا من غير عنف ولا مشقة حتى استووا على رحائل من الدر والياقوت مفضضة بالعبقري والأرجوان، فيا حسن بياض الدر في حمرة الأرجوان. فلما استووا عليها ، واستويت على نجيبك معهم، أثاروا نجائبهم فثارت، فثار عجاج المسك لوثوبها علا ذلك ثيابهم وجمامهم، ثم استوت النجائب صفاً واحداً معتدلاً فصاروا موكباً معتدلاً لا عوج فيه، ولا يتقدم بعضها بعضاً، فأعظم به من موكب ، وأعظم به من ركبان.

فتوهم امتداد صفهم في اعتداله واصطفاف وجوههم معتدلة في اصطفافها، وعلى جباههم الأكاليل، من فوق رؤوسهم تيجان من الدر والياقوت. فما ظنك باجتماع وجوه أهل الجنان كلها، عليهم الأكاليل والتيجان مصطفة متحاذية ؟ فما ظنك بأكثر من ألف ألف ألف، وما تقدر القلوب على إحصاء عدده من تيجان الدر والياقوت مطنطنة على وجوههم نضرة ضاحكة فرحة مستبشرة.

فلو توهمت هذا الموكب بنجائبه واعتدال ركبانه واصطفاف تيجانه على وجوه أولياء الله المشرقة الناعمة من تحته، ثم رهقت نفسك اشتياقاً لكنت لذلك حقيقاً، ولكنت به حرياً إن عقلت ذلك شوقاً من قلبك إيقاناً بإنجاز ما وعد به ربك أولياءه. فلما اعتدل الصف واصطفت التيجان تبادروا بينهم: سيروا إلى ربنا .

فتوهم النجائب حين أخذت في السير بأخفاف من الياقوت سيراً واحداً بخط واحد لا يتقدم بعضها بعضاً، تهتز أجسام أولياء الله عليها من نعيمها، وأكتافهم متحاذية في سيرهم، وأخفاف رواحلهم وركبها متحاذية في خببها، فانطلقوا كذلك تثير رواحلهم المسك بأخفافها، وتهتز رياض الزعفران بأرجلها، فلما دنوا من أشجار الجنة رمت الأشجار إليهم من ثمارها فصارت الثمار وهم يسيرون، في أيديهم، فيا حسن تلك الثمار في أكفهم، وتزحزحت وتنحت الأشجار عن طريقهم لما ألهمها مولاها أن لا يتثلم صفهم فيتعرج بعد استوائه، ويختلف بعد اعتداله، ويفرق بين ولي الله ورفيقه، لأنهم رفقاء في الجنان

لتحابهم في الدنيا في ربهم فالرفقاء مشهورون، كل رفيقين قد شهرا بالمرافقة، وجعل زيهما ولباسهما لوناً واحداً، ولون رواحلهما لوناً واحداً.

فتوهم نفسك إذ منَّ عليك ربك، وأنت لاصق برفيقك، منكبك بمنكبه، وقد دنوتما من أشجار الجنة فنفضت ثمرها فوقعت الثمار في أيديكما وأيدي أولياء الرحمن، ثم تنحت بأصولها عن طريقهم ، فهم يسيرون فرحين، وقد شخصت قلوبهم بالتعلق إلى نظر حبيبهم، فهم يسيرون بالسرور ويلتفت بعضهم إلى بعض يتحادثون، ويضحك بعضهم إلى بعض ، يتداعبون في سيرهم يحمدون ربهم على ما صدقهم، وعلى ما أباح لهم من جواره. فبينا هم في سيرهم إذ دنوا من عرش ربهم، وعاينوا أحسن حجبه ونوره، واستحثوا السير شوقاً وحباً وفرحاً به .

فتوهم نجائبهم تطير في سيرها باعتدال موكبهم وإشراق وجوههم، والملائكة قد أحدقت بالنجائب تزفهم زفاً إلى ربهم، حتى انتهوا إلى صفحة عرش مولاهم، فتوهم سعة تلك الصفحة وحسن نورها ببهجتها وزهرتها، وقد وضعت الزرابي والنمارق على كثبان المسك، وعرف كل فتى منهم ما أُعد له، والكراسي لأهل صفوته من عباده، وأحبائه من خلقه، لما دنوا إلى ما أعد لهم من المنابر والكراسي والزرابي والنمارق، فثنى رجله الحسنة من الركاب إلى منبر أو كرسي أو [زربية] .

فتوهم تثنيهم أرجلهم إلى كراسيهم، حتى استووا عليها، فتوهم نعيم تلك الأفخاذ والأوراك المرتفعة على الكراسي بالدر والياقوت، فأعظم به من مقعد وأعظم بولي الله متربعاً.

فلما أخذ القوم مجالسهم، واطمأنوا في مقعدهم، والحجب تسطع نورها، فيا لذه أعينهم وقد أصغوا بمسامعهم منتظرين لاستماع الكلام من حبيبهم.

فتوهم في مقعدهم الصدق الذي وعدهم مولاهم ومليكهم في القرب منه على قدر منازلهم، فهم في القرب منه على قدر مراتبهم، فالمحبون له أقربهم إليه قرباً إذ كانوا له في الدنيا أشد حباً ، وأقرب إلى عرشه منهم القائمون بحجته عند خلقه، ثم الأنبياء عليهم السلام، ثم الصديقون على قدر ذلك في القرب من العزيز الرحيم، فأعظم به من مزور، وجلَّ وتكبَّر من مزور .

فتوهم مجلسهم بحسن كرامتهم وجمال وجوههم وإشراقها، لما رهقها نور عرشه عز وجل وإشراق حجبه فلو صح لك عقلك ثم توهمت مجلسهم وإشراق كراسيهم ومنابرهم وما ينتظرون من رؤية ربهم، ثم طار روحك شوقاً إليه، لكنت بذلك حقيقاً. فما أعظم ذلك عند عاقل عن الله، مشتاق إلى ربه ورؤيته .

فتوهم ذلك بعقل فارغ لعل نفسك أن تسخى بقطع كل قاطع يقطعك عنه، وترك كل سبب

بَابٌ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وبِنائِهَا ومَا أعَدَّ اللّه تَعالَى فِيهَا مِنَ الخَيرِ لأهلِهَا

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر دخرا بله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]، وبله معناه غيره وقيل هو اسم فعل بمعنى دع.

وروى الترمذي والبزار وأبو داود والطيالسي واللفظ و الترمذي عن أبي

يشغلك عن التقرب فيه إلى ربك.

فلما استوى بهم المجلس واطمأن بهم المقعد، وضعت لهم الموائد ليكرم الله عز وجل زواره بالإطعام والتفكيه لهم، ووضعت الموائد لزوار الله عز وجل وأحبائه من خلقه، قامت الملائكة [على] رؤوسهم معظمين لزوار الرحمن، فوضعت الصحاف من الذهب فيها الأطعمة وطرائف الفاكهة مما لم يحسنوا أن يتمنوا، فقدموا أيديهم مسرورين بإكرام ربهم لهم، لأن حقاً على كل مزور أن يكرم زائره ، فكيف بالمزور الكريم الواحد الجواد الماجد العظيم ؟.

فتوهم وهم يأكلون فرحين مستبشرين بإكرام مولاهم لهم ، حتى إذا فرغوا من أكلهم قال الجليل لملائكته : اسقوهم . فأتتهم الملائكة، لا الخدام والولدان، بأكواب الدر وكؤوس الياقوت، فيها الخمر والعسل والماء والألبان، منقولا من كتابه التوهم تحقيق الأستاذ مصطفى بن علي بن عوض جعفر من ص: 30إلى ص: 42 .

فتوهم تلك الكأسات وتلك الأكواب بأيدي ملائكة الرحمن، فناولوها أولياء الله فشربوها، فبان أثر حسن الشراب في وجوه الزوار. فلما سقتهم الملائكة ما أمرهم الله به من الأشربة، قال الجليل: اكسوا أوليائي.

فتوهم الملائكة، وقد جاءت بالحلل التي لم يلبسوا في الجنة مثلها، ثم قاموا على رؤوسهم فألبسوها أهل كرامة الله ورضوانه.

(1) سورة السجدة: 32، الآية: 17 .

هريرة رضي الله قال قلت يا رسول الله: "الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها من المسك الأدفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم" الحديث .

وروى ابن ماجة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: "ذات يوم لأصحابه ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطى لها ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة ناضجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام أبدية في حبرة ونظرة في دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه قوله فإن الجنة لا خطى لها بفتح الطاء قيل معناها لا عوض لها ورأيت في الكتاب الذي يقال فيه أنه الزبور قالها بعد أن ذكروا و عيد الزنات واكلي الربا إلا من لقيني منهم بتوبة وتطهر فإني أدخله لجنة عرضها كعرض السماء و الأرض أعددتها للمتقين الصديقين ولولا أن اشغل جوارحكم معشر الأنبياء لأشغلتكم في صفة الجنة مثل أعماركم ألق ضعف لا تصف منها إلا كاقتدار رجل يأخذ شعرة فيجعلها في مائتي قامة من الماء فتكون صفتكم كلكم للجنة معشر الأنبياء كوزن ما تعلق من الماء".

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من أمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس قال إن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتموا الله فسألوا الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلاه الحنة وفوقه عرش الرحمان ومنه تفجر أنهار الجنة

وخرج هذا الحديث ابن ماجة وغيره قال أبو حاتم السبتي حتى قوله أنه أوسط الجنة يرد أنه الفردوس في أوسط الجنة في الأرض وهو أعلى الجنة يريد في الارتفاع قلت قال الحليمي: الجنة فوق السموات دون العرش وهي بإنفرادها عالم مخلوق للبقاء جلعنا الله من اهلها".

وروى الترمذي عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن النبي ﷺ قال: "أن الجنة بحر الماء و بحر العسل وبحر اللبن و بحر الخمر ثم تشقق الأنهار وبعد ذلك"، قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح قلت: "وحكيم بن معاوية والد بهز بن حكيم، وروى العقيلي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك".

وروى البزار عن عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: "خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب و لبنة من فضة وبلاطها المسك وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة منزل الملوك"، وروى مسلم من حديث بن عباد أنه سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة فقال: "درمكة بيضاء مسك خالص".

وروى ابن المبارك عن أبي هريرة ﷺ قال: "حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ودرجها اللؤلؤ والياقوت قال: وكنا نحدث أن رضراضها اللؤلؤ و ترابها الزعفران".

بَابٌ منهُ في غُرفِ الجنَّة وخيامها ودَرجها وبيانِ قَوله تَعَالَى:

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾

وذكرِ جُمَلاً مما أنعَم اللّه به على أوليائه

قال الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء: اشعر الخوف من قليل بطول الفكر في أهوال الجحيم واستشعر الرجاء بطول الفكرة في النعيم المقيم الموعود لأهل الإيمان وسق نفسك بسوط الخوف وزمام الرجاء إلى صراط مستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتذكر في أهل الجنة تعرف في وجوههم نظرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ والرطب الأبيض هي فيها بسط من العبقري الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل واللبن محفوفة بالغلمان والولدان متزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت و المرجان لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان يمشين في دراجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيتها حمل اعاطفها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار مكللة بالتيجان المرصعة باللؤلؤ و المرجان شكلان غنجات عطرات أمنات من الرهم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنات قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين ويطوف عليهم خدم وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاءا بما كانوا يعملون في مقام أمنين في جنان وعيون في مقعد صدق عند مليك مقتدر وينظرون فيه إلى وجه الملك الكريم و قد أشرقت في وجوههم نظرة النعيم لا يرهن وجوههم قتر ولا ذلة.

بل عباد مكرمون بأنواع التحق من ربهم يتعاهدون لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها ينعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهارها وأرضها فضة وحصاؤها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أدفر ونباتها وزعفران ويمطرون من سحائب ماء النسرين على كثبان الكافور ويأتون بأكواب وأي أكواب أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان وأكواب فيها من رحيق مختوم ممزوج بماء السلسبيل العذب كوب يشرق فورا من ضياء جوهرتيه يبدوا الشراب من ورائه لدقته وحمرته لم يصغه ادمي فيقصر في تسوية صياغته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء ووجهها الشمس في أشداقها ولكن أين للشمس مثل حلاوة صورتها وأصداغها وملاحة أحداقها فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت فيها أهلها ولا تحل الفجائع لمن نزل في قبابها فكيف يأنس بدار قد أدنا الله في خرابها فوالله أولم يكن فيها إلا السلامة إلا بدأت مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنقص من ضرورتها فكيف وأهلها ملوك آمنون في أنواع السرور متنعمون لهم ما يشتهون وهم في كل يوم في فناء العرش وإلى وجه الكريم ينظرون وينالون النظر إليه من السرور مالا ينظرون إليه مع سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام ما بين هذا النعيم يترددون ومن زوال هذه النعيم آمنون.

قال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "ينادي منادي إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا وذلك قوله عز وجل :﴿

﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [1] قلت هذا الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ثم قال الغزالي رحمة الله تعالى: "وتأمل الان في غرق الجنان واختلاف درجات العلو فيها فإن الاخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة و الأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرة فكذلك فيما يجاوزن به تفاوتا ظاهرا فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد الآن ولا يستبق أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله سبحانه بالمسابقة و المنافسة فيما يقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴿٢١﴾﴾ [2] الاية و قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [3] ثم سرد الأحاديث غير معزوة لنا قيلها والأحسن عزوها الى مخرجيها و بذلك يثلج الصدر و يطمأن القلب وسأذكر ما أمكن من ذلك معزو لناقليه إن شاء الله تعالى وهو الذي يخلص مع الله سبحانه أعني العزو والأئمة الحديث والخروج من العهدة بذلك يكون.

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخذري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب يتفاضل ما بينهم وقالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين، وروى الترمذي الحكيم بسنده عن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ

---

(1) سورة الأعراف: 7، الآية: 43

(2) سورة الحديد: 57، الآية: 21

(3) سورة المطففين: 83، الآية: 26

ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴿٧٥﴾ ﴾[1]، وقوله :

﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] ، قال الغرف من ياقوتة حمراء أو زبردجة خضراء أو درة ليس فيها قصم ولا وصل وان أهل الجنة يتراءون الغرفة منها كما يتراءون الكوكب المشرقي أو المغربي في أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما".

وروى أبو نعيم في حلته بسنده عن أبي حازم عن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ ما من ملب إلا لبا ما عن يمينه وشماله من حجر ومدر وشجر حتى تتقطع الأرض من هاهنا ومن هاهنا وإن أهل الدرجات العليا ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب في السماء واستند الترمذي الحكيم عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺقال: "إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يضيء حسنهن لأهل الجنة كما تفيء الشمس لأهل الجنة يقول أهل الجنة بعضهم لبعض انطلقوا بنا حتى ننظر الى المتحابين في الله عز وجل فإذا أشرقوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل.

وفي صحيح مسلم عن أي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "في الجنة خيمة من لؤلؤ مجوفة عرضها ستون في كل زاوية منها أهل ما

---

(1) سورة الفرقان: 25، الآية: 75 ، وتمامها قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾

(2) سورة سبأ: 34، الآية: 37 ، وتمامها قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

يرون لآخرين يطوف عليهم المؤمنين، وخرج الترمذي عن سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أن أدنى الجنة الذي له ثمانون خادم واثنان وسبعون وزوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وزاد الغزالي وأن عليهم التيجان إذ أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين الشرق والمغرب.

وخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال رسول الله ﷺ: "أن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام إليه أعرابي فقال لمن هي يا رسول الله فقال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصل و الناس نيام".

وروى أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن واسع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله ﷺ: "ذات يوم فقال أل اخبركم بغرف الجنة إن في الجنة غرفا من ألوان الجوهر وعند الغزالي:" من أصناف الجواهر يري ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم والثواب والكرامات مالا عين رأت ولا أذن سمع وعند الغزالي فيها من النعيم واللذات والسرور فقلنا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله لمن تلك الغرف فقال لمن أفشى السلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وصلى والناس نيام فقلنا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك فقال أمين تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله حتى أشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان وثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس".

قال القرطبي: "اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب

اختلاف أصحابها في الأعمال.

وفي صحيح مسلم في حديث الإسراء قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابد اللؤلؤ وإذا ترابها مسك، قال ابن الأعرابي: الجنابد قباب اللؤلؤ وهي جمع جنبدة، وذكر الغزالي في الأحياء: "عن ثوبان ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "مابين المغرب والعشاء في مسجدي لم يتكلم إلا بالصلاة أو قراءة كان حقا على الله أي يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس بينهما غرسا لو أضافه أهل الأرض لوسعهم".

وروى أبو القاسم زاهر بن طاهر محمد الشحاصي: "من حديث أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "في الجنة لغرفا ليس لها معاليق من فوقها ولا عماد من تحتها، قيل يا رسول الله وكيف يدخلها أهلها قال يدخلونها أشباه الطير قيل لمن هي يا رسول الله قال لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى".

وروى ابن وهب بسنده أن رجلا قال: "يا رسول الله كم في الجنة من درجة قال مائة درجة بين كل درجتين ما بين السناء والأرض أول درجة منها دورها وبيوتها وأبوابها وسرورها ومعاليقها من فضة والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسرورها ومعاليقها من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد والسبع والتسعون لا يعلم ما هي إلا الله سبحانه".

وروى ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله قال قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة مائة درجة يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد بكل درجة حتى يقرأ شيء منه".

وخرج أبو داود عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتقي ورتل كمل كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند أخر أية تقرأها".

وذكر أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي في كتاب الإختيار في

الملح من الأخبار والآثار: "عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "درج الجنة على عدد أي القرآن لكل أية درجة قتلك ستة ألاف ومائتا أية وستة عشر بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض إلى أعلى عليين لها سبعون ألف ركن وهي ياقوتة تضيء مسيرة أيام وليالي وقالت عائشة رضي الله عنها إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل من القرآن ذكره مكي رحمه الله تعالى، قال القرطبي قال العلماء رحمة الله عليهم: جملة القرآن وقراؤه هم العاملون به الواقفون عند حدوده وقد تقدم في الصحيح آت في الجنة مائة درجة أعدها الله سبحانه للمجاهدين في سبيل الله فالجهاد يحصل مائة دراجة وقراءة القرآن تحصل جميع لدرجات والله المستعان على ذلك وعلى الإخلاص فيه بمنه وكرمه.

قلت: هذا كما قال: لأن قارئ القرآن العامل به قد جمع خصال الخير ورأين في الكتاب الذي يقال أنه الزبور: قل للآمرين بالمعروف أرأيتم لو أن سلطان أعطاكم عقد شهر من اللؤلؤ رطب لا بالمفروغ ولا بالمخروط ولا بالمعجون ولا بالمعمول أكنتم تعرفون له قيمة فكيف وأنا أعطيكم بالكلمة بالأمر بالمعروف مائة ألف مسيرة من قصور اللؤلؤ إذا أمرتم بما تعلمون فإما أن انتهى من مراودة النها وأنت فيها كذلك الأعمى لا يكون كما لا للأحداق.

وروى الأجري في الكتاب النصيحة والطبري عن الحسن قال: "سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة رضي الله عنهما عن هذه المائة ومساكن طيبة فقلا على الخيبر سقطت سألنا رسول الله ﷺ فقال: "قصر في الجنة من لؤلؤ في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء وغي كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعين سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من حور العين في كل بيت

سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة ويعطي الله تبارك وتعالى المؤمنون القوة في كل غداة كما يأتي على ذلك أجمع.

بَابٌ فِي وَصف أهل الجنّة وسنهم وشَبابهم وفي صفَة الحُور وَمَا هُناك من الخَير والسُرور

وروى أبو بكر الشافعي عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يبعث الله أهل الجنة على صورة آدم في مداد ثلاث وثلاثين سنة جرد مرد مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى سبابهم". وروى الترمذي قال عبد الحق: وحديث أبي بكر أكمل.

وروى الترمذي أيضا عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: "من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون ثلاثين في الجنة لا يتزايدون عليها أبدا وكذلك أهل النار وكذا قال ثلاثين"، قال عبد الحق والأول أحسن اسنادا .

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أول زمرة يدخلون الجنة وفي رواية من أمتي على صورة قمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يبولون ولا يتغوطون أمشاطهم الذهب ورشحهم مجامرهم اللؤلؤ وأزواجهم الحور وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لاختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا والؤلؤة هو العود وفي رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم وفي رواية على صورة أبيهم آدم عليه السلام.

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال إنالمرأة من أهل الجنة ليراى سا قها من وارء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله سبحانه يقول كأنهم الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته.

قال القرطبي: "روى مرفوعا أن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف قوله لكل واحدة منهم زوجتان يعني من الآدميات وأما الحور غير الآدميات فكثيرات".

وروى الترمذي عن سعد بن وقاص ﷺ عن النبي قال: "لو أن ما يقل ظفرا مما في الجنة بدلتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس نور الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم.

وذكر بن وهب عن محمد بن كعب القرظي أن قال: "والله الذي لا إله إلا هو لو أن امراة اطلعت سورارها لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر فكيف المسورة". الحديث.

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله: "أن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قال: يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبي لمن كان لنا وكنا له.

وفي اللباب عن أبي هريرة رضي الله عنهما قالت عائشة رضي الله عنها أن الحور العين إذا قلنا هذهالمقالة أجابهن المومناتن من نساء أهل الدنيا: نحن المصليت وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضأت وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قال عائشة فغلبنهن والله.

قال القرطبي: "ذكر أن الآدميات في الجنة على سن واحدة وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار وعلى ما اشتهت أنفس أهل الجنة.

وروى البخاري عن أنس بن مالك ﷺأن النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا

ولنصفيها على رأسها يعني خمارها خير من الدنيا وما فيهاقال الغزالي في الإحياء قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمس مائة حور وأربعة ألاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره".

وقال أبو أمامة الباهلي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد يدخل الجنة إلا يجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتين من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس ومالجن ليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه".

قلت: "روي أن رجلا قال لسفيان الثوري عجبا منك ليس لك مأوى تأوي إلبيه فقال سفيان: "يا ابن أخي أي الرجال كان المغيرة عنك قال رجل صالح قال فابراهيم قال: بخ بخ قال فعلقمه قال لا تسأل قال فإن مسعود قال الثقة الصدوق".

قال: سفيان حدثني المغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبدو الله بن مسعود قال: يقتحم على أهل الجنة نور من فنائهم يكاد يخطف نور أبصارهم فنظروا فإذا نور من حور ضحكت في وجه ولييها ما كنت لأدع هذا الخير أب دا لقولك قال ثم أنشأ سفيان يقول:

ما ضر من كانت الفردوي منزله

ماذا تضمن من بؤس وافتقاري

تراه يمشي حزينا خائفا وجلا

إلى المساجد في ذل واطهاري

يا نفسي مالك من صبر على النار

قد حان أن تقبلي من بعد وإدباري

[بسيط]

قال صاحب التذكرة: "ورى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسنده عن أبي مسعود الغفاري رض أنه سمع النبي ﷺ يقول: "ما من عبد يصوم يوما من رمضان إلا زوج زوجتان من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله سبحانه: حور مقصورات في الخيام على كل إمرأة منهمن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى وتعطى سبعين لونا من الطيب وليس منها لون على ريح الأخرى لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوتة حمراء مشوبة بالدر على كل سرير سبعون من فراشا أريكة لكل إمراة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف ومع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعا م تجد لآخر لقمة منها لذة لم تجده لأولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر وهذا لكل يوم ما صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات

قال صاحب التذكرة: "ورى أن رسول الله ﷺ: "سئل عن الحور العين من أي شي خلقن فقال من ثلاثة أشياء أسفلها من المسك وأوسطها العنبر وأعلا هن الكافور وحواجبهن سواده خط في نور من نور.

قلت: "ورأيت في الكتاب الذي يقال أنه الزبور يقول سبحانه لم أدع في كتب نهاية وأن الحجارة لتبكي مما خاطبتكم به فكما تبكون على رحمتي فخافوا سطوتي ويحكم بني آدم لا تكثروا الإلتفات إلى ما حرمت عليكم فلو رأيتم تراكب مجاري الدم من الآدميات لسقدرتموهن ولركنتم إلى المسكيات العطرات اللواتي جسامهن مسك وأحداقهن لؤلؤ وعرقهن نور ترفل الجارية منهن في كل ساعة من نهار الآخرى في اثنين وسبعين ألف حلة قد عوفين من هيجان الطبائع فهن الراضيات فلا يسخطن وهن

الباقيات فلا يمتن فقد حجبن بينهن وبين مخالفة الأزواج كلما اقتضاها صاحبها رجعت بكرا تسمع للتبرجين تقديسا تظن قصور الجنة اسعاد لهن سوى فرحين يتلاعبان يسمع للشفاه تغنجا وتقديسا وانعطافا للمطابقات إذا التفت من الأفواه من غير تعب يظن المفاصل ولكن أرطب من الزبد وأحلى من الشهد اقتضاها لم يبصره مالها بسنها قطعة ياجين في حواشي حرير بين فروشهن وبين سرورهن أنهار تتلاطم أمواجها على جناح قبابهن والأكواب مرصعة للخمر تقديس خلاف تقديس العسل وللعسل تقديس سوى تقديس اللبن وللبن تقديس والماء يختار ولي الله من كان الذهن تغنجا في تقديسه هذا الملك الأكبر والتنعيم الأطول والحياة الرغدة والسرور الدائم والتنعم في زمن ذلك كله عجبا لمن أحبني كيف يهدي قلبه كأنه لا يصدق بما وعدته أو كأنه لا ينظر إلى الموت كيف ينقل الآدميين واحد بعد واحد ستعلمون بني آدم إذا صرتم إلي أني بكل شي محيط انتهى من المزمور السابع من مزامر داوود عليه السلام وهو موافق بما آتى به نبيا محمد ﷺ قلت ورأيت في موضع آخر من هذا الكتاب الذي يقال أنه النوبر يقول سبحانه: ما غلفتم عن المقصورات في الخيام اللواتي يرفلن في الحلل والديباج أنادي رضوان نادي أهل الجنة فليشرفوا فإذا شرفوا قلت: أين الذين ظهرت لهم المعاصي وهجروها من النساء والرجال فيؤتى بهم فتندفع أعكانهم وفروجهم بزجل الثناء والتسبيح فيخرج منها رائحة مسك لولا أنها دار الأموات فيها لماتوا من شدة رائحة الجنة ثم أقول أين البيوت التي شهدت كراهتهم للمعاصي ولمواقعها فيؤتى بها فجعل طولها مائتي ألف عام من أعوام الآخرة ثم يتادي المنادي يا معشر اهل الجنة مرحبا إنيرتفع عند الله بالزيادة فليهادي الذين هموا بالمعصية ثم تركوها فيهدي إليهم مثل ملك الدنيا ما لا تقوم به الأعين ولا تحده

القلوب ثم يجلس رضوان على كرسي من نور له أربعة قوائم كطول السماء إلى بطن الحوت الذي يحمل الأرضين فيقول أنتم الذين أردعكم عن الفسق خشية الله وذكرتم صولة جهنم فيقولون الله أعطانا ووفقنا فلوجه ربنا الحمد فلو تنظر إليهم يا داوود قد تكفت بهم كراسيهم بريح سخرتها لهم حتى قد يؤمن الحجاب الباطن الذي بيني وبين خلقي فقلت طلبتكم إياي فأنا أمتعكم مني ومن النظر إلي أشد الإمتتاع فتجلى أبرز وأفيد وأعطي ثم أقول اين النطف التي حبسوها فلم يطلقوها للحرام فتحضر فتجمد فتلكون سلك در في أعناقهم فيفتخرون بها على أهل الجنة فيقولن همستم وفعلنم واستغفرتم فغفر لكم ونحن هممنا فلم نفعل ففضلنا عليكم فيقول الله عز وجل اكسوهم جلباب من جلالي ونورا فيكسى وجوههم حتى أنهم ليخلق لهم وصائف ووصفاء من لمع نور يخرج من وجوههم ذلك الجزء الوافر وهم عندي في موضع التمكين في مقعد صدق عند مليك مقتدر وفي رحيم ثم قال في مزمور بعده ... ادع رب السموات قدسوه وهللوه ومجدوه ولا تفتروا عن ذكره فإنه العواد بالخيرات القديمة لا يخيب من توكل عليه فقد أفلح من مازج الحزن قلبه كأنه امراة اعدمت ولدها بل المرأة تتعزى وساكن النار لا عزاء له ضع خدك في التراب متضرعا و ناجني خاضعا ولو رأيت المنقطعين إلي ودرجاتهم وما أعددت لهم في الجنة من الحواب أكواب تطرب بالتقديس خمورهم وتنعطف بحسن النغم طيورهم في دار أمنوا فيها ريب الحدثان وصروف الأزمان فنعيمها لا ينفذ وعيشها لا يتغير أعددتها لعباي هجروا المضاجع ولذة الحرام من أجلي إذا كظهم البرد كان في صلاتهم ودف أوصالهم أولئك العباد حقا الذين لم تلهمه الدنيا ولم يشتغلوا بالتجارات والبيوع عن ذكري كان ذنوب الناس أجمعين فوق ظهروهم أو كأن جهنم أعدت لهم دون الناس فهم راضون

عني وأنا راض عنهم إذا نولت بهم العلل اتخذوها ألطافا من ربهم لا يشكون أمور الله إلى خلقه علماء بررة أتقياء ترحب بهم السحاب مرت بهم ملوك يحفى بهم ملك

فَصلٌ

روى الدارمي في مسنده عن زيد ابن أرقم ﷺقال قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل من أهل الجنة ليعطى فوق مائة رجل في الأكل والجكاع والشهوة وعند الترمذي من رواية أنس رض عن النبي ص قال يعطى المؤمن في الجنة فوق كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله ويعطى فوق ذلك قال يعطى قوة مائة.

وروى البزار في مسنده من حديث أبي هريرة ﷺقيل يا رسول الله ﷺ: "أنفضي إلى نسائنا في الجنة قال: أي والذي نفسي بيده أن الرجل ليفضي غي اليوم الواحد إلى مائة عذراء" وخرج عن أبي سعيد الخذري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أهل الجنة إذا جامعوا نسائهم عذراء بكر".

وروى أبو قرصافة عن النبي ﷺ: "أنه قال إخراج القمامة من المسجد مهمور الحور العين قال الثعلبي قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاءي لونهن يرى مخ سوقهن من ورائي ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كعب أحدبهن كالمرآت من رقة الجلد وصفاء اللون"

روى ابن عن ابن زيد قال: "فيقال للمرأة من نساء الجنة وهي في السماء أتحبين أن نريك زوجك في أهل الدنيا؟ فتقول: نعم فيكشف لها عن الحجب وتفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى تستبطى قدومه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب ولعله يكون بينه وبين زوجته في الدنيا ما يكون بين النساء وأزواجهن فتغضبه فيشق ذلك عليها وتقول ويحك دعيه من شرك إنما هو معك ليالي

قلائل فأخرجه الترمذي بمعناه عن معاذ بن جبل رض عن النبي ﷺ: قال: "لا تؤذي إمراة زوجها في الدنيا إلا قالت إمراته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله إنما هو عنده دخيل يوشك أن يفارقك إلينا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وخرجه ابن ماجة أيضا

بَابٌ فِي طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ

وفي العتبية عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال: "يقال أنه أول ما ينزله أهل الجنة لبلام ونون قال يلبث الثور نافشا في الجنة يأكل من ثمر الجنة فإذا أضحى ذكاه الحوت فأكولا منه ويظل الحوت يسبح في أنهار الجنة ويأكل من ثمار الجنة فإذا أمسى أنهده الثور بقرنه فكلوا من لحمه".

قال ابن رشيد: "البلام والثور والنون الحوت والمعنى في هذا الحديث إن صح أن الله يعيد الثور بعد أن ذكاه الحوت وأكولا منه حيا كما كان فينبهر الحوت بقرنه فيأكل منه ويحتمل أن يكون الثور الذي ينهد الحوت غير الذي ذكاه الحومت فأكولا منه والنفش الرعي بالليل والجنة لا ظلام فيها ولا ليل ولا ضحى ولا مسى".

روى أن رسول الله ﷺ قال إن الجنة بيضاء تتلألأ وأهلها لا ينامون أهلها وليس فيها شمس ولا ليل مظلم ولا حر ولا برد بؤذيهم وروى عن عبد الله بن أبي أوى ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله ﷺ في الجنة ليل ؟ فقال له ليس في الجنة ظلمة إن الليل ظلمة وليس في الجنة ظلمة إن شجارها نور ونورها نور وخدمها نور".

قال ابن رشد: يروى أنه يغدى على أدنى أهل الجنة منزلة كل يوم سبيعن ألف صحفة من ذهب في كل واحدة منها لون ليس في الآخرى يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويراح عليه بمثلها وقد قال رسول الله ﷺ: "فيما يحكيه عن ربه عز وجل أعددت لعبادي لاصالحيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قلت: وقد روى الدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قيل: "يا رسول الله ﷺ: "أينام أهل الجنة قال لا النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها.

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذلك جشأ ورشح كرشح مسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس.

وروى النسائي من حديث زيد بن أرقم ﷺ قال جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال يا أبا القاسم أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال أي والذي نفسي بيده أن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوات قال الرجل فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال النبي ﷺ حاجة أحدهم رشح يفيض من جلده فإذا بطنه قد ظمر.

بَابٌ فِي طَيرِ أهلِ الجَنَّةِ

روى الترمذي عن أنس ﷺ قال سئل رسول الله ﷺ: "ما الكوثر فقال ذلك هو كوثر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن واحاى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر".

قال عمر ﷺ إن هذه لناعمة قال رسول الله ﷺ: "أكلها أنعم منها قال أبو عيسى هذا حديث حسن".

ورواه أبو الدرداء وروى البزار في مسنده عن ابن مسعود ﷺ قال قال رسول الله: "إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيجي مشويا يبين يديك".

باب في شجر الجنة وثمارها وثيابها وخيلها ونجبها

روى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ما في الجنة شجر إلا وساقها من ذهب قال هذا حديث حسن وروى ابن المبارك عن أبي هريرة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبي يقول الله تعالى لها تفتقي لعبدي عما شاء فتفتق له عن فرس فسرجه ولجامه وهيئته كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن النجائب والثياب".

روى الحافظ أ بو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن الخطيب البغدادي عن شيخه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني بسنده عن أبي سعيد الخذري ﷺ عن النبي ﷺ: "أن رجل قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك؟ قال طوبى لمن راني وامن بي ثم طوبى لمن آمن بي ولم يراني فقال له الرجل يا رسول الله ما طوبى؟ قال: شجرة في الحجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها".

وخرج أبو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أن الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أ سفلها خيل بلق من ذهب ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذواتى أجنحة فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذي أسفل منهم يا أهل الجنة ناصوفنا يا رب ما بلغ هولاء هذه الكرامة فقال الله تعالى: "إنهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا يقومون بالليل وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون" .ونقل الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو".

وروى عن النسائي عن عباس بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي

الله عنهما قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ: "إذ جاء رجل فقال يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أو نسجا تنسج فضحك بعض القوم فقال لما تضحكون إن جاهلا يسأل عالما فجلس قليلا ثم قال: ﷺ أين السائل عن ثياب أهل الجنة قال: هو ذا يا رسول الله قال : "لا بل تشق عنها ثمار الجنةقالها ثلاثا.

وروى ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نخل الجنة جدوعها زمرد أخضر وكرفها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم".

وروى ابن وهب عن أبي زيد قال قال رجل: "يا رسول الله ﷺ: "هل في الجنة من نخل؟ فإني أحب النخل فقال: أي والذي نفسي بيده جدوعها من ذهب وكرانيف من ذهب وجريد من ذهب وسعف كأحسن حلل يراها الرجل من العالمين وعراجين من ذهي وشماريخ من ذهب وأنماع من ذهب وثمار كالقلال ألين من الزبد وأحلى حلاوة من العسل".

وذكر أبو البكر الجوزي عن جرين بن عبد الله الباجلي ﷺ عن النبي ﷺ: "أنه أخذ عودا بيده فقال يا جرين لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قال فقلت: فأين النخل والشجر أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلا ها الثمار".

فَصلٌ

منه روى الترمذي عن سلمان بن بردة عن أبيه رض أن رجلا سأل النبي ﷺ: "فقال يا رسول اللّهل في الجنة من خيل ؟ قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أدخلك الجنة فلا تسأل أن تحمل على فرس من ياقوت حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت".

قال وسأله رجل فقال يا رسول الله: هل في الجنة من إبل ؟ قال: فلم

يقل له ما قال لصاحبه فقال: إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك .

وروى ا بن المبارك عن شعيب بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: "من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يأتون يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة ولا تروث ولا تبول فيركبوها حتى ينتهوا حيث شاء الله وذكر الحديث

بَابُ ما جَاءَ أن في الجنَّة سُوقاً وفي تعَارف أهل الجنَّة وحديثهم ورُؤيتهم لربهم سُبحَانَهُ

روى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة لسوق يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحتوا في وجوهم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا ويرجعون إلى أهاليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم قد ازددتم حسنا وجمالا" .

وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال: "حدثنا أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: " أن في الجنة اسواقا ولا شراء فيها ولا بيع وأن أهل الجنة لما أفضوا إلى روح الجنة جلسوا متكئين على لؤلؤ رطب وترابها مسك يتعارفون في تلك الجنان كيف كانت الدنيا وكيف كانت عبادة الرب وكيف نحيي الليل ونصوم النهار وكيف كان فقر الدنيا وغناها وكيف كان الموت وكيف صرنا بعد طول البلا من أهل الجنة".

قال رسول الله ﷺ: "إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان إلى الإخوان فيسير سرير ذا إلى سير ذا فيلتيقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعون الله تعالى فغفر لنا .

قلت: "ومن تأليف محمد بن عبد الله بن عيشون حدث بسنده عن حماد بن سليمان السروسي أن أهل الجنة ليس يشتاقون الى شي أشد شوقا منهم إلى يوم المزيد قال وهو مقدار كل يوم جمعة في دار الدنيا وذلك لأنه اليوم الذي يرون فيه ربهم سبحانه فينظرون إليه تبارك وتعالى فينسون كل نع مة كانوا فيه بالنظر إليه ثم حدث بسنده عن جرير بن عبد الله الباجلي ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إن أهل الجنة ينظرون إلى وجه الله تعالى كما

ينظر أهل الأرض إلى الشمس والقمر في غير سحاب قال: ثم ينصرف المومنون إلى منازلهم ويدخلون إلى أزواجهم فيقول الحور للمومن يا ولي الله لقد ازددت بعدنا حسنا وجمالا ثم قال بنو عيشون في أثناء كلامه أن الله تعالى يزيد أهل الجنة في كل يوم جمالا لم يكن قبل ذلك ويزددن أزواجهم به ولأهل الجنة كل يوم من الله سبحانه فوائد وتحف ولطائف .

وروى الترمذي وابن ماجة عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة ﷺ فقال ابو هريرة: "اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم: أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نولوا فيها بفضل أعمالهم لم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيرون ربهم ويبرز لهم عرش ويبتدالهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من يا قوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كتبان المسك والكافور ما يرون أن صاحب الكرسي بأفضل منهم مجلسا.

قال أبو هريرة: "قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا؟ قال: نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلت: لا قال: كذلك لا تتمارونه في رؤية ربكم قلت لوا لايبقى في ذلك الكجلس رجلا ألا حاضره الله محاضرة حتى يقول الرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم نعلت كذا وكذا ؟ فيذكره بعض عذراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي فيقول: بلى فسعت مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة فأمطرت عليه طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط، ويقول ربنا عز وجل قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فتأتي سوقا وقد خفت به الملائكة ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا

يشتري وفي ذلك الشوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم وفي فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي أخر حديثه حتى يتمثل له ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيلقن مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إن جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا".

وروى مسلم والترمذي والنسائي وأبو داوود والطيالسي كلهم عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة قال الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة ونجيتنا من النار قال بلى فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب عليهم من النظر غلى ربهم عز وجل ثم تلى هذه الآية: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] ولفظ النسائي ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر ولا أقر لأعينهم ولفظ الطيالسي فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا وقوله ويتبدا لهم روضة أي وهم في روضة إذ لا يحويه سبحانه مكان وقوله فيكشف الحجاب معناه أنه يرفع الموانع عن الأبصار حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال فذكر الحجاب إنما هو في حق المخلوقين لا في حق الخالق فهو سبحانه منزه عما يحجبه".

وروى يحي بن سلام بسنده عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: "إن

---

(1) سورة يونس: 10، الآية: 26 ، وتمامها قال تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل جمعة على كثب من كافور ولا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه جواري يقرأن القرآن بأحسن أصوات سمعها الأولون ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله تعالى يهديهم إلى منازلهم ما لاهتدوا إليها لما يحدث الله لهم في كل جمعة، وقال الحسن ليس شيء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد لأنهم يرون فيه الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه".

وروى الحافظ أبو نعيم عن خالد بن معران عن كثير بن مرة قال: "إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئا إلا مطروا به، قال خالد: "لئن أشهدني الله ذلك لأقولن لها أمطرينا جواري مزينات وقد تقدم من حديث بن عمر وأكرمكم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية"، قال صاحب التذكرة: "وهذا يدل على أن أهل الجنة في الرؤية مختلفوا الحال".

وروى عن أبي يزيد البسطاي أنه قال: "إن لله تعالى عباد لو حجبهم في الجنة ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها يعني أن رؤية المولى سبحانه هو النعيم الأكبر الذي لا يشبهه نعيم جعلنا المولى الله من نعمه الله بالنظر إليه سبحانه".

وقد ذكر الغزالي وغيره: "أن رؤية المولى سبحانه هو معظم نعيم المقربين جعلنا الله سبحانه منهم بمنه وكرمه وفضله وقد آن لنا أن نختم كتابنا هذا المسمى رياض الصالحين وتحفة المتقين".

بَابٌ فِي سَلامِ اللّه تَعَالَى عَلى أهلِ الجَنَّة

قال القرطبي في تذكرته: "روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم فإذا الرب سبحانه قد أشرف عليهم فقال:" السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قوله سبحانه: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] قال فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم فإذا احتجب عنهم بقي نوره وبركته عليهم في ديارهم".

قلت: "هذا الحديث رواه البزار قال القرطبي: "ومعنى قول أشرق عليهم أي اطلع عليهم والله سبحانه لا يوصف بالمكان ونسوا نعيم الجنة لنا نظروا إليه سبحانه لأن ما دون الله سبحانه لا يقاوم تجليه جلت عظمته ولولا أنه سبحانه يثبتهم ويبقيهم لحل بهم ما حل بالجبل حين تجلى له وقوله حتى يحتجب عنهم يجوز أن يكون معناه حتى يروهم إلى نعيم الجنة الذي نسوه وإلى حضوض أنفسهم وشهواتها التي نسوها وليس ذلك إن شاء الله على الاحتجاب عنهم الذي هو بمعنى الغيبة عنه حتى يكونوا له ناسين وعن شهوده محجوبين وإلى نعيم الجنة ساكنين، ولكنه سبحانه بلطفه يردهم إلى التنعيم بما نسوه ولا يحجبهم عما شاهدوه حبة غيبية عنه ويدل على ذلك قوله بقي نوره وبركاته عليهم في ديارهم فكيف يحجبهم سبحانه عنه وهو بنعمة المزيد ويعدهم بتجديد النعيم الذي لا يفنى ولا

---

(1) سورة يس: 36، الآية: 58.

يبيد وإذا رفعت الحجب وزالت الموانع لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق ولا بين حال الشهود والغيبة بون بل تتفق الأوقات وتتساوى الحالات فيكون في كل حال شاهد أو بعين البصر والبصيرة ناظر.

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ رِضوانَ اللّه سُبحَانَهُ أفضَلُ مِنَ الجَنَّة

قال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ قال ابن عطية: "ومعنى الآية أن رضوان الله أن تعالى أكبر من جميع ما تقدم ومعنى الآية والحديث متفق وسأذكر إن شاء الله تعالى وبه أختم الكتاب كما فعل ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى.

قال الحسن بن أبي الحسن: "وصل إلى قلوب أهل الجنة برضوان الله من السرور ما هو ألذ عندهم وأقر لأعينهم من كل شيء أصابوه من نعيم الجنة".

قال الإمام الفخر: "وإنما كان الرضوان أكبر لأنه عند العارفين نعيم روحاني وهو أشرف من النعيم الجسماني، قال ومعرفة أهل الجنة مع هذا النعيم المقيم فإنه تعالى راض الله عنهم ومن عليهم أزيد عندهم في إيجاب السرور وأما الحديث وعدنا أن نختم الكتاب به تبركا فهو ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إن الله سبحانه وتعالى يقول: لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا".

اللّهم توفنا مسلمين وألحقنا بأوليائك الصالحين وصل الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وقائد الغرل المحجلين وعلى اله وصحابته أجمعين وتابع التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وأخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين.

كمل كتاب رياض الصالحين بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده على يد كاتبه عبيد مولاه وشاكره على الذي أولاه الفقير إليه دون ما سواه محمد بن الطاهر الجزائري الدار وفقه الله لعمل الأبرار بجاه المصطفى المختار ﷺ وعلى آله ما جن ليل وأضاء نهاره غفر الله له ولأبويه ولأشياخه وكافة المؤمنين وكان الفراغ منه يوم الأحد بعد ما مضى في جمادى الأولى أحدى وعشرون يوما سنة 1273 ثلاثة وسبعون و مائتي وألف رزقنا الله خيره وخير ما بعده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله.

انتهى

نجز الكتاب وانقض رحم الله من قرأه

وفعلنا الذي وجب ودعاء للذي كتب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أسال الله العظيم وأنا أنهي هذا العمل المتواضع في تخريجي وتحقيقي لهذا الكتاب المعنون برياض الصالحين وتحفة المتقين للعلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي أن يغفر لي ما كان فيه من هنات وزلات وأن يوفقني وغيري للعمل على مثل هاته الأعمال التي تبرز وتظهر الزاد الدفين والكنز الخفي لعلمائنا الأجلاء من خلا ل تحقيق وتخريج كتبهم التي لا زالت بين جوانب المخطوطات ترجو من يخرجها للعيان في أعمال محققة مدروسة .

كما أتمنى أن أن يلقى استحسان غيري ويجعل ما لقيته من تعب ونصب وأنا بصدد التحقيق في ميزان حسناتي وأن يغفر لصاحبه وناسخه ويدخلهم فسيح جنانه بمنه وفضله ورحمته.

فهرس الموضوعات

الإهداء.....5

مقدمة التحقيق.....6

منهجي في التحقيق.....9

ترجمة المؤلف العلامة الجزائري.....11

نماذج من صور المخطوط 17

التحقيق.....21

باب في بَيانِ ما يَنبَغي أنْ يكونَ عَليه الإنسانُ في ليله ونهارهْ.....28

باب جَامعٌ لجملَةٍ منَ الآثارِ تُزهد في الدُّنيَا وتُرغِّبُ في الآخرةِ 37

بَابٌ في فَضلِ الدُّعَاء والذِّكرِ.....41

_فَصلٌ وَللدعَاءِ آدَابٌ 47

_فَصلٌ في فَضلِ الذِّكرِ.....48

_فَصلٌ في فَضلِ الاستغْفَار.....56

بَابُ جامعُ الأحَاديثِ المُهتمينَ بالدِّينِ وكَلمَاتٍ حكَميَّةٍ للمُتقينَ 57

بابٌ في فَضْلِ أذكارٍ.....61

بَابُ مَا يَقُولُ إذَا استَيقَظَ منَ اللَّيلِ.....61

بَابُ مَا يَقُولُ عندَ الصَّباحِ والمَسَاءِ 63

بَابٌ جَامعٌ لجُملَةٍ منَ الأذكَارِ.....64

بَابٌ جَامعٌ لأنواعٍ منَ الخَيرَاتِ.....66

بَابٌ مُشتَملٌ عَلى فُصُولٍ مُحتَوِيَةٍ عَلى كَلمَاتٍ وَعظيَةٍ وحكَاياتٍ عَن أولياء اللّه المُقربينَ منْ عبادهِ المُتقينَ 71
بَابٌ جَامعٌ لفُصُولٍ مُحتَوي عَلى كَلمَاتٍ وَعظيَةٍ وحكَمٍ نورَانيَةٍ وحكَاياتٍ عَجيبَةٍ لأربَابِ القُلُوب 114
بَابٌ ما جاءَ في التَهجُد وفَضل المُتهَجدين والذَاكرينَ وفيه فُصُولٌ 249
بَابٌ مُشتَملٌ عَلى فُصُولٍ فيها وَصَايَا وكَلمَاتٍ حكميَةٍ 273
بَابٌ في ذكر المَوت ومَا بَعدَهُ وفيه فُصُولٌ وأبوَابٌ 307
بَابٌ في ذكر حَديث البَراء المشهُور الجَامع لأحوَال الموتَى عندَ قَبض أرواحهم و في قُبورهم 337
بَابٌ جَامعٌ لأحوَال المَوتَى 351
_فَصلٌ في تَلاقي الأرواح 356
بَابٌ في الجنَازة وكَلامهَا ومَا جَاءَ منَ الفَضل في إتّبَاعهَا 357
بَابُ تَلقين المَيّت بَعدَ الدَفن والدُعَاء لَهُ 368
بَابُ الوُقُوف عندَ القَبر قَليلاً بعدَ الدَفن والدُعَاء بالتَثبت لَهُ 370
بَابُ مَاينجي منْ ضَغطَة القَبروفتنَته 372
بَابٌ جَامعٌ لمَا جَاء في قراءَة القُرآن على القُبور ورحمَةُ اللّه تعالى بعبده 374
بَابٌ جَامعٌ في زيارَة القُبور والسَلام عَليهَا 376
بَابُ ذكر مَنامات رُؤيت لبعض الصَالحينَ تَدلُ 379
بَابٌ جَامعٌ في فرَح المَوتَى بالصَدقة وعَرض المَيّت على مَقعده وأيْنَ تكونُ الأرواحُ 388
بَابُ كَم الشُهدَاء 392
بَابُ في ذكر حَديث الرُؤيا المشتَمل على أرواح المُعذَبينَ والمُنعمينَ في البَرزخ 395
بَابٌ جَامعٌ لما يراهُ الميّت من حينَ مَوته إلى حين نُزوله بأحَد الدَارَين وفيه فُصُولٌ 397

_فَصلٌ في ذكر النفخ في الصور وبعض مَن في القبور 400
_فَصلٌ فيما جاء أن العبد إذا خرج من قبره يتلقاه ملكاه وعمله..... 406
_فَصلٌ في بيان الحشر إلى الموقف..... 408
_فَصلٌ في ذكر أحداث الحشر..... 413
_فَصلٌ في ذكر دور الملائكة على حافات أرض المحشر ودنو الشمس من الخلق وتفاوتهم في العرق..... 420
_فَصلٌ في الشفاعة العامة سيدنا محمد ﷺ لأهل المحشر وما جاء في طول ذلك اليوم وما جاء في المقام المحمود..... 427
_فَصلٌ فيما جاء أن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة..... 437
_فَصلٌ في بعث الأيام والليالي ويوم الجمعة..... 441
_فَصلٌ في شهادة البقع وغيرها لابن آدم وعليه قال تعالى..... 442
_فَصلٌ في إرضاء اللّه تعالى الخصم في الآخرة..... 444
_فَصلٌ فيما جاء في حوض النبي صلى اللّه عليه سلم في الوقف..... 446
_فَصلٌ في ذكر حديث لقيط بن عامر وهو حديث عظيم جامع مشتمل على ذكر الحوض وغيره أذكر منها مالا بد منه..... 450
_فَصلٌ فيما جاء في الكوثر..... 453
بَابُ ما جاءَ في الميزان وأنَّهُ حَقٌّ..... 454
بَابُ ما جاءَ أنَّ أمَّةَ سيِّدنَا مُحَمَّد ﷺ أولَ مَن يُحاسبُ وأولَ من يَدخل الجَنَّة..... 456
بَابُ ما جاءَ في كَثرة أمَة سيِّدنَا مُحَمَّدﷺ ومَن يَدخل الجنَّة بَغير حسَاب..... 458
بَابُ ما جاءَ في جَواز الصِّراط ودَرجات النَّاس في المرور عَليه..... 461
بَابُ مَن جَاء فيمَن لا يُوقفُ على الصراط طَرفةَ عَين وذكر الصراط الثاني وهي القَنطَرة التي بَينَ الجَنَّة والنَّار..... 464
بَابٌ في صفة النَّار. نَجانَا اللّه سُبحَانَهُ منهَا بفضله ورَحمته..... 465

بَابُ ما جاءَ في الشَّفاعَة في المُوحدينَ وفي إخراجهم منَ النَّار.....469
بَابُ ما جاءَ في صفَة الجنةَ وأصناف نَعيمها وبَهجتها وسُرورهَا جَعلنَا اللّه من أهلهَا بلا محنة بفضله إنَّهُ وليُ المؤمنينَ 481
بَابٌ في صفَة الجَنَّة وبنائهَا ومَا أعَدَّ اللّه تَعالَى فيهَا منَ الخَير لأهلهَا.....501
بَابٌ منهُ في غُرف الجنَّة وخيامها ودَرجها وبيان قَوله تَعَالَى:﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ 504
بَابٌ في وَصف أهل الجنَّة وسنهم وشَبابهم وفي صفَة الحُور ومَا هُناك من الخَير والسُرور.....512
بَابُ في طَعام أهَل الجنَّة.....520
بَابٌ في طَير أهل الجَنَّة.....522
باب في شجر الجنة وثمارها وثيابها وخيلها ونجبها.....523
بَابُ ما جَاءَ أن في الجنَّة سُوقاً وفي تعَارف أهل الجنَّة وحديثهم ورُؤيتهم لربهم سُبحَانَهُ.....526
بَابٌ في سَلام اللّه تَعَالَى عَلى أهل الجَنَّة 530
بَابُ مَا جَاءَ أنَّ رضوانَ اللّه سُبحَانَهُ أفضَلُ منَ الجَنَّة.....532
الخاتمة.....534
فهرس الموضوعات 535

دار الوعي
للنشر والتوزيع

حي محمد برانسي ـ قطعة 85 ـ رويبة ـ الجزائر

الفاكس: 021.81.38.60

النقال: 0560.05.10.10 / 0560.94.10.10

البريد الإلكتروني:
darelwaai @gmail.com
الموقع الالكتروني: www.darelwaai.com

9 789931 376811